المجتمع القبطى
فى مصر
فى (القرن ١٩)

رياض سوريال

مكتبة المحبة
MB

المجتمع القبطى فى مصـــــــر
فى (القـــرن ١٩)

رسالة ماجستير من جامعة القاهرة

« فى تاريخ مصر الحديث بتقدير جيد جدا »

اعـــداد

ريـــاض سوريـــــال

تقـــديم

الحبر الجليل الانبا غريغوريـــوس

والمؤرخ الكبير الدكتور عزيز سوريال عطيه



٣ ش كامل صدقى بالفجالة
ت ٩٢٩٢٩١٤ - ٩٠٣٨٩٥



قداسة البابا المعظم الأنبا شنوده الثالث

المجتمع القبطى فى مصـــــر
فى (القـــرن ١٩)

رسالة ماجستير من جامعة القاهرة
(فى تاريخ مصر الحديث)

أعـــدهـا

رياض سوريال

ليسانس فى الحقوق وليسانس وماجستير فى التاريخ
وليسانس فى اللغة العربية ودبلوم معهد اللغات الشرقية
ودبلوم معهد الدراسات العليا فى التربية والجغرافيا

تقديـــم

الحبر الجليل الانبا غريغوريوس
والمؤرخ الكبير الدكتور عزيز سوريال عطيه

(نوقشت هذه الرسالة فى مدرج كلية الآداب بالجيزة) فى
يوم الخميس ٧ مايو سنة ١٩٧٠ وكانت لجنة المناقشه
مكونه من الدكاتره محمد احمد أنيس (المشرف على الرسالة)
والسيد رجب الحراز وعبد الملك عوده)



تقديم لكتـــاب

المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر
تأليف الاستاذ الماجستير رياض سوريال بشارة

هذا الكتـاب رسالة قيمة قدمها الاستاذ المؤلف لجامعة القاهرة، وحصل بها على درجة الاستاذية (الماجستيراه) في التاريخ، بتقدير جيد جدا، وقد نوقشت امام لجنة من العلماء دكاترة التاريخ، في السابع من مايو ــ ايار لسنة ١٩٧٠،

ولقد قرأنا هذه الرسالة، او هذا الكتاب الضخم الذي يبلغ نحو اربعمائة صفحة من القطع الكبير واشهد انني سعدت كثيرا بقراءته فهو بحث متسع اشتمل على الكثير من الحقائق التاريخية مسنودة بالوثائق، بما قد يغني الباحث في الموضوع عن قراءة عشرات الكتب العربية والاجنبية، بصورة جذابة وكفاءة نادرة جمعت بين الاسهاب والاقتضاب جمعا ليس فيه تطويل ممل او اختصار مخلّ. وقد استوعب المؤلف الموضوع جيدا، وأجاب على جميع التساؤلات، اجابة شافية وافية.

ويمتاز الكتاب بأنه فضلا عما فيه من مادة علمية محققة، فهو مكتوب باسلوب عربي رصين يشهد بما للمؤلف من قدرة على التعبير البليغ المرسل بغير تعقيد. وعلى الرغم من استاذية المؤلف في اللغة العربية، فلغة الكتاب سهلة وفي متناول الجميع. وهذه ميزة نادرة في مثل هذه الابحاث المتخصصة.

واذا كان من الحق ان يقال ان من يكتب كتابا في التاريخ يكشف عن شخصيته اكثر مما يكشف عن الاشخاص الذين يؤرخ لهم لأنه يبرز اولئك الاشخاص من الزاوية التي يسقط الاضواء عليها، فانه يمكننا بحق ان نقول ان كتاب الاستاذ رياض سوريال عن «المجتمع القبطي في مصر في القرن التاسع عشر» يكشف عن جوانب طيبة في شخصية المؤلف.

فالمؤلف اثبت فيما كتب انه رجل منصف. فقد أرّخ للأشخاص والاحداث بروح غير منحازة. فقد اعطى لكل شخص أرخ له حقه من التقدير المناسب له، بغض النظر عن عقيدته

الدينية ، مبينا ما فى قوله او عمله من فضل وخير بدراسة موضوعية ، لا تلّونها عقيدة المؤلف الدينية . وهذه الصفة الانصافية واضحة فى كل الكتاب من اوله الى آخره وهى تمثل تيارا واحدا عميقا يسرى ويجرى فى الرسالة من اولها الى اخرها ، التزمه ولم ينحرف عنه .

هذا الى ان الكتاب يشهد بما يتصف به المؤرخ من امانة علمية . وهذه فضيلة يتميز بها المؤرخ الذى يكتب للحقيقة والتاريخ . فكل ما اورده الاستاذ رياض سوريال فى كتابه صدق وحق ، وقد أيده بالوثائق وبما جاء فى كتب المؤرخين الثقاة ، ولم ينسب قولا الى نفسه من غير حق ، وانما اذا اقتبس مقالة كان ينسبها الى قائلها والى المرجع الذى اخذ منه ، مشيرا الى الموضع والطبعة والصفحة التى نقل عنها بامانة مريحة ، تطمئن القارىء الى امانة صاحب الرسالة مما يضفى عليه عند العلماء شرف المؤرخ الأمين .

اضف الى الانصاف والامانة صفة ثالثة يتصف بها كل عالم على الحقيقة ، وهى الدقة فيما يكتب . وهذه الصفة ايضا متوفرة فى صاحب كتاب « المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر » .

هذه الرسالة وهذا الكتاب يؤرخ لجزء من تاريخ بلدنا مصر ، ولشعب هو شعب مصر فى حقبة حديثة من تاريخه ، هى القرن التاسع عشر . والاقباط هم اولا وقبل كل شىء مصريون ، وبالتالى قطعة اصيلة من الكيان المصرى الذى يجمع بينهم وبين اخوانهم المصريين من المسلمين . اما ان الاقباط مسيحيون فالمسيحية عقيدتهم وديانتهم . اما من حيث عرقيتهم وجنسيتهم فهم المصريون الوارثون مع مواطنيهم المسلمين لأعرق حضارة انسانية تمتد الى (مصرايم) بن حام بن نوح (التكوين ١٠ : ٦ ، ١٣) ، (٥٠ : ١١) ، (١٠ اخبار الايام ١ : ٨ ، ١١) والى (مصرايم) يرجع اسم (مصر) .

وحقا ما قاله الرئيس محمد انور السادات رئيس الجمهورية فى احد خطاباته « ان الاقباط من نسيج هذا البلد ـــ مصر . . » وما قاله الدكتور طه حسين « الكنيسة القبطية مجد مصرى قديم » .

من هنا فان رسالة الاستاذ رياض سوريال هى تاريخ لحقبة من تاريخ مصر تهم مصر والمصريين جميعا ، اقباطا ومسلمين . ولقد حرص الاستاذ المؤلف على الرجوع الى كل ما امكنه الرجوع اليه من كتب وتواليف وضعها مصريون ، مسيحيون ومسلمون .

وفى القسم الأخير من الكتاب فصل كبير عن « الوحدة الوطنية فى مصر فى القرن التاسع عشر » ، وهو فصل جميل . والحق انه اكثر من رائع . عالجه المؤلف بروح وطنية مخلصة

عالية ، واضاف اليه وقائع من خبراته ، وزينه بقصائد من الشعر من نظم احمد شوقي امير الشعراء ، وزاد عليها المؤلف بابيات من قريضه ، والمؤلف كما تعلم شاعر مطبوع .

اننا نهنىء المؤلف على كتابه القيم الذى يؤرخ لفترة مهمة من تاريخ مصر ، مبرزا دور الاقباط فيها سياسيا واجتماعيا وثقافيا واقتصاديا — ونرجو له اطراد التوفيق ، ولبلدنا المزيد من امثال هذه الابحاث التاريخية التي تضيف اضافة جديدة هي لبنة بانية في صرح نهضتنا الوطنية والعلمية .

ولله السبح ، ولعظمته تعالى الشكر دائما ،،،

الجمعة
٧ من اغسطس — اب لسنة ١٩٨١

اول مسرى لسنة ١٦٩٧

الانبا غريغوريوس
اسقف عام
للدراسات اللاهوتية العليا والثقافية القبطية
والبحث العلمي

مقدمــة

بقلم المؤرخ الكبير الدكتور/ عزيز سوريال عطية

استاذ التاريخ بجامعة يوتا

بالولايات المتحدة الامريكية

ومدير المعهد العالى للدراسات القبطية سابقا

ورئيس قسم التاريخ ووكيل كليه الاداب بجامعة الاسكندرية سابقا

عرفت كاتب هذا السفر منذ عشرات السنين طالبا ممتازا فى دراسة الأدب العربى والتاريخ ، مجيدا فى اسلوبه الفذ ، جاهدا فى ميادين دراسته ، ثم لقيته بعد ذلك فى فترات متباعده او متقاربه ، فشاهدت على الدوام بمزيد الغبطة اضطراد نضوجه تفكيرا واسلوبا مما حدا بى الى الجزم بجدارته الفائقة وانتاجه فى الميادين التى اضطلع بالتخصص فيها ، ولا جدال فى ان الذين يعرفون الاستاذ رياض سوريال من ثنايا شعره المتدفق عاما بعد عام سوف يوافقوننى فى ان الكتاب الذى يتقدم به اليوم الى قراء العربية عمل جليل سيملاء ثغره فاغره فى تاريخنا القومى ، فموضوع هذه الرسالة يعالج ناحية من نواحى التاريخ القبطى الحديث فى فتره من اهم فتراته ، وقد امكن الكاتب بسعه اطلاعه على وثائقه واصوله جمع شتات أحداثه وايضاح ما غمض منه فى أسلوب جزل علمى سليم يستحق عليه الشكر والتقدير .

والمعروف الان ان ما اعترى تاريخ القبط من غموض انما يرجع الى ما اصابه من اهمال شديد بين طبقات الكتاب والمؤرخين فى العصور الوسطى اما اليوم وقد ظهر بجلاء ان الحضارة القبطية قسم رئيسى ذو مكانه مرموقه فى تراثنا المصرى القومى ، فقد اصبح لزاما على كل مواطن الاهتمام بمظاهرها المتعدده ومناحيها الرائعة وجلاء معمياتها الى ان تكتمل سلسله الحلقات الاساسية فى ذلك الدور من تاريخنا المجيد العتيد .

لذلك وجب علينا ان نعتبر ظروف البحث الحاضر فى المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر حدثا ذا قيمة كبرى له مكانته الطبيعية فى المكتبة العربية ، وهذا ظاهر كل الظهور

من استعراض محتويات هذا الكتاب الذى جمع فأوعى ، فقد طرق المؤلف فيه عامه النواحى التاريخية للعصر على اختلاف ألوانها دينيه كانت ام سياسية ام دستورية ام ثقافية ام اجتماعية وقد نحا فى عرض قضاياه نحوا علميا ، واخذ فى تاييد اقواله بالاشارة الى المصادر والوثائق التى اعتمد عليها فى حواشى فصوله بالاضافة الى الملاحق والاحصاءات الرقيقة الدقيقة التى استخرجها من بطون الكتب .

واننا اذ نهنىء الكاتب على هذا التوفيق ، نرجو لذلك الكتاب كل ما يستحقه من الرواج فى الدوائر العلمية والتاريخية بقدر استفادة القراء عموما من دراسته املين ان يحذوا الكثيرون حذوه فى حلبه البحث والانتاج الرفيع الذى يقوم عليه العلم بحقيقه الامور وجلاء الغامض من اثار تلك الامه التى عاشت كريمه مجاهده على مر الايام والعصور .

عزيز سوريال عطية
استاذ التاريخ فى جامعة يوتا
بالولايات المتحدة الامريكية
المعادى فى ١٥ / ٢ / ١٩٧١

مقدمة المؤلف

القبط هم المسيحيون من سكان مصر وهم السلالة المباشرة لقدماء المصريين ، وهم بوجه عام يكثرون فى الصعيد و يقلون فى الدلتا ، و يكثرون فى المدن و يقلون فى القرى ، وكان تعدادهم فى أوائل القرن التاسع عشر نحو مائة وخمسين الفا ، ووصل فى أواخره نحو ستمائة ألف . يقول العلامة وليم ورل الاستاذ بجامعة ميتشجان :

« وللقبط أهمية خاصة لأنهم البقية الباقية من الشعب المصرى ، ذلك الشعب الذى يمتاز بأن له أقدم تاريخ مدون » (١)

إن كلمة قبطى محرفة من الكلمة الأغريقية التى تؤدى معنى مصرى . و يذكر العالم ماريت منشيء المتحف المصرى — أن لفظ قبط أطلق على المصريين عند اعتناقهم المسيحية .

إن الاقباط شعب أبيض من شعوب البحر الأبيض المتوسط و يردد الدكتور مراد كامل قولا أجمع عليه العلماء وأقمهم Oetteking وهم لم يحافظوا على بعض ميزات الجنس المصرى القديم فحسب بل احتفظوا إلى الآن بالسحن المصرية القديمة ، وكان اختلاطهم بالأجناس المختلفة التى نزحت إلى مصر قليلا الى درجة لم تؤثر فيهم ، مما أدهش علماء الأجناس الذين اثبتوا من مقاييس الرأس والقامة أن التشابه يكاد يكون تاما بين المومياء المصرية وهياكل العظام فى العصور المختلفة و بين أقباط اليوم » (٣)

وقد ألقى المسيو ماسبيرو فى نادى رمسيس بالقاهرة فى يوم ١٩ نوفبر سنة ١٩٠٩ — محاضرة فى الصلة القائمة بين المصريين العصريين والمصريين الأقدمين فقال « اذا كانت هناك أمة حافظت على أصولها دون أن يختلط بها دم غريب فإنما هى الأمة القبطية سليلة الفراعنة » وقد أثبت هذا العالم الاثرى فى محاضرته تسلسل القبط المصريين من الفراعنة وأقام على ذلك دليلا قاطعا هو التشابه التام بين سحنة التماثيل المحفوظة بالمتحف المصرى و بين قبط مصر الحاليين ، و يقول فى ختام محاضرته « أن القبط سكان مصر الأصليون وقد ظلوا على ما كانوا عليه دون تغيير

---

(١) وليم ورل : موجز تاريخ القبط الترجمة العربية مراجعة الدكتور مراد كامل ص ١٢٣ (ملحق بكتاب صفحة من تاريخ القبط بالاسكندرية سنة ١٩٥٤

(٢) فرنسيس العتر : الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية ص ٥ — القاهرة سنة ١٩٠٣ أورد أقوال ماريت

(٣) الدكتور مراد كامل : بحث « القبط فى ركب الحضارة العالمية » فى كتاب صفحة من تاريخ القبط ص ١٠ »

أيا كان . ولم يكن معظم المسلمين إلا مسيحيين اعتنقوا الاسلام وهم بالتالي مصريون عريقون » (١) وعلى هذا فليس بصحيح ما يقوله اللورد ملنر في كتابه « England in Egypt » عن اختلاف القبطي عن المسلم في المظهر» (٢)

يقول الدكتور محمد السيد غلاب « ومن الخطأ الجسيم أن نظن أن المصريين ينقسمون إلى عنصرين عنصر عربي مسلم وآخر قبطي ، فالحقيقة أن مصر طوال التاريخ كانت تستقبل الهجرات من القبائل البادية على تخومها الشرقية والغربية ، ورأينا كيف فتحت أبوابها للاغريق وقد استوعبهم جميعا الكيان المصري ودخلوا في صلب الأمة المصرية ، وجاء الفتح العربي فهاجر إليها بعض القبائل العربية وتحول الجزء الأكبر من المصريين الى الإسلام ، فالمسلمون والأقباط إذن من أرومة واحدة ومن المستحيل التفرقة بينهم على أساس الصفات الجسمية . » (٣)

لقد كانت مصر مشرق شمس الحضارة فدراسة تاريخها تبدو على جانب عظيم من الأهمية يقول الدكتور مراد كامل :

« القبط عنصر أساسي في الأمة المصرية لا تقوم دراسة صحيحة عن مصر دون دراسة القبط تاريخا ولغة وجنسا وأدبا وفنا وقد بدأ العلماء في منتصف القرن الماضي بدراسة القبط » (٤)

إن اساتذة التاريخ في الجامعات المصرية قد سلكوا منذ سنين في هذا السبيل فأشرف الدكتور عزيز سوريال عطية استاذ تاريخ العصور الوسطى بجامعة الاسكندرية سابقا على عدد من طلابه في دراسة تاريخ القبط واتجه بعضهم الى الأديرة للبحث ودراسة المخطوطات والمراجع وهكذا سارت جامعة القاهرة في هذا السبيل فعهد المرحوم الدكتور محمد فؤاد شكري والمرحوم الدكتور محمد مصطفى زيادة الى طلابها بهذه الدراسة فأشرف الدكتور زيادة في رسالة ماجستير موضوعها دراسات في تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنة لرهبنة وادي النطرون حتى الفتح العربي قام بهذا البحث الدكتور حكيم امين . وكذلك اتبعت هذه الخطة جامعة عين شمس فأشرف الدكتور أبو الفتوح رضوان عميد كلية التربية على رسالة ماجستير في تاريخ التربية القبطية قام باعدادها الاستاذ سليمان نسيم .

لذلك عهد إلى استاذي المرحوم الدكتور محمد فؤاد شكري الأستاذ السابق للتاريخ

---

(١) فرنسيس العتر: الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية ص ٥ — أورد أقوال مسيو ماسبيرو
(٢) Alfered Milner: England in Egypt. P. 399 London 1913.
(٣) الدكتور محمد السيد غلاب : تطور الجنس البشري ص ٢٧١ — الاسكندرية سنة ١٩٥٧ .
(٤) الدكتور مراد كامل : بحث بعنوان القبط في ركب الحضارة العالمية — في كتاب صفحة من تاريخ القبط ص ١٠ .

الحديث بجامعة القاهرة بإعداد رسالة موضوعها « المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر» وأتم الاشراف على هذه الرسالة الأستاذ الدكتور محمد أنيس أستاذ التاريخ الحديث بجامعة القاهرة الآن وله الفضل فى إتمام هذه الرسالة التى استغرقت منى سنوات وحين عهد إلى أستاذى المرحوم الدكتور محمد فؤاد شكرى بهذا البحث انطلقت أبحث عن مراجع هذا البحث المتعدد النواحى ، تاريخية ودينية واجتماعية واقتصادية وغيرها ، وقد تلمست المراجع فى كل سبيل فى مكتبة جامعة القاهرة وفى دار الكتب ومكتبة معهد الدراسات القبطية بالقاهرة ومكتبة المتحف القبطى ومكتبة دير المحرق ومكتبة بلدية أسيوط ومكتبة مطرانية منفلوط ووثائق عابدين وغيرها .

يتناول هذا البحث المجتمع القبطى فى مصر فى القرن التاسع عشر فاتحدث عن الأقباط بطوائفهم الثلاث : الأقباط الأرثوذكس أو المتأصلون فهم المستقلون من الناحية الدينية مقر كنيستهم الاسكندرية وليسوا تابعين لكنيسة أجنبية والأرثوذكسية كلمة يونانية مركبة من ارثوس «بمعنى» مستقيم ذكسا بمعنى « رأى » ومعناها استقامة الرأى أى اتباع العقيدة المسيحية الصحيحة والقبط الأرثوذكس هم الذين حافظوا الى اليوم على التعاليم الصحيحة التى تسلمتها كنيستهم القبطية من مؤسسها مرقس الرسول ، كما يتناول البحث الطائفة الثانية من الأقباط وهى الأقباط الكاثوليك و يطلق عليهم الأقباط الارثوذكس « الأقباط التبع » وهم يتبعون بابا روما ومعنى كاثوليك جامعة أى الكنيسة التى تجمع المسيحين كما يشمل البحث الأقباط البروتستانت أو الانجيليون فهم المحتجون على بابا روما ، ولا يتناول هذا البحث الا المسيحين المصريين فهويتناول دراسة المجتمع القبطى منذ قدوم الحملة الفرنسية على مصر الى نهاية القرن التاسع عشر بل يمتد إلى ثورة سنة ١٩١٩ ــ كما أشار على بذلك الاستاذ الدكتور محمد أنيس .

هذا البحث يشتمل على ثلاثة أبواب وكل باب يشتمل على عدد من الفصول .

فالباب الأول : عنوانه « فئات المجتمع القبطى » وقد قسمت هذا الباب الى أربعة فصول فخصصت فصلا للاكليروس وفصلا لكل من الطبقات الثلاث للطبقة العليا وهى تشمل الاعيان وكبار الموظفين ثم الطبقة الوسطى ثم طبقة الصناع والفلاحين .

الفصل الأول : الاكليروس وتنقسم هذه الفئة إلى قسمين ــ الرهبان والكهنة وفى قسم الرهبان تحدثت عن بطاركة الأرثوذكس الخمسة فى القرن التاسع عشر وهم مرقس الثامن المعاصر للحملة الفرنسية على مصر وبطرس السابع (الجاولى) المعاصر لمحمد على ثم كيرلس الرابع المعاصر للوالى سعيد باشا ثم ديمتريوس الثانى المعاصر للخديو اسماعيل وكيرلس الخامس المعاصر للخديوين الثلاثة (اسماعيل وتوفيق وعباس حلمى الثانى) والسلطان حسين كامل

والملك فؤاد الأول والذى استمر بطريركا أكثر من نصف قرن (١٨٧٤ ـــ ١٩٢٧) ثم تحدثت عن أهم أربعة أساقفة للارثوذكس كما تحدثت عن أشهر كاهن فى القرن التاسع عشر وهو القمص فيلوثاوس ابراهيم رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى ، كما وصفت أديرة الرهبان والراهبات وتناولت الحديث عنها بالتفصيل ثم عرضت لمشكلة دير السلطان فى القدس ، هذه المشكلة التى أثيرت عدة مرات بين الأقباط والاثيوبيين فى القرن التاسع عشر ولازالت قائمة للآن وقد أثيرت بشدة سنة ١٩٦٧ وحدث بسببها تصادم فى القدس بين الأقباط والاثيوبيين ليلة عيد القيامة المجيد ، وتكلمت عن بعض رجال الدين الكاثوليك وأهمهم كيرلس مقار أول بطريرك للاقباط الكاثوليك فى مصر عينه بابا روما سنة ١٨٩٩ ، كما تحدثت عن بعض رجال الدين البروتستانت واخترت بالتفصيل اثنين من قسس البروتستانت الأولين .

أما الفصل الثانى من الباب الأول فعنوانه الطبقة العليا (الأعيان وكبار الموظفين) وقد تحدثت فى هذا الفصل عن جميع الأعيان وكبار الموظفين من الأقباط من عهد الحملة الفرنسية على مصر الى ثورة سنة ١٩١٩ فتحدثت عن جرجس الجوهرى والمعلم غالى والحكام الأقباط الذين عينهم محمد على ، المناصب الكبرى التى حازها الأقباط فى عهد الخديو اسماعيل ـــ الوزراء ـــ أعضاء المجالس النيابية ـــ القضاة ـــ المشروعات الاقتصادية التى قام بها كبار الأقباط .

الفصل الثالث من الباب الأول : الطبقة الوسطى وهى تشمل المباشرين والصيارفة والموظفين والتجار المتوسطين والمحاسبين وغيرهم وقد بينت فى هذا الفصل الدور الهام الذى قام به الأقباط فى وظائف الدولة ، وكان القلم يلازم القبطى كظله ، وعرضت لتقرير بورنج مبعوث الحكومة الانجليزية فى القرن التاسع عشر وتقريرى مبعوثى فرنسا وروسيا كما بينت عمل الأقباط فى ميدان التجارة .

اما الفصل الرابع من الباب الأول : فعنوانه : « طبقة الصناع والفلاحين » فتحدثت عن دور الأقباط فى الصناعة وبينت الصناعات التى اشتهربها الأقباط مثل الصياغة والنجارة والحرف التقليدية مثل معامل تفريخ الدجاج ثم تحدثت عن الفلاحين وما تعرضوا له من جور أيام محمد على ثم وصفت حياة الفلاحين ولا تختلف حياة الفلاح القبطى عن الفلاح المسلم وإنما تحدثت عنها لاستكمال نقاط البحث .

وقد سلطت أضواء القانون على الدراسات التاريخية فكشفت من احكام القانون المدنى أن اللائحة السعيدية التى صدرت سنة ١٨٥٨ لم تعط الملكية التامة للفلاح ، كما كشفت من قانون المرافعات أن قانون حماية الملكيات الصغيرة الذى صدر سنة ١٩١٣ والذى بمقتضاه لا يجوز

التنفيذ بالبيع على أطيان الفلاح الذى يمتلك خمسة أفدنة فأقل كيف أن هذا القانون لم يحقق الحماية المرجوه للفلاح اذا زاد ما يمتلكه من الأراضى الزراعية على خمسة أفدنة ولو بسهم واحد .

وأما الباب الثانى . فعنوانه « نشاط المجتمع القبطى » وقد قسمته إلى أربعة فصول يختص كل فصل بالحديث عن نشاط وهذه الفصول هى : دور الأقباط فى النشاط الوطنى ، نشاط الأقباط الدينى ، نشاط الأقباط الفكرى ثم نشاط الأقباط الاجتماعى .

ففى الفصل الأول تحدثت عن دور الأقباط فى النشاط الوطنى فأوضحت المواقف الوطنية للاقباط ، موقف الأقباط من الحملة الفرنسية وموقف الفرنسيين منهم ــ الجنرال يعقوب ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ، دور المعلم غالى فى تنبيه محمد على إلى خطر حفر قناة السويس والى طمع الدول فى مصر نتيجة لهذا العمل ، البابا بطرس الجاولى يرفض حماية روسيا للكنيسة القبطية ــ كيرلس الرابع يحسم النزاع بين مصر وأثيوبيا ولولاه لوقعت الحرب بين الدولتين ، وقوف الأقباط الى جانب عرابى فى الثورة العرابية ، المواقف الوطنية للاقباط فى ثورة سنة ١٩١٩ وأقوال المؤرخين وسعد زغلول عن وطنية الأقباط .

أما الفصل الثانى فيتناول دراسة النشاط الدينى وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام : نشاط الأرثوذكس ونشاط الكاثوليك ونشاط البروتستانت ، أما نشاط الأقباط الارثوذكس فقد تناولت الكلام فى ست نقاط هى (الرعاية الدينية ، تعليم الدين المسيحى ، بناء الكنائس ، مقاومة المذاهب الأجنبية « البروتستانتيه والكثلكة » ــ انشاء المدرسة الاكليريكية ــ المجلات الدينية ثم أشرت الى مدارس الأحد القبطية كأعظم مظهر للنشاط الدينى فى القرن العشرين .

وأما نشاط الأقباط الكاثوليك فقد تحدثت عن نشأة الكثلكة واعتناق الأقباط هذا المذهب فى القرن السابع عشر ، أوضحت كيف جاءت الارساليات الدينية إلى مصر وتحدثت حديثا عابرا عن الكثلكة بين الأقباط فى القرنين السابع عشر والثامن عشر ثم ظهور هذا المذهب فى القرن التاسع عشر باعتناق المعلم غالى [1] كبير الأقباط فى عهد محمد على ورئيس دواوينه هذا المذهب ثم تكلمت بالتفصيل عن الكثلكة فى القرن التاسع عشر وانشاء مدرسة اكليريكية للكاثوليك وقيام رهبنة للبنات فقط ثم انشاء بطريركية للاقباط الكاثوليك تتبع بابا روما وإنشاء ايبارشيات واتخاذ طهطا بمحافظة سوهاج مركز انتشار الكثلكة ، ثم أوردت إحصاء للاقباط الكاثوليك .

---

(١) المعلم غالى كان كبير المباشرين أى بمثابة وزير المالية فى عهد محمد على وهذه الأسرة من أخميم بمحافظة سوهاج وهو غير غالى بك نيروز والد بطرس باشا غالى وأن هذه الأسرة الأخيرة من الميمون مركز الواسطى بمحافظة بنى سويف .

وأما القسم الثالث فيتناول الكلام عن البروتستانتية فى مصر، فأوضحت بدء اعتناق الأقباط للمذهب البروتستانتى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ودور المرسلين ومن أهمهم الدكتور يوحنا هوج الاسكتلندى والدكتور وطسن الأمريكى وغيرهما فى تحمل أعباء نشر هذا المذهب، ثم أوضحت عوامل انتشار البروتستانتية ثم تعرضت للصدام بين الارثوذكس والبروتستانت وتدخل القنصل الأمريكى دفاعا عن البروتستانت ووقوف الحكومة المصرية الى جانب البابا ديمتريوس الثانى بطريرك الأقباط الارثوذكس، واعدادها باخرة لسفره الى اسيوط لمقاومة انتشار البروتستانتيه وتطاول البروتستانت فى اسيوط بالنزول الى الكنيسة القبطية ليلا من منزل مجاور واحراق الصور الدينية وتدخل القناصل للافراج عن المتهمين ثم تناولت الكلام عن اعتراف الحكومة بالطائفة البروتستانتية ثم انتشار مذهبها مع بيان كنائسها.

وأما الفصل الثالث من الباب الثانى فعنوانه: «نشاط الأقباط الفكرى» فبدأت الحديث بالحالة الفكرية فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ثم تكلمت عن النهضة العلمية فى عهد البابا كيرلس الرابع الملقب بأبى الاصلاح ثم تحدثت عن النهضة العلمية بعد البابا كيرلس الرابع تقدم التعليم فى عهد اسماعيل واشراف وزارة المعارف على المدارس القبطية وقد بينت نشاط الأقباط فى ميدان التعليم فى مختلف المدارس وفى التعليم العالى وفى التعليم الصناعى ثم تناولت الحديث عن النهضة العلمية والأدبية فتكلمت عن علماء الدين والمؤرخين والادباء والصحافة القبطية وعلماء اللغة القبطية والفنون القبطية ثم المتحف القبطى.

أما الفصل الرابع والأخير من هذا الباب فعنوانه «نشاط الأقباط الاجتماعى» فتحدثت عن أربع نقاط الأولى دور الكنيسة فى النشاط الاجتماعى فأوضحت قيام الباباوات الأقباط برعاية الفقراء وفى هذا الفصل يرى القارىء صورا رائعة لأعمال البر، أحد الاساقفه يحمل الدقيق والخبز على كتفيه تحت ستار الليل إلى منازل من أخنى عليهم الدهر، وآخر يعزل من رئاسة دير المحرق لاسرافه فى مساعده الفقراء، كما دفعت الكنيسة البروتستانتيه كبار الأعيان الى فتح مدارس لنشر التعليم وأما فى النقطة الثانية فتناولت دور رجال البر فى النشاط الاجتماعى وفى هذا الفصل تلمع سيرة ابراهيم الجوهرى فى أواخر القرن الثامن عشر وسيرة شقيقه جرجس الجوهرى الذى عاش الى أوائل القرن التاسع عشر كأعظم محسنين فى تاريخ الأقباط نعم الأقباط بمبراتها طول القرن التاسع عشر ولازال الأقباط ينعمون بمبراتها الى اليوم، أما النقطة الثالثة فتتناول دور المجالس الملية فى النشاط الاجتماعى وفيه تحدثت عن نشأة المجلس الملى ودوره فى النشاط الاجتماعى وهنا تعرضت لوثائق إنشاء المجلس الملى (الأوامر العالية بانشائه) والمهام التى يقوم بها وكيف أبعد البابا كيرلس الخامس عن مقر كرسية لرغبته فى إلغاء المجلس الملى ووقوف الحكومة إلى جانب الشعب ليستمر المجلس فى أداء مهمته. وتتناول النقطة الرابعة الحديث عن دور الجمعيات الخيرية فى النشاط الاجتماعى فتحدثت عن هذا الدور الهام — فتحدثت عن

جمعيات الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت وأثرها فى ميدان الخدمة الاجتماعية وثمراتها من مستشفيات ومدارس ومستوصفات وملاجىء .

أما الباب الثالث وعنوانه « الحياة الاجتماعية » فقد قسمته إلى ثلاثة فصول : الأول تطور المجتمع القبطى والثانى العادات والتقاليد والثالث العلاقات بين الأقباط والمسلمين .

أما الفصل الأول وموضوعه تطور المجتمع القبطى فقد تحدثت فيه عن سير الأقباط نحو مجتمع أفضل والخروج من ظلام استبداد القرن الثامن عشر إلى تنسم الحرية فى القرن التاسع عشر ، وكيف اندمج الأقباط فى جسم الدولة ، إن الغاء الجزية وانتظام الأقباط فى سلك الجندية وانتخاب نواب من الأقباط فى المجلس النيابى كل هذه عوامل تماسك المجتمع المصرى ، كما أشرت فيه الى ظهور المذاهب الاجنبية فى هذا القرن وتطور المجتمع من تعلق بالدولة العثمانية الى طلب الاستقلال بمعناه الصحيح مصر للمصريين لا للانجليز ولا للعثمانيين ودور احمد لطفى السيد الممهد لثورة سنة ١٩١٩ ثم تحدثت عن الأحياء التى سكنها الأقباط فتكلمت عن حى الأزبكية ثم انتشار العمران فى شبرا وروض الفرج واقبال الأقباط فى القرنين التاسع عشر والعشرين على الاقامة فى هذين الحيين ثم تكلمت عن كنائس القاهرة فى القرن التاسع عشر . ثم اتيت باحصاء الأقباط فى كل مديرية سنة ١٩٠٧ وبيان عدد كل طائفة من طوائف الأقباط الثلاث : الأرثوذكس والكاثوليك والبروتستانت واختتمت هذا الفصل عن أثر الأقباط فى السودان وحملهم الحضارة اليه .

وأما الفصل الثانى فعنوانه « العادات والتقاليد » وقد تحدثت بأسهاب عن مصادرها وفى كثير من الأحيان كنت أعود الى تاريخ مصر الفرعونية لأبحث انتقال هذه العادات والتقاليد عبر الزمن من مصر الفرعونية إلى مصر الحديثة وكيف كان للاتصال بالحضارة الأوربية من أثر فى تطوير العادات والتقاليد ومن أمثلة ذلك الزى وقد تتبعت العادات والتقاليد فى الولادة وفى العماد ، وفى الصلاة وفى الزى ، وفى الزواج والأفراح وفى المواسم والأعياد وفى أعياد العذراء والشهداء والقديسين والمآتم والأحزان .

وقد اكتشفت فى دراساتى كيف نشأت اعياد القديسين القبطية ومصادرها لما أوردت النقد الذى وجهه المؤرخون الأجانب الذين زاروا مصر فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين إلى المجتمع القبطى مثل استئجار الندابات فى المآتم ومثل قيام الآباء بتزويج أبنائهم دون أخذ رأى الأبناء أنفسهم فى هذا الزواج وقد عرضت لدراسة التقويم وتبين لى خطأ تقويم الأقباط الأرثوذكس او التقويم الشرقى فى عيد الميلاد وفق الحساب الفلكى وطالبت بتصحيح الوضع الخاطىء برد عيد الميلاد الى ٢٥ ديسمبر مثل التقويم الأوربى والذى يتمشى مع الحساب الفلكى الصحيح ولا معنى للاستمرار فى الخطأ كما تبين لى من دراسة التقويم القبطى صحة تقوي

الأقباط الارثوذكس فى عيد القيامة وخطأ التقويم الغربى حتى لا يأتى مع عيد الفصح اليهودى فهذا ممنوع حسب التعاليم الدينية ولا يجوز للمسيحيين أن يحتفلوا بعيد القيامة المجيد فى نفس يوم الفصح اليهودى فلا يصح الاحتفال مع الأمة القاتلة أى اليهود على حد تعبير الملك قسطنطين الكبير.

وأما الفصل الثالث والأخير من هذه الرسالة فموضوعه « العلاقات بين الأقباط والمسلمين » وقد تتبعت العلاقات الطيبة بينهم على مر الزمن من الحملة الفرنسية على مصر إلى ثورة سنة ١٩١٩ علاقات مودة وأخاء لها جوانب مشرقة وصور لامعة تتحدى الزمن وتبدو درسا نافعا للاجيال من تماسك بنيان مصر وشعب مصر ثم تعرضت لدسائس الاستعمار وكيف يعمل الاستعمار على إثارة الفرقة بين ابناء الوطن وقد حدث هذا سنة ١٨٠٠ فى اثناء ثورة القاهرة الثانية فى عهد الحملة الفرنسية على مصر وبعد مصرع بطرس باشا غالى كما دفعت سياسة الاستعمار الانجليزى الى عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط سنة ١٩١١ وصفوة القول أن الاتحاد والاخاء كانا شعار أبناء مصر مما يسجل لهم بالفخر فى التاريخ .

ولا يسعنى فى هذا المجال الا أن أذكر بالتقدير والاجلال استاذنا المؤرخ العظيم المرحوم الدكتور محمد فؤاد شكرى الذى كان له الفضل الأول فى توجيهى الى هذا البحث والسير فيه واذكاء حب البحث فى نفسى وانى أحيى تلك الروح الطاهرة مع الخالدين وكأنها ترفرف حولنا وترمقنا فى تشجيع .

والله ولى التوفيق ،،، رياض سوريال

البـــاب الأول

فئات المجتمع القبطى



الفصل الاول

الفئة الأولى : رجال الدين

يطلق على رجال الدين عند الاقباط الأرثوذكس والاقباط الكاثوليك الاكليروس و ينقسم رجال الدين إلى قسمين أحدهما الرهبان والراهبات والقسم الاخر الكهنة ومن الرهبان يختار البطر يرك والمطارنه والأساقفه ورؤساء الأديرة أما فى اديرة الراهبات فتختار الرئيسة بطبيعة الحال من الراهبات . إن الكنيسة القبطية كنيسة ديمقراطية يتم انتخاب الرئيس الدينى فى أية درجة من درجاته بناء على تزكية الشعب و يزعم السيرجون بورنج الذى وفد الى مصر سنة ١٨٣٧ فى تقر يره الذى قدمه إلى الحكومة الانجليز ية أن البطر يرك يكون دائما من دير القديس انطونيوس بالصحراء وأغلب أساقفتهم الأقباط تعليمهم فى دير حيث يوجد نحو مائتين من الرهبان ينتخب البطر يك من بينهم عاده على يد هيئة الاساقفه « (١) وقد ذكر هذا الرأى المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين « ويختار دائما من رهبان دير انطونيوس الواقع فى صحراء مصر الشرقية بالقرب من الخليج العربى للبحر الاحمر» . (٢)

ولكن الحق انه يختار من بين رهبان اى دير من الاديره السبعة التى سيرد ذكرها و يؤ يد هذا الراى كتاب تار يخ وجداول بطاركة الاسكندر ية القبط للاستاذ كامل صالح نخلة فقد ذكر المؤلف امام اسم كل بطر يرك اسم الدير الذى نشأ فيه وفى رايى ان الذى حدا بالدكتور بورنج الى ان يكتب هذا فى تقر يره او ادوارد وليم لين فى كتابه هو ان البطر يرك المعاصر لمجيئها الى مصر الانبا بطرس الجاولى كان من رهبان دير القديس انطونيوس بل ان البطاركة الذين سبقوه منذ سنة ١٦٤٦ كانوا من هذا الدير . (٣)

وقد تعاقب على كرسى البطر يركية فى القرن التاسع عشر خمسة من البطاركة الارثوذكس كما عين فى سنة ١٨٩٩ أول بطر يرك للاقباط الكاثوليك فى مصر وهو الانبا كيرلس مقار عينه بابا روما ، والاقباط الكاثوليك فى مصر تابعون لبابا روما من الناحية الدينية لذلك

---

(١) الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه بناء دولة مصر محمد على ص ٣٨٨ القاهرة سنه ١٩٤٨ م .

(٢) Edward William Lane: The mannere and Customs of the modern Egyptians. P. 588, London 1954.

(٣) كامل صالح نخله : تاريخ وجداول بطاركة الاسكندر ية القبط .

يسميهم الاقباط الارثوذكس « بالاقباط التبع » تمييزا لهم عن الاقباط الارثوذكس الذين يسمون بالمتأصلين .

كان للاقباط الارثوذكس فى القرن التاسع عشر سبعة اديرة ولا تزال قائمة للآن وهى دير السيدة العذراء المعروف باسم « المحرق » فى محافظة اسيوط تجاه القوصية غربا ودير القديس انطونيوس فى الصحراء الشرقية ودير القديس بولا فى الصحراء الشرقية قرب البحر الاحمر وفى وادى النطرون اربعة اديرة هى دير ابى مقار ودير السيدة العذراء المعروف بدير السريان ودير السيدة العذراء المعروف بدير البرموس ودير القديس بيشوى و ينتسب الراهب الى الدير الذى انتظم بين رهبانه فيقال المحرقى نسبة الى دير المحرق والمقارى نسبة الى دير ابى مقار الانطونى نسبة الى دير القديس انطونيوس والسريانى نسبة الى دير السريان وهكذا ، وعند انتظام الراهب فى سلك الرهبنة بعد اجتيازه الفترة التى يقضيها تحت الاختبار تقام على الراهب صلاة الموتى لأنه مات عن هذا العالم ، وعند وفاته تقام عليه صلاة خاصة . (١)

اما رسامة الكهنة فكانت تتم فى الغالب عن طريق الوراثة فكان ابن الكاهن يتعلم فى الكتاب كسائر ابناء الاقباط القراءة والكتابة والحساب ويحفظ المزامير والالحان ثم يلازم اباه الكاهن او أحد اقاربه من الكهنة شماسا فى الكنيسة ثم تتم رسامته بناء على تزكية الشعب أيضا وهم ابناء قريته أو مدينته ، و يقوم برسامته المطران أو الاسقف ولكهنة الأرثوذكس مرتبتان قسيس وقمص والثانية أعلى درجة من الاولى ، ولم تنشأ مدرسة دينية لتعليم رجال الدين الا فى اواخر القرن التاسع عشر فأنشئت المدرسة الاكليريكية للاقباط الارثوذكس سنة ١٨٩٣ (٢) وكان عدد الكنائس قليلا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر فكان الاقباط ينتقلون من مدينة إلى اخرى أو الى قرية للصلاة فكان أقباط طنطا يصلون فى كنيسة قرية سيرباى وأقباط منفلوط يصلون فى كنيسة قرية بنى كلب ، و يبدو أن الأقباط فى القرن التاسع عشر كانوا أكثر تدينا من أقباط القرن العشرين ، دليل ذلك تبكيرهم فى الصلاة قبل طلوع الشمس واقبالهم على المشروعات الخيرية فنرى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر من الأعيان من وقف مائة فدان على انشاء مدرسة مثل آل و يصا أو آل خياط بأسيوط .

أما عدد الرهبان فقد كان مرتفعا فى منتصف القرن التاسع ثم أخذ فى التناقص فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وفيما يلى بيان بالاديرة القبطية وعدد رهبانها كما ورد فى الجزء الثانى من كتاب الاقباط فى القرن العشرين . (٣)

---

(١) اورد الدكتور حكيم امين فى كتابه (دراسات فى تاريخ الرهبانيه والديرية المصرية) الصلاة الخاصة برسامة الرهبان ـــ ص ٢٧٤ ـــ ص ٢٧٧ .

(٢) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ـــ طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ ص ٨٨ .

(٣) رمزى تادرس الأقباط فى القرن العشرين جـ ١ ص ١٢٤ ـــ القاهرة ١٩١٠

أسماء الأديرة	عدد الرهبان سنة ١٨٧٠	١٨٩٠	١٩٠٠	١٩١٠
انبا انطونيوس	٢٠٠	٢٣٠	١١٠	٣٨
البرموس	٢٣١	١٥٩	٨٨	٢١
السريان	١١٠	٩٥	٣٣	١٨
أبو مقار	٨١	١١٥	٥٠	٢١
انبا بيشوى	٤٥	٣٠	٢٢	١٦
انبا بولا	١٥٠	٥٠	٤٥	٤٠
المحرق	١٩٠	١٠٣	٨٥	٣٥
المجموع	١٠٠٧	٧٨٢	٤٣٣	١٨٩

و يعتبر دير المحرق أشهر دير في الشرق ، يقول الدكتور الانبا غريغوريوس أسقف الثقافة القبطية والبحث العلمي .

« ليس بين جميع أديرتنا — على ما فيها من عظمة روحية وتاريخية — ما للدير السيدة العذراء الشهير بالمحرق من امتياز وشرف ومجد ، ذلك لأنه يضم ذات البقعة المقدسة التى أقامت فيها العائلة المقدسة أطول مدة أقامتها فى مصر بالقياس إلى أى مكان آخر قصدته فى رحلتها المباركة ، وقد صارت ذات الغرفة التى سكنوا فيها هذه المدة ، هى ذات الهيكل الذى تقام فيه إلى اليوم القداسات والصلوات بكنيسة العذراء الأثرية بالدير المحرق » (١)

و يقع هذا الدير فى أسفل الجبل الغربى المسمى قسقام غرب القوصية بمحافظة أسيوط بمقدار اثنى عشر كيلومترا وعلى مسيرة ثلاث ساعات من بلدة نزالى جنول وعلى بعد ٤٨ كيلو مترا شمال مدينة أسيوط (٢) ، وفى سبب تسميته بدير المحرق قولان ذكرهما المرحوم الأنبا لوكاس مطران منفلوط السابق أولهما وجوده قرب حوض المياه الزراعى المسمى بحوض المحرق بسبب تحرق أراضيه ونضوب المياه فيه قبل الحياض الأخرى ، وثانيهما أن هذا الحوض المذكور كانت الحلفاء تنمو فيه بكثرة غريبة أثرت فى زراعته تأثيرا سيئا وقالوا إن هذا النبات لا ينقطع

(١) الأنبا غريغوريوس : الدير المحرق (تاريخه و وصفه وكل مشتملاته) ص ٣٥ — القاهرة سنة ١٩٦٩ .
(٢) نفس المرجع ص ١٩٤

دابره من أى جهة إلا بالحريق فأحرقوه وأصلحوا مكانه للزراعة ولذا سمى بالمحرق نقلاً عن الحريق فيكون القول الأول أقرب الى الحقيقة (١)

وتبلغ مساحة الدير نحو ١٩ فدانا وعلى ذلك يكون أكبر الأديرة المصرية بل فى الشرق كله وقد ذاعت شهرته ، يقول صاحب كتاب دير المحرق ، وله سمعة تاريخية عالمية وقد اشتهر رهبانه من قديم الزمن بالتقوى والعلم امتد أثرهم الكرازى والعلمى خارج مصر ، ووصل بعضهم إلى جنوب أوربا ووسطها وشمالها حتى ايرلندا . (٢)

وتأتى شهرة هذا الدير من أنه كان ملجأ للسيد المسيح حين كان طفلا (٣) ولجأت به السيدة العذراء إلى مصر فرارا من وجه الملك هيرودس الذى كان مزمعا أن يقتله وقد استقرت السيدة العذراء بطفلها نحو ستة أشهر (٤) ولذا حلت كنيسة الدير الأثرية اسم السيدة العذراء وهى مقامة فى نفس المكان الذى أقام به السيد المسيح فى طفولته ، وفى هذه الكنيسة تقام الصلوات طوال العام « باستثناء أربع ليالى فى الأسبوع السابق لعيد القيامة » (٥) من الساعة الثالثة صباحا حتى انبلاج الصباح ، وقد حرصت فى أثناء زيارتى لمكتبة دير المحرق فى سبتمبر سنة ١٩٥٧ على حضور هذه الصلاة ، وان دقات جرس الكنيسة فى الساعة الثالثة صباحا لتنبه الرهبان إلى الصلاة بالغة الروعة ، ولمكانة هذا الدير يبلغ النذور التى يقدمها الأقباط والمسلمون فى احتفالات عيد العذراء فى ٢٨ يونيه من كل عام نحو خمسة آلاف أو ستة آلاف من الجنيهات .

وفى هذه البقعة المباركة من أرض مصر ظهر الملاك ليوسف النجار فى حلم وأنبأه بموت الملك هيرودس ثم أمره بأن يأخذ الصبى وأمه و يعود إلى فلسطين فالدير المحرق كان آخر بقعة فى صعيد مصر وصلت اليها العائلة المقدسة فى رحلتها المباركة بأرض مصر ، يقول الدكتور الانبا غريغوريوس « وتجمع كل المصادر الكنسية والتاريخية على أن دير المحرق هوآخر بقعة فى صعيد مصر بلغتها العائلة المقدسة فى رحلتها التاريخية المباركة من الشمال إلى الجنوب » (٦)

و يشعر الاثيوبيون برابطة روحية قوية تجذبهم إلى دير المحرق ففى هذا المكان أقام السيد

---

(١) القمص عبد المسيح واصف (الأنبا لوكاس مطران منفلوط السابق) : بلوغ المرام فى ذكرى حياة خليفته الأنبا ابرام ص القاهرة سنة ١٩٢٥

(٢) الأنبا غريغوريوس : الدير المحرق ص ٩٤

(٣) Otto meinardus: Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts P. 225.

(٤) الانبا غريغوريوس : الدير المحرق ص ٩٠

(٥) أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والجمعة من اسبوع الالآم وهى الأيام الأربعة التى لا يجوز فيها إقامة القداس حسب طقوس الكنيسة القبطية الأرثوذكسية ، نفس المرجع السابق ص ١١٦

(٦) نفس المرجع من ص ٨٥ــ ٨٧

المسيح ووالدته القديسة مريم العذراء أطول فترة فى رحلتهم المباركة بأرض مصر، و يشعر إخوتنا الاثيوبيون نفس شعور المصريين من قدسية الدير المحرق .

فهو محاط دائما بهالة من التقديس والاحترام ومن مظاهر هذا التقديس :ـــ

(١) أن زيارة دير المحرق عند الأثيوبيين تعد متممة لواجبات زيارة الأراضى المقدسة فى فلسطين فالقادمون منهم لزيارة الأراضى المقدسة لابد أن يأتوا أولا الى دير المحرق فهو يعتبر عندهم المحط الأول لزيارتهم لبيت المقدس .

(٢) ان امبراطورة اثيوبيا منتواب حضرت إلى مصر بقصد زيارة دير المحرق ونقلت معها أكياس من ترابه إلى اقليم عوندار باثيوبيا حيث مزجت هذا التراب بمواد البناء لاقامة كنيسة هناك باسم كنيسة جبل قسقام ووضعت جزءا من تراب الدير تحت مذبح الكنيسة . (١)

(٣) ان اختيار المطران المصرى لكنيسة أثيوبيا فى معظم الأحيان كان يتم من بين الرهبان الأقباط فى الدير المحرق .

(٤) اقبال الاثيوبيين على الانتظام فى سلك رهبان دير المحرق فكان يصل عددهم فى بعض الأوقات الى ٤٠ راهبا أو يزيد (٢) .

وفى الدير المحرق لمع بعد منتصف القرن التاسع عشر اسم قديس عظيم هو الراهب بولس الدلجاوى ثم صار رئيسا لهذا الدير زهاء خمس سنوات ولكثرة مبراته وتصدقه على الفقراء من أموال الدير عزل من الرياسة . هذا القديس رسم أسقفا للفيوم والجيزة سنة ١٨٨١ باسم الأنبا ابرام ، وقد انتشر مسك سيرته فى البلاد وعبر البحر الابيض المتوسط إلى فرنسا (٣) . وقد توفى فى يونيو سنة ١٩١٤ ، وقد ألف القمص ميخائيل سعد أحد كهنة الاسكندرية سنة ١٩٦٦ كتابا قيما يشرح سيرته العطره وعنوانه « القديس الأنبا ابرام » ثم لمع فى أواخر القرن التاسع عشر وفى الربع الأول من القرن العشرين فى الدير المحرق اسم قديس آخر هو الراهب ميخائيل البحيرى وهو تلميذ الأنبا ابرام وكانت صلواته تشفى المرضى وتطرد الأرواح الشريرة ، و بعد حياة حافلة بالقداسة والزهد والرحمة توفى الراهب ميخائيل البحيرى سنة ١٩٢٣ .

وقد تحدث عن نشأته ورهبته ومعجزاته القمص عبد المسيح واصف (المرحوم الأنبا لوكاس مطران منفلوط السابق) فى كتابه القيم « بلوغ المرام فى تاريخ حياة خليفة الأنبا ابرام » المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٢٥ .

---

(١) الانبا غريغوريوس الدير المحرق ص ٣٩٥

(٢) نفس المرجع ص ٣٩٦

(٣) نفس المرجع ص ٣١٣

ومن العلماء الذين زاروا الدير المحرق في القرن التاسع عشر المؤرخ الانجليزى الفريد بتلر زاره سنة ١٨٨٥ و يقول الدكتور سليمان حزين مدير جامعة أسيوط سابقا بسجل الزائرين بالدير المحرق بتاريخ ٩ نوفبر سنة ١٩٦٢ (فى أرض وادى النيل بقاع جمعت بين القداسة والقيم الروحية الأصيلة ، وهذا الدير العظيم واحد من تلك البقاع) .

و يذكر الجنرال أندريوسى أحد قواد جيش بونابرت فى الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨ فى تقريره عن أديرة وادى النطرون (يوجد فى دير البرموس تسعة من الرهبان ، وفى دير السوريين ثمانية عشر راهبا وفى دير الأنبا بيشوى اثنى عشر وفى دير القديس مقار عشرون ، ويمد بطريرك الأقباط هذه الأديرة الأربعة بطالبى الرهبنة) (١)

و يرى السائر أديرة وادى النطرون الأربعة فى طريق مصر / الاسكندرية الصحراوى خلف الاستراحة وهى من الجنوب الشرقى الى الشمال الغربى : دير أبى مقار (القديس مكاريوس) ودير الأنبا بيشوى ودير السريان ودير البرموس وتبدو كنائسها ذات نظام خاص متشابة من الوجهة المعمارية ، وهى تقوم على مواصفات خاصة وضعها مهندس قبطى يدعى ابن السباع وهى تقضى بأن تكون للكنيسة قبتان وفقا لمعابد العهد القديم واحدة على قدس الأقداس (أو الهيكل المتوسط) والثانية على الخورس ، أما صحن الكنيسة فيغطيه سقف على هيئة قبو سميك تقليدا لغطاء سفينة نوح (٢) .

أما دير السريان فقد سمى بهذا الاسم لاقامة بعض الرهبان السريان فيه فترة من الزمن وأما دير البرموس (أى دير الروم) فقد انتظم بين رهبانه مكسيموس ودوماديوس ابنا فالنتيان امبراطور الدولة الرومانية الغربية (من سنة ٣٤٤ الى ٣٧٥ م) . (٣)

و يقع دير القديس انطونيوس فى سفح جبل القلزم أحد سلاسل جبال التلالة القبلية وهو فى الصحراء الشرقية على مسيرة ثلاثة ايام من النيل و يوم واحد من البحر الاحمر ، وقد شيد على العين التى كان يستقى منها القديس انطونيوس وعلى مقربة من المغاره التى كان يعيش فيها (٤) وهذا الدير من أكبر الاديره مساحة فتبلغ مساحته أكثر من ١٨ فدانا ويمتلك عدة عمارات ضخمة فى القاهرة وكان يمتلك نحو الفى فدان قبل تطبيق قانون الاصلاح الزراعى ، وكان بهذا الدير ثلاث كنائس ثم أنشأ البابا كيرلس الرابع فى سنة ١٨٥٩ كنيسة رابعة (٥) .

---

(١) الأمير عمر طوسون : وادى النطرون ورهبانه وأديرته ص ٧٣ — الاسكندرية ١٩٣٥ .

(٢) الدكتور منير شكرى : أديرة وادى النطرون ص ٧ الاسكندرية ١٩٦٢ .

(٣) Otto Meinardus: Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts. (Cairo) 1967 . P. 285

(٤) لبيب حبشى وزكى تاوضروس : فى صحراء العرب والأديرة الشرقية ص ٦٤ — القاهرة سنة ١٩٢٩

(٥) نفس المرجع ص ٩٣

أما دير القديس بولا فيقع على مسيرة يومين من دير القديس انطونيوس وستة أيام من شاطىء النيل وثلاث ساعات فقط من شاطىء البحر الاحمر وهو مشيد على هضبة مرتفعه فى الصحراء الشرقية وهو أبعد الأديرة القبطية عن المدن والطريق اليه صعب يقول عنه العالم الأثرى لبيب حبشى وزميله « وفى الحقيقه ليس هناك مكان يتمثل فيه الانقطاع عن العالم مثل هذا الدير فهو فضلا عن بعده عن المدن فهو محصور من كل الجهات بجبال عاليه » .

ومن المعالم الهامه فى كل دير الحصن المقام لحماية الرهبان من اعتداءات البدو قبل استتباب الامن وفى كل حصن كنيسه بأسم الملاك ميخائيل بأستثناء دير القديس بولا[1] ، و يرجع ذلك الى الاعتقاد بأن الملاك ميخائيل هو حامى المعذبين من أجل الدين ، وحصن دير المحرق بناء مرتفع مستقل عن بقية أجزاء الدير مشيد على طريقة الحصون ويمكن الوصول اليه بكوبرى من الخشب متصل ببناء آخر فى الطابق الثانى و يعبر السائر إلى الحصن على الكوبرى الخشبى أو السقالة الخشبية ثم تتحول هذه السقالة أو الكوبرى إلى باب يغلق الحصن ، وفى الحصن كل ما يلزم للاقامه : بئر ماء للشرب ومخازن للمواد الغذائية ، كنيسة الملاك ميخائيل للصلاة ، ومدفن يدفن فيه من يموت أيام الحصار حتى يستقر الأمن ، وقد شاهدت هذا الحصن ومثيليه فى ديرى السريان والأنبا بيشوى عند زيارتى لهذين الديرين فى يونيو الماضى .

وللاقباط دير فى القدس يحمل اسم دير السلطان له مشكلة تتجدد فى فترات التاريخ ، فى القرن التاسع عشر ثار النزاع عدة مرات على ملكية هذا الدير بين الأقباط والاثيوبيين . هذه المشكلة لها جذور تمتد فى التاريخ وترجع الى عصر صلاح الدين الأيوبى فهو السلطان الذى منح الاقباط هذا المكان فسمى دير السلطان اعترافا بجميله .

يقول صاحب نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر « ولما استخلص صلاح الدين الايوبى بيت المقدس من ايدى الافرنج بعد الحروب الصليبية سنة ١٠٩٩ م رأى أن الأقباط المقيمين هناك وفى مصر من أخلص الناس إليه ولدولته إذ لم يحركوا ساكنا أو يحرضوا الثائرين كما أتضح له من غيرهم كالملكيين فنحهم علامة على رضاه أهم الاملاك المقدسة وأصبح مركزهم من ذلك الحين يفوق المسيحيين وظلوا كذلك اجيالا » (٢)

وقد سمح الأقباط للاثيوبيين بالاقامة فيه باعتبار انهم تابعون للكنيسة القبطية فى مصر وقد حدث نزاع بين الرهبان المصريين والرهبان الاثيوبيين أدى الى مشاجرات فتمكن الرهبان المصريون من اخراج الرهبان الاثيوبيين من الدير واغلاق أبوابه فى وجوههم ، وأرادوا الدخول بالقوة فلم يفلحوا .

---

(١) نفس المرجع ص ١٣٨

(٢) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ـ الجزء الثانى ص ٢١٩

وقد أورد صاحب الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث خبر هذا الدير بقوله :

(قالوا أن الذى انشأه هو أحد ملوك الحبشة ولذلك يسمى بدير السلطان وأما القبط فلا ملك لهم ولا سلطان منذ دخول النصرانية بأرض مصر وانما السلطان للحبشان (١) و وهذا الادعاء غير صحيح فالقول الأول هو المتمشى مع الحق وتبدو أهمية دير السلطان بأنه مجاور لكنيسة القيامة ويمر به طريق يصل بين مساكن الأقباط وكنيسة القيامة مباشرة.

ومشكلة دير السلطان تتجدد بين الأقباط والاثيوبيين من وقت لآخر وقد أثيرت هذه المشكلة فى عهد البطريرك بطرس الجاولى فطلب من مطران القدس العمل على فضها إلا أن قنصل الانجليز فى القدس كان لا يقف عند حد فى إثارة الفرقة والخلاف بين الأقباط والاثيوبيين (٢) ثم اثيرت هذه المشكلة سنة ١٩٠٨ ونجح فى فضها فى ذلك الحين بطرس باشا غالى بمقابلة السلطان عبد الحميد (٣) ومازالت ملكية هذا الدير تثار من وقت لآخر.

---

(١) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٢٨ القاهرة سنة ١٩٠٠ .

(٢) نفس المرجع ص ١٢٨

(٣) توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر الجزء الاول ص ١٢٦ .

ــ (أديرة الراهبات) ــ

جميع أديرة الراهبات فى القاهرة وهذا بيانها :ــ

١) دير مار جرجس بحارة زو يله .
٢) دير السيدة العذراء بحارة زو يله .
٣) دير الأمير تادرس بحارة الروم .
٤) دير الشهيد مرقور يوس (أبى سيفين) بمصر القديمة .
٥) دير مار جرجس بمصر القديمة .

ولكل دير رئيسة وكما يطلق على الراهب كلمة الأب ، يطلق على الراهبة كلمة الأم ــ وتنفق البطر يركية القبطية على هذه الأديرة من أوقافها .

ولم تقم للأقباط الكاثوليك أديرة فى القرن التاسع عشر بل لا توجد رهبنه قبطية كاثوليكية للرجال الى الآن بينا قامت رهبنه للبنات الكاثوليكيات فى القرن العشر ين فقد تأسست رهبنته قلب يسوع للراهبات المصر يات فى مصر فى يناير سنة ١٩١٣ (١) أما المذهب البروتستانتى فلا يعترف بالرهبنة وعلى ذلك لا تقوم للبروتستانت أديرة .

●●●●●●

(١) الدليل الطائفى والتقويم السنوى لبطر يركية الاقباط الكاثوليك ص ١٢٠ ــ القاهرة سنة ١٩٥٦ .

بطاركة الاقباط الارثوذكس

سأتناول بالبحث البطاركة الأقباط وسأعرض بالتفصيل فى بعض الأحيان عند الكلام على الدور الذى قام به كل منهم وسأسير فى بحثى وفق ترتيب هذا الجدول .

ترتيب البطريرك	اسم البطريرك	مدة توليه البطريركية	عدد السنوات	الحكام المعاصرون
١٠٨	مرقس الثامن	من اكتوبر سنة ١٧٩٧ الى ديسمبر ١٨٠٩	١٣	ابراهيم بك ومراد بك الحملة الفرنسية على مصر ــ عودة الحكم العثمانى ــ محمد على .
١٠٩	بطرس السابع المعروف بالجاولى	من ديسمبر سنة ١٨٠٩ الى ابريل ١٨٥٢	٤٢	عاصر معظم حكم محمد على وعباس الاول
١١٠	كيرلس الرابع المعروف بأبى الاصلاح	أ) سنة ١٨٥٣ رسم مطرانا عاما ب) ولى البطريركية من يونيو ١٨٥٤ الى يناير ١٨٦٢ .	٧ ١/٢	سعيد باشا
١١١	ديمتريوس الثانى	من يونيه ١٨٦٢ الى يناير سنة ١٨٧٠ .	٧ ١/٢	سعيد باشا الخديو اسماعيل
١١٢	كيرلس الخامس	من نوفمبر ١٨٧٤ الى اغسطس سنة ١٩٢٧	٥٣	الخديو اسماعيل ــ الخديو توفيق ــ الخديو عباس حلمى الثانى ــ حسين كامل ــ فؤاد الاول

البطريرك الاول : مرقس الثامن (البابا ١٠٨ في عداد بطاركة الاسكندرية القبط) احد رهبان دير القديس انطونيوس وقد تمت رسامته بطريركا بكنيسة العذراء بحارة (١) الروم مقر البطريركية في ذلك الحين وفي ايامه اثير الخلاف بين الاقباط والاثيوبيين بشأن ملكية دير السلطان بالقدس (٢) ، وفي ايام هذا البابا (٣) جاءت الحملة الفرنسية الى مصر بقيادة بونابرت وشهد هذا البابا انقلابات متعددة في حكومة البلاد ـــ شهد نفوذ المماليك في عهد ابراهيم بك ومراد بك ثم الاحتلال الفرنسي لمصر ثم مجيء الحملات التركية والانجليزية لاخراج الفرنسيين من مصر ثم عودة الحكم العثماني وما صحبه من فوضى واضطراب مثل عبث جيش الولاة ثم سيطرة محمد على على الحكم ، يقول فاولر المؤرخ الانجليزي « ان البطريرك مرقس الثامن الذي عاش ليرى بلاده تمر تحت حكم الفرنسيين والانجليز والاتراك ثم يبكي من عسف محمد على واستبداده بشعبه المتألم قد مات سنة ١٨٠٩ (٤) فتكون مدة توليته البطريركية نحو ثلاث عشرة سنة .

وهذا البطريرك هو الذي نقل مقر البطريركية من حارة الروم الى مكانها الحالي بالدرب الواسع (شارع الكنيسة المرقسية الآن) بالازبكية سنة ١٧٩٩ ولا تزال بها إلى الآن ، أما سبب نقل البطريركية إلى حي الازبكية فيذكره صاحب كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر في الجزء الاول (والسبب في ذلك لما دخل الفرنسيس مصر حصل للنصارى الاقباط اهانة عظمى بسببهم وقاسى من جراء ذلك الانبا مرقس كثيرا فانتقل إلى الازبكية في مواضع قد بناها ابراهيم الجوهري قبل وفاته » (٥) .

وقد الف هذا البطريرك عدة رسائل كانت تقرأ في الكنائس حض فيها الاقباط على التمسك بالآداب العالية والسجايا الكريمة .

وفي اواخر ايامه حدثت اعجوبة زيادة النيل بعد نقصان وقد أشار اليها الجبرتي في الجزء الرابع . (٦)

البطريرك الثاني : بطرس الجاولي (السابع) ـــ التاسع بعد المائة ـــ خلف هذا البابا

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر (الجزء الاول) ص ٣٥ ـــ القاهرة سنة ١٩١٠ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٤

(٣) كان البطريرك القبطي أول من حاز لقب بابا في العالم وقد بدأ هذا اللقب من عهد البطريرك الثالث عشر (ياراكلاس) الذي تولى منصب البطريركية عن سنة ٢٣٠ ـــ الى ٢٤٦ م

(٤) Fowler (Montagne Fowler) Christian Egypt, Past, present and Future. Second Edition London 1904.

(٥) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر جـ ١ ص ٣٧

(٦) قال الجبرتي في الجزء الرابع « في جمادى الأخرى سنة ١٢٢٣ تلك الليلة التي هي ليلة الثلاثاء زاد الماء ونوهوا بالوفاء وصارت النصارى تقول إن الزيادة لم تحصل الا بخروجنا وكان ذلك في يوم الأربعاء غرة شهر رجب

الانبا مرقس الثامن (١٨٠٩ — ١٨٥٢) و ينسب الى قرية الجاولى بمركز منفلوط بمديرية اسيوط وقد انتظم فى سلك رهبان القديس انطونيوس ، اشتهر بالتقوى والورع والزهد والتقشف ، نصبه البطريرك السابق مطرانا للقاهرة ليساعده فى ادارة شئون الاقباط و بعد موته خلفه على كرسى البطريركية فى ديسمبر سنة ١٨٠٩ . قال عنه صاحب الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث « وكان تقيا ورعا وزاهدا متقشفا محبا للخير قليل الكلام مع هيبة ووقار يقضى يومه منكبا على المطالعة ولا يجلس الا على الارض ولا يلبس الا الصوف الخشن ولا ينام الا على حصير من القش بعيد الغضب اذا تكلم فمع التأدب والحشمه .

وهو اول البطاركة الذين تمت رسامتهم فى الكنيسة المرقسية بالأزبكية يقول عنه فاولر « رجل ذو اخلاق عالية ، بذل اقصى جهده لاصلاح حال الاقباط المسيحيين (١) »

وقد وقف موقف البطولة امام مندوب روسيا الذى خاطبه بشأن حماية روسيا للكنيسة القبطية فرفض بأباء وشمم و يرى القارىء الحديث عن ذلك بالتفصيل فى الفصل الخاص بدور الأقباط فى النشاط الوطنى ، ان وطنية هذا البابا جعلت مندوب روسيا يعجب بشخصيته و يتأثر بها فيقول « لم تهزنى عظمة الأهرام وعلوها ولا ارتفاع المسلات وكتاباتها فما آثار الاقدمين المتعددة ونقوشهم وصنائعهم بمؤثرة فى نفسى مثل الاثر الذى رأيته » (٢)

ولقد وثق به محمد على باشا وانعقدت بينهما اواصر الود والصداقة فتمتعت الكنيسة فى عهده بالحرية والسلام وهو اول من رسم اساقفة للسودان بعد فتحه فى عهد محمد على وتقول رواية عنه ان الفيضان كان منخفضا ولكنه صلى الى الله فاستجاب الله لصلاته وزاد الماء بل فاض حتى ادرك المكان الذى كانت منصوبة فيه خيمة الصلاة قبل ان تقتلع أوتادها » (٣) .

البطريرك الثالث : كيرلس الرابع (من يونية سنة ١٨٥٤ الى يناير سنة ١٨٦٢) وهو أعظم شخصية فى اقباط القرن التاسع عشر فهو من الابطال الذين قل أن يجود الزمن بمثلهم والى هذا البابا يرجع الفضل فى نهضة الاقباط الدينية والعلمية والاجتماعية فلقب بحق بأبى الاصلاح ، كتب عنه صاحب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر فصلا يقع فى مائة وثمان وثلاثين صفحة كما الف عنه الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض كتابا جعل عنوانه « ذكرى مصلح عظيم » قال الاستاذ توفيق اسكاروس « افتتح تراجم الجزء الثانى بتاريخ رجل لا أبالغ

---

(١) Fowler: Christian Egypt, Past, Present and Future P 128

(٢) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط الجزء الاول ص ٨٢ — القاهرة سنة ١٩١٠ .

(٣) الاسقف ايسيذوروس : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة ص ٥ القاهرة ١٩٠٩

إذا قلت إنه واحد فى مقام الف ، لأنه لو فرض وكان الغيورون كثيرين مرتبة وكفاءة وهمة واقتدارا وفى عصر واحد بين الاقباط لكان هو كبيرهم بلا جدال ورئيسهم بلا نزاع » [1] .

ولقد قام البابا كيرلس بثورة روحية واجتماعية قلبت الاوضاع المالية فقد كان كيرلس رائدا من رواد النهضة فى القرن التاسع عشر [2] ، ولقد غير صورة المجتمع فأخرج الاقباط من ظلمات الجهل الى نور المعرفة وايقظ فيهم الوعى وقادهم فى نهضة شاملة تتناول مختلف ضروب الاصلاح .

ولد هذا القديس سنة ١٨١٦ بالصوامعة الشرقية بأقليم اخميم بمديرية جرجا واتصف بالفضيلة والسجايا الكريمة واختلط بالعربان المجاورين لقريته وتعلم منهم ركوب الخيل حتى كان يسابقهم و يرافقهم فى اسفارهم فى الجبال [3] والبرارى وفى سن الثانية والعشرين انتظم فى الرهبنة بدير القديس انطونيوس بالصحراء الشرقية ثم ظهرت مواهبه وتفتحت أزهار فضائله فانتخب بالاجماع [4] رئيسا للدير ثم عين مطرانا عاما مدة سنة ثم اختير بطريركا .

كيف انتخب بطريركا ؟ : سأل بعض كبار الاقباط الأنبا بطرس الجاولى فى ساعة احتضاره عمن يخلفه فى المنصب فرفع عينيه الى السماء لحظة ثم اطرق وقال : داود رئيس عزبة بوش [5] وكان داود — البابا كيرلس الرابع فيما بعد — موفدا من قبل الانبا بطرس الجاولى إلى اثيوبيا بسبب خلاف قد نشأ بين المطران المصرى الانبا سلامه ورجال الاكليروس الاثيوبيين ، وكان الانبا بطرس قد كتب اليه فى اثناء مرضه ليرجع على جناح السرعة ولكنه لم يحضر الا بعد شهرين ونصف شهر وكان رأى الاغلبية العظمى من الاقباط يؤيد تزكية الراهب داود لمنصب البطريركية ، وقد عرفه الأقباط قبل ذلك حين استقدمه البطريرك بطرس الجاولى لينظم ديوان البطريركية والأوقاف القبطية فقام بما عهد اليه خير قيام .

يقول صاحب الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث : « وعرفه الناس وتقربوا منه فرأوه شهما حازما واسع الدراية يقظا نشيطا وقورا حسن السياسة ميالا الى تصميم المعارف وتوسيع نطاق التمدن شديد الرغبة فى احياء ما اندثر من معالم مدنية الامة القبطية والارتقاء » [6] .

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر الجزء الثانى ص ٦٠

(٢) كامل ميخائيل عبد السيد : بحث فى كتاب حفل الذكرى المئوية لابى الاصلاح الانبا كيرلس الرابع ص ٨٦ — القاهرة سنة ١٩٦١ .

(٣) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٣٠٦ — مطبعة التوفيق بمصر سنة ١٨٩٨

(٤) نفس المرجع ص ٣٠٦ .

(٥) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٢٧

(٦) نفس المرجع ص ١٣٤

هذه الصفات الكريمة مجتمعة يرويها المؤرخ ميخائيل شاروبيم الذى عاصر فى صغره ومطلع شبابه البابا كيرلس الرابع ثم راى ثمار غرسه جعلت الاقباط يرفعون رغبتهم الى الوالى عباس باشا الاول باقامة داود مكان البطر يرك بطرس الجاولى فاستمهلهم عباس وكان من عادته التمسك باستشارة اصحاب الزايرجات ، يقول صاحب الكافى « وسأل اصحاب الزايرجات عما يرونه فى اقامة داود بطركا فأرجفوا وهولوا وقالوا : نكد ثم خصام وشدة ثم موت الوالى ثم تمزيق شمل اتباعه فاضطرب عباس باشا وشدد فى السؤال فلم يروا فى حسابهم غير ذاك » (١) .

فاستدعى كتخدا الباشا جاد شيحه من كبار الموظفين الاقباط وطلب منه أن يعلن للاقباط بانه لا سبيل لولاية داود منصب البطر يركية فاختلفت آراء الاقباط الا ان الغالبية العظمى كانت تؤيد تنصيب داود بطر يركا ، واتجه رأى يؤيده جاد شيحه واقاربه الى اختيار يوساب اسقف جرجا واخيم بطر يركا وكاد الامر يتم برسامته بطر يق الخديعة فقد اتفقت كلمة المؤيدين لرسامته على الاجتماع فى الكنيسة المرقسية الكبرى ومعهم الاسقف المرشح والاساقفة فتم الاجتماع واغلقوا الابواب واقاموا الحجاب يحرسونهم ورفعوا الصلاة الا انه حدث مالم يكن فى الحسبان فقد شاء الله ان يحبط خطتهم التى ارادوا تنفيذها فى غفلة من اغلبية الشعب القبطى « و بينما هم على هذه الحال اذ برز اعمى من عرفان المكاتب اسمه ينى وجعل يطوف فى الأزقة والحارات المجاورة لدار البطر يركية و ينادى بأعلى صوته هبوا ياقوم فقد قضى الأمر اليوم ياقوم ها هم يبايعون الليلة الأنبا يوساب فان تغافلتم ندمتم وان نشطتم غنمتم ياقوم قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة بادروا قبل الفوات هداكم الله هداكم الله . ومازال يكرر النداء و يكثر من الصياح والتطواف حتى استيقظ الناس وهبوا من نومهم وهم لا يدرون ما الخبر وهرعوا الى دار البطر يركية تتبعهم الغوغاء واقتحموا الابواب وعلت الضوضاء (٢)

وتمكن الاقباط من فض الاجتماع واخرجوا الحاضر ين بالقوة وانتهى الامر بتعيين داود مطرانا عاما و بعد سنة تم انتخابه بطر يركاً.

والبابا كيرلس الرابع هو باعث نهضة الاقباط العلمية والدينية والاجتماعية وقائد حركة الاصلاح فهو الذى فتح المدارس وانشأ اول مدرسة مصر ية لتعليم البنات قبل المدرسة السنية فسبق الحكومة فى هذا المضمار وهو الذى جدد بناء الكنيسة المرقسية الكبرى وأحضر اول مطبعة اهلية فى مصر من ايطاليا وهو الذى طلب من سعيد باشا انتظام الاقباط فى الجندية اسوة بأخوتهم المسلمين فاندمجوا فى بناء الدولة بعد ان كانوا مبعدين عن الجندية وكأنهم اجانب فى أرض آبائهم

---

(١) نفس المرجع ص ١٢٩

(٢) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٣٠

واجدادهم وهو الذى فض النزاع بين والى مصر محمد سعيد وثيودور الثانى امبراطور اثيوبيا بعد ان كانت الحرب على وشك الوقوع بينهما الى غير ذلك من ضروب الاصلاح التى ستعرض فى فصول هذه الرسالة .

وقد حدث بعد أن تم الصلح بين امبراطور اثيوبيا وسعيد وسافر الوزير الاثيوبى على رأس الوفد المرافق له إلى اثيوبيا أن احس الانبا كيرلس بغيظ سعيد منه واعراضه عنه وتردد على مقره دون ان يعرف لذلك سببا فعزم على العزلة حتى تتكشف الحقيقة فاصطحب معه الى دير القديس انطونيوس بالصحراء الشرقية بطريركى الروم الارثوذكس والارمن الارثوذكس ليمضوا فيه اياما ترويحا عن النفس فنزلوا بعزبة الدير ببوش قرب بنى سويف حتى تحضر القافلة فيذهبوا معها الى الدير بالصحراء الشرقية وهنا يتكشف الستار عن دسائس مذهلة للانجليز يقول صاحب الكافى « وعلم قنصل الانجليز بخبر قيامهم ونزولهم بعزبة الرهبان ببوش فسار الى مقر سعيد باشا ودس اليه بأن كيرلس انما ذهب الى الدير بمن معه من البطاركة للتحالف وتجديد العهد على وحدة الطوائف الارثوذكسية بمصر وجعل كيرلس بطركا عليهم ووضع الكنيسة القبطية تحت حماية دولة الروس فاذا تم له ذلك أصبح مسند الولاية المصرية على شفا جرف تحيط به من كل جانب ، قيل فانذهل سعيد باشا من فعال كيرلس وأوفد اليه مدير بنى سويف يقول سر الى كيرلس بطرك القبط وقل له ان يأتى الينا عاجلا فأنا فى حاجة الى حضوره فسار اليه بعزبة بوش وابلغه الرسالة » (١) .

ولم يكن البابا كيرلس الرجل الذى يكترث أو يهتز لرسالة سعيد فقد عقد العزم على اتمام رحلته وبعد اتمامها يذهب لمقابلة الوالى ، وفى هذا من الثبات النادر والجرأة المنقطعة النظير أمام سطوة الولاة .

ولم يكن البابا كيرلس الرجل الذى يتطرق اليه الجبن أو كريشة فى مهب الريح يطلب منه الوالى ان يقطع رحلته وأن يرجع فيصدع للأمر . يقول صاحب الكافى « فقال إنى ذاهب مع رفاقى إلى الدير بالجبل الشرقى فاذا عدنا ان شاء الله ذهبت اليه وتمثلت بين يديه فقال المدير اكتب بذلك . فأخذ كيرلس ورقة وكتب مقالته هذه فبعث بها المدير الى سعيد باشا فاشتد غيظه (٢) . وكان هدف سعيد من استدعاء البابا كيرلس الرابع هو تدبير قتله على الطريقة الشركسية بوضع السم فى القهوة وقد حدثت هذه المحاولة وقد ذكرها مؤرخان انجليزيان هما الاب فاولر والسيدة بوتشر (٣) ، وقد دبر له سعيد وضع السم فى القهوة ، ولكنه أبى شربها لأنه سمحهم

---

(١) نفس المرجع ص ١٢٣

(٢) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٢٤

(٣) مسز بوتشر: تاريخ الأمة القبطية الجزء الرابع الترجمة العربية ص ٣٨٧ ــ القاهرة سنة ١٩٠٠ .

يتكلمون باللغة التركية وكان يعرفها وقد ذهب الى البطريركية حزينا فأثر فيه الحزن وهنا يصدق قول المتنبى الشاعر « يفر من الحمام الى الحمام » لقد رفض شرب القهوة فدس له السم في الدواء فاشتدت علته وعظم الداء وفقد الرشد وسقط شعر رأسه ولحيته على وسادته (١) ومات فى ٣٠ يناير سنة ١٨٦٢ ، وهكذا هوى ذلك النجم اللامع من سماء الكنيسة القبطية ، وهو اعظم البطاركة الاقباط فى مصر الحديثة واعظم رجل قبطى فى القرن التاسع عشر ، ولقد مضى أكثر من قرن من الزمان على وفاته دون أن يجد الأقباط له نظيرا .

وقد احتفل الأقباط فى سنة ١٩١٢ بذكرى مرور خمسين عاما على وفاته وكتبت جريدة الأهرام فى عددها الصادر فى ٣١ يناير سنة ١٩١٢ معلقة على احياء هذه الذكرى الكريمة فقالت « مما لاشك فيه أن ذلك البطريرك العظيم جدير ذكره بأن يردد ، واسمه أن يكرم ، لأنه كان مصلحا كبيرا ورئيسا يفهم معنى الرئاسة و يدرك أعباءها وسط مهامه و يعرف كيف يقوم بتلك الأعباء الملقاة على عاتقه ، لا كالذين يعدون الرئاسة منصبا يتألهون فيه ، فلا يهمهم إلا أن يذلوا شعبهم لارادتهم ، ويمتصوا دمه ويهملوا شئونه و يضطهدوا مصلحيه .

إن البطريرك الذى يحتفل بالسنة الخمسين لوفاته رقى أمته بفتح المدارس وانشاء المطابع و بناء الكنائس ، ومنع زواج البنات قبل سن الرشد ، ومنع الاكراه فى الزواج وعزل الرهبان الى الأديرة وأطلق حرية المرأة وتفقد رعيته فى مصر والحبشه . وحصر أملاك الأوقاف الى آخر ما يذكره المؤرخون القبط من أعماله وأفعاله وفضائله .

فالذين يحتفلون به اليوم إنما هم يحتفلون بالمصلح والاصلاح والذين يشاركونهم فى هذا الاحتفال انما يشاركونهم باجلال الاصلاح .

وقد احتفل الاقباط فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٦١ بالذكرى المئوية الأولى لهذا البابا العظيم وشاركتهم فى هذا الاحتفال حكومة الثورة وقد كان ضيف الشرف السيد كمال الدين حسين رئيس المجلس التنفيذى ووزير التربية والتعليم المركزى فى ذلك الحين وقد ألقى كلمة قوية رائعة فى مناقب أبى الاصلاح .

١ ــ البطريرك الرابع : ديمتريوس الثانى « من يونيو سنة ١٨٦٢ الى يناير سنة ١٨٧٠ ــ .

كان رئيس دير ابى مقار ثم انتخب بطريركا فأتم بناء الكنيسة المرقسية الكبرى الذى شرع فيه البابا كيرلس وقد قابل السلطان عبد العزيز عند حضوره للاحتفال بافتتاح قناة

---

(١) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٣٤ .

السويس (١). يقول عنه المؤرخ المعاصر له ميخائيل شاروبيم « وكان شهما عاقلا محبا للعلوم فاعتنى بترتيب المدارس وبالغ فى وضعها على النحو الذى نحاه كيرلس مؤسسها فأعانه الخديو على ذلك وأقطع المدارس ارضا واسعه فأوقفت على عمارتها وتوسيع نطاق العلوم فكانت لها أعظم عضد (٢) لقد عاون الخديو اسماعيل الانبا ديمتريوس فى نشر رسالة العلم إلى أقصى حد فمنح المدارس القبطية ألفا وخمسمائه فدان (٣) لتعاون فى نهضه البلاد وتقدمها و يرى القارىء نص الأمر العالى بهذه المنحة فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الفكرى.

واهم ما يذكر فى عهد هذا البطريرك هومقاومة نشاط الارسالية البروتستانتية فى مصر واتخاذ الارسالية الامريكية مدينه أسيوط مركزا لها وقد سانده الخديو إسماعيل إلى أقصى حد، و يذهب الدكتور جرجس سلامه فى تعليل هذه المساعدة إلى أن الخديو اسماعيل « قد وجد فى حضور الارساليات الأجنبية ما ينقل إلى بلاد هذه الارساليات بأقلام رجالها ما سوف يرونه من ظلم الفلاحين ورأى فى تعصب اقباط مصر لمذهبهم ما يسهل له التخلص من رجال الارساليات بمهاره كافيه لا تدع مجالا لتدخلْ القناصل ولا لغضب الدول الأجنبية ». (٤)

ومع ان الدكتور جرجس سلامه فى رسالته للماجستير (تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع والعشرين) يذكر أن رحلة بطريرك الاقباط بالباخرة حدثت فى سنه ١٨٦٧ إلا أنه ينسبها خطأ مرتين إلى البطريرك كيرلس الخامس المرة الأولى فى المقدمة والثانية فى الفصل الثانى من رسالته مع أن البطريرك كيرلس الخامس لم يتول منصب البطريركية إلا فى اول نوفمبر سنة ١٨٧٤، أما موقف المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر من هذه الحركات التبشيرية فيرفع اللثام عن مدى تحيزها لمذهبها البروتستانتى وهى ترى أن انضمام الأقباط الى المذهب البروتستانتى يعزى إلى رغبة فى زيادة التعبد فهى حين تتحدث عن البطريرك ديمتريوس تقول « كان رجلا صالحا وعادلا ولكنه لم يكن كفئا للقيام بأعمال ومشروعات سلفه حتى انضم فى عهده كثيرون من الاقباط الذين كانوا يرغبون فى زيادة التعبد والجنوح إلى الحياة السياسية الراقية إلى الكنيسة المشيخية الأمريكية » (٥)

وفى الواقع لا يستطيع أحد أن يقول أنه توجد شخصية فى ذلك الوقت تستطيع أن تملأ الفراغ الذى تركه كيرلس الرابع ولكن البطريرك ديمتريوس سار على نهجه من حيث تقدم

---

(١) الاسقف ايسيذورس: الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة الجزء الخامس ص: ١٤٩.
(٢) ميخائيل شاروبيم: الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث جـ ٤ ص: ١٧٧.
(٣) مخطوطات عابدين، سجل ١٩١٩، اوامر عمومية « بتاريخ ٢١ رجب ١٢٨٣ هـ (٣٠ نوفمبر سنة ١٨٦٦).
(٤) الدكتور جرجس سلامة: تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ص ٦٣
(٥) مسز بوتشر: تاريخ الامة القبطية الجزء الرابع ص ٣٨٧ تعريب تادرس شنودة المنقباوى القاهرة سنة ١٩١٠.

التعليم أما انتشار البروتستانتية فيعزى إلى عوامل خارجة عن إرادتة وفوق طاقته يراها القارىء فى الفصل الخاص بنشاط الأقباط الدينى ومن أمثلة الظروف التى كانت فوق طاقته أنه عندما هاجم البروتستانت فى أسيوط الكنيسة القبطية ليلا وأحرقوا إيقوناتها شكاهم البطر يرك للخديو اسماعيل فأصدر أمرا بنفيهم فالتجأوا الى قناصل الدول طالبين حمايتهم فلبى القناصل طلبهم وحموهم ودفعوا عنهم قصاص النفى (١) . وقد توفى هذا البطر يرك فى ليلة عيد الغطاس (يناير سنة ١٨٧٠) .

ـ (البطر يرك الخامس كيرلس الخامس « ١٨٧٤ ـ ١٩٢٧ ») ـ

ولد فى قر ية تزمنت بمدير ية بنى سو يف حوالى سنه ١٨٢١ م وكان اسمه حنا وقد هاجر أبواه الى قر يه كفر الصعيدى بمدير ية الشرقية ، تعلم فى الكتاب وامتاز بجودة الخط العر بى والخط القبطى ولذلك أطلق عليه حنا الناسخ وفى سن العشر ين انتظم فى الرهبنة بدير البرموس بوادى النطرون ثم عين رئيسا للدير ، و بعد وفاة الانبا ديمتر يوس الثانى فى يناير سنة ١٨٧٠ استمر الكرسى البطر يركى شاغرا نحو خمس سنوات لأن النائب البطر يركى وهو الانبا مرقس مطران البحيرة كان يطمع فى منصب البطر يركية واخيرا تمت رسالة حنا الناسخ بطر يركا فى سنة ١٨٧٤ باسم كيرلس الخامس .

هذا البطر يرك أمضى على كرسى البطر يركية أكثر من نصف قرن أو نحو ثلاث وخمسين سنة فشملت رئاستة الدينية الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشر ين . وتتسم مدة ر ياسة هذا البطر يرك بالنزاع مع المجلس الملى فقد كان ير يد الاستئثار بالسلطة ولا يطيق أن يرى بجانبه ممثلين للشعب يشتركون معه فى الاشراف على شئون الأقباط وعلى أوقافهم بنوع خاص ، هذا النزاع أدى فى النهاية الى تعطيل المجلس الملى ثم صدور امر عال بإعادة البطر يرك إلى دير البرموس الذى انتظم بين رهبانه وإقامة نصيره فى هذه الحركة الأنبا يوئنس مطران الاسكندر ية ووكيل الكرازه المرقسية (الذى صار بعده بطر يركا سنة ١٩٢٨) الى دير الانبا بولا بالجبل الشرقى أما الحديث عن المجلس الملى والظروف التى أدت إلى إبعاد البطر يرك الى ديره فيراها القارىء فى الفصل الخاص بنشاط الأقباط الاجتماعى .

و بعد انقضاء نحو ستة أشهر على أبعاد البطر يرك ومطران الاسكندر ية طلب الأقباط عودتها فأصدر الخديوى عباس حلمى الثانى إراده سنية بتار يخ ٣٠ يناير سنة ١٨٩٣ رقم ٢ بعودة غبطة البطر يرك ونيافة مطران الاسكندر ية من الأديرة المقيمين فيها كل منهما لمركزه (٢) وقد تمت عودتها بعد أن أقاما بعيدا عن مقر كرسيهما ستة أشهر.

---

(١) الأسقف ايسيذورس : الخر يدة النفيسة الجزء الخامس ص ١٤٩ .

(٢) الأمير عمر طوسون : وادى النطرون ورهبانه وأديرته ص ١٤٤ ـ الاسكندر ية سنة ١٩٣٥ .

إصلاحات البابا كيرلس الخامس :

اشتهر البابا كيرلس الخامس بالعفة والتنسك والتقوى وقد قام بعدة إصلاحات في ميادين مختلفة فأنشأ كثيرا من الكنائس منها كنيسة الفجالة التي بنيت في ملك ميخائيل بك جاد سنة ١٨٨٤ وكنيسة حارة السقائين سنة ١٨٨١ وكنيسة حلوان وكنيسة بولاق و يرى القارىء تفصيل ذلك في الفصل الخامس بنشاط الأقباط الديني .

وفي ميدان التعليم أنشأ المدرسة الاكليريكية سنة ١٨٩٣ لتخريج رجال الدين وأنشأ مدرسه الصنايع ببولاق ومدرسه التدبير المنزلي للبنات ببولاق وغيرها .

وقام برحلتين الى الصعيد والسودان لتفقد الشعب القبطي الأولى سنة ١٩٠٤ م والثانية سنة ١٩٠٩ ، وفي الاولى وضع حجر أساس الكنيسة القبطية وفي المرة الثانية قام بتدشينها وساعد على إنشاء المتحف القبطي الذي أسسه مرقس سميكه باشا سنه ١٩١٠ ولهذا البطريرك عدة منشورات ومواقف تبين أنه الراعي الصالح الساهر على رعيته السائر بأمانه وإخلاص وقد توفي في اغسطس سنة ١٩٢٧ .

— ((اشهر أساقفة الكنيسة القبطية)) —

الانبا يوساب أسقف جرجا واخميم :

عاصر هذا الأسقف ابراهيم بك ومراد بك والحملة الفرنسية على مصر وعاش إلى أوائل القرن التاسع عشر وكان يعرف بابن الأبح وقد اشتهر بسعه الاطلاع كما كان عالما فذا في العلوم اللاهوتيه وله كتاب « سلاح المؤمنين » رد به على أقوال الكاثوليك (١) وقد وردت في هذا الكتاب خطبته التي ألقاها في رثاء إبراهيم الجوهري و يراها القارىء في الفصل الخاص بنشاط الاقباط الاجتماعي .

الانبا صرابمون اسقف المنوفية :

كان يبيع الزيت بالقاهرة ثم انتظم راهبا بدير القديس أنطونيوس ثم اختير أسقفا للمنوفية وكان معاصرا لمحمد على ، وقد اتصف بميزتين الأولى عطفه الشديد على الفقراء فكان يخرج تحت ستار الليل حاملا على كتفه الدقيق والخبز والطعام إلى منازل من أختى عليهم الدهر ، ظنه أحد

---

(١) الاسقف ايسيذورس : الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة (الجزء الخامس) ص : ١٣٠

الأشخاص فى إحدى الليالى لصا فتتبعه ، يروى صاحب كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر قصة أحد الأفراد « بانه راى شخصا غريب الذى يكاد لا يظهر من وجهه غير عينيه فظنه لصا وتتبعه وإذا به دخل عطفة فأخرى وعلى أم رأسه قفة إلى أن وقف بباب ودقه وسلمها للفاتح دون فتح شفتيه ورجع من حيث أتى ولما وجد المتتبع قال عليك بركة احذرك ثانى مرة من اللحاق بى او أن تذكر ذلك لأى احد » .

والميزة الثانية قدرته بالصلاة على اخراج الأرواح النجسة (الشياطين) والمثل البارز لهذه الميزة شفاء زهية باشا ابنة محمد على وزوجة محمد بك الدفتردار وكانت شهرة اسقف المنوفية قد طبقت الآفاق فى هذا المضمار وعمت القطر المصرى .

حار الاطباء فى علاج ابنة محمد على فلم يكن مرضها طبيعيا فطلب الوالى من البابا بطرس الجاولى أن يرسل إليه أسقف المنوفية لشفاء ابنته فتوجه الأسقف الى القصر وكان مكتظا بالجنود وعقيلات البيت المالك وكانت الأميرة ملقاة على الأرض فى حالة يرثى لها وقام الاسقف بالصلاة حتى صرخ الشيطان بصوت مزعج وخرج منها فقامت الأميرة صحيحة ، فعم الفرح البيت المالك وصدحت الموسيقى ودقت البشائر بشفاء الأميرة ، وأراد محمد على أن يكافىء الأسقف فقدم له صرة من النقود (قيل بها مبلغ اربعة الاف من الجنيهات) فاعتذر الاسقف عن عدم قبولها ولما الح عليه الوالى اخذ منها قدرا قليلا ووزعه على العساكر أثناء خروجه .

ومن طريف ما يذكر أن الروح النجس (الشيطان) فى إحدى المرات كان يمزح مع الأسقف فقد حدث أن الاسقف سأل الروح النجس عن اسمه فقال اسمى صرابمون الاسقف ، فرد الاسقف « وى يابوى هى الشياطين فيهم اساقفه » (١) .

وكان الانبا صرابمون يقيم فترة كبيرة من السنة فى الدار البطريركية فتزدحم بالمرضى يلتمسون الشفاء بصلاة هذا الاسقف القديس « فكان الدار البطريركية اصبحت مصحا او مستشفى يتلاقى فيه جميع المصابين ولو بغير هذه الأمراض لاعتقاد الناس فى قدرة الأب على شفاء كافة الأوصاب وكان إيمانهم يخلصهم مما هم فيه و يشفون حقيقة من أمراضهم » وقد توفى الى رحمة الله سنة ١٨٥٦ .

الانبا باسليوس مطران القدس :

ولد بقرية الداية بمركز فرشوط بمديرية قنا سنة ١٨١٨ ، وفى سن الخامسة والعشرين

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ــ الجزء الاول ص ١٣٨ ــ القاهرة سنة ١٩١٠ .
(٢) نفس المرجع ص ١٤٩
(٣) نفس المرجع ص ١٣٢

أنتظم في الرهبنة بدير القديس أنطونيوس ثم اختير رئيسا لهذا الدير فأدار شئونه بأمانة وإخلاص ونشاط في وسنة ١٨٥٦ رسمه الأنبا كيرلس الرابع مطرانا للقدس وكانت رسامته طالع يمن وبركة فقام بإنشاء كثير من المباني لراحة الزائرين في القدس و يافا فبنى كنيسة ودارا للبطريركية في القدس واشترى في يافا ارضا تبلغ مساحتها نحو عشرين فدانا بنى بها كنيسة وقصرا وعدة منازل لراحة الزائرين كما غرس حديقة برتقال .

وكانت مطرانية القدس واسعة تمتد إلى مديريات الدقهلية والشرقية ثم القليوبية وبعض بلاد الغربية ومحافظتي القناة ودمياط أي معظم بلاد الوجه البحري وقد بنى عدة كنائس يراها القارىء في الفصل الخاص بنشاط الأقباط الديني وكان مثالا رائعا للفضيلة والصلاح وكان المصلح النشيط والراعي الأمين وكان موضع الاجلال والاكبار، عند الأجانب وقناصل الدول في مصر والشام والآستانه وقد حصل من السلطان عبد الحميد على وثيقة بتثبيت ملكية دير السلطان للقبط ، أحبه القبط جميعا لسمو أخلاقه وسداد رأيه وقد كتب عنه صاحب نوابغ الأقباط في الجزء الثاني اكثر من ثمانين صفحة ، توفى إلى رحمة الله سنة ١٨٩٩ .

الانبا ابرام اسقف الفيوم :

من قرية دلجا بمركز ديروط بمديرية أسيوط ، انتظم في سلك الرهبنة بدير المحرق أحبه الرهبان حبا عظيما فاتفقت كلمتهم على انتخابه رئيسا لدير المحرق وقد لبث في الرياسة خمس سنوات قام خلالها بخدمات اجتماعية بارزة وكان واسع الاطلاع وفي سنة ١٨٨١ أختير أسقفا للفيوم وهو كمصلح اجتماعي كافح الفقر فكان يغدق العطايا للفقراء الذين كانوا يأتون اليه على اختلاف مللهم . يقول ليدر الانجليزي « الذى زاره وكتب عنه فصلا في نحو اربعين صفحة » قديس السماء للمسلم والمسيحي على السواء (٢) « كما يرى ليدر أن اقليم الفيوم نال شرفا عظيما بعصيته الذى طبق الآفاق ووصل إلى بعض دول اوربا فيقول » إنه أعطى شهرة عظيمة لهذه المديرية كما جلب الشرف لكل مسيحى مصر باسمه الطاهر (٣) وكانت الموائد تمد للفقراء في دار الأسقفية وطعامهم كطعامه ولم يكن يسمح مطلقا أن يقدم إليه طعام افضل مما يقدم للفقراء .

وقد آمن الشعب بزعامته الروحية فاشتهر بصلاة الايمان و يروى أن المرضى كانوا ينالون الشفاء بصلاته ، وقد ذاع اسمه في البلاد فكان المرضى يقصدونه افواجا من مسيحيين ومسلمين ، يقول ليدر « فهم شاهدوا بعيونهم المرضى يشفون والمصابين بأرواح نجسة تخرج منهم (٤) . وقد توفى في يونيو سنة ١٩١٤ وشيعه إلى القبر نحو عشرة آلاف من المسلمين والمسيحيين . (٥)

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر الجزء الثاني ص ٢٠٣ .

(٢) S.H. Leeder: Modern Sons of the Pharoahs P. 269

(٣) Leeder: P. 286 (٤) Leeder: P. 262.

(٥) كامل صالح نخله وفريد كامل : خلاصة تاريخ المسيحية في مصر — القاهرة سنة ١٩٤٩ .

اشهر كاهن فى القرن التاسع عشر
القمص فيلوثاوس ابراهيم بغدادى

ولد فى طنطا سنة ١٨٣٧ م و بعد أن أتم دراسته الابتدائية عين كاتبا عند أحد التجار، وفى هذه الاثناء درس اللغة الايطالية ثم عين كاتبا بمديرية الغربية سنة ١٨٥٥ ولكن نفسه الطموح الى العلم جعلته لا يتوقف عند هذا الحد فاستقال من وظيفته بعد سنتين والتحق طالبا بمدرسة الاقباط الكبرى الثانوية بالقاهرة ودرس بها اللغات القبطية والعربية والايطالية وعند ما تخرج من هذه المدرسة عين ناظرا لمدرسة المنصورة القبطية فدرسا للغة القبطية بمدرسة حارة السقائين ومدرسة الأقباط الكبرى . وفى سنة ١٨٦٢ اختير قسا لكنيسة طنطا فعكف على دراسة العلوم اللاهوتية ، وقد منح الله القمص فيلوثاوس كل مواهب الخطيب المبدع فكان طلق اللسان جهورى الصوت حاضر البديهة ذا شخصية قوية جذابة سديد الراى واسع الاطلاع ، هذه المواهب أهلته ليكون خطيب الكنيسة الأول فى القرن التاسع عشر فاختاره البطريرك ديمتريوس ليرافقه فى رحلته بالباخرة إلى الوجه القبلى لمقاومة انتشار البروتستانتية فى أسيوط وقد أظهر مقدرة فائقة فى الوعظ المرتجل و براعة فى الدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية ، يقول عنه المرحوم الاستاذ حبيب جرجس مدير الكلية الاكليريكية الأسبق « وكان الايغومانس فيلوثاوس (١) الرجل الوحيد المتضلع فى الدين فى ذلك العصر، وكان الواعظ الأوحد الذى تنتظره المنابر من أقصى القطر إلى أقصاه ولم يكن فى الطائفة غيره (٢) و يقول عنه الأسقف ايسيذورس « وكان عالما بليغا عارفا بكل مواضع الدين والمذهب الأرثوذكسى قادرا على الاحتجاج » (٣) وكما واجه هذا العالم الفذ البروتستانت فى أسيوط واجه ايضا الكاثوليك فألف كتاب الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية ردا على الكاثوليك وهو الذى كتب فصلا عن الكنائس القبطية وتاريخ البطاركة لعلى باشا مبارك فى الجزء السادس من الخطط التوفيقية تتمه لما جاء فى خطط المقريزى عن الأقباط » (٤)

وفى اكتوبر سنة ١٨٧٤ انتخبه المجلس الملى راعيا وواعظا للكنيسة المرقسية الكبرى ثم عين ناظرا لمدرسة الاقباط الكبرى وكان المرجع الأعلى للكنيسة القبطية ومستشارا فى الامور

---

(١) كلمة يونانية بمعنى قمص

(٢) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ١٧ ـ القاهرة سنة ١٩٣٨ .

(٣) الخريدة النفيسة جـ ٥ ص ١٥٧

(٤) توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر جـ ١ ص ٣٥ القاهرة

(٥) كامل صالح نخلة وفريد كامل : خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٦٠

المهمة و يطلب رأيه فى حل المشكلات وكان من اكبر العاملين فى النهضة الاصلاحية وفى الحق لقد كان القمص فيلوثاوس حجة الكنيسة الارثوذكسية فى القرن التاسع عشر وله مؤلفات قيمة وقد توفى الى رحمة الله فى مارس سنة ١٩٠٤ .

—((بيان اساقفة بطريركية الاسكندرية (١)))—
فى اواخر القرن التاسع عشر

(كتبه فاولر الذى طبع كتابه لأول مرة سنة ١٩٠١ والطبعة الثانية ١٩٠٢)

الاسم	اللقب	الايبارشية (٢)	عدد الكنائس	عدد الكهنة
كيرلس الخامس	بطريرك الاسكندرية	القاهرة	٢٣	٣٥
تيموثاوس	مطرانية اورشليم			
يؤنس	مطران الاسكندرية والبحيرة والمنوفية	الاسكندرية والبحيرة والمنوفية	٤٨	٦٠
	اسقف الدقهلية والشرقية والغربية	الغربية	٧٠	٩٥
ابرام	اسقف الجيزة والفيوم	الجيزة والفيوم	٢٥	٤٠
ميساك	اسقف بنى سويف	بنى سويف	٢٤	٧٠
ديمتريوس	اسقف المنيا	المنيا	٤٠	٩٠
اثناسيوس	مطران صنبو	صنبو	٣٢	٦٥
بطرس	اسقف منفلوط	منفلوط	٢٨	٥٥
مكاريوس	مطران اسيوط	اسيوط	٢٥	٦٦
باسليوس	مطران ابوتيج	ابوتيج	٤٥	١٠٥
متاؤس	مطران جرجا واخميم	جرجا واخميم	٥٠	١٠١
اغابيوس	اسقف قنا	قنا	٢٤	٤٨
مرقس	مطران الاقصر واسنا	الاقصر واسنا	١٣	٢٦
صرابون	اسقف النوبة والخرطوم	النوبة والخرطوم		
متاؤس	مطران الحبشة (وهو قبطى)			

(١) Fowler (Montagne) Christian Egypt. Past, Present and Future V.I.P. 122. London 1902.

(٢) الايبارشية كلمة يونانية وهى تشمل المنطقة التى يقوم برعايتها الاسقف او المطران وهى تقوم وفقا لعدد الاقباط فبينما نرى فى مديرية اسيوط اربع ايبارشيات نرى فى الوجه البحرى ان الايبارشية تشمل عددا من المديريات لقلة المواطنين الاقباط بها والمطران اعلى مرتبة من الاسقف وقد يرسم الراهب اسقفا ثم يرقى الى مطران وقد جاء فى بيان فاولر اسماء اربعة اساقفة للاديرة .

ـ ((رجال الدين الكاثوليك)) ـ

بدأ اعتناق الاقباط الارثوذكس المذهب الكاثوليكي في القرن السابع عشر وكان عدد الاقباط الكاثوليك في هذا القرن وفي القرن الثامن عشر ضئيلا جدا و بدأ ازدهار هذا المذهب في مصر في القرن التاسع عشر عندما اعتنق المعلم غالي كبير الأقباط في عهد محمد علي هذا المذهب بناء على رغبة هذا الوالي (١) ارضاء للفرنسيين الذين طلبوا من محمد علي تحويل أقباط مصر إلى المذهب الكاثوليكي فأقنعه المعلم غالي بأن هذا الأمر عسير ولا يتم بدون قلاقل وسفك دماء غزيرة وان يبدأ هو باعتناق الكثلكة فاذا رأى الاقباط كبيرهم تحول إلى هذا المذهب نسجوا على منواله .

وكان بابا روما منذ القرن الثامن عشر يقوم بتعيين نواب عنه لرعاية الأقباط الكاثوليك وقد عين أربعة في هذا القرن وسلك هذا السبيل في القرن التاسع عشر وكان في بعض الاحيان يصدر قرارا بتعيين أسقف ثم لا يوجد في مصر من يقوم برسامته فيقف التنفيذ ولا يعتبر أسقفا من الوجهة الدينية لأن تعيين الأساقفة ولو صدر من البابا نفسه لا يخلع من الوجهة الدينية على من عينه صفة أسقف ولابد من القيام بمراسيم دينية خاصة بالرسامة وكان يقوم بهذه الرسامة بطريرك أو أسقف حسب ما رأيت من تاريخ الكاثوليك في مصر ، أما عند الاقباط الارثوذكس فلا يقوم برسامة الأسقف إلا البطريرك يعاونه عدد من المطارنة والاساقفة ولا يمكن أسقف وحده أو مطران ان يقوم برسامة أسقف او مطران كما كان يفعل الكاثوليك كما لا تتم رسامة بطريرك الأقباط الارثوذكس إلا بمراسيم دينية خاصة يقوم بها عدد من المطارنة والاساقفة .

وكان متى الرقيطي أول من عينه بابا روما نائبا رسوليا للاقباط الكاثوليك في مصر في القرن التاسع عشر (من سنة ١٧٨٨ الى سنة ١٨٢٢) بعد ان سبقه في القرن الثامن عشر كما ذكرت اربعة نواب رسوليين وقد عين تاوضروس ابو كريم معاونا له في سنة ١٨١٤ (٢) ثم عين مكسيموس جويد نائبا رسوليا من سنة ١٨٢٤ الى سنة ١٨٣١ ثم رسمه البطريرك الملكي أسقفا ، ثم عين تاوضروس ابوكريم نائبا رسوليا من سنة ١٨٣٢ ــ ١٨٥٤ وقد قام أسقف سر ياني برسامته اسقفا في نفس السنة . وقد تعاقب في منصب نائب رسولي عدد من رجال الدين عينهم بابا روما فعين اثناسيوس خزام سنة ١٨٥٥ ــ ١٨٦٤ ، ثم اغابيوس بشاى من سنة ١٨٦٦ ــ ١٨٧٩ ثم

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ جـ ١ ص ١١٧

(٢) بطريركية الاقباط الكاثوليك بالقاهرة ــ الدليل الطائفي والتقويم السنوي لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ م ص ٩٦

انطون ناداب من سنة ١٨٨٠ الى ١٨٨٩ ثم سمعان برايا من سنة ١٨٨٩ الى سنة ١٨٩٢ ثم انطون كابس من سنة ١٨٩٢ الى ١٨٩٥ الذى كان راعيا لكنيسة الاقباط الكاثوليك باسيوط سنة ١٨٨٩ وأول راع قبطى كاثوليكى بطهطا سنة ١٨٩١ وكما تعتبر اسيوط مركز انتشار البروتستانتيه كانت طهطا تعتبر مركز انتشار الكثلكة فى مصر فأنشئت بها مدرسة اكليركية لتخريج رجال الدين الكاثوليك سنة ١٨٩٩ ثم تأسست بها قبل الحرب العظمى الأولى رهبنة قلب يسوع للمصريات وقد تعرضت لهذا الموضوع فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الدينى .

وفى سنة ١٨٩٥ عين كيرلس مقار نائبا رسوليا ــ ثم عين مديرا رسوليا لبطريركية الاسكندرية للاقباط الكاثوليك عند انشائها سنة ١٨٩٥ بقرار بابا روما ليون الثالث عشر . (١)

ولم يبدأ تنظيم كنيسة الأقباط الكاثوليك فى مصر الا فى سنة ١٨٩٥ عندما أصدر بابا روما ليون الثالث عشر قراره بانشاء بطريركية للاقباط الكاثوليك فى مصر وانشاء ثلاث إيبارشيات احداها ايبارشية البطريركية وتشمل القاهرة والوجه البحرى وبعض بلاد مديرية الجيزه ثم ضمن بلاد الجيزه كلها الى هذه الايبارشية ثم ايبارشية المنيا وتشمل بلاد مصر الوسطى ومقرها المنيا ثم ايبارشية طيبة وتشمل بلاد مصر العليا ومقرها طهطا وترك الباب مفتوحا لانشاء إيبارشيات اخرى وتعيين بابا روما الانبا كيرلس مقار أول بطريرك للأقباط الكاثوليك سنة ١٨٩٩ ثم الأنبا اغناطيوس برزى مطران كرسى طيبة والانبا مكسيموس صدفاوى مطران كرسى المنيا وقد بقى هذا التقسيم الى سنة ١٩٤٧ (٢) .

وسأتناول بالتفصيل الحديث عن هؤلاء الثلاثة وهم اكبر رجال الدين الكاثوليك فى مصر فى القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين .

ــ (الانبا كيرلس مقار) ــ

ولد فى قرية الشنايته بمديرية اسيوط سنة ١٨٦٨ وعندما كان تلميذا اختاره الأب رولان اليسوعى ليدرس فى كلية الآباء اليسوعيين فى بيروت فنال قسطا وافرا من العلم وبدا عليه الذكاء والفصاحة وقد أجاد اللغات العربية واللاتينية واليونانية والقبطية والفرنسية وحصل على درجة الدكتوراه فى الفلسفة واللاهوت ثم رسم كاهنا سنة ١٨٩١ باسم جرجس مقار وقام بتأليف عدة كتب دينية وله محاضرات فى تاريخ كنيسة الاسكندرية ثم رسم أسقفا ثم عين نائبا

---

(١) نفس المرجع ص ٩٦

(٢) نفس المرجع ص ١٠٣ ، ص ١٠٤

رسوليا سنة ١٨٩٥ وعهد اليه بابا روما بالسفر الى إثيوبيا فأنعم عليه امبراطور اثيوبيا بالنياشين . (١)

وفي يونيو سنة ١٨٩١ عينه بابا روما بطريركا للاقباط الكاثوليك واعتمد الخديو عباس حلمي الثاني هذا التعيين ثم توجه هذا البطريرك الى روما فاستقبله البابا والكرادلة استقبالا عظيما وبدأ من سنة ١٩٠٠ نشاطه لترقية شئون طائفته فأسس بمعاونة الآباء اليسوعيين المدرسة الاكليريكية الكاثوليكية التي بدأ تأسيسها قبل توليه منصب البطريركية وبدأت الدراسة بها سنة ١٨٩٩ ثم قام ببناء كنائس وشراء أرض زراعية لوقفها والانفاق من ريعها على الكنائس وانتشرت الكنائس الكاثوليكية في الوجه القبلي وقد اختارته الحكومة عضوا بمجلس شورى القوانين (٢) . وقد وجهت اليه الهجمات الكيدية فاستقال من منصبه سنة ١٩٠٨ وانضم الى كنيسة اليونان الأرثوذكسي والف كتابه « الوضع الالهي ضد السلطنة الرومانية » ثم عاد الى المذهب الكاثوليكي ولكنه لم يعد الى منصب البطريركية . واني اسجل جزئا من وثيقة عودته الى المذهب الكاثوليكي :ـــ

(انا الموقع اسمي ادناه « كيرلس مقار » بطريرك الاقباط الكاثوليك المستقيل القادم الى روما من تلقاء نفسي لأجاهر للكرسي الرسولي بعزمي الثابت ان احيا وأموت في الايمان الكاثوليكي خاضعا للحبر الروماني ...)(٣) .

وقد قبل بابا روما عودته وارسله الى لبنان سنة ١٩١٤ قبل اشتعال نار الحرب العالمية الأولى وهناك لاقى من آلام الفقر والضيق بسبب الحرب وانقطاع المواصلات وقد توفى سنة ١٩٢١ ببيروت ونقل جثمانه باحتفال مهيب الى مصر .

الانبا اغناطيوس برزي : عينه بابا روما اسقفا لكرسي طيبة ومقره مدينة طهطا ، اشتهر بالتقوى والاخلاص وكسب محبة الناس فنال كل تقدير واحترام وقد الف كتبا عديدة تبين سعة اطلاعه وغزارة علمه ورغبته في إنارة ابناء طائفته وقد عين عضوا بمجلس الشيوخ في اول برلمان مصري سنة ١٩٢٤ وقد توفي في يناير ١٩٢٥ (٤)

الانبا مكسيموس صدفاوي : عين اسقفا لكرسي المنيا سنة ١٨٩٦ وعندما استقال ـــ الانبا كيرلس مقار من منصب بطريركية الاقباط الكاثوليك سنة ١٩٠٨ عين مديرا رسوليا

(١) الانبا الكسندروس اسكندر (مطران اسيوط للاقباط الكاثوليك) : تاريخ الكنيسة القبطية الجزء الثاني ص ٩٣ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٤

(٣) نفس المرجع ص ٩٦

(٤) نفس المرجع ص ٩٩

للبطريركية وقد شغل هذا المنصب حتى وفاته فى فبراير سنة ١٩٢٥ (١) . وعادت الكنيسة القبطية الكاثوليكية فى سنة ١٩٢٥ بلا اساقفة .

رجال الدين البروتستانت

كان كبار رجال الدين البروتستانت فى القرن التاسع عشر من المرسلين الامريكيين او الاسكتلنديين التابعين للارسالية المشيخية الامريكية فكانوا عماد انتشار البروتستانتيه فى مصر ، اما رجال الدين البروتستانت من المصريين فكانوا فى القرن التاسع عشر فى المرتبة الثانية بعد المرسلين الامريكيين وبما أن عدد الكنائس الانجيلية أو البروتستانتيه وصل الى نهاية القرن التاسع عشر اربعا واربعين كنيسة (٢) فان عدد القسس الانجيليين يكون قد وصل الى اربعة واربعين قسيسا والى سنة ١٩١٩ صار عدد الكنائس الانجيلية ثمانيا وثمانين كنيسة فان عدد القسس يكون ثمانية وثمانين قسيسا إذ سار النظام فى الكنيسة الانجيلية على رسامة قسيس لكل كنيسة ، هذا ماعدا المبشرين الذين يقومون بالوعظ والصلاة فى الكنائس غير المنتظمة ، والمبشر مرتبة أقل من مرتبة القسيس فى الكنيسة الانجيلية ، كما أن القسيس مرتبة أقل من مرتبة القمص فى الكنيسة الارثوذكسية كما سبق ذكر ذلك ، و يعين المبشر عادة فى الكنيسة غير المنتظمة وبما أن المذهب البروتستانتى لا يتقيد بنظام خاص لبناء الكنائس فلا هيكل ولا مذبح ، والصلاة الى أية جهة تصح ، و باب الكنيسة فى أية جهة بلا تقييد أن يكون الهيكل فى الجهة الشرقية فى الكنائس الأرثوذكسية او الكاثوليكية فلا يجوز بطبيعة الحال فى هذه الكنائس أن يكون الباب من الجهة الشرقية فيمكن عند البروتستانت تخصيص ردهه أو حجرة كبيرة كنيسة للصلاة او شقة فى منزل تخصص اكبر حجراتها او الردهة لاجتماع الرجال وتخصص حجرة جانبية لحضور السيدات ، وعدد القسس الذى ذكرته فى الكنائس الإنجيلية لا يدخل فيه كما أوضحت عدد المبشرين كما لا يدخل فيه عدد المرسلين الامريكيين ، والمذهب البروتستانتى الذى كان سائدا فى القرن التاسع عشر هو مذهب الكنيسة الانجيلية المشيخية وظهر مع الاحتلال الانجليزى للبلاد مذهب بروتستانتى آخر هو مذهب الكنيسة الأسقفية او الانجليكانية ، هذا مذهب الانجليز و يبدو لى ان الاحتلال نفر الاقباط الارثوذكس من تحويلهم إلى هذا المذهب فلم يتبعه الا عدد ضئيل ومن أمثلة الكنائس الاسقفية ، كنيسة بمصر القديمة مجاورة لمستشفى هرمل . ومن فروع المذهب البروتستانتى أيضا ـ مذهب كنيسة نهضة القداسة او الاصلاح ، وهذا المذهب نشرته ارسالية امريكية من كندا وقد قدر له النجاح فى القرن العشرين وانتشرت الكنائس الاصلاحية فى القاهرة والصعيد وعدد أتباع هذا المذهب يلى عدد أتباع الكنيسة المشيخية الانجيلية وهذا المذهب سريع الانتشار و بخاصة بين العامة من الأقباط ، كما ظهر فرع آخر للبروتستانت وهو المذهب

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٠

(٢) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية بمصر والسودان : من ص ١٠١ ـ ١٠٣ ـ القاهرة سنة ١٩٣٧ .

البلموثي نسبة الى بليموث في انجلترا وقد قدر له النجاح في مصر برغم عدم وجود قس لهذا المذهب فقد ظهر بطابع دينى محض فلم يكن كالمذهب الأ[illegible]ى الذى جاء مع سلطات الاحتلال فى مصر، وقد تعددت فروع المذهب البروتستانتى فصارت نحو ١٥ فرعا فى مصر إلا أن انتشارها ظهر فى القرن العشرين.

أما فى القرن التاسع عشر فقد كان المذهب السائد من فروع البروتستانت هو مذهب الكنيسة المشيخية الانجيلية وانى اذكر هنا اثنين من القسس الانجيليين كان لهما السبق فى نشر المذهب البروتستانتى احدهما كان اول قسيس انجيلى مصرى رسم سنة ١٩٧١ لكنيسة النخيلة الانجيلية وهو القس تادرس يوسف (١) والثانى هو القس شنودة حنا وهو من أوائل تلاميذ المرسل الاسكتلندى الدكتور يوحنا هوج فى أسيوط، أما علماء البروتستانت من المصريين أمثال القس ابراهيم سعيد والقس لبيب مشرقى والدكتور بطرس عبد الملك رئيس معهد الدراسات الشرقية بالجامعة الامريكية فهم من المعاصرين فى القرن العشرين ولقد تضاءل نفوذ المرسلين الامريكيين حتى استقل سودس النيل عن أمريكا أما بقاء بعض المرسلين الامريكيين بعد هذا الاستقلال فهو للمعاونة فى الحقل التبشيرى والخدمة الدينية.

القس تادرس يوسف: هو أول راع فى مجمع مصر وفى كنيسة مصر الانجيلية، وكان من أثر رسامته كتابة محاضر جلسات المجمع الانجيلى بالعربية بدل الانجليزية فقد جاء فى كتاب اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية «ولما كان كل اعضاء مجمع مصر الأولين من المرسلين الامريكان كانت تكتب محاضر جلسات المجمع باللغة الانجليزية ولكن لما التأم المجمع لرسامة القس تادرس استعاض عن اللغة الانجليزية باللغة العربية وتقدم الدكتور هوج كاتب المجمع بدفتر جديد للجلسات باللغة العربية لغة الشعب المصرى والكنيسة المصرية وقبل أن يختم هذا المجمع جلساته انتخب القس تادرس كاتبا له فكان أول مصرى توضع عليه مسئولية هذا المركز وشرفه ومن ذلك الوقت فصاعدا صار الذين يخلفونه من المصريين (٢)»

ولد فى مدينة القاهرة سنة ١٨٤٢ ثم التحق فى سن العاشرة بمدرسة القس الانجليزى هو ليدر وبقى بها سنتين تعلم فيها مبادىء العربية والانجليزية ثم الغيت فالتحق بمكتب انشأه احد اساتذتها لمدة ثلاث سنين ثم التحق بمدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة ثم عين ناظرا لمدرسة حارة السقائين القبطية ومن تلاميذه بطرس غالى باشا والمؤرخ ميخائيل بك شاروبيم ثم عين ناظرا لمدرسة الأمريكان بالأزبكية ثم ناظرا لمدرسة الارسالية الأمريكية بالفيوم وتزوج هناك بابنة أحد اعيان المدينة وبعد أن أقام فى الفيوم عاما ونصف عام التحق بصف اللاهوت الذى انشأه الدكتور

---

(١) رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الأدنى: العمل الانجيلى فى الشرق العربى ص ١١٨ - بيروت سنة ١٩٦٠.
(٢) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية بمصر والسودان: من مقال يوحنا الكسندر ص ١٠ طبع القاهرة سنة ١٩٣٧.

هوج بأسيوط وكان اول مصرى يرخص له بالتبشير ثم طلب الانجيليون بالنخيلة رسامته راعيا سنة ١٨٧١ وحصل على مرسوم بناء كنيسة سنة ١٨٧٣ وكان يقوم بنشاط عظيم فى سبيل نشر البروتستانتية فى بلاد مديرية أسيوط وقد تحمل اضطهادا شديدا بسبب التبشير وفقد بصره سنة ١٨٩٨ واستمر فى عمله وهو كفيف عشر سنوات ، كتب عنه الدكتور وطسن « ان أول اجتماع للمجمع المسيحى رسم فيه القس تادرس يوسف وهو أول راع بالقطر المصرى وقليلون من المصريين الذين كان لهم عقل نير وقلب طيب مثله ، و يعزى اليه بحق نمو الكنيسة فى الجهات المجاورة ومع أنه فقد بصره لا زال يخدم الرب بنشاط »(١)

القس شنوده حنا : ولد فى أسيوط سنة ١٨٥٥ من أبوين تقيين فاضلين ، وكان والده حنا اسحق موظفا بمديرية أسيوط ، التحق شنوده فى سن الخامسة بكتاب العريف دوس وهو نفس الكتاب الذى درس فيه تادرس شنوده المنقبادى مؤسس جريدة مصر ــ لتلقى المزامير ومبادى القراءة ثم رسم شماسا فى الكنيسة الأرثوذكسية وظل فى الكتاب حتى جاء الدكتور يوحناهوج وافتتح مدرسة صغيرة فالتحق بها مع أخيه ثم انضم لعضوية الكنيسة الانجيلية سنة ١٨٦٨ .

وقد كان رئيسا لجمعية قراءة الكتاب المقدس التى كانت تجتمع فى منزل الخواجه حنا و يصا من كبار أعيان اسيوط وواصل دراسة العلوم ثم درس اللاهوت ثم جال يبشر فى معظم بلاد الصعيد وتزوج سنة ١٨٧٣ وفى سنة ١٨٧٥ عين مبشرا بسنورس بمديرية الفيوم ثم رسم قسا سنة ١٨٧٦ وأسس بمعاونة المرسل الدكتور هارفى مدارس للبنين والبنات وشمل نشاطه الدينى بلاد مديرية الفيوم .

كان خطيبا مفوها قال عنه الدكتور هوج « ان خطاب التلميذ شنوده حنا لا يقل عن أى طالب من أكسفورد (٢) وكان صاحب فكاهة لطيفة ، ومن أمثلتها أنه ذهب الى احد الصاغة الذى باع اليه قطعة من الحلى وقد نقص وزنها فى ستة أشهر نحو الثلث المفروض وقت الشراء ، وقد اجابه الصائغ عند سؤاله انه نقص مع مرور الزمن فأجابه القس شنوده بابتسامه لها معناها أى انه بعد وقت يسيط تتطلع السيدة فترى أن حليها قد طار من يدها فخجل الصائغ واعترف بخطيئته ثم تاب وصار عضوا نافعا فى كنيسته (٣) . وقد انجب ابناء درس اثنان منهم فى جامعات امريكا وتوفى فى الخامسة والستين من عمره .

---

(١) نفس المرجع ص ٦٩ عن الكتاب (The American Mission in Egypt) للدكتور وطسن
(٢) نفس المرجع ص ٧٦
(٣) اليوبيل الماسى ص ٧٧

ـ ((الفصل الثانى)) ـ

الفئة الثانية : الطبقة العليا

تشمل : (الأعيان وكبار الموظفين)

حين جاءت الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر كان كثير من الأقباط يمتلكون ثروة ضخمة كما كان منهم كبار المباشرين أو رؤساء كتبة الدواوين وقد وصلوا إلى هذه المناصب واستمروا بها بسبب علمهم ودرايتهم بالشئون المالية والادارية وحاجة الحكام اليهم ، أما الثروة فقد جمعوها من مصدرين ــ المصدر الأول العمل مع المماليك مثل جرجس الجوهرى الذى كان كبير المباشرين أى رئيس كتبة الدواوين وهو منصب يعادل وزير الخزانة فى الوقت الحاضر ومثل يعقوب حنا (المعروف بالجنرال يعقوب) فقد كان مدير مالية سليمان بك اغا الانكشارية ، أما المصدر الثانى للثروة فهو التجارة على نطاق كبير مثل أنطون ابى طاقية الذى كانت له تجارة واسعة تدر ربحا كبيرا ، ذهب إليه بونابرت فى أيام الاحتلال الفرنسى لمصر فى منزله بحارة السقائين بالقاهرة ليستعين بأمواله فانتزع أنطون طاقيته من فوق رأسه ليكيل بها الذهب لبونابرت حتى يستوفى مطلوبه (١) ، وهذا دليل على عظم ثروة أبى طاقية من جهة كما ينهض دليلا على رغبة أبى طاقية فى عدم إرهاق الشعب المصرى من جانب الفرنسيين من جهة أخرى ، وقد كتب بونابرت صكا بالقرض وقدره مليون وثلاثمائة الف فرنك ، ومن الذين جمعوا ثروة ضخمة من التجارة مع السودان غبريال شنوده كبير تجار أسيوط وقد عاصر الحملة الفرنسية ومحمد على ومن أحفاده حبيب باشا شنوده عمدة أسيوط سابقا ، فالتجارة مع السودان عن طريق الدرب الأربعينى تفسر لنا إلى حد بعيد سر ثراء أقباط اسيوط . و يبدو ثراء كبار الأقباط فى القرض القبطى للجمهورية الفرنسية فان استيف المدير العام للايرادات فى عهد منو احتاج إلى مبلغ من المال رغم فرض ضرائب جديدة لم تسد حاجة الجيش وما يقوم به الفرنسيون من مشروعات ففاوض الجنرال منو يعقوب حنا فى عقد قرض بمليون ونصف مليون من الفرنكات فاتفق يعقوب مع أربعة من زملائه هم جرجس الجوهرى وانطون أبو طاقية وملطى وفلتاؤس على أن يقدم كل منهم ٣٠٠ ألف فرنك وقد تم القرض على أن يخصم من الضرائب المطلوبة من المديريات الداخلة فى دائرة اختصاصهم الادارى وأعطاهم استيف سندات بقيمتها على الخزانة الفرنسية (٢) « ولا شك فى أن هذا القرض تصرف حكيم من جانب كبار الأقباط فلا يتعارض

---

(١) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين جـ ٤ ص ٩٥ ــ القاهرة سنة ١٩١١

(٢) لجنة التاريخ القبطى : الجنرال يعقوب واستقلال مصر ص ٣٠ القاهرة ١٩٣٥

اطلاقا مع وطنيتهم الصادقة فقد كان من أيسر الأمور على السلطات الفرنسية ان تصادر جميع ثرواتهم وتنتزعها قسرا عنهم كما انهم وضعوا نصب أعينهم ضمان استردادها مما يقومون بجمعه من الضرائب كما أن اتجاه السلطات الفرنسية إلى الأعيان ينأى بها عن إرهاق افراد الشعب المصرى .

كان جرجس الجوهرى كبير الاقباط ورئيس المباشرين في عهد الحملة الفرنسية على مصر وقد تقلد هذا المنصب بعد وفاة شقيقة ابراهيم الجوهرى في عهد ابراهيم بك ومراد بك و يعتبر ابراهيم الجوهرى أعظم شخصية في اقباط القرن الثامن عشر والى هذا الرجل وإلى شقيقه جرجس الجوهرى يرجع الفضل في كثير من المنشآت القبطية .

قال المرحوم جورجي ز يدان « كان للأقباط في اثناء دولة المماليك شأن كبير في مصالح الدولة فنبغ منهم في القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر رجال اشتهروا بالحزم والدراية ونالوا نفوذا عظيما عند الأمراء حتى كانت الأمور كلها إليهم منهم المعلم رزق اغا كاتب على بك الكبير والمعلم ابراهيم الجوهرى رئيس كتاب الامير ابراهيم بك ولهما تأثير كبير في تاريخ الأمة القبطية » (١)

وقد تحدثت بالتفصيل عن إبراهيم الجوهرى في الفصل الخاص بنشاط الأقباط الاجتماعى ، أما لماذا نتحدث عن ابراهيم الجوهرى الذى عاش ومات في القرن الثامن عشر فيذكر صاحب كتاب نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر سببين (٢) لذلك أولهما أن تأثير هذا الرجل على المجتمع القبطى مستمر فقد وقف الاملاك الواسعة والدور والحوانيت على الكنائس والأديرة والفقراء فلا يزال الاقباط ينعمون بخيرات هذا الرجل الى الآن فتأثيره عظيم جدا على المجتمع القبطى في القرن التاسع عشر ، وهو الذى استصدر فرمانا من السلطان العثمانى بالتصريح ببناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية ، والعامل الثانى هو أن اسمه يقترن باسم أخيه جرجس الجوهرى الذى كان عميد الاقباط بعده في عهد ابراهيم بك ومراد بك ثم في عهد الحملة الفرنسية على مصر واوائل عهد محمد على .

يقول الجبرتى : « ومات الذمى المعلم ابراهيم الجوهرى رئيس كتبة الأقباط بمصر وادرك في هذه الدولة بمصر من العظمة ونفاذ الكلمة وعظم الصيت والشهرة مع طول المدة ما لم يسبق لمثله من أبناء جنسه فيما نعلم ، وأول ظهوره من أيام المعلم رزق كاتب على بك الكبير ، ولما مات على بك والمعلم رزق ظهر امر المترجم وربما ذكره في أيام محمد بك أبى الذهب فلما انقضت ايام محمد بك وترأس ابراهيم بك قلده جميع الامور فكان هو المشار اليه في الكليات والجزئيات حتى دفاتر الروزنامة والميرى وجميع الايراد والمنصرف وجميع الكتبة والصيارف من تحت يده وإشارته ، وكان

---

(١) جورجي ز يدان : تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر جـ ١ ص ١٩٠ القاهرة سنة ١٩٠٢ .

(٢) توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر جـ ١ ص ٢١٦ القاهرة سنة ١٩١٠ .

من دهاقين العالم ودهاته لا يغرب عن ذهنه شيء من دقائق الأمور و يداري كل انسان بما يليق من المداراة ويحابي ويهادي و يواسي و يفعل ما يوجب انجذاب القلوب والمحبة ويهادي و يبعث الهدايا العظيمة والشموع الى بيوت الأمراء وعند دخول رمضان يرسل الى غالب ارباب المظاهر ومن دونهم الشموع والهدايا والكساوى وعمرت فى أيامه الكنائس وديور النصارى وأوقف عليها الاوقاف الجليلة والاطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والارزاق الدارة والغلال وحزن ابراهيم بك لموته وخرج فى ذلك اليوم الى قصر العينى حتى شاهد جنازته وهم ذاهبون به الى المقبرة وتأسف على فقده تأسفا زائدا » (١) (١٢٠٩)

أ) فى عهد الحملة الفرنسية

جرجس الجوهرى (عميد الاقباط) ــ يعقوب حنا (المشهور بالجنرال يعقوب) ملطى ــ انطون ابوطاقية ــ فلتيموس .

جرجس الجوهرى : كان رئيس المباشرين فى عهد ابراهيم بك ومراد بك وفى عهد الحملة الفرنسية على مصر وفى اوائل حكم محمد على ، تقلد هذا المنصب بعد وفاة شقيقه ابراهيم الجوهرى ، وكان مثل شقيقه فى علو الهمة ونفاذ الكلمة وفى اعمال البر بل كان شريكا لأخيه فى عمارة الكنائس والاديرة ومساعدة الفقراء ، يقول الجبرتى :

« ولما مات أخوه فى زمن رئاسة الامراء المصرية تعين مكانه فى الرئاسة على المباشرين والكتبة وبيده حل الأمور وربطها فى جميع الاقاليم المصرية نافذ الكلمة وافر الحرمة وتقدم فى أيام الفرنسيس فكان رئيس الرؤساء وكذلك عند مجىء الوزير والعثمانيين وقدموه وأجلسوه لما يسديه اليهم من الهدايا والرغائب حتى كانوا يسمونه جرجس افندى . ورأيته يجلس بجانب محمد باشا خسرو وبجانب شريف افندى الدفتردار و يشرب بحضرتهم الدخان وغيره و يراعون جانبه و يشاورونه فى الامور وكان عظيم النفس و يعطى العطايا و يفرق على جميع الأعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والأرز والكساوى والبن و يعطى ويهب . و بنى عدة بيوت بحارة الونديك والازبكية وانشأ دارا كبيرة وهى التى يسكنها الدفتردار الآن و يعمل فيها الباشا « محمد على » وابنه (ابراهيم باشا) الدواوين عند قنطرة الدكة . وكان يقف على ابوابه الحجاب والخدم (٢)

لقد عرف الفرنسيون عند احتلالهم مصر مكانته فأبقاه بونابرت فى منصب كبير المباشرين وقد اهداه جبة مزركشة ليلبسها فى أيام التشريفات (٣) ، وفى القاعة الشرقية بمتحف

(١) الجبرتى : جـ ٢ ص ٢٧٨ طبع القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

(٢) الجبرتى : جـ ٤ ص ١٣٤ طبع القاهرة سنة ١٣٢٢

(٣) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٢٨٢ القاهرة سنة ١٨٩٨ .

فرساى صورة للمعلم جرجس الجوهرى مع خمس صور ملونة لعظماء مصر فى عهده وهم الشيخ عبد الله الشرقاوى شيخ الجامع الأزهر والشيخ السادات والسيد البكرى والشيخ سليمان الفيومى والشيخ محمد المهدى الكبير ثلاثة على اليمين وثلاثة على اليسار وفى وسطهم نابليون واضعا إحدى قدميه على حجر من أحجار الأهرام مشيرا الى جنده » (١)

يعقوب حنا المعروف بالجنرال يعقوب : كان قبل مجىء الفرنسيين إلى مصر مدير مالية سليمان بك ، وقد جمع بكفاءته المالية والادارية ثروة ضخمة فأصبح ذا ممتلكات واسعة واموال وخدم وحشم ومستخدمين وقد اكتسب يعقوب باتصاله بالمماليك ميزتين الأولى خبرة فى الشئون المالية والادارية والثانية براعة فى الفروسية والطعن بالسيف عرف بها المماليك أنهم اعظم فرسان العالم ، وقد حارب إلى جانب مراد بك الترك وكان له نصيب من النصر الذى احرزه مراد بك ، كما ايد الفرنسيين فى قتالهم المماليك فحارب مراد بك وكان له نصيب من انتصار الفرنسيين على المماليك فى الصعيد فقد كانت وجهة نظره التأييد المؤقت للحكم الفرنسى فى مصر حتى تتاح الفرصة لتخليص البلاد من الحكم القائم وكان رأيه أن أى نوع من أنواع الحكم لا يمكن أن يكون اسوأ مما خضعت له مصر قبل قدوم بونابرت . (٢)

يقول المؤرخ نقولا الترك وكان شاهد عيان فى الحملة الفرنسية « كان عند الجنرال ديسيه من الاقباط المشهور ين يعقوب الصعيدى وهو رجل قوى الشكيمة مشهور بالفروسية والهمة العالية وهو الذى كان فى خدمة سليمان بك فلما آنس فيه الشجاعة وظهرت له قوته واستعداده قدمه الى بونابرت واطرى إخلاصه فقربه هذا اليه وأعجب ببسالته » . (٣)

وأبرزت الحملة الفرنسية على مصر مواهب يعقوب الحربية الممتازة و بسالته النادرة فاشترك مع ديزيه فى قتال المماليك فى الصعيد ، يقول عنه الضابط بليار « ان الشعب كان ينظر الى يعقوب كأنه السلطان الأعظم والقائد الذى احتل الصعيد » (٤)

و يقول صاحب كتاب بونابرت فى مصر : « وكان يركب الى جوار ديزيه رجل فذ لولا لباقته وكفايته وشجاعته لما استطاع ديزيه فى اغلب الظن — أن ينال ما نال من امجاد النصر رغم عبقريته كلها ، وذلك هو المعلم يعقوب القبطى ، الذى كان من الناحية الرسمية منوطا بجميع الضرائب فى مصر العليا ، ولكنه كان فى الواقع شريكا لديزيه فى قيادة حملته ، وكان المعلم يعقوب بن يوحنا ومارية غزال ، الذى كان اذ ذاك فى مستهل عقده الخامس اصلح مستشار لحملة

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر جـ ٢ ص ٢٨٨ .

(٢) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ص ٢٢ القاهرة سنة ١٩٣٢ .

(٣) نقولا الترك : ذكر تملك جمهور الفرنساو بين الديار المصرية .

(٤) لجنة التاريخ القبطى : الجنرال يعقوب واستقلال مصر القاهرة سنة ١٩٣٥ .

توجه ضد مراد الذى كان يعقوب يعرفه جيدا لأنه اشتغل من قبل ناظرا لدائرة زميل لمراد يدعى سليمان بك خبيرا بطبيعة البلاد وأهلها وله فى كل مكان صلات ، وفيه دهاء وحسن سياسة لا تجد له نظيرا حتى فى الجباة الاقباط ... وكان اهل الصعيد يسمون فرقة ديز يه « جيش المعلم يعقوب « الى أن يقول » والواقع انه مامن قرار اتخذه ديز يه خلال حملته كلها دون أن يستشير « القبطى » وهو لقب يعقوب فى الجيش » (١)

مركز يعقوب الأجتماعي : وصف فيفان دينون إحدى الحفلات التى اقامها يعقوب للقائد ديز يه وضباطه وأركان حربه وهى تدل على ثروة طائلة وجاه عظيم :

« حسب عادات البلاد كانت القاعات التى استقبلنا فيها مفروشة بالحصر والسجاد والارائك وعلى جدرانها المساند وقدم لنا الخدم الماء المثلوج الممزوج بالروائح العطر ية ثم الشبكات فالقهوة . و بعد نصف ساعة مد سماط كبير وصفت على جانبيه ثلاثة انواع او ار بعة من الكعك والفطير وصفت وسط السماط اصناف الفاكهة والمر بات والالبان وكان معظمها لذيذ الطعم وذا رائحة ذكية . وقد تذوقنا منها كلها حتى اتينا على مافى المائدة فى دقائق و بعد ساعتين وضع على السماط الخبز وطواجن الارز الدسم الممزوج باللبن وأنصاف الخراف المشو ية وأر باع العجول ورؤس هذه الاغنام مسلوقة واكثر من ستين طبقا كدست عليها عدة من انواع الخضر والفالوزج والفطائر والعسل النقى ، و بعد غسل الأيدى تطيبنا بماء الورد ثم قدمت الشبكات والقهوة وحل محلنا على السماط فر يق من أهل البلاد ثم أتى بعدهم غيرهم و بعد ذلك جاء دور الخدم والحشم حتى اتوا على آخره .

« وفى الواقع ان يعقوب كانت له حاشية كبيرة تضم أمناء اسرار وصيارفة ورؤساء خدم وحجابا يحملون العصى ذات الايدى الكرو ية من ذهب او فضة وقواصة يفسحون الطر يق امامه وغيرهم من الخدم الذين يؤدون الخدمات الصغيرة فخادم للشباك وآخر للركاب، وثالث للمباخر.. الخ و يتراوح عددهم بين ثمانين ومائة وكان يملك الجياد والبغال التى تحمل الاثقال والجمال والسرج المطعمة بالمعادن الثمينة وفى منزله كثير من النساء الخادمات اللاتى يقمن بالخدمات المنزلية والجوارى السودانيات والحبشيات (٢) .

انطون ابو طاقية : أحد مشاهير الاقباط من ذوى الثراء العظيم عند مجيء الحملة الفرنسية الى مصر وكانت تجارته واسعة تأتى بأر باح عظيمة عينه الفرنسيون حاكما لاقليم الشرقية فحاسبا للحكومة فقام بما عهد اليه خير قيام وقد رفع كثير من الضرائب عن عاتق الاهلين فأغضب

---

(١) ج كوستوفر هيرولد (ترجمة فؤاد اندراوس ومراجعة الدكتور محمد احمد انيس : بونابرت فى مصر ص ٣٢٩ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٢) لجنة التاريخ القبطى : الجنرال يعقوب واستقلال مصر طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٥ ص ٣٤ ، ٣٥

الفرنسيين فالقوا القبض عليه وحبسوه في القلعة والزموه بدفع المبالغ التي نقصت من حساب (٢) البلاد فدفعها من ماله الخاص .

وقد لقب بأبي طاقية لان بونابرت عندما احتاج إلى المال لسد نفقات جيشه بعد قطع الاتصال بين مصر وفرنسا .. زاره في منزله بحارة السقايين بالقاهرة فخلع انطون طاقيته وأخذ يكيل بها الذهب لبونابرت حتى استوفى حاجته وهناك رأى آخر يذهب الى أن هذا اللقب يعزى الى ان والده سليمان كان يشتغل بتجارة الطواقي (٢)

وحدث بعد أن خرج الفرنسيون من مصر ان قبض العثمانيون على ثلاثة من عظماء القبط وقتلوهم وهم المعلم انطون والمعلم ابراهيم زيدان والمعلم عبد الله بركات .. يقول الجبرتي « وقد بدأوا باحضار تركة انطون أبي طاقية فوجد له موجود كثير من ثياب وامتعة وجواهر ومصاغ وغيرها جواري سود وحبوش وساعات واستمر المزاد في ذلك عدة ايام » (٣)

وقد طالب حفيده الحكومة الفرنسية برد المبلغ الذى أقرضه جده انطون ابوطاقية لبونابرت الذى كان قد كتب صكا عليه بمبلغ مليون وثلاثمائة الف فرنك فسافر حفيده ابراهيم عوض ابوطاقية في مارس سنة ١٨٥٣ الى باريس واتفق مع محام فرنسي شهير وقدم المستندات وتفاوض عن طريق محاميه مع وزارة الخارجية الفرنسية وقابل نابليون الثالث سنة ١٨٥٤ فأكرم وفادته ووعد ببحث الموضوع واعجب بهمته . ثم قابله للمرة الثانية سنة ١٨٥٥ فأبلغه نابليون الثالث قرار حكومته وفعلا صدرت اوامر وزارة الخارجية الفرنسية في مايو سنة ١٨٥٥ الى قنصليتها بالاسكندرية باعتماد ذلك ، وهذه صورة الكتاب الذى كتبه اليه نابليون الثالث بخط يده قال بعد الديباجة :ـــ

« نتأسف كثيرا بأن نفيدكم عن المبلغ الذى تطالبون به حكومتي وسبق تور يده من جدكم الاعلى الى الجيش الفرنسي بأنا لا تستطيع الموافقة على إجابته لمخالفته للقوانين العامة بمضي زمان استحقاقه ولاعتباره في نظر حكومتي انه بمثابة ضريبة فرضت على الاقباط واخذت من المعلم انطون ابوطاقية والدكم ومع ذلك اصدرنا امرنا الى حكومتنا بأن تدفع لكم ما تكبدتموه من النفقات وقدرناها بأربعة الاف وخمسمائة ليرة فرنسية فاستلموها من وزارة الخارجية مع فرمان الرعوية لكم ولذريتكم من بعدكم »

الامضاء

نابليون الثالث

---

(١) رمزى تادرس : الاقباط في القرن العشرين ـــ الجزء الرابع ص ٩٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٩٥ .

(٣) الجبرتي جـ ٣ ص ٣٢٤ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .

(٤) رمزى تادرس : الاقباط في القرن العشرين ـــ الجزء الرابع ص ٩٤

وقد تسلم ابراهيم ابوطاقية هذا المبلغ من وزارة الخارجية الفرنسية وعاد الى القاهرة .

المعلم ملطى : كان كاتبا عند أيوب بك الدفتردار من مماليك محمد بك أبى الذهب (١) و يذكر صاحب الخريدة النفيسة أن الكنيسة القبطية الكبرى بالاز بكية بنيت فى ملكه وملك المعلم يعقوب (٢) . وعند مجىء الحملة الفرنسية إلى مصر اسند بونابرت إليه رئاسة محكمة القضايا لسداد رأيه ونزاهته . يقول الجبرتى عن ديوان القضايا « ورتبوا فيه ستة انفار من النصارى القبط ، وستة انفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا عند ايوب بك الدفتردار وفرضوا اليهم القضايا فى امور التجار والعامة والموار يث والدعاوى » (٣) .

و بعد جلاء الفرنسيين عن مصر ، القى الوالى العثمانى القبض على ملطى وقتله .

المعلم فلتيوس : كان من مشاهير الأقباط عند مجىء الحملة الفرنسية على مصر ، اسند اليه الفرنسيون الادارة المالية لاقليم الغربية (٤) ، وقد حضر مع المعلم جرجس الجوهرى وكبار المشايخ الاحتفال بعيد الفرنسيين . يقول الجبرتى : « ولبس المعلم جرجس الجوهرى كركة بطرز قصب على اكتافها الى اكمامها وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار وكذلك فلتيوس » (٥) وقد تعرض فى عهد محمد على الى نفيه مع المعلم غالى إلى دمياط لعدم دفعهما المبالغ المطلوب تحصيلها .

ب) فى عهد محمد على

من اليسير أن يدرك دارس التار يخ ان طبقة الأعيان تكاد تتلاشى فى عهد محمد على فقد احتكر محمد على مصادر الثروة فكان المالك الوحيد لاراضى مصر وكان التاجر الوحيد لحاصلاتها ثم صار الصانع الوحيد لصناعاتها ، التجارة الخارجية مصدر الكسب احتكرها محمد على ، مصادر الثروة كلها فى يده فمن أين يكون الثراء ؟ لقد أوجد محمد على طبقة من الاقطاعيين بمنحه الشفالك لأفراد أسرته والأبعديات لرجال حكومته وانصاره من الأتراك والشراكسة فيبدو من النادر ان يخص الاقباط بهذه الاقطاعيات ، هذا الامر النادر يبدو مثاله فى منح محمد على رئيس دواو ينه المعلم غالى أبعدية بمركز منقلوط بمدير ية اسيوط فكانت تعرف فى تلك الجهات قبل بيعها منذ سنين بأبعدية حليم بك غالى وهو حفيد المعلم غالى .

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر جـ ٢ ص ٣١٤ سنة ١٩١٣
(٢) الراهب البرموسى (الاسقف ايسيذورس) الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة جـ ٥ ص ١٣٠ القاهرة سنة ١٩٠٩
(٣) الجبرتى : جـ ٣ ص ٢٠ ــ القاهرة ١٣٢٢ هـ
(٤) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشر ين الجزء الثانى ص ٤١
(٥) الجبرتى : الجزء الثالث ص ١٩ ــ القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

اما من ناحية المناصب فكان من الأقباط كبار المباشرين ، كما عين محمد على حكاما للأقاليم من الأقباط .

ـ ((كبار الاقباط فى عهد محمد على)) ـ

المعلم غالى وابنه باسليوس بك ـ غبريال شنوده ـ الحكام الاقباط

المعلم غالى: كان كاتب محمد بك الالفى من امراء المماليك وكان متوقد الذكاء ويجيد التكلم باللغة التركية ، استد اليه محمد على منصب كبيرالمباشرين بعد غضبه على جرجس الجوهرى وكان المعلم غالى يسهل لمحمد على أمر تحصيل الضرائب هذا الامر انقلب وبالا عليه فى النهاية ، وقد ادرك محمد على أن فى البلاد مساحات شاسعة تزرع دون ان يدفع عنها ضرائب فأنشأ مصلحة المساحة (التاريع) وقام بمسح جميع اراضى مصر من سنة ١٨١٣ الى سنة ١٨١٨ وقسم الاراضى الى احواض واوجد زماما لكل قرية او بلد ، وكان جشع محمد على فى تحصيل الضرائب لا يقف عند حد فتعرض المعلم غالى وبعض زملائه المباشرين للقبض عليهم والعزل والحبس والنفى إلى دمياط فقد طالبه الوالى بألف كيس فوزعها على المباشرين وجمعها على جناح السرعة الا ان هذه السرعة اثارت الشك فى نفس محمد على فأتت بعكس ما كان يتوقعه المعلم غالى فجلب عليه الضرر ، يقول صاحب تاريخ الامة القبطية « فان الباشا بعد قليل أوقع الحوطة على بيته وبيت المعلم جرجس الطويل وحنا اخيه وفرنسيس اخى المعلم غالى والمعلم فلتاءوس واثنين آخرين واخرجوهم منها بصورة منكرة وسمروا على دورهم واخذوا دفاترهم فلما حضروا بين يديه قال لهم اريد حسابكم بموجب دفاتركم هذه وأمر بحبسهم والا يدفعوا ثلاثين الف كيس وبعد ايام افرج عنهم بواسطة شخص يسمى حسين افندى الروزنامجى على شرط ان يدفعوا سبعة الاف كيس فقاموا بدفعها » (١) وقد حدث بعد ذلك ان نفى المعلم غالى بدمياط ثم اعاده الى منصبه وقد تكرر حدوث هذا من محمد على فيغضب على المعلم غالى فيعزله من منصبه ثم يعيده إلى منصبه .

مقاومة طغيان محمد على: كان جشع محمد على فى المطالبة بمزيد من الضرائب لا يقف عند حد ، هذا الجشع جعل جرجس الجوهرى رئيس المباشرين يتعرض لغضب محمد على عليه فكان اذا أظهر جرجس الجوهرى صعوبة جمع الضرائب المطلوبة جاء المعلم غالى فييسر الأمر لمحمد على . يقول الجبرتى : « ولم يزل على حالته حتى ظهر المعلم غالى وتداخل فى هذا الباشا وفتح له الابواب لأخذ الأموال والمعلم جرجس يدافع فى ذلك واذا طلب الباشا طلبا واسعا منه

---

(١) يعقوب نخلة روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٢٩٩ ـ القاهرة سنة ١٨٩٨ .

يقول له هذا لا يتيسر تحصيله فيأتي المعلم غالي فيسهل له الأمور و يفتح له أبواب التحصيل فضاق خناق المعلم جرجس وخاف على نفسه فهرب الى قبلي » (١) .

و يعلل صاحب تاريخ الأمة القبطية سبب خوفه وهربه إلى الوجه القبلي انه كثرت معارضته لمحمد علي وتوقف عن تحصيل النقود التي كان محمد علي في أشد الحاجة (٢) إليها فقبض عليه وعلى من معه من المباشرين الأقباط بحجة أنه في ذمته مبالغ متأخرة من حساب التزامه وأنه دعا المعلم غالي كاتب الألفي وأسند إليه الرياسة مكانه و بعد ما راجع المعلم غالي حساب الجوهري أمر الوالي بالافراج عنه بشرط دفع مبلغ طائل فرضه عليه فاضطر بسبب ذلك الى بيع كثير من ممتلكاته في الازبكية وقنطرة الدكة ثم لجأ الى الوجه القبلي حيث كان الامراء المماليك ، و يقال ان محمد علي نفاه و بعد ان قضى اربع سنوات في الصعيد اذن له محمد علي بالعودة الى القاهرة في نوفبر سنة ١٨٠٩ . هذه قصة مقاومة عميد الاقباط وكبيرهم جرجس الجوهري لطغيان وجشع محمد علي ، واذا كان كبير الاقباط بعده وهو المعلم غالي قد امد محمد علي في طغيانه أول الامر بتسهيل جمع الضرائب وفي ذلك ارهاق الاهلين بالضرائب إلا انه لم يلبث ان وجد نفسه امام طاغية لا يتوقف جشعه عند حد فتعرض المعلم غالي للسجن والنفي .

وفي مايو سنة ١٨٢٢ أطلق ابراهيم باشا رصاص غدارته على المعلم غالي في زفتى امام ابنه طوبيا (٣) فخر صريعا وهكذا لقى المعلم غالي جزاء سنمار بعد أن أدى أجل الخدمات لمحمد علي ولابراهيم باشا قاتله .

وقد بقيت جثته ملقاة مدة يومين لايجرؤ أحد على القيام بدفنها حتى استأذن رزق اغا حاكم الشرقية في دفنها فأقيمت الصلاة على المعلم غالي بكنيسة زفتى القبطية ثم دفن بجوارها (٤) .

و يذكر صاحب تاريخ الأمة القبطية ان قتل المعلم غالي لاسباب لا تزال حقيقتها خافية علينا (٥) ولعل الرأي الصحيح هو مقاومة المعلم غالي لجشع ابراهيم باشا لرغبته في دفع ضرائب على النخيل ، ولقد رفض المعلم غالي رفقا بالاهلين وعدم ارهاقهم بتعدد الضرائب ولكن ابراهيم باشا أصر على فرض ضرائب فطلب المعلم غالي ان يعرض الراى على افندينا الكبير يقصد (محمد علي) فما كان من ابراهيم إلا أن أجابه بإطلاق رصاص مسدسه فخر المعلم غالي صريعا . (٦)

---

(١) الجبرتي جـ ٤ ص ١٣٤ ــ طبع القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

(٢) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٢٨٦

(٣) الانبا الكسندرس (مطران الكاثوليك باسيوط) : تاريخ الكنيسة القبطية الجزء الثاني ص ٨٩ ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

(٤) رمزى تادرس : الاقباط في القرن العشرين جـ ٣ ص ٥٦

(٥) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٣٠١

(٦) سمعت هذا الرأى من الدكتور كمال رزق وهو حفيد رزق أغا حاكم الشرقية الذى قام بتشييع جنازة غالي في زفتى

باسيليوس بك : كان للمعلم غالى ثلاثة اولاد ذكور هم باسليوس وطوبيا ودوس ، ولما قتل المعلم غالى استدعى محمد على ابنه الاكبر باسليوس ووجه اليه سؤالا فى غاية الغرابة : أأنت حزين لموت أبيك ؟ فأجابه : لم يمت ابى مادام مولاى الأمير حيا « وفى رواية اخرى » حاشا لله ياسيدى أن اعرف لى أبا غير افندينا (١) فأعجب محمد على بباسليوس وعينه مدير حسابات الحكومة المصرية وأنعم عليه بلقب بك وهو اول من منح هذا اللقب من الاقباط وقد بقى باسليوس بك فى منصبه حتى وفاته .

غبريال شنوده : يمثل أصحاب الثروة من التجار ، فقد ظهر هذا الرجل فى أواخر القرن الثامن عشر ، اشتغل بالتجارة مع السودان وراجت تجارته بطريق القوافل التى كانت تسير فى الدرب الاربعينى بين اسيوط ودارفور (فى اربعين يوما) وقد امتلك ثروة واسعة فى اوائل القرن التاسع عشر ودليل ذلك أنه عندما احتاج محمد على إلى مبلغ من النقود وطلب من سليم باشا السلحدار مدير اسيوط ان يجمع له من تجارها مبلغ خمسة وعشرين الف جنيه فتقدم غبريال شنوده ليدفع هذا المبلغ وحده عن نفسه وعن زملائه التجار (٢) ومن احفاده حبيب باشا شنوده عمدة اسيوط سابقا .

ـ(الحكام الاقباط فى عهد محمد على)ـ

عين محمد على حكاما على الاقاليم وهم رؤس اسر كبيرة فى القرن التاسع عشر بل وفى القرن العشرين ايضا وهؤلاء الحكام هم :ـ

١) **رزق اغا حاكم الشرقية :** من اسرة عريقة ظهرت فى القرن الثامن عشر وكان عميدها رزق اغا شخصية قوية وهو حفيد المعلم رزق رئيس الدواوين فى عهد على بك الكبير وهو الذى كان يقف وراءه فى حركة الاستقلال عن الدولة العثمانية ، عينه محمد على حاكما لاقليم الشرقية وقد اظهر كفاءة الحاكم النشيط الساهر على حفظ الامن ، وكانت الحكومة قد اعتمدت عليه من قبل فى جباية الضرائب قبل تعيينه حاكما ، وفى مارس سنة ١٨٢٢ نزل ابراهيم باشا والمعلم غالى ضيفين عليه ثم حدث عقب هذه الزيارة ان ابراهيم باشا غضب على المعلم غالى فأطلق عليه رصاص مسدسه فأرداه قتيلا فى ٥ مايو سنة ١٨٢٢ ، وأمر أن تلقى جثته على قارعة الطريق ، ومع ان المعلم غالى كان بمثابة وزير المالية لمحمد على ، وانه كان كبير المباشرين وعميد الاقباط لم يجرؤ احد على حمل جثته حتى بلغ الخبر رزق اغا فقام على الفور ووصل الى زفتى ودخل على إبراهيم باشا وكان فى اشد حالات الغضب (٣) وطلب منه أن يؤذن له بحمل

---

(١) كامل صالح نخله وفريد كامل : خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٥٥

(٢) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الثالث ص ٧٢ القاهرة سنة ١٩١١

(٣) نفس المرجع الجزء الثالث : ص ٥٦

الجثة فأجابه الى طلبه وامر رزق رجاله بحمل الجثمان الى الكنيسة القبطية بزفتى حيث اقيمت عليه الصلاة ودفن بجوارها ، وقد لبث رزق اغا فى منصبه إلى أن توفى الى رحمة الله وتقيم اسرته الآن فى ميت يعيش والقاهرة .

٢) **مكرم اغا حاكم اطفيح بمديرية الجيزة :** عينه محمد على حاكما لقسم اطفيح بمديرية الجيزه وقد برزت قوة شخصيته بين الاهالى وكان مرهوب الصولة وقد اشتهر بالشهامة والكرم ، انتخب ابنه خليل بك مكرم عضوا فى الجمعية العمومية ومجلس شورى القوانين ، وعين حفيده سعد بك مكرم عمدة للاقواز بمركز الصف (١) .

٣) **ميخائيل أغا حاكم الفشن :** اتصف بالشهامة والكفاءة وأحرز ثروة كبيرة وجمع بين محبة المواطنين وثقة الحكومة باخلاصه فعينه محمد على حاكما لقسم الفشن ثم منحه وساما رفيعا مكافأة له ثم منحه وساما اخر فلقبه المواطنون (ميخائيل أبو نشانين) وعندما زار محمد على الصعيد زاره فى داره وأخذه فى معينه الى اسوان فنال مكانة عالية بين المواطنين والحكام وقد لبث فى منصبه الى ان توفى الى رحمة الله وقد أنجب ابنا هو سعد بك ميخائيل الذى صار عمدة للفشن (٢) .

٤) **بطرس أغا حاكم برديس :** عميد اسرة البطارسة من بلدة الشيخ مرزوق باقليم جرجا ، عينه محمد على ناظر شون الغلال ثم عينه بعد ذلك حاكما لاقليم برديس وقد أظهر شجاعة ونشاطا وكفاءة فعول عليه محمد على فى توطيد الأمن وأصدر أمره اليه بأن يطلق سيفه فى عنق من يخالف من أهاليها (٣) ونال ثقة محمد على فأبقاه فى منصبه الى يوم وفاته .

كبار الاقباط فى عهد عباس الأول وسعيد واسماعيل

جاد شيحه وابنه دميان بك ــ عريان تادرس ــ واصف خياط

جاد شيحه وابنه دميان بك : كان جاد شيحه معاونا أول لديوان التفتيش فى عهد عباس الاول وسعيد ، و يعتبر كبير الأقباط فى عهد عباس الأول وهو الذى تولى مفاوضة الوالى فى اختيار بطريرك خلفا للبابا بطرس الجاولى فكان القبطى الذى ظهر على مسرح المفاوضات مع عباس الأول بشأن انتخاب البطريرك رغم انه لم يكن مؤيدا انتخاب أبى الاصلاح كيرلس الرابع ولعل السبب فى خروج جاد شيحه عن إجماع الرأى العام القبطى فى انتخاب كيرلس الرابع (٤) وترشيح اسقف جرجا هو تأييده للوالى عباس الاول الذى أكد له أصحاب

---

(١) نفس المرجع : ص ٥٩

(٢) نفس المرجع : ص ٦٤

(٣) نفس المرجع : ص ٨٢

(٤) ميخائيل بك شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ــ الجزء الرابع ص ١٢٦ .

الزايرجات بسوء الطالع إذا تم انتخاب ابى الاصلاح كما مر بنا فى الفصل الأول الخاص برجال الدين ، وقد انجب جاد شيحه ابناء نافعين لوطنهم وكنيستهم فنهم ميخائيل بك جاد الذى تبرع بقطعة الأرض التى بنيت عليها كنيسة الفجالة سنة ١٨٨٤ ولا تزال الحارة المجاورة للكنيسة تحمل اسم ميخائيل جاد الى اليوم ومنهم دميان بك جاد شيحه الذى تدرج فى مناصب الحكومة حتى صار باشكاتب المالية فدير حساباتها فنحه الخديو اسماعيل لقب البكوية (١) وتوفى سنة ١٨٧٨ ، يقول عنه على باشا مبارك « ومع تقدمه وقبوله التام لدى الخديو ووزرائه وأمراء الحكومة كان على غاية من التواضع محبا للجميع مسعفا لقاصديه من أى جنس » (٢) .

عريان بك تادرس : كان والده محاسب الحكومة المصرية فى اواخر حكم محمد على ثم نفى الى السودان مع رفاعه بك الطهطاوى (٣) و يعتبر عريان بك تادرس عميد الاقباط فى اواخر حكم اسماعيل (٤) وقد تولى عريان بك تادرس ديوان المالية فى عهد سعيد باشا وكان شخصية محترمة من الأمراء والوزراء واشتهر باعمال البر و يرى القارىء ما كتبه على باشا مبارك عن مبراته فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الاجتماعى من هذه الرسالة .

واصف خياط : احد عظماء الصعيد فى القرن التاسع عشر ، كان والده حنا خياط من كبار تجار اسيوط ومن العصاميين الذين شقوا طريقهم إلى الثراء والمجد باجتهادهم وكدهم وواصف خياط اول من اعتنق البروتستانتية فى اسيوط سنة ١٨٦٥ وعاونها بقلبه وثروته فهو الذى نزل الدكتور يوحنا هوج المرسل الاسكتلندى التابع للارسالية الامريكية ضيفا فى بيته وخطا معه أول خطوة للبروتستانتية على ارض اسيوط وكان واصف خياط من رجال البر والخير ، انشأ اول مدرسة لتعليم البنات فى الصعيد ووقف لها مائة فدان ولا تزال تحمل اسمه الى اليوم (مدرسة الخياط ــ الواصفية (٥) وقد كانت عاملا هاما فى ترقية ربة البيت ورفع منار العلم بين البنات

وقد أنجب واصف خياط رجالا عظماء منهم رجل البر بسطوروس خياط ومنهم الوطنى المخلص جورج بك خياط الذى ناصر الحركة الوطنية سنه ١٩١٩ م وأحد الوطنيين السبعة الذين حكم عليهم الانجليز بالاعدام سنه ١٩٢٢ م ثم خفف هذا الحكم .

---

(١) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الرابع ص ٩٩ القاهرة سنة ١٩١١

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية (الجزء السادس) ص ٦ المطبعة الاميرية ١٣٠٥ هـ

(٣) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين ــ الجزء الثالث ص ٥٨

(٤) نفس المرجع ص ٥٨

(٥) نفس المرجع ص ٧٧

عهد اسماعيل

كان الخديو اسماعيل أكثر الولاة من أسره محمد على تسامحا فلم يكن يفرق بين ابناء الوطن الواحد فعين من الأقباط واصف بك عزمى كبير التشر يفاتية كما عين الخديو اسماعيل عبد الله بك سرور مديرا للقليوبية وجرجس وصفيي القيشاوى سكرتيره الخاص وفى عهد الخديو اسماعيل اندمج الاقباط فى بناء الدولة فالجزية الغيت بفرمان سنه ١٨٥٥ فى عهد سعيد باشا وتجنيد الأقباط بدأ فى عهد سعيد باشا ثم تعثر فى سيره لعدم تنظيمه .

ولقد أعيد تجنيد الأقباط بصوره منتظمه فى عهد الخديو إسماعيل .

وقد تحدث الخديو اسماعيل مع نوبار باشا عن انتخاب مجلس شورى النواب فقال له : «عندنا أقباط أيضا بين المنتخبين وقد فتحنا الأبواب للمسلمين والأقباط بدون تمييز. (١)

الاعضاء الأقباط فى مجلس شورى النواب سنة ١٨٦٦ — الانتخابات الاولى للمجلس فى الأعضاء الاقباط : —

١) جرجس برسوم عمدة بنى سلامة (من نواب بنى سويف والفيوم)
٢) ميخائيل اثناسيوس عمدة أشروبة (من نواب المنيا وبنى مزار) (٢)

وقد اورد الاستاذ عبد الرحمن الرافعى اقتراحا لميخائيل افندى اثناسيوس بالغاء نظام العهد فقوبل اقتراحه بالاستحسان » (٣)

---

(١) محفوظات عابدين : القسم الاوربى خطاب بتاريخ ١٨ فبراير سنة ١٨٦٦ سجل ٣٤٨٢ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل الجزء الثانى ص ٨٣ وص ٨٤ .
(٣) نفس المرجع ص ٨٤ — قال المؤرخ عبد الرحمن الرافعى عن نظام « العهد » ان الحكومة فى عهد محمد على كانت تعهد الى بعض الاعيان والمأمورين ورجال الجهادية بجباية ضرائب بلاد بأكملها ممن كان اهلها غير قادرين على زراعة جميع زمامها او متأخرين فى سداد مالها فكان المتعهدون يتكفلون بسداد — الضريبة من مالهم الخاص اذا لم يجبوها من الاهلين وقد ادى هذا النظام الى أرهاق الفلاحين لأن المتعهدين كانوا يسخروتهم لمصالحهم الخاصة فالغته الحكومة سنة ١٨٥٠ اذ أصدرت امرها باسترجاع البلاد من المتعهدين ثم عاد العمل به فى اوائل اسماعيل فضج الناس من مساوئه

الهيئة النيابية الثانية

انتخابات سنة ١٨٧٠

كان بين المنتخبين النواب الأقباط : ـــ

١) المعلم فرج عمدة دير مواس (من نواب أسيوط)

٢) حنا افندى يوسف عمدة نزلة الفلاحين (من نواب مديرية المنيا و بنى مزار)

الهيئة النيابية الثالثة (من سنة ١٨٧٦ الى أوائل عهد توفيق باشا

كان بين المنتخبين النواب الاقباط : ـــ

١) حنا يوسف عمدة نزلة الفلاحين (من نواب المنيا و بنى مزار)

٢) ميخائيل فرج عمدة دير مواس (من نواب اسيوط)

٣) عبد الشهيد بطرس « البلينا » ـــ (من نواب جرجا) (١)

من عهد اسماعيل الى اوائل القرن العشرين

اوضحت ان طبقة الاعيان كادت تتلاشى فى عهد محمد على لانتزاعه جميع مصادر الثروة من أيدى الناس وجعلها فى قبضته ، فاحتكر التجارة الخارجية وصار المالك لكل اراضى مصر, واحتكر الصناعة فالمصانع كانت كلها ملك الدولة فلم تقم للناس ملكية فردية إلا باللائحة السعيدية سنة ١٨٥٨ وقد كانت ملكية ناقصة ثم صدر قانون المقابلة فى عهد الخديوى اسماعيل ، وفى عهد هذا الخديوى نشطت التجارة واصبح عدد من الأفراد يمتلكون اراضى زراعية واسعة و يقومون بالتجارة على نطاق كبير ثم تقدمت حركة امتلاك الاراضى الزراعية وانشاء المصانع وان كانت رؤس الاموال الاجنبية قد غزت مصر مع الغزو الاجنبى للوطن الا اننا نجد اسرا بلغت حدا مرموقا من الثراء بالتجارة والزراعة ، ومن الامثلة على تضخم الثروة عند بعض الاعيان الاقباط فى عهد الخديوى اسماعيل ما قام به بشاره عبيد كبير اقباط قنا من اعداد الزينات البديعة عندما زاره الخديو اسماعيل ومعه الامبراطورة اوجينى على مسيرة اربعة كيلومترات من النيل إلى قصر بشاره عبيد وفرش الطريق بالطنافس الثمينة ثم جلوس الخديوى والامبراطورة على عرشين جوانبهما من الذهب الخالص (٢) ، وفى عهد الخديوى توفيق ظهر ثراء اسرة و يصا باسيوط على سبيل

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل الجزء الثانى ص ١٥٠ وص ١٥١ القاهرة سنة ١٩٤٨ .

(٢) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الثالث ص ٨٥ ـــ القاهرة سنة ١٩١١ .

المثال ، هذه الأسرة انشأت فى سنة ١٨٩٦ فى عهد عباس حلمى الثانى فابريقة لعصر قصب السكر وتكريره فى بنى قرة بمحافظة اسيوط وهنا نجد اتجاه اعيان الأقباط نحو الصناعة فأصبحت مصدرا ثالثا للثراء بعد ان ازدهرت الزراعة وتقدمت التجارة وفى سنة ١٨٩٨ كانت تمتلك اسرة ويصا باسيوط ١٢ الف فدان ونرى من الاقباط من ينشيء بنكا لاقراض النقود (بنك البكوات بشرى حنا وميتوت حنا باسيوط) .

وقد سجل صاحب كتاب الاقباط فى القرن العشرين (فى الجزء الأول) المطبوع سنة ١٩١٠ بيانا لأفراد الأسر القبطية التى كانت تمتلك ثروة عظيمة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين اى الى سنة ١٩١٠ وهى السنة التى طبع فيها الكتاب وهذا البيان يشتمل على الاغنياء من الافراد او الاسر التى تتراوح أطيانها بين الفى فدان و٣٠ الف فدان وانا لا اوافق على هذه المبالغة فى تقدير الأطيان وان كنت اوافق على اعتبار هذه الاسر او هؤلاء الأفراد من الأثرياء فى مصر.

اسماء الافراد والاسر	مواطنهم	اسماء الافراد والاسر	مواطنهم
آل و يصا بقطر	اسيوط	عائلة سوريال	الجديدة شرقية
البطارسة	البليتا	عبد المسيح بك موسى	اكياد شرقية
آل عبيد	قنا	الخواجه واصف جرجس	المنصورة
خليل بك ابراهيم	القاهرة	آل الملاخ	جرجا واسيوط
بشرى بك وسينوت بك)			
وراغب بك حنا	اسيوط	آل علم	اسنا
الخواجة اندراوس بشاره	الاقصر	عائلة عبد الشهيد	نزلة الفلاحين (المنيا)
اخوان اقلاديوس ومشرقى			
عبد النور	جرجا	آل الخياط	اسيوط
بولس بك حنا	أرمنت	ناشد بك حنا	اشروبه المنيا
عائلة المرحوم بطرس باشا	القاهرة	اخوان الياس بشاى	أسيوط
سعيد بك عبد المسيح	المنيا	الخواجه ميخائيل فلتس	صنبو
الخواجه حنا صالح نسيم	الفيوم	حبيب سوريال	مغاغة
اخوان شنوده المنقبادى	اسيوط	اخوان زقلمة	اسيوط

المشروعات الاقتصادية التى قام بها كبار الاقباط

١) كان حنا ميخائيل (١) من اعيان اسيوط اول (٢) من زرع القطن فى مديرية المنيا وأجاد زراعته وقد سار على نهجه كثير من مزارعى الاقليم .

٢) التجارة مع السودان :

كانت التجارة مع السودان مصدر ثراء كثير من تجار أسيوط وكانت قوافل التجارة تسير فى الدرب الأربعينى بين أسيوط ودارفور وأعظم مثال لذلك غبريال شنوده فى أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر فقد اصبح ذا ثروة طائلة من هذه التجارة كما مر بنا وصار حفيده حبيب باشا شنوده عمدة اسيوط سابقا .

ومثال اخر شنوده المنقبادى والد تادرس مؤسس جريده مصر فقد كان من كبار تجار أسيوط وقام بدور هام فى تجارة السودان قبل ضم مملكة دارفور الى الحكومة المصرية . (٣)

٣) الشركة التجارية القبطية :

قام تادرس شنوده المنقبادى سنة ١٨٨٤ بتأسيس شركة مساهمة اقتصادية بمدينة اسيوط باسم الشركة التجارية القبطية راس مالها الف جنيه قيمه السهم جنيه يدفع أقساطا فى عشرة اشهر وقد وزع الاكتتاب فى هذه الشركة على صغار الموظفين وذوى الدخل المحدود وكانت هذه الشركة تتجر فى الأشياء المنزلية وقد اتفق المساهمون على تخصيص عشر ارباحها للاعمال الخيرية وقد أنتجت الشركة ارباحا وافرة وكان من ثمارها العشر المخصص للأعمال الخيرية وقد تم به شراء آطيان للصرف على مدرسة الأقباط باسيوط .

٤) السبق الى انشاء صناديق توفير قبل قيام مصلحة البريد بهذا العمل :

ابتكر تادرس شنوده المنقبادى سنة ١٨٩٠ فكره انشاء صناديق توفير فى عدة مدن (اسيوط وسوهاج وجرجا وقنا والمنيا والفيوم والقاهرة) وكانت هذه الصناديق تقبل توفير قرش صاغ فاكثر وقد عهد بادارة كل صندوق الى لجنة مؤلفة من ثلاثة من أعيان كل مدينة يكتبون على انفسهم عقد وديعة بضمانة شخص يختارونه تحت مسئوليتهم لحفظ النقود و يقوم المشروع على

---

(١) والده سيوت باشا حنا

(٢) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الثالث ص ٧٠

(٣) نفس المرجع ٨٠ .

تشغيل النقود فى اشياء مضمونة تعود بالفائدة على كل مودع ولقد صادف هذا المشروع نجاحا ولم يتوقف الا عند قيام مصلحه البريد بانشاء صناديق التوفير.

٥) انشاء ال و يصا باسيوط مصنعا (فابريقة) سنه ١٨٩٦ لعصر قصب السكر وتكريره فى بنى قره مديرية اسيوط.

٦) شراء آل ويصا معظم اسهم شركة سكة الحديد الضيقة بالفيوم.

٧) بنك البكوات بشرى وسيتوت حنا بأسيوط:

كان أول بنك أنشىء فى الصعيد لاقراض النقود بفائدة معقولة حماية للتجار من جشع المرابين الذين كانوا يقرضون التجار بفوائد باهظة.

اغنى اسره فى الاقباط

اسره و يصا باسيوط

يقول عنها صاحب كتاب الاقباط فى القرن العشرين « هى سيده الماليين فى مصر بل سلطانه المال فى وادى النيل (١) لقد بلغت هذه الاسرة قمة الغنى وضربت اعظم مثال للعصامية فنرى شقيقين هما حنا بقطر و و يصا بقطر ماتت أمهما الرءوم فأظلمت حياتهما مع زوجة أبيهما فتلمسا الطريق إلى الخلاص من الضيق فهجرا منزل ابيهما مليا وبمبلغ جنيه فرنسى (بينتو) أو بقروش معدوده استطاعا ان يشقا الطريق الى الغنى واستطاع هذان الرجلان بجدهما وأمانتهما ونشاطهما أن يبلغا قمة الثراء والمجد ولم يبطرهما الغنى بل كانا يبسطان يد الاحسان للفقراء و يسارعان إلى اعمال البر.

ولد حنا بقطر ويصا سنه ١٨٣٢ وولد شقيقه و يصا فى سنه ١٨٣٧ وقد أساء اليهما الزمن بموت أمهما إلا أن همتها العالية دفعت بهما الى السير فى طريق التجارة فاشتغلا فى تجارة الأقمشة فى اول الامر وكانا يجولان فى اسيوط وضواحيها حاملين الاقمشة ولا يجدان ثمن دابة تحمل بضاعتها واستمرا فى كفاحهما تحدوهما الهمة العالية والامانة ثم افتتحا تجارة واسعة فى اسيوط واشتريا الاطيان وسارا فى تجارة الماشية والغلات الزراعية كما سلكا سبيل الزراعة واقراض النقود، واشتريا مساحات شاسعة من الاراضى فاشتريا ابعدية بنى قرة من الامير حسين كامل و بلغت مساحة الاطيان سنة ١٨٩٨ نحو ١٢ الف فدان فى ٨٠ بلدا بمديرية اسيوط واشتريا اطيانا من الدائرة السنية فى مديرية الفيوم، وصارت بمجموع الأطيان ٢٨ الف فدان وامتلكا القصور الفاخرة فى القاهرة واسيوط وانشآ فابريقة لعصر قصب السكر وتكريره سنة ١٨٩٦ ببنى قرة بمديرية اسيوط كما مربنا وامتلكا معظم أسهم شركة سكة الحديد الضيقة بالفيوم، كما ذكرت،

---

(١) رمزى تادرس: الاقباط فى القرن العشرين الجزء الثالث ص ٨٣.

وقد توفى و يصا بقطر و يصا فى ديسمبر سنة ١٩٠٦ وانجب ابنين كانا من كبار اعيان اسيوط هما المرحومان (جورج باشا و يصا وزكى بك و يصا)

اما حنا بقطر و يصا فقد توفى فى اكتوبر سنة ١٩٠٧ ومن أنجاله المرحوم فهمى بك و يصا الذى كان وزيرا للوقاية المدنية اثناء الحرب العالمية الثانية وكان حنا و يصا ينفق على فقراء اسيوط الف جنيه سنويا بالاضافة الى انفاق عشر أرباحه وأرباح شقيقه و يصا فى الأعمال الخيرية وبهما اشتد ساعد البروتستانتيه فى اسيوط .

هذه قصة أغنى اسرة فى اقباط مصر بدأت بالكفاح المتواصل فانتقلت من الفقر إلى اوج الغنى وقة المجد .

ـ ((الاقباط فى مناصب القضاء)) ـ

فى ٣٠ ديسمبر سنة ١٨٨٣ صدرت الأوامر العالية بالتعيينات القضائية الاولى لمحكمة الاستئناف ومحاكم الوجه البحرى (١) وقد عين الأقباط الآتية اسماؤهم قضاة : ـ

حنا نصر الله بك	بمحكمة مصر الابتدائية
برسوم حنين افندى	بمحكمة الاسكندرية
تادرس ابراهيم افندى	بمحكمة بنها
ميخائيل شاروبيم افندى	بمحكمة المنصورة

التعيينات القضائية بمحاكم الوجه القبلى :

وفى ٢٧ يوليو سنة ١٨٨٩ صدرت التعيينات لمحاكم الوجه القبلى وقد عين الاقباط الآتية اسماؤهم قضاة : ـ

يسى عبد الشهيد افندى	بمحكمة بنى سويف
مرقص غالى افندى	بمحكمة اسيوط
برسوم جريس افندى	بمحكمة قنا

وجاء فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية ان بطرس غالى باشا كان وكيلا لوزارة الحقانية من ٧ فبراير سنة ١٨٨٢ الى ١٤ يناير سنة ١٨٩٢ (٢) وان مينا ابراهيم بك عين مستشارا بمحكمة استئناف مصر سنة ١٩٠٩ وان يوسف سليمان باشا عين مستشارا بمحكمة استئناف مصر

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ص ٥٥ ـ القاهرة ١٩٤٨
(٢) الجزء الاول ـ ص ١٨٢ القاهرة سنة ١٩٣٧

سنة ١٩١٤ ، كما جاء في الكتاب الذهبي ايضا ان مرقس حنا بك كان نقيب المحامين من ١٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ الى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٢٣ (١)

ـ ((الوزراء الاقباط)) ـ

كان بطرس باشا غالى القبطى الوحيد الذى وصل الى منصب وزير في القرن التاسع عشر بل إلى سنة ١٩١٠ وكان أول قبطى ينال لقب الباشوية « نالها سنة ١٨٨٢ » وكان أول تعيينه وزيرا أو ناظرا حسب اصطلاح ذلك العصر في وزارة حسين فخرى باشا في ١٥ يناير سنة ١٨٩٣ وقد وصل اثنان من الأقباط إلى منصب رئيس الوزراء اولهما هو بطرس غالى باشا الذى تولى رياسة الوزارة (من ١٢ نوفمبر سنة ١٩٠٨ الى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) والثانى هو يوسف وهبه باشا (من ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ الى ٢١ مايو سنة ١٩٢٠) وقد جرت التقاليد أن يعين وزير قبطى فى كل وزارة واستمر هذا التقليد سائرا الى ان جاء سعد زغلول رئيسا للوزراء سنة ١٩٢٤ فاختار وزيرين هما مرقس حنا باشا وواصف غالى باشا ، وقد سار على نهجه بعض رؤساء الوزراء ، وهذا بيان بالوزراء الأقباط من بدء توليتهم منصب وزير حتى قيام ثورة سنة ١٩١٩ .

انظر الجدول الموجود صفحه ٥٩

ـ (اعضاء المجلس الملى العام)

يرجع تاريخ المجلس الملى الى سنة ١٨٧٤ فى عهد الخديوى اسماعيل حيث تم اعتماد تشكيل المجلس لينظر في شئون الاقباط من كنائس ومدارس وأوقاف ومساعدات الفقراء وقد افصحت لائحة سنة ١٨٨٣ عن مدى اختصاصه الذى شمل الاحوال الشخصية فكان المجلس الملى العام محكمة أعلى درجة من المجالس الفرعية فى الايبارشيات تستأنف اليه الاحكام الخاصة بالطلاق والزواج والنفقة ، بل كان المجلس الملى يقوم بالنظر فى مسائل الولاية على المال وفى سنة ١٩٢٥ انتزعت هذه المسائل من اختصاصه وضمت الى المجلس الحسبية واعتبارا من سنة ١٩٥٦ أصبحت المحاكم تنظر فى قضايا الاحوال الشخصية من زواج وطلاق ونفقة الا أن هذا المجلس كان يقوم فى الفترة التى أقوم بتأريخها بدور هام فى كل شئون الأقباط التى تحدثت عنها و يرأس المجلس البطريرك و يتكون المجلس الملى من أربعة وعشرين عضوا ونائبا منهم اثنا عشر عضوا وهم ممن يحرزون أكبر اصوات وفق الترتيب ثم يأتى من يليهم فى مجموع الأصوات و يعتبرون نوابا وفى

---

(١) الجزء الاول ص ٣٨٢ القاهرة سنة ١٩٣٧

الواقع لا فرق بين النائب والعضو سوى أن وكيل المجلس يشترط أن يكون عضوا أى من الاثنى عشر المتقدمين فى مجموع الأصوات و يرى القارىء الحديث عن نشأة المجلس الملى واختصاصه واعماله فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الاجتماعى أما الآن فأكتفى بذكر اعضاء المجلس العام أو الاعلى باعتبار أنهم ممثلون للشعب القبطى فهم من الطبقة العليا التى أفردت هذا الفصل لدراستها .

الوزارة	تاريخ تأليفها	الوزير القبطى	الوالى الحاكم
وزارة حسين فخرى باشا	١٥ يناير سنة ١٨٩٣	بطرس غالى باشا للمالية	الخديو عباس حلمى الثانى
وزارة مصطفى رياض باشا	١٩ يناير سنة ١٨٩٣	« « « «	« «
وزارة نوبار باشا	١٦ ابريل سنة ١٨٩٤	« « للخارجية	« «
وزارة مصطفى فهمى باشا (الوزارة الطويلة)	من نوفمبر سنة ١٨٩٥ الى نوفمبر سنة ١٩٠٨	« «	« «
وزارة بطرس غالى باشا	١٢ نوفمبر ١٩٠٨	« «	« «
وزارة محمد سعيد باشا الاولى (١)	٢٣ فبراير ١٩١٠		« «
وزارة حسين رشدى باشا الاولى	١٥ ابريل ١٩١٤	يوسف وهبه باشا للمالية	« «
« « « « الثانية	١٩ ديسمبر ١٩١٤	« «	السلطان حسين كامل
« « « « الثالثة	٥ اكتوبر ١٩١٧	« «	السلطان احمد فؤاد الاول
« « « « الرابعة	٩ ابريل ١٩١٩	« «	« « «
وزارة محمد سعيد باشا الثانية	٢١ ابريل ١٩١٩	« «	« « «
وزارة يوسف وهبه باشا	٢١ نوفمبر ١٩١٩	« «	« « «
وزارة توفيق نسيم باشا	٢٢ مايو ١٩٢٠	يوسف سليمان باشا للزراعة	« « «
وزارة عدلى يكن باشا	١٧ مارس ١٩٣٠	نجيب بطرس غالى للزراعة	« « «

(١) كان الوزير المسيحى فى هذه الوزارة شاميا وهو يوسف سابا باشا (وزير المالية)

أعضاء المجلس الملى الأول ـــ فبراير سنة ١٨٧٤

الاعضاء: دميان بك جاد شيحه ونسيم بك شحاته والخواجه رزق جرجس لوريا وعريان بك تادرس وسعد بك ميخائيل عبده ومقار بك عبد الشهيد وعوض بك سعد الله ونخله بك يوسف مقار ونخله بك يوسف الباراتي و برسوم بك جريس رفيله والخواجه ملوكه شلبي وجرجس بك شلبي .

والنواب: باسيلى بك تادرس والحاج مكرم الله تاوضروس والخواجه ميخائيل راهب والخواجه بسادة عبيد وأسعد افندى بدوى وابراهيم بك روفائيل الطوخي و بطرس بك غالى وحنين افندى حنس وحنا بك جريس وجرجس افندى خليل والحاج باخوم شاويش وعياد بك جرجس .

المجلس الملى الثانى

صدر الامر باعتماد اعضاء المجلس ونوابه فى مارس سنة ١٨٨٣

الاعضاء: بطرس باشا غالى وسعد بك ميخائيل عبده ونخله بك يوسف مقار وميخائيل بك عياد ونسيم بك شحاته وعريان بك تادرس و باسيلى بك تادرس وعبد الشهيد افندى بطرس ومقار بك عبد الشهيد والخواجه رزق جرجس وحنا بك نصر الله وجرجس افندى خليل .

والنواب: يعقوب بك نخله رفيله وغطاس بك عريان الباراتى و وهبه بك يوسف عبده واسكندر افندى ميخائيل وعبد المسيح بك حبشي وعوض بك سعد الله ونخله بك يوسف الباراتى وخليل بك ابراهيم و برسوم بك جرجس رفيله و يوسف بك وهبه وفرج بك ابراهيم وابراهيم افندى خليل .

المجلس الثالث

صدرت الارادة السنية باعتماده فى يوليو سنة ١٨٩٢

الاعضاء: بطرس باشا غالى وحنا بك يوسف نصر الله و بطرس بك يوسف ومقار بك عبد الشهيد وقلينى بك فهمى وخليل افندى ابراهيم و يوسف بك وهبه و يوسف افندى سليمان وحنا بك باخوم ونخله بك يوسف الباراتى وحبشى افندى مفتاح و يعقوب افندى نخله روفيله

والنواب: باسيلى بك تادرس وعبد المسيح بك حبشى والدكتور ابراهيم منصور ووهبه افندى يوسف عبده ورفله افندى جرجس ومرقس افندى سميكه وابراهيم بك روفائيل الطوخى وباسيلى افندى روفائيل الطوخى وفرج بك ابراهيم وبطرس افندى بادير ويعقوب افندى نخله يوسف وعوض بك سعد الله .

المجلس الملى الرابع

صدرت الارادة السنية بالتصديق على انتخابه فى أول مارس سنة ١٩٠٦

الأعضاء: يوسف بك سليمان ومرقس افندى فهمى وجرجس بك حنين وأمين بك غالى ومرقس بك سميكه وساويرس بك ميخائيل ومرقس افندى حنا وخليل بك ابراهيم واسكندر بك عبد الملك وبسطوروس بك صليب وباسيلى باشا تادرس وويصا افندى واصف

النواب: ابراهيم بك منصور وميخائيل بك شاروبيم وواصف بك غالى ونخله بك المطيعى ومينا بك ابراهيم ومقار بك عبد الشهيد ورفله بك تاوضروس وواصف بك سميكه وسليم افندى الباراتى والياس بك عوض وفرح بك ابراهيم وجرجس بك انطون . (١)

ويتبين من دراسة انتخابات المجلس الملى العام او الاعلى ما يلى :

المجلس الأول ــ فبراير سنه ١٨٧٤

حاز دميان بك جاد شيحه اكثر عدد من الاصوات وكان من نواب هذا المجلس باسيلى بك تادرس القاضى وبطرس بك غالى .

المجلس الملى الثانى ــ مارس سنة ١٨٨٣

كان بطرس باشا غالى اول المنتخبين وكان يوسف باشا وهبه من نوابه فجمع هذا المجلس اثنين من رؤساء الوزارات وكان من اعضائه من رجال القضاء باسيلى بك تادرس وحنا بك نصر الله ومن كبار الموظفين عريان بك تادرس الذى كان كبير الاقباط فى اواخر عهد الخديوى اسماعيل وكان من نوابه المؤرخ يعقوب بك نخله روفيله صاحب كتاب تاريخ الآمة القبطية .

---

(١) جرجس فيلوثاوس عوض : روارق الاصلاح .

المجلس الملى الثالث يوليو سنة ١٨٩٢

جمع هذا المجلس كثيرا من الشخصيات القوية وحشد جميع الكفاءات من الذين صاروا رؤساء وزاره او وزراء كما جمع رجال القضاء والقانون والمال والاعمال وكان بطرس باشا غالى اول المنتخبين فكان كبير الأقباط وعميدهم من عهد الثورة العرابية إلى مصرعه سنه ١٩١٠ كما كان من اعضاء هذا المجلس ونوابه يوسف بك وهبه ومن الذين صاروا وزراء يوسف سليمان ومن رجال القضاء حنا بك يوسف نصر الله و باسيلى بك تادرس كما كان منهم مرقس سميكه الذى اسس المتحف القبطى والمؤرخ يعقوب نخله روفيله

المجلس الملى الرابع
مارس ١٩٠٦

كان أول المنتخبين يوسف بك سليمان ولم يدخل بطرس باشا غالى هذا الانتخاب فقد عين وزيرا سنة ١٨٩٣ وقانون المجلس الملى لا يسمح بالجمع بين منصب الوزير وعضوية المجلس وقد استمر بطرس باشا غالى وزيرا فى الوزارات المتعاقبة إلى أن تولى رياسة الوزارة فى سنه ١٩٠٨ حتى وفاته فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ وقد جمع هذا المجلس بعض زعماء الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ (مرقس حنا وويصا واصف وواصف غالى)، كما كان من اعضائه ونوابه من صاروا وزراء (نخله بك المطيعى) كما جمع المجلس من رجال القضاء باسيلى باشا تادرس والمؤرخ ميخائيل شاروبيم وواصف سميكه كما كان فيه من نوابغ المحامين مرقس فهمى وزعماء الحركه الوطنية الذين سبق ذكرهم كما كان فيه الياس بك عوض الذى صار وزيرا مفوضا كما نجد من أعضائه من كان لهم دوره فى النشاط الاجتماعى والثقافى مثل مرقس بك سميكه مؤسس المتحف القبطى والدكتور ابراهيم منصور رئيس جمعية التوفيق القبطية وجرجس بك انطون رئيس الجمعية الخيرية القبطية التى تدير المستشفى القبطى .

((الفصل الثالث))

((الفئة الثالثة : الطبقة الوسطى)) ـ

كانت هذه الطبقة فى القرن التاسع عشر تنتظم المباشرين والصيارفة والموظفين وكتبة الدوائر ومتوسطى التجار وكانت مهنة الكتابة هى العمل البارز للأقباط طوال القرن التاسع عشر بل وما سبقه من قرون منذ الفتح العربى فكان الاقباط يختصون بالشئون المالية فكان منهم جباة الضرائب وهم الذين يقدرونها على الأراضى والمحاصيل وفى أيديهم سجلاتها وأورادها وحساباتها وما يسجل من الأراضى البور فتعفى من الضريبة ومن المنزرع فيقدر عليه الضرائب ، وسلطتهم فى ذلك نافذة وكلمتهم مطلقة وما يكتبونه فى سجلاتهم لا معقب عليه بعدهم . (١)

وكان المماليك يعهدون بالوظائف الى الاقباط ، فحازوا فى هذا الميدان ثقة الحكام وارتفع رؤساء المباشرين من الطبقة الوسطى الى الطبقة العليا وهى الخاصة بكبار الاقباط فكان المعلم رزق بمثابة وزير مالية الدولة فى عهد على بك الكبير ، وكان أيضا أمين سره وكبير مستشاريه فى شئون الدولة (٢) ـ يقول عنه الجبرتى : « بلغ من العظمة ما لم يبلغه قبطى فيما رأينا (٣) « وكان المعلم غالى كاتب محمد بك الألفى قبل قيامه برئاسة المباشرين فى عهد محمد على وكان هؤلاء المباشرون موضع ثقة الحكام والولاة فسلموهم ادارة مصالحهم واشغالهم وحساباتهم » فقاموا بها أحسن قيام وكثيرا ما كانوا يكنون بأسمائهم فيقال مثلا المعلم غبريال السادات والمعلم يوسف الألفى والمعلم منقريوس الورلى وغير ذلك نسبة لمخدوميهم ولما أنسوا منهم الصداقة والامانة أودعوهم أسرارهم فحفظوها واستشاروهم فى بعض أمورهم المهمة فوجدوا فى آرائهم خيرا وصوابا » . (٤)

لقد احتكر الاقباط فى عهد المماليك والعثمانيين وعند مجىء الحملة الفرنسية على مصر

---

(١) محمود الشرقاوى « دراسات فى تاريخ الجبرتى » مصر فى القرن الثالث عشر جـ ١ ص ١٥٦ ـ القاهرة سنة ١٩٥٧ .

(٢) نفس المرجع ص ١٥٦ .

(٣) الجبرتى جـ ١ ص ٣٨١ .

(٤) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الأمة القبطية ص ٢٦٤ ـ القاهرة سنة ١٨٩٨ .

أهم وظائف الجباية « فنهم المباشرون والصيارفة والكهنة والمساحون واتبعو طريقة معقدة غامضة فى كتابة السجلات حذقوها بالوراثة وحافظوا على أسرارها » (١)

وحين جاءت الحملة الفرنسية على مصر كان هذا الوضع مستقرا فى مصر وهو قيام الأقباط بوظائف الجباية والكتابة للملتزمين ، يقول المؤرخ الأمريكى ، كرستوفر هيرولد « كان المماليك يستخدمون الصيارفة الأقباط فى جمع الضرائب قبل وصول بونابرت وكان مما يؤهل الأقباط لهذا العمل تعليمهم وطاعتهم وخبرتهم بشئون المال واضطر بونابرت للمضى فى استخدامهم لأداء هذه المهمة كما كانوا يؤدونها من قبل (٢) وقد أوصى بونابرت بأن يستمر استخدام الأقباط فى تحصيل الضرائب والقيام بغير ذلك من اعباء الادارة المالية حتى يحين الوقت الذى يمكن فيه استبدال أوربيين بهم » . (٣)

وفى عهد محمد على كان عدد كبير من الاقباط يقومون بعمل مباشرين وجباة ضرائب ، كتب القنصل الفرنسى البارون دى بو الكنت فى تقريره الى الحكومة الفرنسية سنة ١٨٣٣ متحدثا عن كفايتهم « أما كفاءتهم الممتازة فى علم الحساب فقد دعت محمد على الى أن يختصهم بإدارة الشئون المالية العامة كما كان ذلك شأنهم منذ عهد سحيق على ان عددا كبيرا من اغنياء الترك والمماليك وابناء العرب يعهدون اليهم كذلك بإدارة اموالهم الخاصة . (٤) .

وكذلك كتب الكونت دوهاميل قنصل روسيا فى مصر تقريره الى حكومته سنة ١٨٣٣ يشير فيه الى أن نسبة كبيرة من الأقباط تعمل موظفين فى مصالح الحكومة وأما الأقباط ونعنى بهم سكان البلاد الأوائل الذين ظلوا على ولائهم للنصرانية فيكادون يشتغلون جميعا موظفين فى المصالح كتاب ومحاسبين غير أن منهم من تفرغوا للزراعة (٥) وجاء فى تقرير بورنج الذى قدم الى مصر سنة ١٨٣٧ موفدا من قبل الحكومة الانجليزية لكتابة تقرير عن حالة مصر فى ذلك الحين وما ينتظر أن تكون عليه فى المستقبل

« والقبط هم المساحون والنساخون والصيارفة والوزانون وكتبة الحسابات وهم لازمون للأعمال الحسابية والكتابية لزوم الفلاح للحقل والمحراث » (٦).

---

(١) الدكتور راشد البراوى ومحمد حمزة عليش : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ص ٣٩ ــ القاهرة سنة ١٩٤٥

(٢) ج . كوستوفر هيرولد (ترجمة الاستاذ فؤاد اندراوس ومراجعة الدكتور محمد احمد انيس) بونابرت فى مصر ص ١٩٨ ــ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ص ١٤٣ .

(٤) الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل بناء دولة مصر محمد على ص ٢٤٤ .

(٥) الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه : بناء دولة مصر محمد على ص ٣٠٥ .

(٦) نفس المرجع ص ٣٨٧ .

وقد بين أيضا دور الأقباط فى الكتابة والمحاسبة المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين الذى زار مصر فى عهد محمد على « و يستخدم كثير من الأقباط فى الكتابة والمحاسبة وفى كل قرية متوسطة الحجم معلم » (١) والمقصود بكلمة معلم هنا صراف القرية ، وقد ظل جميع الصيارفة فى مصر طوال القرن التاسع عشر بل الى ثورة سنة ١٩١٩ من الأقباط وفى القرى التى لا يوجد بها أقباط كان صراف القرية قبطيا من خارج القرية ، و يذكر التاريخ أن والد الزعيم أحمد عرابى وكان شيخا لقرية مرية رزنة بمديرية الشرقية عهد الى صراف هذه القرية (ميخائيل غطاس) بتدريب ابنه على الكتابة والأعمال الحسابية وأن أحمد عرابى مكث يتمرن عليه نحو خمس سنوات (٢) وجاء فى تقرير جون بورنج الذى كتبه الى الحكومة الانجليزية سنة ١٨٣٧ « أما القبط المسيحيون فيشتغلون جميع وظائف الكتبة والمحاسبين » (٣) وجاء فى تقريره أيضا أنه بلغت مرتبات الموظفين الأقباط من وظائف الدولة سنة ١٨٣٢ فى عهد محمد على عشرين الف كيس أى ستين الفا من الجنيهات .

ولكن الحال تبدلت فى عهد عباس الأول الذى قلب للموظفين الأقباط ظهر المجن فقد كان شديد البغض للنصرانية ناقما على المسيحيين فأخرج الكثير من الأقباط من خدمة الدولة ومنع من استخدامهم وأتى للمباشرين بطائفة من الأحداث الأغرار وأبناء المكاتب فجعلهم فى وظائفهم وألزمهم بتعليمهم وتدريبهم وحدد لهم أجلا لا تمام تعليمهم ، يقول صاحب الكافى ، فاختل نظام المصالح الديوانية وتطرق الفساد إلى جميع الأعمال وكسدت حرفة القلم وتحقرت » (٤)

و يصور صاحب تاريخ الأمة القبطية المدى الذى وصل اليه عمل عباس الأول على التقليل من نفوذ الأقباط فى الدواوين و يروى قصة اختيار عباس الأول أربعة من طلبة المدارس الأميرية وتسليم كل رئيس ديوان واحدا منهم ليعلموهم مسك الدفاتر وعرنوهم على جميع الأعمال الحسابية على أن يكونوا قادرين فى نهاية العام على أن يقوموا مقام الرؤساء فى الأعمال أو أن يأمر عباس الأول بإلقاء رؤساء المباشرين فى النيل وقد تملك هؤلاء الرؤساء الفزع لما تتعرض له حياتهم اذا لم يستطع تلاميذهم إجادة الأعمال الحسابية فى مدى عام غير أن مصرع عباس الأول فى قصره فى بنها سنة ١٨٥٤ وضع حدا لهذا التهديد والوعيد فنجا رؤساء المباشرين من هذا الخطر الذى كان يتهددهم حتى أن بعضهم لما مضى عليه شهر او شهران وتحقق فى تلميذه عدم الميل

---

(١) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون — الترجمة العربية ص ٤١٥ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى : الزعيم أحمد عرابى ص ٨ طبع القاهرة سنة ١٩٥٢ .

(٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه : بناء دولة مصر محمد على ص ٣٨٧ .

(٤) ميخائيل بك شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ٩ — القاهرة سنة ١٩٠٠ .

للتعلم قال انه لم يبق من عمره سوى عشرة أشهر وهكذا كلما مضى عليه شهر اخر فكان يتوقع الموت على الدوام و يستعد له » (١)

وفى عهد الخديو اسماعيل كثر عدد الموظفين الاقباط فى مصالح الحكومة فان المدرستين اللتين أنشأهما البابا كيرلس الرابع فى مستهل النصف الثانى من القرن التاسع عشر فى الأزبكية وحارة السقائين قد اينع غراسها ودنت قطوفها باخراج عدد كبير من المتعلمين — وتصادف انشاء مصلحة السكك الحديدية فانتظموا فى خدمتها وانتشروا فى جميع محطاتها وكانوا يؤدون اعمالهم باللغة الانجليزية . كما عين عدد آخر عند التجار لمعرفتهم باللغة الايطالية التى كانت تدرس بالأقباط الكبرى ، وقد عرف الخديو اسماعيل قدر هذه الخدمة الوطنية الجليلة التى أدتها المدارس القبطية فاستدعى اليه البابا ديمتريوس الثانى الذى خلف البابا كيرلس الرابع وأظهر ارتياحه لهذه الخدمة الوطنية وأنعم عليه بألف وخمسمائة فدان — لتساعد بإيراداتها على توسيع نطاق المدارس (٢) ، و يرى القارىء نص الفرمان بهذا الانعام فى الفصل الخاص بنشاط الأقباط الفكرى .

وكان الموظفون فى أقلام الحسابات بالدواوين من الأقباط سواء فى المديريات أو فى المصالح العامة بالقاهرة وكان يندر أن يوجد فى أقلام الحسابات أحد من المسلمين (٣) .

وفى أواخر القرن التاسع عشر تعددت المناصب وأعمال الطبقة الوسطى فإلى جانب التجار والموظفين والكتبة ظهر أدباء ومحررون وأطباء وصيادلة ومحامون فالتاجر العادى يمكن عداده فى الطبقة الوسطى فاذا أثرى ثراء عظيما ارتفع الى الطبقة العليا مثال ذلك آل و يصا والمحامى العادى نعده فى الطبقة الوسطى فاذا برز نبوغه وعلت شهرته و بالتالى يزداد ثراؤه ارتفع الى الطبقة العليا الخاصة بالأعيان وكبار الموظفين مثال ذلك و يصا واصف المحامى الذى صار رئيس مجلس النواب سنة ١٩٣٠ فقد تقاضى اتعابا فى قضية واحدة ١٥ الف جنيه وهى قضية بوسى المقاول البلجيكى الخاصة بتعميق ميناء السويس وكان النزاع بينه و بين الحكومة وتدور حول مبلغ مليون ومائة الف جنيه (٤) كذلك يعتبر الصحفى العادى أو المحرر فى الجريدة موظفا ينتظم فى الطبقة الوسطى أما أصحاب الصحف وقادة الرأى مثل جندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن وتادرس بك شنوده المنقبادى صاحب جريدة مصر فهم من الطبقة العليا .

وحين جاء الاحتلال الانجليزى رأى ان يتقرب إلى الأكثرية الاسلامية على حساب

---

(١) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الأمة القبطية ص ٣٠٤ .

(٢) نفس المرجع ص ٣١٤ .

(٣) احمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن الجزء الأول ص ٤١ القاهرة ١٩٣٢ .

(٤) ميشيل جرجس بحث بعنوان « و يصا واصف » فى مجلة التوفيق عدد يونيو سنة ١٩٥٩ ص ١٢ .

الأقليـة القبـطية وكان من خطة كرومر العمل على اقلال عدد الموظفين الأقباط فقوام السياسة الانجليـزية فرق تسد، وسار خليفته الدون غورست الذى عين سنة ١٩٠٧ عميدا بريطانيا فى مصر، وكان من أبرز العوامل التى دفعت الأقباط إلى عقد مؤتمرهم فى أسيوط سنة ١٩١١ تعسف الاحتلال الانجليزى وإهداره حقوق الأقباط الى الحد الذى دفع احد خطباء المؤتمر وهو توفيق بك دوس المحامى أن يقسم تاريخ مصر الحديث الى قسمين القسم الاول ما قبل سنة ١٨٨٢ سنة الاحتلال الانجليـزى وفيه كان الاقباط يحوزون كثيرا من المناصب العليا والقسم الثانى يبدأ من سنة ١٨٨٢ (١) وفيه يرى الاقباط بسبب الاحتلال الانجليزى كل جور وحرمان .

الجدول التالى يبين عدد الموظفين المسلمين وعدد الموظفين الاقباط
فى المصالح الحكومية سنة ١٩١١ (٢)

المصلحة	المسلمون		الأقباط	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
الداخلية (يدخل فى عدادها الصيارفة)	٢٣٤٦	٣٧,٧٠٪	٣٨٧٨	٦٢,٣٠٪
الأشغال العمومية	٦٠٤	٧٠,٦٤٪	٢٥١	٢٩,٣٦٪
العدل (كانت تسمى الحقانية)	١٢٦١	٨٥,١٥٪	٢٢٠	١٤,٨٥٪
التربية (كانت تسمى المعارف العمومية)	٩٠٥	٩٣,٨٦٪	٦٦	٦,١٤٪
المالية	١٣٠١	٥٥,٧٦٪	١٠٣٢	٤٤,٢٤٪
السكك الحديدية والتلغرافات	٢٧٠٠	٥١,٩٢٪	٢٥٠٠	٤٨,٠٨٪
الحربية	٣٠٧	٦٩,٤٥٪	١٣٥	٣٠,٥٥٪
المجموع	٩٥١٤	٥٤,٦٩	٨٠٨٢	٤٥,٣١

(١) المؤتمر القبطى : خطبة توفيق دوس المحامى ــ القاهرة سنة ١٩١١

(٢) Kyriakos Mikhail: Copts and Moslemis under British Rule (Egypt) P. 44. London 1911.

ومن المصالح الحكومية التى كان يكثر بها الموظفون الأقباط مصلحة البريد (وكانت تتبع وزارة المالية) فقد كان عدد الموظفين الأقباط ٤٤٨ وكان عدد الموظفين المسلمين ٣٥٤ .

وكانت السنة المالية بالنسبة لايرادات الحكومة ومصروفاتها تحسب بالتاريخ القبطى وابتداء من ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ . ألغى الخديو اسماعيل التاريخ القبطى من حسابات الحكومة واتبع التاريخ الأفرنكى الميلادى . (١)

وبعد أن فتح محمد على السودان شغل كثير من الأقباط الوظائف الصغرى فى مديريات السودان ويردد الدكتور زاخر رياض ما يرويه المستر ستانلى (حين وجه لإنقاذ أمين باشا مدير مديرية خط الاستواء) أنه كان معه واحد وعشرون كاتبا يعملون فى هذه المديرية وكلهم من الأقباط (٢) ، استمر عمل الأقباط فى وظائف السودان حتى قيام الثورة المهدية وعندما استعيد السودان سنة ١٨٩٨ عاد تعيين الأقباط فى وظائف السودان فشغلوا كثيرا من وظائفه فى الربع الأول من القرن العشرين حتى جاءت حادثة قتل السردار سنة ١٩٢٤ فانها النفوذ المصرى فى السودان .

الاقباط فى ميدان التجارة : إذا كانت مهنة حمل القلم هى العمل الهام الذى يختص به الأقباط إلى حد كبير فإن عددا كبيرا من الأقباط اشتغل بالتجارة ونجح إلى حد كبير ، ويمثل ثراء اقباط أسيوط ثمار ما تدره التجارة من كسب بل وارتفع كثير من الأقباط من الطبقة الوسطى الى الطبقة العليا مثال ذلك حنا بقطر و يصا و و يصا بقطر و يصا باسيوط ، كانت تجارتهما بيع الأقمشة وغيرها من التجارة ، بل كانت تجارة أسيوط مع السودان عن طريق الدرب الأربعينى فتحا عظيما فى عالم الاقتصاد . حين تولى محمد على الحكم ، كان غبريال شنوده يمثل أمير أسيوط أو كبير تجارها ، (٣) كان وكيل سلطان دارفور يستقبل قوافله التى وصلت فى بعض الحالات خمسة عشر ألف جمل ، وكان غبريال شنوده يجهز القوافل الصادرة إلى سلطان دارفور ويحصل له اثمان ما يبيعه حيث كان السلطان فى بلاده يحتكر معظم التجارة .

وكان أقباط بولاق عند مجئ الحملة الفرنسية على مصر يشتغلون بتجارة الغلال كما اشتغل أقباط الصاغة بصياغة الذهب والفضة .

---

(١) الدكتور أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادى ص ٣٢٠ — القاهرة سنة ١٩٥٨

(٢) الدكتور زاخر رياض بحث غير مطبوع بعنوان صفحة من تاريخ القبط فى العصر الحديث نقلا عن كتاب In the Darkest Africa P. 55

(٣) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين جـ ٣ ص ٧٢ — القاهرة سنة ١٩١١

الباب الاول

الفصل الرابع

الفئة الرابعة : طبقة الصناع والفلاحين

إذا كان الطابع العام لمهنة الأقباط فى القرن التاسع عشر وما سبقه من قرون هو مهنة الكتابة أى وظائف المباشرين والصيارفة أو كتاب فى الدوائر أو وظائف حكومية إلا أن عددا من الأقباط كان يعمل فى الصناعة والزراعة فكان الطابع الغالب لسكان القرى هو العمل فى فلاحة الأرض كما اشتغل كثير من أقباط المدن فى الصناعة فكان منهم النجارون والصاغة والبناءون واختص الأقباط بمهن تقليدية مقصورة عليهم مثل معامل تفريخ الدجاج وتربية النحل البلدى يقول المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين الذى زار مصر فى عهد محمد على واغلب أقباط القاهرة محاسبون أو أصحاب حرف و يستخدم الأولون على الأخص فى وظائف الحكومة والآخرون تجار وصياغ وجوهرية ومعمار يون و بناءون ونجارون واذا اعتبرنا الكتبة والمباشرون ومتوسطى التجار من الطبقة الوسطى فإننا نعتبر الصاغة من طبقة الصناع ولم تكن فى القرن التاسع عشر مهنة تدر ثراء عظيما كما هى فى القرن العرشين كذلك من طبقة الصناع أعمال البناء والنجارة وحين كون يعقوب حنا المعروف بالجنرال يعقوب فرقته القبطية فى عهد الحملة الفرنسية على مصر كان الفلاحون والصناع عماد فرقته كما يقول الجبرتى « ما بين نجار و بناء وصائغ وغير ذلك » . (٢)

وساقسم دارسة هذا الفصل إلى قسمين فلاحين وصناع :

الفلاحون : لا تختلف حياه الفلاح القبطى عن حياه زميله الفلاح المسلم فى شىء فهما يتماثلان فى نظام المعيشه وفى العمل وقد تعرضا لظروف واحده من نظام التزام واحتكار وعهد وغير ذلك كما وقعا معا تحت نير المماليك والاتراك وطغيان محمد على واسرته بل تعرضا معا للسخرة والكرباج وجشع محمد على واستغلاله بنوع خاص فكانا شريكين فى السراء والضراء وقد لاحظ هذه الظاهرة السير جون بورنج الذى زار مصر سنة ١٨٣٧ فكتب فى تقريره الى

---

(١) ادوارد وليم لين : المحدثون ص ٤١٥ .

(٢) الجبرتى جـ ٣ ص ١٩٦ م .

الحكومة الانجليزية « وثمة شيء من التعاطف بين القبط وابناء العرب لعله نتيجة ما يقاسونه جميعا من آلام » (١) .

لم يختلف الفلاح القبطى عن زميله الفلاح المسلم إلا فى مكان الصلاة احدهما فى مسجد والآخر فى كنيسته ، مرت بهما ظروف واحدة وعبثت بهما أيدى الاستبداد والظلم ، الفارق الوحيد الذى اختلفت فيه حياة الفلاح القبطى عن الفلاح المسلم ان الفلاح القبطى كان مفروضا عليه دفع الجزية منذ الفتح العربى واستمر يدفعها الى ما بعد منتصف القرن التاسع عشر فالغيت فى يناير سنة ١٨٥٥ فى عهد الوالى محمد سعيد باشا (٢) وحين بدأ محمد على تجنيد المصريين لم يدخل الاقباط فى الجندية واستمر هذا الوضع قائما الى عهد سعيد الذى بدأ فى عهده تجنيد الأقباط ، وقد انتظم امر تجنيد الاقباط فى عهد الخديو اسماعيل فكان الفلاح القبطى والقبط بوجه عام فى حالة اعفاء من الجندية فى عهد محمد على وعباس الاول .

واذا كانت حياة الفلاح القبطى تماثل حياة الفلاح المسلم ، فلماذا إذن اخصها بالحديث فى هذه الرسالة ؟ انا اكتب ذلك استكمالا للبحث التاريخى فقد قسمت الاقباط الى اربع فئات واستكمالا لنقاط البحث فقط اتناول الحديث عن الفلاحين الاقباط .

فى الريف المصرى تبدو الأخوة البريئة الطاهرة بين الفلاح القبطى والفلاح المسلم فهما يتجاوران فى المنزل وفى الحقل وهما يتشاركان فى زراعة الحقل وفى حراسته ونظام الحياة واحد فى المأكل والملبس فالمصطبة تجدها داخل أو امام بيت الفلاح القبطى والفلاح المسلم على السواء ، ان آثار مصر الفرعونية تتجلى فى الريف فلا تزال الالعاب الفرعونية سائدة فى الريف المصرى مثل كرة الشراب والسيجة ومنازل الفلاحين فى القرن التاسع عشر شديدة الشبه بالمنازل المصرية فى عهد الفراعنة (٣) ولا تزال الكلمات القبطية هى المستعملة عند الفلاحين لتعبر عن ادواته وغيرها مثل برسيم ، أردب ، حلق ، تليس ، بقوطس ، لبشه ، ماجور نيوت ، طورية ، شونه (٤) ولا يزال الفلاح يردد عبارات الفراعنة أثناء قيامه بعمله ، يقول هوب هوب يازرع النوب وكلمة هوب قبطية بمعنى عمل وكلمة نوب قبطية بمعنى ذهب (٥) وكان الفلاح القبطى

---

(١) الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد على ص ٣٨٧ ــ القاهرة سنة ١٩٤٨ .

(٢) الدكتور احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر

(٣) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا اليومية ص ١٩ من مطبوعات الالف كتاب طبع دار الهلال ــ القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٤) الدكتور مراد كامل : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٣٠

(٥) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا اليومية ص ٥٠ القاهرة (دار الهلال) سنة ١٩٥٦ .

فى القرن التاسع عشر يستعمل نفس الأدوات التى ورثها عن أجداده الفراعنة مثل المحراث والمنجل والشادوف والمذراة .

ويبدو تأثير مصر الفرعونية فى الفلاحين المصريين بوجه عام فى ان التقويم القبطى يتمشى مع مواسم الزراعة وحمل الزمن الى الفلاحين هذا التأثير وانطلقت الأمثال يرددها الفلاح القبطى والفلاح المسلم على السواء من وحى الحقل او من تأثير المناخ فيقولون عن شهر توت و يقابل سبتمبر — اكتوبر رى ولافوت وشهر توت هو اول شهور السنة القبطية باسم توت اله العلم عند الفراعنة الذى ابتكر التقويم المصرى منذ سبعة الاف سنة و يبتهج الفلاح بموسم النيروز (راس السنة القبطية) وهو اول توت ويحتفل فيه بجمع ثمار النخيل ويجز بعض الفلاحين الصوف من الغنم وفى أيام الفيضان حيث تتوقف الزراعة يغزل الفلاح الصوف بالمغزل و يقال عن بابه و يقابل (اكتوبر — نوفبر) خش واقفل البوابه وكانت فى القرن التاسع عشر بوابات أمام الحارات ، و يكون البرد قد بدأ فى شهر بابه و يقولون ان صح زرع بابه غلب القوم النهابة وسمى شهر هاتور و يقابل (نوفبر — ديسمبر) اما الذهب المنثور لزراعة القمح فى هذا الشهر فى الوجه البحرى وفى الامثال ان فاتك زرع هاتور انتظر لما السنة تدور وفى شهر كيهك و يقابل (ديسمبر — يناير) يبلغ النهار منتهى قصره فيقال كياك صباحك مساك وفى شهر طوبه و يقابل (يناير — فبراير) أشد الشهور بردا فقالوا طوبه تخلى العجوزه كركوبه ، و يقولون عن شهر أمشير (و يقابل فبراير — مارس) يقول للزرع الصغير حصل الكبير واشهر أمشير بالزوابع وقيل ان هذا الشهر سمى بأسم إله الشياطين ، وفى شهر برمهات و يقابل (مارس — ابريل) اطلع الغيط وهات أى يحضر الملانة والفول الأخضر وسنابل القمح ، وفى شهر برموده و يقابل (ابريل — مايو) يبدأ زمن الحصاد فقالوا برمودة دق بالعاموده و يتم الحصاد فى شهر بشنس (و يقابل مايو — يونيه) فقالوا بشنس يكنس الغيط كنس وفى بؤونه الحجر لشدة الحر و يقابل (يونيه — يوليه) وفى ابيب و يقابل (يوليه — اغسطس) يسمع للماء دبيب و يقول البحر طيب كما قيل أبيب طباخ العنب والزبيب وفى شهر مسرى و يقابل (اغسطس — سبتمبر) مسرى تجرى فيه كل ترعة عسرة لازدياد الفيضان .

الصلاة من اجل الزراعه :

لان مصر دولة زراعيه اهتمت الكنيسه القبطية بنوع خاص بالصلاة من أجل الزراعة مما يؤثر فيها من طقس وماء ونظمت هذه الصلوات لتتمشى مع الفصول الزراعية . .

أ) ففى فصل البذار (من ١٠ بابه الى ١٠ طوبه) أى من — ٢٠ اكتوبر الى ١٨ يناير) تصلى الكنيسة قائلة :

---

(١) نفس المرجع ص ٢١

(تفضل يارب الزروع ونبات الحقل فى هذه السنة باركها) .

ب) وفى شهور الأهويه والحصاد (من ١١ طوبه الى ١١ بؤونه أى من ١٩ يناير الى ١٨ يونيه) تصلى قائلة :

(تفضل يارب أهوية السماء وثمرات الارض فى هذه السنه باركها)

جـ) وفى شهور فيضان النيل (من ١٢ بؤونه الى ٩ بابة أى من ١٩ يونيه الى ١٩ اكتوبر تصلى قائلة :

(تفضل يارب مياه النهر فى هذه السنة باركها ، اصعدها كمقدارها كنعمتك فرح وجه الأرض ليرو حرثها وكثر أثمارها ، أعدها للزرع والحصاد ودبر حياتنا كما يليق . (١)

الفلاح فى معيشته الداخلية :

الفلاح المصرى سعيد بحياته الرتيبة الهادئة ، صبور على العمل يتصف بصفاء النية والتسليم لارادة الله قانع يكتفى بالقليل من القوت ، يخرج إلى عمله مبكرا فى نشاط جم ، لا يتعرف الانزعاج الذى يتألم منه العامل الأوربى الذى كثيرا ما تدفعه الحاجات المتزايدة يوميا إلى الاضراب والثورة لعدم وفاء أجره بقضاء تلك الحاجات أما العامل المصرى سواء فى المدن أو فى الحقول فأيسر أجر يسد ضروراته المحددة بفضل اعتدال الاقليم الذى يمكنه من ارتداء أقل الملابس ثمنا و يفضل قناعته (٢) و يظل الفلاح المصرى صحيحا معافى لتعوده العمل الشاق ودأبه عليه يقول الاستاذ يوسف نحاس لم يسكن المدائن فتغريه الزخارف و يفسده الترف وإنما هو راض بعيشه الشظف ويمر بالبهارج التى يعرضها التانق الحديث على ناظريه فلا يلوى عليها ولا يشتهيها (٣) .

ولقد تعرض الفلاح المصرى منذ القدم لصنوف العسف والاستبداد وسيرى القارىء فى هذا الفصل ما تعرض له فلاح القرن التاسع عشر من أنواع المظالم والاستبداد .

---

(١) الدكتور مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩٤ طبع وزاره الثقافة والارشاد القومى ــ بحث موضوعى من دقلديانوس الى دخول العرب .

(٢) يوسف نحاس : الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية ص ٥٤ القاهرة سنه ١٩٢٦ م

(٣) نفس المرجع ص ٥٢ .

الحاصلات الزراعيه :

كانت السنه الزراعية مقسمة إلى ثلاثة أدوار:

١) **الزراعة الشتوية :** بعد انصراف مياه الفيضان عن الأراضى وأهمها القمح والشعير والفول والعدس والحمص والبرسيم .

٢) **الزراعة الصيفية :** وتبدأ بعد الزراعة الشتوية وكانت تعرف بأسم القيضى او الصيفى وتروى بالوسائل الصناعية ومن أمثلتها القطن والنيلة والأرز وقصب السكر والذره الصيفية .

٣) **الزراعة النيلية أو الخريفية** وهذه بعد الصيفية مثل البطيخ والذره (١) .

وقد شهد القرن التاسع عشر تطورا فى الزراعة كما حدث فى عهد محمد على فقد أدخل تحسينا كبيرا فى زراعة القطن ، لقد كانت مصر تزرع القطن من قبل ولكنه كان قصير التيله خشنا ثم اكتشف المهندس الفرنسى جوميل نوعا يفوق هذا النوع الخشن الذى يعرف بالقطن البلدى رآه فى حديقة محوبك بالقاهرة (احد كبار الحكام فى ذلك العصر) زرع للزينة وأصله من الهند فأمر محمد على بزراعته سنة ١٨٢١ ثم جلبت بذور قطن سى ايلند من أمريكا فى سنة ١٨٢٥ (٢) .

ومن أشجار الفاكهة التى أدخلت زراعتها فى القرن التاسع عشر الجوافة والمانجو (٣) وكان الفلاح المصرى فى القرن التاسع عشر يقوم بتربية الأبقار والجاموس والضأن والماعز وكان يستخدم الحمير وكانت جميع القرى تهتم بتربية الدواجن . وقد شاهد القرن التاسع عشر جهودا متوالية انتهت بتحقيق الملكية الخاصة واستقرت أحوال الزراعة وتخلصت الأرض من طابع الجمود الذى مربها وصارت للفلاح شخصية اقتصادية مستقلة (٤) .

نظم جباية الضرائب وتوزيع الأرض لزراعتها :

اتبعت الحكومة فى جباية الضرائب وتوزيع الأرض على الفلاحين لزراعتها عدة نظم فى القرن التاسع عشر أولها نظام الالتزام الذى كان سائدا فى أوائل القرن التاسع عشر حتى ألغاه

---

(١) الدكتور احمد احمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ١٢ وص ١٣ .
(٢) نفس المرجع ص ١١٤ .
(٣) نفس المرجع ص ١٣٠ .
(٤) الدكتور راشد البراوى ومحمد حمزه عليش : التطور الاقتصادى فى العصر الحديث ص ٤٥ ــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .

محمد على واتبع نظام الاحتكار ولقد استمر نظام الاحتكار الى اواخر عهد محمد على حتى أجبر على إلغائه وحل محله نظام العهد ثم تلاه فى عهد سعيد ملكية ناقصة للفلاح جاءت بها اللائحة السعيدية سنة ١٨٥٨ ثم استمرت فى ظل لائحة المقابلة سنة ١٨٧١ ثم تطورت الى ملكية تامة فى عهد الخديو توفيق سنة ١٨٨٠ وسأبسط القول فى هذه النظم مبينا ما لاقى الفلاح من عنت وإرهاق ومدى الانتاج الزراعى فى ظل هذه النظم .

الالتزام: كان هذا النظام متبعا عند مجىء الحملة الفرنسية على مصر وأوائل القرن التاسع عشر يقول الدكتور راشد البراوى وزميله « وهو وسيله تلجأ إليها الحكومات المتأخرة أو التى تتعرض للفوضى » (١) وكان هذا النظام يقوم على أن يلتزم شخص بقرية أو أكثر أو أقل بجباية الضرائب من الفلاح وكان يدفع مبلغا مقدما للحكومة يسمى المعجل وتصدر الأوامر إلى رجال الادارة ومشايخ البلاد بمعاونته وفى هذا النظام يحل الملتزمون محل الحكومة فى جباية الضرائب وكان الملتزم يوزع الأرض على الفلاحين لزراعتها نظير ضرائب ويحتفظ بجزء من الأرض لشخصه يسمى الوسية يؤجره أو يزرعه له فلاحو التزامه بالأجرة أو بالسخرة ولم تكن الأرض ملكا للملتزم وإنما هى ملك السلطان بحق الفتح وكان للملتزم الحق فى التمتع بحصه التزامه مادام يقوم بدفع الأموال الأميرية التى التزم بها فى مواعيدها وله أن يتنازل عنها أو يبيعها لمن يريد بشرط أن يكون البيع بنسبة واحدة من أطيان الفلاحة وأطيان الوسية وإذا مات الملتزم فلورثته إذا ارادوا ان يحلوا محله فى حصه التزامه .

كان المبدأ السائد فى مصر فى أوائل القرن التاسع عشر مبدأ الحرية الاقتصادية فى الزراعة والصناعة والتجارة فالحكومة لا تتدخل فى الشئون الاقتصادية وكان الفلاح حرا فى زراعة ما يشاء من الحاصلات بالطريقة التى تروق له وكان حرا فى تصريف حاصلاته وقد سار محمد على فى أوائل حكمه على هذا النظام ولكن لم يلبث أن أعلن نظام الاحتكار واستولى على الأراضى من الملتزمين وعلى الأراضى التى كانت فى حوزة المماليك قبل مذبحة القلعة بل استولى على الرزق وهى أراضى الاوقاف الاسلامية على أن يتكفل بالانفاق على المساجد واصبح الفلاح يعيش داخل أطار نظام الاحتكار.

مبدأ الاحتكار: لقى الفلاح فى ظل نظام الاحتكار كل ضروب العسف والشقاء فقد حرمته من الزراعة ومن تصريف منتجاته و يتلخص هذا النظام فيما يأتى :ــ

١) توزع الأراضى على الفلاحين كل فلاح من ثلاثة إلى خمسة أفدنة يزرعها نظير الضرائب المقررة .

---

(١) نفس المرجع ص ٣٥ .

٢) يعطى الفلاح البذور والسماد والماشية والآلات اللازمة للزراعة على أن يسدد ثمنها عند الحصاد .

٣) يزرع الفلاح ما تريده الحكومة من المحصولات حسب التحديد الموجه إليه لا يستطيع أن يحيد عنه .

٤) يتعرض الفلاح الذى يهمل فى زراعته أو يقصر فى تنفيذ اوامر الحكومة لأقسى العقوبات الضرب بالكرباج أو قطع الأذن أو السجن او الاعدام مما أدى الى فرار الفلاحين من قراهم وكان بعضهم يهرب الى خارج القطر .

وفى كتاب المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين Manners and Customs of the modern Egyptians صور مؤلمة لهذه العقوبات وقد مكث فى مصر بضع سنين فى عهد محمد على وشاهد مناظر دامية .

(٥) لايحق للفلاح أن يتصرف فى المحصول عند الحصاد وإنما عليه أن يورده إلى شون الحكومة فيقوم موظفو الشون بوزنه أو كيله و يقدر لكل وحدة السعر الذى تحدده الحكومة ولا يجوز للفلاح أن يحتجز أى مقدار من الحاصلات لقوته أو قوت أسرته

وانما عليه ان يشترى ما يريد من شون الحكومة بالسعر الذى تفرضه وكان الفلاح يتعرض لظلم موظفى الشون فى الوزن أو الكيل ، وكان يخصم من ثمن المحصول الضرائب ثم أثمان جميع الأشياء التى اخذها الفلاح من بذور وأسمدة وغيرها بل يخصم منه جزء نظير ماقد يتأخر من حساب السنة القادمة أو لدفع غرامة لأن أحد الفلاحين لم يدفع الضرائب وماذنب الفلاح الذى يطالب بدفع ضرائب جاره الزارع الذى هرب وترك الحقل ولم يدفع ما عليه من ضرائب وهذا منتهى الظلم بلا شك ومن الغريب أن بعض المؤرخين يفسرون هذا الاستبداد بأنه تضامن بين أهل القرية وكان يخصم أيضا مبلغ لشراء سلع من مصانع الحكومة و يأخذ الفلاح بما يتبقى أيصالا فيشترى ما يحتاج إليه من غلات بسعر أعلى من السعر الذى تأخذه الحكومة منهم وفيما يلى جدول يبين طريقة تعامل الحكومة مع الفلاحين فى بعض الحالات كما اورده صاحب تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة (١) : ــ

انظر الجدول الموجود صفحه ٧٦

وكانت الحكومة ترفع هذه الأسعار أو تخفضها وفق حاجتها إلى المال ، و يلاحظ فى هذا البيان أنه فيما عدا الذرة التى تعتبر الغذاء الأساسى للسكان فان الحكومة كانت تبيع الغلات للأهالى بضعف الثمن الذى اشترت به وكانت الأسعار فى الخارج تصل مرتفعه تدريجا عظيما للحكومة و بلغ ربح الاحتكار سدس دخل الحكومة تقريبا فى سنة ١٨٢١ (٢) .

---

(١) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ١١٨

(٢) الدكتور احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ٤٢

الغلات	الوحدة	ثمن الشراء من الفلاحين بالقرش	ثمن البيع للفلاحين بالقرش	ثمن البيع خارج القطر بالقرش
القمح	الاردب	٢٧	٥٦	٩٠
الذرة	«	٢٦	٢٧	٦١
الفول	«	١٨	٣٢	٥٦
الحمص	«	٣٦	٦٠	٧٠
الأرز	«	٩٠	١٤٠	٢٧٠
الحناء	القنطار	٢٩	٨٠	٨٢
القطن الشعر	«	٢٠٠	—	من ٢٨٠ الى ٦٠٠
الكتان	«	٧٤	—	١٨٠

لقد قام المعلم غالى كبير الاقباط فى عهد محمد على ورئيس المباشرين فى مصر بعمل مساحة الأرض أو (التاريع) فى الفترة بين سنة ١٨١٣ وسنه ١٨١٨ فكانت مساحة الأراضى الزراعية حسب هذا التاريخ ٣,٠٣٥,٧١٠ أفدنه استغلت لنظام الاحتكار الذى اتبعه محمد على (١) فجنت الدولة ثراء طائلا باتباع سياسة الاحتكار ولكن الفلاح وقع فريسه البؤس فحرم الاحتكار الفلاحين من التصرف فى ثمرة كدهم ومن الحصول على الربح الكامل لحاصلاتهم « واتبع طريقة ظالمة فى فرض ثمن البيع فرضا دون أخذ رأيهم وجعلهم هدفا لظلم موظفى الشون وغدرهم فى الكيل والميزان كما رفع محمد على أسعار الحاجات الضرورية كالملابس فأدى إلى زيادة نفقة معيشتهم .

وكان حفر الترع وإقامة الجسور والقناطر يتم بطريق السخرة دون إعطائهم أى أجر وعلى حد تعبير الدكتور لهيطة « وهذا النظام يعتبر نظاما ظالما جدا إذ أنه فرق سوء معاملة الاهالى وقلة تغذيتهم فانهم كانوا يجهدون فى العمل بدرجه لا يمكنهم احتمالها وقد ضرب لنا مثلا بما حدث فى حفر ترعة المحمودية من قيام ٣١٣,٠٠٠ عامل بأعباء الحفر وكانت ساعات العمل لا تقل فى متوسطها عن اثنتى عشر ساعة يوميا وقد مات من هؤلاء العمال ١٢,٠٠٠ عامل فى مدى عشره أشهر وكان ذلك نتيجه الاجهاد فى العمل مع قله التغذية وإهمال الحالة الصحية (٢)

(١) الدكتور محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ١١٦

(٢) نفس المرجع ص ١١٣ .

و يصف الجبرتي ما اتبعه محمد علي من قسوة أثناء حفر ترعة المحمودية : « وامر حكام الجهات بالأرياف بجمع الفلاحين للعمل ، فأخذوا في جمعهم فكانوا يربطونهم قطارات بالحبال و ينزلون بهم المراكب وتعطلوا عن زرع الدراوى الذى هو قوتهم وقاسوا شدة بعد رجوعهم من المرة الاولى بعد ماقاسوا ماقاسوه ومات الكثير منهم من البرد والتعب وكل من سقط هالوا عليه تراب الحفر ولو فيه الروح » (١)

لم يراع محمد علي جانب العدالة في سياسة الاحتكار او في اعمال السخرة لقد كان يسعى في تكوين امبراطورية بأى سبيل . يقول صاحب تاريخ مصر الاقتصادى « اما النظر في حالة أفراد الشعب فقد أرجىء حتى يتم تكوين الامبراطورية التى حال دون تكوينها تدخل الدول و بذلك وجهت جهود الشعب الانتاجية مدة طويلة نحو حلم لم يمكن تحقيقه » (٢)

وفى الوقت الذى يقال فيه ان اتجاه العصر نحو الحرية الاقتصادية كان محمد علي يسير في اتجاه مضاد ، يقول الدكتور راشد البراوى وزميله « و يصح أن يقال إن اتجاه العصر كان الحرية الاقتصادية اى تطبيق مبدأ (Laissey faire) بأوسع معانيه على مختلف نواحى النشاط الاقتصادى فكأن محمدا عليا الذى حاول اقتباس الحضارة الغربية ظل متمسكا بنظام عملت دول أوربا على التخلص منه ولهذا كان الانجليز اشد خصوم محمد علي واكبر من عمل على هدم سياسته الاقتصادية وتحطيم آماله السياسية » (٣)

بل يرى المؤرخ عبد الرحمن الرافعى ان سياسة الاحتكار تشل حركة التقدم الاقتصادى وتنطوى على ظلم صارخ وإرهاق للفلاح فيقول : « عن هذه الوسيلة أنها من الوجهتين الاقتصادية والاجتماعية تشل حركة التقدم الاقتصادى لأن أجبار الفلاحين على بيع حاصلات أراضيهم للحكومة وتحديدها هى سعر البيع عمل ينطوى على الظلم والارهاق وفيه مصادرة لحق الملكية وحرمان المالك من الاستمتاع بحقه ومن الانتفاع من تزاحم التجار على الشراء ذلك التزاحم الذى ينجم عنه مضاعفة الثمرة للبائع كما أن هذا العمل يقتل كل همة فردية و يقبض أيدى الناس عن العمل ومن ثم يحول دون تقدم البلاد أدبيا وماديا و يضرب على الناس حجابا من الفقر والجمود » (٤)

تقدم الزراعة في عهد محمد علي : بالرغم من الظلام الذى كان يلف الفلاح في اطار الاحتكار و بالرغم من الاعباء الجسام التى كانت تلقى على كاهله و برغم هوة الفقر التى

---

(١) الجبرتى جـ

(٢) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٩٧

(٣) الدكتور راشد البراوى ومحمد حمزه عليش : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ص ٥٩ ــ القاهرة سنة ١٩٤٥

(٤) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ٦٣١ ــ القاهرة سنة ١٩٥١

تردى فيها كانت هناك ومضات من التور في الميدان الزراعي فكانت وسائل الرى فى تقدم وكان التوسع الزراعي يسير في امتداديه الافقي والرأسي الأفقي بإصلاح الأراضي البور، وشق القنوات وإقامة القناطر والجسور لتيسير الرى والامتداد الرأسي بانتقاء احسن انواع البذور وتحسين الانتاج . لقد حفر محمد على ترعة المحمودية واكثر من ثلاثين ترعة وأقام عددا كبيرا من القناطر والجسور وكان اعظم عمل فى تقدم الرى هو انشاء القناطر الخيرية فهى قوام نظام الرى الصيفى فى الوجه البحرى ، فقد كانت أراضى الوجه البحرى إلى أوائل القرن التاسع عشر تروى بطريق الحياض كالوجه القبلى ولا يزرع فيها الغلات الصيفية الا على شواطىء النيل والترع المنشقة (١) منه و يعتبر إنشاء القناطر الخيرية أعظم مشروعات الرى فى العالم فى ذلك الوقت كما شهد بذلك كبار المهندسين فوصفه المسيو شيلو كبير مهندسى السودان المصرى فقال « ان مشروع القناطر الخيرية كان يعد فى ذلك العهد أكبر أعمال الرى فى العالم قاطبة ، لأن فى بناء القناطر على الانهار لم يكن بلغ من التقدم ما بلغه اليوم ، فاقامة القناطر الخيرية بوصفها وضخامتها كان يعد إقداما يداخله شيء من المجازفة » . (٢)

وقال المسيو باروا السكرتير العام لوزاره الأشغال « إن هذه أول مرة اقيمت فيها قناطر كبرى من هذا النوع على نهر كبير» (٣) .

وشق محمد على ثلاث ترع كبيرة شمال القناطر الخيرية لتوفر الماء لرى الدلتا وهى الرياحات الثلاثة — الرياح المنوفى — والرياح البحيرى — والرياح التوفيقى الذى أطلق عليه هذا الاسم لانشائه فى عهد الخديو توفيق لقد وضع محمد على حجر الاساس للقناطر الخيرية فى أواخر حكمه (فى سنه ١٨٤٧) وسار العمل لانشاء المشروع حتى أتمه خلفاؤه وشاءت عنايه الله أن تنقذ لمصر هرمها الأكبر من الهدم فقد كان من حمق عباس الأول وسوء تصرفه أن يفكر لتوفير النفقة فى هدم الهرم الأكبر ليبنى بأحجاره القناطر الخيرية ولكن المهندس الفرنسى لينان باشا اقنعه بخطأ هذا الرأى وان نفقات اقتلاع الأحجار من الهرم تفوق نفقات اقتلاعها من المحاجر وقد تم بناء القناطر الخيرية وأنشىء رياح المنوفية فى عهد سعيد باشا (٤) لقد وسع محمد على نطاق الزراعة ففى زراعة القطن اتى بأنواع ممتازه كما مر بنا وغرس أشجار التوت واستحضر بعض الهنود لزراعة النيلة الهندية كما استحضر بعض الأرمن من أزمير لزراعة الخشخاش (٥) .

و يعتبر محمد على واضع أساس النظام الاقطاعى فى مصر فى القرن التاسع عشر فقد

---

(١) نفس المرجع ص ٥٧٩
(٢) نفس المرجع ص ٥٨١ عن كتاب النيل والسودان ومصر تأليف المسيو شيلو المطبوع سنة ١٨٩١ ص ٢٩٤
(٣) نفس المرجع ص ٥٨٢ عن كتاب الرى فى مصر تاليف المسيو باروا المطبوع سنة ١٩١١ . ص ٣١٦ .
(٤) نفس المرجع ص ٥٨١ .
(٥) عبد الرحمن الرافعى عصر محمد على من ص ٥٨٢ — ٥٨٦ .

اقطع كثيرا من الأعيان ورجال الجهادية والموظفين مساحات واسعة من الأراضي البور قدرت بنحو ٢٠٠ الف فدان لاصلاحها وزراعتها مع إعفائها من الضريبة وتسمى الأبعديات لأنها كانت مستبعدة من الأراضي التي تمت مساحتها .

كما منح محمد على أفراد أسرته وكبار حاشيته أراضي أوسع من الأبعديات سميت بالشفالك وكانت معفاة من الضرائب وعندما راى محمد على عدم اهتمام اصحاب ، الأبعديات والشفالك بشئون زراعتهم لان الأرض لم تصبح ملكا خالصا لهم بل حق الانتفاع فقط فمنحهم سنة ١٨٤٢ هذه الاراضي مع حق الملكية التامة وكانت هذه أول أراض في القرن التاسع عشر ينطبق عليها حق الملكية التامة (ملكية الرقبة والمنفعة معا) لأن أراضي مصر كلها كانت تعتبر ملكا للسلطان العثماني بحق الفتح ومن جهه اخرى فان تمتع الاقطاعيين بملكية الارض التي كانت بورا يدفعهم إلى استصلاحها والاهتمام العظيم بشئون الزراعة .

إن الدولة قد ربحت اموالا طائلة بتطبيق الاحتكار و يتبين من ميزانية الحكومة سنة ١٨٣٢ ان ارباح الحكومه من احتكار الزراعة بلغت ٤٥٠,٠٠٠ من الجنيهات على حين كان مجموع ايرادات الدولة ٢,٥٢٥,٢٧٥ من الجنيهات .

الغاء الاحتكار: بدأ الغاء الاحتكار سنه ١٨٣٧ وتم إلغاؤه في عهد سعيد باشا فقد عقدت انجلترا معاهدة مع الدولة العثمانية سنه ١٨٣٨ تنص على إلغاء الاحتكار في انحاء الدولة العثمانية فطالبت انجلترا محمد على بإلغاء هذا النظام حتى استجاب لرغبتها وكان الخلاف قد انتهى بين محمد على والسلطان وصدر فرمان سنه ١٨٤١ باعطاء محمد على حكم مصر وراثيا فكان على محمد على أن ينفذ معاهدات الدولة العثمانية مع الدول لأن مصر جزء من الدولة العثمانية (١)

نظام العهد: رأى محمد على أن بعض القرى لا تتمكن من دفع جميع الضرائب كما كانت تترك بعض الأراضي بغير زراعة ففكر محمد على في اتباع طريقة أخرى تضمن له الحصول على جميع الأموال الأميرية المطلوبة فعهد إلى بعض الأعيان والمأمورين ورجال الجهادية فيكون في عهدتهم جباية ضرائب بلاد بأكملها فهم مطالبون بدفع جميع الضرائب ويختلف هذا النظام عن نظام الالتزام ان المتعهد لا يستطيع أن يجبى من الفلاحين إلا الضريبة المحددة أما الملتزم فكان يجمع ما يشاء وكان المتعهد يسخر الفلاح تحقيقا لأغراضه فقد كان يعتبر نفسه كالدائن الذى يقوم عنه بسداد الدين وقد الغت الحكومة هذا النظام سنه ١٨٥٠ وكان من مساوئه تدخل المتعهد في ترتيب زراعة الفلاح للأرض فقد كانت الضرائب نقدية وعينية فكان المتعهدون يرتبون زراعة الأرض ضمانا لسداد الضرائب

---

(١) الدكتور أحمد أحمد الحته : تاريخ مصر الاقتصادى في القرن التاسع عشر ص ٤٨ القاهرة سنة ١٩٥٨ م .

الفلاح المصرى فى عهد سعيد : يعتبر العصر الذهبى للفلاح فقد صار للفلاح الحرية المطلقة فى زراعة ما يشاء من الحاصلات و بالطريقة التى تروق له كما صار الفلاح حرا فى تصريف منتجاته فعادت مصر إلى مبدا الحرية الاقتصادية كما كانت قبل احتكارات محمد على . وقد ألغيت الضريبة العينية وتقررت حرية الفلاح التامة فى زراعة ما يشاء من حاصلات (١) ولقد تنازل سعيد عما فى ذمة الفلاحين من ضرائب متأخرة قدرت بمبلغ ٨٠٠,٠٠٠ جنيه كما قام بتنظيم الضرائب وتخفيف اعبائها (٢) ، وفى سنة ١٨٥٨ أصدر سعيد اللائحة السعيدية وهى تعتبر الأساس الذى قامت عليه الملكية الفردية للأراضى الزراعية فى العصر الحديث وأهم ما جاء فى هذه اللائحة أن أصبح للفلاح الحق فى التصرف فى الأراضى التى فى حيازته بالبيع او الرهن او الهبة او غير ذلك ، ولقد ادت هذه اللائحة الى اهتمام الفلاحين بالانتاج وتحسين حالهم وعلى ضوء احكام القانون المدنى يمكن القول بان اللائحة السعيدية لم تمنح حق الملكية للفلاح بل ابقت ملكية الأرض للحكومة (٣)

بقيت ملاحظة هامة على هذه اللائحة هى أن كلمة بيع الواردة فى البند الخامس السابق خطأ من الوجهة القانونية فلم يكن البائع مالكا حتى يبيع وفاقد الشىء لا يعطيه فقد كانت الأرض ملكا للحكومة او بتعبير آخر كانت الأرض ملكا السلطان العثمانى بحق الفتح . هذا باستثناء الأبعديات والشفالك التى أقطعها محمد على لأقاربه ورجال حكومته فلم تكن اللائحة السعيدية تطبق عليها — كما أن المشترى لم تعد له الملكية التامة بالشراء فالأرض كانت ملكا للحكومة كما سبق القول اما المالك بالمعنى الصحيح فله سلطة كاملة تشمل الرقبة والمنفعة معا (٤)

فمفهوم كلمة البيع الواردة فى اللائحة السعيدية هو بيع حق الاستغلال لا حق الملكية

الفلاح المصرى فى عهد اسماعيل : ساءت حالة الفلاحين فى عهد إسماعيل لعدة عوامل هى :

١) إرهاق الفلاحين بالضرائب واتباع القسوة فى جبايتها وكان الضرب بالكرباج أمرا عاديا فى تحصيل الضرائب .

٢) إرهاق الفلاحين فى أعمال السخرة وكانت شائعة فى إصلاح أراضى الخديو وكبار الحكام أو القيام بالاعمال العامة .

---

(١) نفس المرجع ص ١٨٤

(٢) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٢٢٦ القاهرة سنة ١٩٤٤

(٣) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٢٢٥

(٤) الدكتور عبد المنعم فرج الصدة : حق الملكية ص ٢٩ — القاهرة سنة ١٩٦٤

٣) استبداد الموظفين بالفلاحين .

٤) قسوة المرابين الأجانب على الفلاحين فقد وجد المرابون الأجانب فى الامتيازات الاجنبية درعا واقية لحمايتهم فاستغلوا الفلاحين وغيرهم من الأهلين أسوأ حدود الاستغلال حتى انتزعوا منهم الأملاك والأموال وكبلوهم بالديون الباهظة ولم يجد الفلاح من الحكومة حمايه لحقوقه ومرافقه بل كانت تقاسم الأجانب إرهاقه واستغلاله (١) .

وازاء هذه العوامل المجتمعة وقع الفلاح تحت نير الاستبداد والقسوة البالغة وكأن جهوده فى سبيل زراعته تذهب أدراج الرياح بل إن نظام العهد الذى الغته الحكومة سنة ١٨٥٠ عاد العمل به فى أوائل عهد إسماعيل وقد أدى اتباعه إلى مزيد من أرهاق الفلاحين فقد كان المتعهدون يسخرونهم فى أعمالهم الخاصة لذلك اقترح ميخائيل اثناسيوس عمده اشروبة من (نواب المنيا) فى مجلس شورى النواب إلغاء نظام العهد فقوبل اقتراحه بالاستحسان (٢) .

يقول صاحب تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة « ولم يكن الفلاح الحر أسعد حظا من الرقيق إذ أنه كان مشدودا إلى الأرض التى يفلحها مضطرا الى العمل فيها و بذل قصارى جهوده فى الانتاج الزراعى . ومع ذلك كانت ثمرات هذا المجهود يستولى عليها عمال الحكومة ولا يتبقى له منها غير ما يمكنه من معيشة الكفاف » (٣) .

ورأى الخديو اسماعيل أمام كثرة ديونه وأرباحها أن يحصل على مزيد من الضرائب باصدار لائحة المقابلة وكان نص المادة الثالثة من هذه اللائحة : « ان كل ممول يدفع ضرائب ست سنين يعفى ابدا من نصف الضريبة العقارية بواقع نصف ما يدفعه حالا للحكومة وان الضريبة المفروضة على الاملاك المذكورة مهما يكن نوع تلك الاملاك لا يجوز زيادتها بأى شكل كان و بأى سبب كان » (٤) .

وان إلقاء أول نظرة على هذه اللائحة يبين بجلاء أن إعفاء الفلاحين من نصف الضرائب نظير دفع المقابلة معناه فى المستقبل تخفيض ايراد الحكومة من الضرائب الى النصف وهو امر من الصعب استمراره فى ظل دولة يقوم اقتصادها الأول فى ذلك الحين على الزراعة ، فكانت المقابلة وسيلة لجمع المال ، يقول الاستاذ يوسف نحاس « على أن ذلك كله لم يكن إلا مظهرا خداعا فان الحكومة خلقت المقابلة لتجلب لها المال الذى تحتاج اليه ان طوعا وان كرها وقد

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل الجزء الثانى ص ٢٧٩ ـ القاهرة سنة ١٩٤٨ م .

(٢) نفس المرجع ص ٨٤ .

(٣) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٣٥٨

(٤) يوسف نحاس : الفلاح حالته الاقتصادية والاجتماعية ص ٤٤ القاهرة ١٩٢٦

استعمل رجال الادارة تحت ضغط الحكومة الرئيسية كل طرق الالزام لحمل الفلاح على الدخول فى تلك المغامرة المالية التى كانت معروضة على محض رغبته واختياره » (١)

وفى ٦ يناير سنة ١٨٨٠ صدر أمر عال من الخديو توفيق بإلغاء المقابلة واعادة الضرائب الى مقاديرها الأصلية أى الى مثل ما كانت عليه قبل دفع بدل المقابلة (٢)

و برز تبذير اسماعيل يسوق البلاد الى هوة الافلاس فقد قفزت ديون مصر فى عهد سعيد التى كانت تبلغ ثلاثة ملايين الى ثمانية وتسعين مليونا فى سنة ١٨٧٦ ووجدت أوربا الفرصة سانحة للتدخل فى شئون مصر بسبب ديون إسماعيل ومحافظة على أموالها المستثمرة فى مصر فرأت ان تضع حدا للارتباك المالى فأدى هذا الارتباك الى التدخل الأجنبى ثم المراقبة وضع يد أوربا على إدارة داخلية البلاد (٣) .

الفلاح المصرى فى عهد توفيق : ارتفع مستوى المعيشة عما كان عليه لعده عوامل
١) زيادة ثروة البلاد الاقتصادية
٢) تحقيق العدالة فى توزيع الضرائب
٣) منع استعمال الكرباج فأبطل الجلد بالسياط بمنشور ١٦ يناير سنة ١٨٨٣
٤) إلغاء السخرة فصدر الأمر العالى فى ١٩ ديسمبر سنة ١٨٨٩ بإلغائها وكانت عنوانا للمظالم وصورة قبيحة للاستبداد فقد بلغ عدد المسخرين فى سنه ١٨٨٤ ثمانين الف فلاح يعملون مدة ستين يوما .

و يعتبر عهد الاحتلال البريطانى عهد تخصيص اقتصادى فعقد الاستاذان الدكتور راشد البراوى وزميله عليش فصلا فى كتابها التطور الاقتصادى عنوانه سياسة التخصص الاقتصادى سنه ١٨٨٢ ــ ١٩١٤ أى التخصص فى الزراعة ، ذلك أن الاحتلال الانجليزى فوض على البلاد ان تكون مزرعة تمد مصانع انجلترا بالقطن وكان لها ما أرادت ففى عهد الاحتلال الانجليزى حتى قيام الحرب العالمية الاولى فى سنه ١٩١٤ طرأت على توزيع الغلات الزراعية فى مصر التغييرات الاتية :

القطن : ازدادت مساحة القطن من ٤٩٥,٧٠٧ أفدنه فى سنة ١٨٧٩ الى ١,٢٧٣,٠٩٤ فدانا فى سنه ١٩١٣ اى من ١١,٥٪ من المساحة الكلية للحاصلات الى ٣٣,٤٪ وذلك لسياسة انجلترا التى فرضتها على مصر لتوفير المواد الخام للمصانع الانجليزية وصارت قيمة

---

(١) نفس المرجع : ص ٤٢
(٢) نفس المرجع : ص ٤٥
(٣) نفس المرجع ص ٤٣ .

صادرات مصر فى القطن و بذرته بين ٨٠٪ و٩٣٪ من قيمة الصادرات واعتمدت البلاد على محصول واحد وفى هذا خطر على الاقتصاد القومى فى حين نقصت مساحة القمح من ٢٠,٦٪ من المساحة الكلية للحاصلات فى سنه ١٨٧٩ الى ١٦,٩٪ فى سنه ١٩١٣ على الرغم من زيادة المساحة الفعلية المزروعه بالقمح فصار إنتاج مصر غير كاف لسد حاجاتها المتزايدة بسبب زيادة عدد السكان وأدى ذلك الى استيراد القمح بكميات وافرة من سنه ١٩٠٠ من كندا واستراليا والارجنتين أما الذرة فقد ازدادت مساحتها من ٦٥١,٢١٧ فدانا سنه ١٨٧٩ الى ١,٨٥٧,٧٦٠ فدانا فى سنه ١٩١٣ أى صارت ثلاثه أمثال ما كانت عليه وذلك لنقص مساحة الشعير واستمرت زراعة البرسيم خمس المساحة الكلية فكان القطن والذرة والقمح والبرسيم الحاصلات الأربعه الرئيسية فى ذاك العهد حتى أن مساحتها فى سنه ١٩١٣ شملت ما يزيد على اربعة أخماس المساحة الكلية للحاصلات أما الحاصلات الأخرى المهمة فكانت الأرز والفول والشعير وقصب السكر والبصل .

واذا كانت السخرة او الكرباج قد رفع نيرها من فوق كاهل الفلاح إلا ان تعرض الفلاح للمرابين كان صورة قاسية أخرى وتجربة تمر بها حياة الفلاح ، و يصور الاستاذ يوسف نحاس تلك الظروف القاسية التى تمر بها حياة الفلاح وما يتعرض له من قسوة المرابين فقد كان المرابى يعطى الفلاحين الجنيه الانجليزى بمائه وخمسة وعشرين قرشا أى بفائدة ٢٧٪ واحيانا ٣٠٪ ويحرر للفلاح سندا بالمبلغ فيوقع عليه الفلاح بختمه آمنا جاهلا بما يخبئه له الصك لأنه لا يقرأ وكان الفلاحون يسمون شهر اكتوبر شهر المرابين فيأتى المرابى و يضطر الفلاح إلى بيع محصوله بأى ثمن وقد يحدث القرض فى يونيه أو يوليه وتحسب الفائدة عن سنه كاملة مع أن الدفع سيكون فى شهر اكتوبر ويبلغ الحد بتصوير هذه القسوة التى يعبر عنها الاستاذ يوسف نحاس بقوله « فان ذلك الجلاد » يقصد المرابى ، » الذى لا يعرف الشفقة يتربص لفريسته ساعة تسليم القطن ليجهز عليها (١) .

وقد أورد الأستاذ يوسف نحاس فى كتابه عن الفلاح بيان السيراكوين بالمر المستشار المالى فى سنه ١٨٩٧ بعدد ملاك الأطيان .

٧٦٧,٢٤٢	من هؤلاء الملاك يظهر الاحصاء المذكوران :
٦١١,٠٧٤	يملكون أقل من خمسة افدنة
٨٠,٠٠٠	يملكون من خمسة إلى عشرة أفدنة
٤١,٢٧٦	يملكون من عشرة الى عشرين فدانا
٢١,٩٢٨	يملكون من عشرين الى ثلاثين فدانا

(١) يوسف نحاس : الفلاح : حالته الاقتصادية والاجتماعية ص ٩٢ الى ص ٩٤ القاهرة سنة ١٩٢٦ .

٩,٢٩٧	يملكون من ثلاثين إلى خمسين فدانا
١١,٨٥٧	يملكون اكثر من خمسين فدانا

وكانت مساحة الاراضى المنزرعة ٥,٧٥٧,١٠٠ فدان وكان عدد الزراع فى القطر ٦,٢٠٨,٠٧٣

و يبدو من هذا البيان أنه يوجد مالك واحد بين كل ثمانية اشخاص من سكان الريف وان عدد صغار الملاك كبير وكان كثير من الأطيان فى أيدى أمراء الاسرة الخديوية والدائرة السنية

مشروعات تحسين حال الفلاح :

١) **تأسيس الجمعية الزراعية فى ٢٢ ابريل سنة ١٨٩٨ :** على يد الأمير حسين كامل ، كان عدد أعضائها ٤٠٠ من كبار المزارعين والغرض منها السعى فى تحسين الشئون الزراعية فى مصر واقامة المعارض الزراعية والصناعية [١] .

٢) انشاء البنك الاهلى المصرى فى ٢٥ يونيه سنة ١٨٩٨ ومنحه امتياز اصدار اوراق البنكوت . ان الغرض من انشاء هذا البنك :

أولا : إصدار اوراق مالية تدفع لحاملها عند الطلب

ثانيا : تسليف الفلاحين الاموال اللازمة للبذور أو أعمال الزراعةالضرورية لمحاصيل السنة برهن أو بغير رهن . [٢]

٣) **انشاء البنك العقارى الزراعى المصرى فى يونيه سنة ١٩٠٢ :**

كان الغرض من انشائه تسليف صغار الفلاحين الذين يملكون خمسة افدنة فأقل برهون عقارية و بشروط بسيطة للمحافظة على أموالهم وزيادة عددهم [٣] فإن صيانة اموال صغار الملاك وكثرة عددهم يجعل منهم عنصرا محافظا يصون البلاد من التقلب والاضمحلال .

٤) **التعاون الزراعى :** فى سنة ١٩٠٨ قام عمر لطفى الذى يعتبر زعيم الحركة التعاونية بالدعوة إلى إنشاء جمعيات التعاون على نسق جمعيات التعاون فى اوربا ولقد حطم عمر لطفى بعزيمة قوية كل العقبات التى وقفت فى سبيل دعوته ، وكانت أول جمعية زراعية فى شبرا النملة سنة ١٩١٠ [٤] ولقد اعترفت الحكومة بهذه الجمعية ولكنها لقيت محاربة من الانجليز لاعتقادهم انها فى حقيقتها جمعيات سياسية . والغرض من

(١) محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٥٥٨

(٢) محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٥٩٣

(٣) نفس المرجع ص ٥٩٥

(٤) نفس المرجع اصل ٥٢١

التعاون هو جمع قوى الفلاحين الموزعة باشتراكهم الاختيارى فى جميات القرض منها تحسين حالتهم المادية والمعنوية وتتخلص وسائل هذا التحسين :

(أ) اقراض الاعضاء الاموال اللازمة لزراعتهم .

(ب) شراء مايلزم للزراعة بالجملة و بيعه للأعضاء بأثمان معتدلة

(جـ) جمع المحاصيل الزراعية للأعضاء و بيعها بالجملة بأثمان مناسبة

(د) إنشاء المصانع التى تقوم على الانتاج الزراعى (١)

(هـ) تحسين حالة الأعضاء الاجتماعية بإنشاء مستشفيات وأندية وملاجيء .

(و) حماية الفلاح من الغبن وتدريبه على الاستقلال بشئونه وتمتعه بثمار جهوده .

٥ : **قانون الخمسة أفدنة :** صدر فى أول مارس سنة ١٩١٣ لحماية الملكية الصغيرة و يتلخص فى عدم جواز نزع ملكية اطيان الفلاح الذى يملك خمسه أفدنة فأقل ومسكنه وآلاته الزراعية ودابتين من الدواب المستعملة للجر وكان الغرض من إصدار هذا القانون حماية صغار الزراع من استغلال المرابين لجهلهم وسذاجتهم حتى لا يؤدى هذا الاستغلال إلى تجريدهم من املاكهم وهذا لا يتفق مع صالح بلد زراعى كمصر (٢) وكان يشترط للاستفاده من هذه الحماية عدم زيادة ما يملكه الزارع المدين على خمسة أفدنه فإذا كان مالكا لاكثر من خمسة أفدنه جاز التنفيذ على كل ما يملكه بما فى ذلك خمسة الأفدنة الأخيرة ، إن إلقاء أول نظره على أحكام هذا القانون تثبت عجزه عن تحقيق الحماية المنشودة لصغار المزارعين من إصداره يقول الدكتور رمزى سيف استاذ قانون المرافعات بجامعة القاهرة « كشف العمل بالقانون سالف الذكر عن عيوب أهمها أنه كان يبيح التنفيذ على جميع ما يملكه المدين إذا كان ما يملكه يزيد على خمسة افدنة ولو بقدر بسيط مما يترتب عليه تجريدهم من جميع ما يملكون فيصبحوا من المعدمين مما يتنافى مع الغرض الأصلى من القانون (٣) .

الصناع

اشتغل كثير من أقباط المدن وبعض القرى الصناعة فكان منهم النجارون والبناؤن وغيرهم واختص الاقباط بمهن تقليدية تكاد تكون مقصوره عليهم مثل معامل تفريخ الدجاج وتربية النحل البلدى و يذكر المستشرق ادوارد وليم لين عندما جاء إلى

---

(١) نفس المرجع ص ٥٥٩

(٢) الدكتور رمزى سيف : قواعد تنفيذ الاحكام والعقود الرسمية ص ١٦٣ القاهرة سنة ١٩٦٧ م .

(٣) نفس المرجع ص ١٦٣ .

مصر في عهد محمد على أنه كان في الوجه البحرى أكثر من مائة معمل وفى الصعيد أكثر من نصف ذلك العدد ويكون اغلب مراقبي هذه المعامل إن لم يكن جميعهم من الأقباط وتفرض الحكومة على هذه المعامل ضريبة ويذكر أنه قرأ في احدى الجرائد المصرية التي تنشر بأمر الحكومة (ولعلها الوقائع المصرية) في عدد مارس سنة ١٨٣١ ان عدد معامل التفريخ في الوجه البحرى ١٠٥ وفى الوجه القبلى ٥٩ معملا وان عدد البيض المفقس في الوجه البحرى نحو ١٣ مليون بيضة وفي الوجه القبلى نحو اربعة ملايين بيضه» (١) وبذلك يمكن القول إن انتاج المعامل كان يتم على نطاق واسع وكان الفلاحون يقومون بتوريد البيض للمعامل ويأخذون عن كل مائة بيضه من ٢٥ الى ٥٠ كتكوتا (٢).

وكانت تربية النحل منتشرة في البلاد حتى أن خلايا النحل كانت موجودة بكميات كثيرة في جميع القرى تقريبا بمديرية اسيوط (٣) وكان اكثر من ربع عدد الاقباط في القرن التاسع عشر يعيشون في أرجاء هذه المديرية.

وكانت اعمال الأقباط في أوائل القرن التاسع تنحصر غالبا في الكتابة والزراعة وبعض الاعمال العادية اليدوية البسيطة كالنجارة والصباغة والصياغة وعمل السواقى والطواحين (٤)

وقامت إلى جوار بطريركية الأقباط في حى الازبكية بالقاهرة عدة صناعات تتصل بالمسيحية وطقوس الكنيسة القبطية مثل العمائم السود التي يلبسها رجال الدين الاقباط ونسج وحياكة الملابس الكهنوتية وملابس الشمامسة وصناعة الصلبان من الخشب المطعم بالصدف او العاج والأبنوس أو من الفضة والذهب وصناعة الشمع الذى يوقد في الكنائس (٥).

وكانت الصناعة في مصر منذ القرن العاشر الميلادى في عهد الفاطميين حتى قبيل نهاية القرن التاسع عشر تسير في فلك نظام الطوائف وهذا النظام كان يشبه النظام الذى ساد في اوربا في العصور الوسطى فكان لكل حرفة رئيس هو شيخ الطائفة (٦)

---

(١) ادوارد وليم لين (الترجمة العربية) لعدلى طاهر نور) المصريون المحدثون

(٢) الدكتور احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى في القرن التاسع عشر ص ٢١ القاهرة سنة ١٩٥٨

(٣) نفس المرجع ص ٤٤

(٤) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية.

(٥) محمد سيد كيلانى : في ربوع الازبكية ص ٨٧ القاهرة سنة ١٩٥٧

(٦) الدكتور عبد الودود يحيى : شرح قانون العمل ص ١٧ القاهرة سنة ١٩٦٣

وكان هذا الشيخ أو رئيس الطائفة يتمتع بسلطات واسعة فهو الذى كان يضع القواعد المنظمة للمهنة و يوقع العقوبات على المخالفين من الصناع و يفض المنازعات التى تحدث بين الصناع كما يقوم بجمع الضرائب المفروضة على أصحاب المهنة (١) وكان منصب شيخ الطائفة وراثيا فى بعض الأسر وقد استمر هذا النظام الى سنه ١٨٩٠ حين صدرت ضريبة المهن او البايتنة فألغى هذا النظام الذى استغرق معظم القرن التاسع عشر ولم يبطل الا فى العشر الأخير وكان الصانع يسمى الاوسطى وهذه كلمة تركية بمعنى معلم الصنعة وكان يساعده فى العمل بعض الصبيان مرادا ما بلغ الصبى الى درجه من التدريب تكفى لينشىء مصنعا صغيرا لحسابه فانه يصطحب معلمه أو الاسطى الى شيخ الطائفة ليقرر امامه أنه تعلم الصناعة وأحكمها وأنه يرغب فى مزاولة المهنة فى مصنع خاص به وكان شيخ الطائفة ينطقه بحزام دلالة على أنه صار (أوسطى) يعمل لحسابه الخاص (٢) فيقوم هذا الحزام بمثابه منحه دبلوما فى الصناعة.

و يطلق بعض المؤرخين لفظ النقابات الطائفية على نظام الطوائف ولكن النقابات بمعناها الحديث لم تنشا فى مصر الا فى القرن العشرين. وكان الصناع فى المدن والقرى يبعون مصنوعاتهم فى الأسواق أو يعملون لحساب من يطلب منهم وكانت صناعات القاهرة تباع فى القاهرة أو تصدر إلى الخارج.

تقسيم الصناعات: تنقسم الصناعات الى قسمين صناعات صغيرة وصناعات كبيرة أما الصناعات الصغيرة فقد كانت قائمة فى مصر طوال العصور وهى أن كل صانع يقوم بصناعته فى مصنعه الصغير او لحساب من يطلب منه إتمام صناعة أما الصناعات الكبيرة فلم تعرف فى مصر الا ابتداء من عهد محمد على فأنشأ مصانع ضخمة حشد إليها الألوف من المصريين مثل مصانع النسيج والأسلحة.

احتكار الصناعة: وكما كان محمد على الزارع الوحيد، كان ايضا الصانع الوحيد والتاجر الوحيد فقد احتكر الصناعات الصغيرة وأنشأ الصناعات الكبيرة مثل مصانع الأسلحة والذخيرة والغزل والنسيج ومصانع السكر والنيلة وسبك المعادن واستقدم لها كبار المهندسين من فرنسا مثل المسيو سيريزى (٣) مدير الترسانة وقد اشتغل الأقباط فى هذه المصانع الحكومية جنبا إلى جنب مع مواطنيهم المسلمين فقد جاء فى تقرير بورنج الانجليزى الذى قدم إلى مصر فى عهد محمد على لكتابة تقرير عن مصر عن الاقباط.

---

(١) الدكتور على الجريتلى: تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٢٢ القاهرة سنه ١٩٥٢ م.
(٢) الدكتور احمد احمد الحته تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ١٦
(٣) عبد الرحمن الرافعى: عصر محمد على ص ٤٢٨

« و يشتغل كثير منهم بالنسج على الأنوال اليدوية فى مصانع الباشا » (١) كما الحق محمد على مائة قبطى بالعمل فى ترسانة الاسكندرية ونظرا لكفاءتهم فقد اشار محمد على باعفائهم من دفع الجزية . (٢)

وقد احتكر محمد على عددا كبيرا من الصناعات الصغيرة القائمة فى مصر يقول مؤرخ الحركة القومية فى مصر : « سرى مبدأ الاحتكار من الزراعة والتجارة الى الصناعة فبعد ان صار محمد على المالك الوحيد لأراضى مصر ثم التاجر الوحيد لحاصلاتها صار الصانع الوحيد لصنائعها ، والظاهر انه رأى الاحتكار بما يفيد ايراد الحكومة لأنه يفتح بابا جديدا للربح فعمد إلى احتكار الصناعة لكن هذه الطريقة اضرت بالحالة الاقتصادية فى مصر ضررا بليغا » (٣)

كيف طبق نظام احتكار الصناعه : طبق محمد على نظام الاحتكار على الصناعات الصغيرة مع بقائها فى ايدى اصحابها وكانت الحكومة تعطى الصناع المواد الأولية اللازمة للصناعة بثمن محدد تطالبهم بصنعها فى مدة محدودة على حسب معدل تفرضه عليهم ثم تشترى المصنوعات بثمن منخفض وتختمها بخاتم الحكومة ثم تبيعها بثمن مرتفع جدا عن ثمن الشراء (٤) واتبعت الحكومة وسيلتين لضمان العمل لحسابها إحداها ختم المصنوعات بختم الدولة والثانية استخدام الحكومة المخبرين السريين للتجسس على الصناع والتأكد من أنهم يعملونها لحسابها فقط (٥) .

وقد احتكر محمد على صناعة المنسوجات وصناعة الحصير وعصر الزيوت وتفريخ الدجاج واستخراج صبغة النيلة وصناعة الأحذية وصناعة الآدوات المنزلية وغيرها .

مساوىء نظام الاحتكار:

١) تقييد حرية الصناعة فقد فقد الصناع معظم استقلالهم فى العمل وأصبحوا فى الواقع اجراء للدولة .

٢) تعرض الصناع لظلم المخبرين السريين واضطهادهم وظلم بعض رجال الاداره وتعسفهم فى استعمال السلطة .

و يعلق الدكتور على الجريتلى على قول جريدة الوقائع عن الاحتكار فى عهد محمد على كما أمر بمنح البصاصين ثلث الحرير الذى يضبطونه ومصادرة الباقى لكى يكون موجبا لزيادتهم

---

(١) الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه : بناء دولة مصر محمد على ص ٣٤٨

(٢) الدكتور جاك تاجر : اقباط ومسلمون منذ الفتح العربى فى سنة ١٩٢٢ ص ٢٥٤ عن وثائق عابدين سجل ٧٤ معية تركى رقم ١١٠

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ٦٣٢

(٤) الدكتور احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ١٥٦

(٥) نفس المرجع ص ٥٦

فى الخدمة (١) « يقول الدكتور الجريتلى » ولا شك أن اتباع هذا النظام يشجع صغار النفوس من المأمورين على الامعان فى الجور والادعاء الكاذب (٢).

٣) التلاعب بالموازين والمقاييس والمكاييل فقد ادى الى تواطؤ رجال الادارة مع الكتبة فى اتباع اساليب الغش إلى اثرائهم على حساب الصناع.

٤) تسويف الحكومة فى دفع استحقاقات الصناع.

٥) حرمان الصناع من أرباحهم الكاملة وثمرة كدهم فدفعهم إلى عدم الاهتمام بالصناعة فان هذا الحرمان كان يوغر صدورهم و يضعف من رغبتهم فى الانتاج بل ويحملهم على ترك الصناعة هربا من تعنت مندوبى الحكومة كما حدث فى هروب كثير من النساجين والصباغين تاركين قراهم ولم يكن لدى الصناع حافز على زيادة الانتاج فقد كان نصيب الأسد من الربح يعود الى جيوب الموظفين وخزينة الوالى (٣) فأضر ذلك بالصناعات فهبطت جودتها عما كانت عليه حين كانت الصناعة حرة.

٦) قتل روح الابتكار فى الصناعة بسبب التدخل الحكومى المستند إلى الاحتكار (٤) اذ كانت الحكومة ترسم لهم طرق الصناعة وتمنع اتباع طرق جديدة للانتاج وكان الصناع ينظرون إلى صناعاتهم كحرفة وهواية فى نفس الوقت واحتكار مثل هذه الصناعات يقضى عليها لأنه يفقد محترفها جانب الهواية فيها و يدفعهم إلى اهمالها والاتجاه بجهودهم وجهة (٥) اخرى وهذا ما حدث بالفعل فقد تحول بعض صناع النسيج إلى الزراعة (٦) برغم ما فيها من إرهاق واستبداد.

٧) عدم حصول الحكومة على دخل كبير، كان الهدف من الاحتكار حصول الحكومة على مال طائل ولكن هذا الهدف لم يتحقق بسبب التهرب وانتشار العمل (البرانى) وعظم نفقات الادارة وضعف الانتاج.

وكانت العقوبات التى يتعرض لها تجار السلع البرانية بالغة القسوة ومن الغريب أن نسمع ان ضرب التاجر خمسين سوطا يعتبر تخفيفا للعقوبة فقد جاء فى جريدة الوقائع المصرية : « وحيث ان المذكور نحيف الجسم لا يتحمل شدة الضرب ينبغى أن يحرر

---

(١) الوقائع المصرية فى ٢٢ رمضان سنة ١٢٤٧

(٢) الدكتور الجريتلى: تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٧٥ (دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٥٢).

(٣) نفس المرجع ص ٧٧ ، ٧٨

(٤) الدكتور على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ص ٧٨ القاهرة سنة ١٩٥٢.

(٥) الدكتور محمد فهمى لهيطه : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر الحديث ص ١٢٦

(٦) عبد الرحمن الرافعى : عصر محمد على ص ٦٣٣.

علم من الديوان الخديوى إلى مقدم هذا الانهاء اشعارا بان يضرب به فى ديوانه خمسين سوطا لاغير تأديبا له وزجرا لغيره » (١)

٨) **الضرر بالمستهلك :** أدى الاحتكار إلى ارتفاع اسعار المنتجات الصناعية وهذا أدى الى زيادة نفقة المعيشة والاضرار بالمستهلك .

الصناعات الصغيرة المنتشرة : المنسوجات القطنية والكتانية والحريرية ومن المدن التى يكثر بها الاقباط وتشتهر بالمنسوجات القطنية فى الصعيد : اسنا وقوص وقنا و بنى سويف ، واشتهرت بالمنسوجات الكتانية منطقة الفيوم . كذلك قامت صناعة الأوانى الفخارية ومن المدن التى يكثر بها الاقباط وتشتهر بصناعة القلل مدينة قنا كما اشتهرت ملوى ومنفلوط و يكثر بها الاقباط ايضا بصناعة الاوانى الكبيرة المعدة لتجهيز النيلة والسكر والاصباغ ولتخزين الزيوت والحبوب فى المنازل (٢) كما قامت صناعة النبيذ فى منطقة الفيوم لوفرة الكروم وكانت الصناعة الشائعة عند الرهبان فى الاديرة هى صناعة السلال .

الغاء الاحتكار: اضطر محمد على إلى الغاء الاحتكار وتوقفت النهضة الصناعية فقد كان لفرمان فبراير سنة ١٨٤١ المنفذ لماهدة لندن سنة ١٨٤٠ آثار بعيدة المدى فى هدم النهضة الصناعية فقد حدد الفرمان عدم زيادة الجيش المصرى على ١٨ الف جندى بعد أن كان قرابة ربع مليون وكانت المصانع تنتج للجيش الأسلحة والملابس والأحذية وغيرها فيكون إنتاجها عظيما إذا كان عدد الجنود عظيما ولقد شعرت دول أوربا أن قوة محمد على قامت على اتباع الاحتكار كان بمثابة تقليم اظافر هذا الأسد فقد ضمن الاحتكار للدولة الثروة على حساب فقر الفلاح و يؤس الصانع وقلة دخل التاجر، وجاء فى فرمان فبراير سنة ١٨٤١ انه ليس لمصر أن تبنى سفنا إلا بأذن صريح من الباب العالى وفى هذا النص هدم للترسانة وقد نتج عن ذلك قلة انتاج المصانع الحكومية وإغلاق معظمها بعد فشل النهضة الصناعية ، اما الصناعات الصغيرة فقد استمرت فى التدهور فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر بسبب صعوبات التمويل ومنافسة البضائع الاجنبية (٣) وسارت الصناعة فى عهد عباس الاول فى طريق التدهور وكذلك سعيد الذى كان كل اهتمامه متجها الى تقدم الزراعة وتحسين أحوال الفلاح وحفر قناة السويس .

الصناعة فى عهد اسماعيل : عادت الصناعة الكبيرة إلى الظهور فى عهد اسماعيل بعد أن اصابها الوهن والاضمحلال فى أواخر حكم محمد على كما مر بنا وقد أقام اسماعيل مصانع كبرى للسكر تستخدم الآلات الحديثة فى إدارتها وكلها فى الوجه القبلى بجوار مزارع

---

(١) الوقائع المصرية : العدد ٣٥٦ بتاريخ ٢٦ رمضان سنة ١٢٤٧ .

(٢) الدكتور احمد احمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر ص ١٥٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٥٨

السكر فى بلاد مديريات الفيوم و بنى سويف والمنيا وأسيوط وقنا و بلغ عددها ١٧ مصنعا كما اتجه اسماعيل إلى إعادة المصانع التى أنشئت فى عهد محمد على كمصنع الطرابيش ومصنع النسيج فى فوة ، كما أنشأ مصانع كبيرة للنسيج فى القاهرة . ومن المصانع الاخرى مصنع دبغ الجلود فى الاسكندرية ومصنع الورق فى بولاق ومصانع الترسانة فى الاسكندرية والسويس وفى هذه المصانع الحكومية كان يعمل الصانع القبطى مع أخيه الصانع المسلم جنبا إلى جنب .

الصناعة فى عهد توفيق :

اولا : الصناعات الصغيرة : كان يقوم بها الصناع باستعمال الأساليب القديمة و يقوم بها صانع بمفرده أو يساعده عدد من الصبيان . ومن الصناعات التى كثر اشتغال الاقباط بها النساجة وقد اشتهرت مصر منذ القدم بصناعة النسيج وما كلمة القباطى الا نسبة إلى الاقباط ، واشتغل الصناع الاقباط بصناعة البناء والنجاره واشغال الخشب والصياغة وكان نجار القرية فى الغالب من الاقباط كما كان الصاغة من الأقباط باستثناء القاهرة والاسكندرية اللتين يشارك اليهود فيها الأقباط .

ثانيا : الصناعات الكبيرة : انشئت بزوس أموال أجنبية لعدم استثمار المصريين اموالهم فى الصناعة ولقيام الشركات الأجنبية المساهمة بهذه المنشآت ومن أهمها شركة الغزل الأهلية بالاسكندرية وشركة السكر وشركة الأسمنت وشركات الكحول والصابون والمطاحن (١) وكان يقوم بالعمل فى هذه المصانع الصناع المسلمون والاقباط على السواء .

الصناعة فى عهد الاحتلال البريطانى :

تدهورت الصناعة فى مصر فى عهد الاحتلال البريطانى حتى قيام الحرب العالمية الأولى لعدة عوامل ، العامل الاول هو فرض انجلترا على مصر بعد احتلالها سنة ١٨٨٢ سياسة التخصص الزراعى لتكون البلاد موردا للقطن لمصانعها ولتكون مصر سوقا رائجة لصناعاتها ، كما أن منح المصريين حق الملكية الخاصة جعلهم يستثمرون أموالهم فى الزراعة وكانت دعاية الانجليز تقوم على ان مصر زراعية لا تصلح للصناعة هو قول باطل أثبتت النهضة الصناعة الحاضرة بطلان هذا الادعاء وكان فشل نهضة محمد على الصناعية وفشل انتعاش بعض الصناعات فى عهد اسماعيل مبعثا لخوف المصريين من استثمار أموالهم فى الصناعة ، هذا الى عدم قيام الحكومة بالحماية الجمركية لصناعاتنا وقد نفذ كرومر السياسة الانجليزية فى مصر وسار على نهجه خليفته الدون فورست وقد استمرت الصناعة المصرية فى تأخر إلا الصناعات التى قام الأجانب بإحيائها مثل صناعة السجاير المصرية .

---

(١) الدكتور محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ص ٤٥٣ وص ٤٥٥

وفى عهد الاحتلال البريطانى تدفقت رؤس الأموال الأجنبية على مصر ونشأت بعض الصناعات الكبيرة وزاد عدد العمال زيادة كبيرة وظهرت الرأسمالية فى ابشع صورها فكانت الأجور تافهة ووصلت ساعات العمل اثنتى عشرة ساعة فى اليوم ولم يهتم اصحاب الاعمال باتباع القواعد الصحية فى أماكن العمل كما أسند الى الاطفال فى محالج القطن ومصانع السجاير اعمال لا تتفق مع اعمارهم وهذا دفع المشرع إلى التدخل لحماية هؤلاء الاطفال فصدر أول تشريع مصرى للعمل سنه ١٩٠٩ بشأن تنظيم تشغيل الاحداث فى بعض الاعمال الصناعية (١)

المرأة فى ميدان الصناعة : كانت المرأة تقوم داخل بيتها بالغزل والنسيج وحياكة الملابس والتطريز ولعل اعظم مثل لعمل المرأة فى أنوال النسيج يبدو فى بلدة بنى عدى غرب مدينة منفلوط بمديرية اسيوط ويمكن لزائر هذه البلدة الآن من مشاهدة مئات الأنوال فى المنازل لصناعة الأكلمة وقد ورثت النسوة هذه الصناعة جيلا عن جيل .

انشاء النقابات : وفى اغسطس سنة ١٩٠٨ أنشأ عمال مصانع ماتوسيان للسجاير نقابة لهم ثم تلتها فى اكتوبر من نفس العام نقابة تضم جميع العمال فى مصانع السجاير ثم تلتها نقابة سائقى ترام القاهرة اما مكتب العمل فقد أنشىء سنة ١٩٣٠ (٢)

الصناعة فى مصر فى أثناء الحرب العالمية الأولى : ـــ

كان لهذه الحرب أثر قوى فى بدء النهضة الصناعية بالبلاد بسبب الصعاب القائمة فى سبيل استيراد المصنوعات الأجنبية فأدركت مصر خطر الاعتماد على الصناعة الأجنبية فاضطرتها الظروف ان تصنع ما تحتاج اليه وكان ارتفاع الاسعار لتعذر استيراد السلع من الخارج عاملا أغرى على قيام الصناعة فنشطت صناعات الغزل والنسيج والسكر والكحول والدباغة والأدوات الجلدية والأثاث فعملت الحرب كتعريفة جمركية واقية للسلع التى تنتجها البلاد من منافسة الصناعة الأجنبية . (٣)

---

(١) الدكتور عبد الودود يحيى : شرح قانون العمل ص ١٨ ـــ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٢) نفس المرجع ص ١٩

(٣) الدكتور راشد البراوى ومحمد حمزة عليش : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصر الحديث ص ١٩٢

الباب الثانى

نشاط المجتمع القبطى



الفصل الأول

((دور الاقباط فى النشاط الوطنى))

أول صوت طالب بالاستقلال :

كان اول صوت ارتفع من أرض مصر مطالبا بأستقلالها عن الدولة العثمانية وان تكون خالصه لابنائها هو صوت يعقوب حنا ، كان ذلك مع مطلع القرن التاسع عشر فى أغسطس سنة ١٨٠١ فقد نشرت الجمعية الجغرافية وثائق جديده كانت فى أوراق وزارة الخارجية البريطانيه تحت عنوان « مصر المستقله مشروع سنة ١٨٠١ » وقد ذكر مسيو جورج دوان أن هذه الوثائق تدل على ان فكرة الاستقلال المصرى نشأت فى كنف حمله بونابرت قد اشرق نورها فى نفوس المصريين فى مستهل القرن التاسع عشر فأن احدهم وهو المعلم يعقوب حنا قد تصدى للترجمه عما فى ضميرهم لو لم تصبه ميته عاجله (اغسطس سنة ١٨٠١) حالت بينه و بين الدفاع عن قضيته أمام حكومات اوربا » .

وقد عرض أستاذنا المؤرخ المرحوم شفيق غربال فى كتابه « الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ » مدى كفاح زعماء الشعب فى مصر فبينما نرى زعماء مصر لا يرتقون بأبصارهم إلى اكثر من عودة مصر إلى الحكم العثمانى كان المعلم يعقوب هو الوحيد الذى رأى أن الاحتلال الفرنسى « لا فترة نحس يرجى زوالها وعودة ما سبقها بل بدء حياة جديده لمصر والمصريين مهدت لها الحملة الفرنسية بقطع التبعية العثمانية وهدم قوة المماليك » (١) .

و يقول الدكتور احمد عزت عبد الكريم عند عرض الحالة فى مصر بعد خروج الحمله الفرنسية من مصر « على أننا نبدأ نلحظ فى نفر من صفوة أهل البلاد بعض مظاهر التفكير فى مستقبل البلاد على نحو جديد ، فالمعلم يعقوب كان من عيون القبط فى مصر أيد الفرنسيين فى قتالهم المماليك بالصعيد فنحوه رتبة الجنرالية ، وادرك يعقوب وقد أذن جلاء الفرنسيين عن مصر — أن الوقت قد حان لتقرير المسألة المصرية على نحو يضمن استقلال البلاد وهى تتمتع بكل مقوماته ، ولكن يعقوب مات فى عرض البحر فى طريقه إلى فرنسا وتشتت الوفد المصرى وانتهت أخباره . » (٢)

---

(١) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر ص ١٥ مطبعة المعارف القاهرة سنة ١٩٣٢ .
(٢) الدكتور أحمد عزت عبد الكريم بحث فى كتاب الجمل فى التاريخ المصرى ١٩٤٢ .

كان هدف يعقوب عند مبارحته مصر هو المضى فى استقلالها . يقول الدكتور محمد صبرى « بارح يعقوب مصر على رأس وفد من أعيان القبط وكانت فكرته الأساسية مخاطبة انجلترا أولا فى الأمر، لأن هذه الدولة لها مصلحة أكثر من أى دولة أخرى فى نجاح مشروع استقلال مصر، ولكنها إذا حاولت هى نفسها أن تغزو مصر فستعترضها فى سبيلها أول دولة عسكرية فى القارة الأوربية (فرنسا) ولا ريب فى أن استقلال مصر هو الوسيلة الوحيدة التى تقف تيار الدولتين المتنافستين وتكفل لانجلترا فى الوقت نفسه بفضل تجارتها البحرية الاستفادة من حاصلات اقاليم افريقية الواسعة التى تعد منفذها الطبيعى » .

وقد اجتهد الوفد فى تجنب كل ما من شأنه إثارة الشك عند انجلترا حتى يتم نجاح المشروع فعول على إخفاء الغرض من سياسة مصر عن فرنسا وابقاء فكرة المفاوضة فى طى الكتمان، ولكن وفاة رئيسه العاجلة فى الطريق قضت فجأة على مشروع مفاوضة دول أوربا فى استقلال مصر، ذلك المشروع الذى كان يرى أصحابه أن مصيره حتما إلى الفشل مالم تؤيده انجلترا وتعضده(١) . هذه أقوال ثلاثة من اعظم المؤرخين تبرز الدور الوطنى الذى قام به ذلك المناضل المخلص يعقوب فقد كان يريد أن يجعل من قضية مصر واستقلالها « مسألة دولية » وكان سباقا إلى المطالبة بالاستقلال والعمل على تحقيقه و بزغت فكرة الاستقلال فى عقل المصريين وكان المحرض الأول لها ولسانها الناطق المعلم يعقوب القبطى ولكن لسوء حظ مصر فأجأه الموت العاجل فى اغسطس سنة ١٨٠١ فحال بينه و بين عرض غايته أمام حكومات اوربا والدفاع عنها (٣) .

وثائق مشروع الاستقلال : نشرتها الجمعية الجغرافية وهى منشورة فى كتاب الجنرال يعقوب واستقلال مصر للجنة التاريخ القبطى المطبوع فى القاهرة سنة ١٩٣٥ كما نشرها المؤرخ المرحوم الاستاذ شفيق غربال فى كتابه « الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ وقد رسم يعقوب خطته المثلى لتحقيق استقلال مصر و بين وسائل حماية هذا الاستقلال ونوع الحكومه التى تقوم فى مصر فهو مشروع لو قدر لصاحبه الحياة حتى يتم تنفيذه لنالت مصر استقلالها ولكان تعارض مصالح الدول الاستعمارية وتطاحنها ضمانا دوليا لهذا الاستقلال وانى أسجل الآن مقدمة الملحق الأول من وثائق مشروع الاستقلال :

---

(١) الدكتور محمد صبرى : تاريخ مصر الحديثة ص ٢٩ — طبعة دار الكتب سنة ١٩٢٦ .
(٢) محمود الشرقاوى : بطولات عربيه ص ٦٠ القاهرة سنة ١٩٦١ .
(٣) أحمد زكى بدوى : تاريخ مصر الاجتماعى ص ٢٠٩

الملحق الأول

من القبطان جوزيف ادموندس ربان السفينة الحربيه بالاس إلى اللورد الأول للبحرية الانجليزية على ظهر السفينة بالاس .

جزيرة منورقه في ٤ اكتوبر ١٨٠١

سيدى

استبحث لنفسى أن أرسل لكم المذكرات المرفقه بكتابى هذا اعتقادا منى بأنه قد يهم حكومة بلادى أن تعلم أن أشخاصا يسمون أنفسهم بالوفد المصرى يقيمون فى باريس فى الوقت الحاضر.

كان من ركب السفينة بالاس تحت امرتى رجل قبطى ذو سمعة حسنة جدا وهو من زعماء طائفته وله فيها نفوذ كبير. وقد منحه الفرنسيون لقب جنرال لينالوا تأييده .

عنيت بعض العناية بهذا المنفى السيء الحظ مما جعله يحادثنى فى شئون بلاده .. وقد صرح لى بأنه يعتقد أن أى أنواع الحكم فى مصر افضل من حكم الترك لها وانه انضم للفرنسيين تلبية لباعث وطنى عله يخفف عن مواطنيه ما قاسوه وان الفرنسيين خدعوهم وان المصريين فى الوقت الحاضر يحتقرونهم كما كانوا يحتقرون الترك وانه لم يفقد بعد آماله فى خدمة بلاده وان ارتحاله لفرنسا قد يمكنه من هذا . وقال ايضا إن الفرنسيين جعلوه يعتقد أن دولتهم لها قوة السيطرة فى أوربا وانه لم يعرف إلا قليلا عن قوة انجلترا البحرية ولكنه كان يعرف رغم هذا انه بلا موافقة انجلترا فان رغبته فى قيام حكومة مستقلة فى مصر لن تتحقق . وأضاف صديقه لاسكاريس (وهكذا وصف نفسه) وكان يترجم اقواله لى ان الجنرال يعقوب يرأس وفدا فوضه او عينه مصر لمفاوضة الدول الاوربية فى أمر استقلالها . وأثناء سفرنا مات الجنرال وقام الترجمان (لاسكاريس) بتحرير مذكرات احاديثنا المرفقة بكتابى هذا . وقد اعرب لى الجنرال قبل موته عن رغبته فى ان ابلغ موضوع هذه الأحاديث لقائد القوات البريطانية الاعلى كى تعلم به الحكومة البريطانية بواسطته [1] ... ويمضى المشروع بعد ذلك فى بيان كيف يتحقق استقلال مصر ثم كيف يحكم المصريون انفسهم ؟ ثم كيف يدافعون عن استقلالهم .

اما مشروع الاستقلال فيقوم على تعارض مصالح الدول الكبرى فيحتم بقاء مصر مستقلة

---

(١) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ـ القاهرة سنة ١٩٣٢ (وثائق مشروع الاستقلال من ص ٤١ الى ص ٥١).

فاذا ما فكرت فرنسا فى العودة لاحتلال مصر فستجد انجلترا واقفة لها بالمرصاد تحول دون رغبتها وكذلك الامر بالنسبة لانجلترا فستجد فرنسا تمنعها من احتلال مصر فباستقلال مصر تستفيد الدول الاروبيه من مصر المستقلة بالتجارة معها والاستفادة من خيراتها فالاستقلال يتم بضمان الدول الاوربيه الكبرى و يقوم المشروع على الاستعانة بانجلترا لتحقيق رغبة الوفد المصرى الذى كان على رأسه الجنرال يعقوب ثم طواه الموت قبل عرض مشروعه وقد جاء فى هذا المشروع « ان الدول لن تعمل ابدا عملا أمجد وأنبل من ان تبدد بقرار سياسى واحد ظلمات الجهل والوحشية التى تكاثفت على هذه البلاد الذائعة الصيت » (١) ثم يبين المشروع مدى ما تحصل عليه انجلترا من مزايا فى حالة استقلال مصر « تتداعى الامبراطورية العثمانية فى جميع اجزائها للانحلال ، وبهم الانجليز إذن قبل حدوث هذا أن يدبروا لأنفسهم من الوسائل المؤكدة ما يكفل لهم الاستفادة من هذا الحادث المهم عند وقوعه . واذا تبين لهم استحالة استعمارهم مصر ـــ كما استحال هذا على فرنسا ـــ (فلهم عوضا عنه) خضوع مصر المستقلة لنفوذ انجلترا صاحبة التفوق فى البحار المحيطة وليس من شك فى أن الاستقلال يعيد لمصر رخاءها . ولكنها لن تكون الا دولة زراعية تستمد غناها من الحاصلات الوفيرة التى تنتجها أرضها الخصبة ومن كونها المخرج والمدخل الوحيدين لتجارة افريقية الوسطى ولابد من أن انجلترا بحكم مركزها فى الهند تهتم جدا بالمتاجرة مع مصر وما حولها من المناطق فتستفيد بذلك اكبر استفادة مما اختصت به مصر من المزايا » (٢) ثم يبين المشروع بعد ذلك كيف يحكم المصريون انفسهم بعد نوال الاستقلال ثم كيف يدافعون عن استقلالهم ولقد اوضح المشروع ذلك فقال :

« فرضنا ان حكومات الدول الأوربية سمحت باستقلال مصر ، كيف يحكم المصريون أنفسهم ؟ وكيف يدافعون عن استقلالهم ؟

(١) لا يسمح لنا تعجلنا فى تحرير هذه المذكرات بتفصيل الخطة التى يفكر فيها الوفد المصرى لحكم البلاد . و يكفى الآن أن نلاحظ ان المسألة هنا ليست مسألة انقلاب منشؤه استنارة الأمة واحتكاك آراء فلسفية بعضها ببعض . لا يقوم نظام الحكم الجديد على شيء من هذا . بل تضع قواعده الظروف القاهرة وتخضع له رعية مسالمة جاهلة لا يعرف أفرادها الآن ، او لا يكادون يعرفون الا عاطفتين خلقيتين : المصلحة والخوف . فإن أمكن الحكومة الجديدة (وليس هذا بالامر العسير) ان ترفه عن عيش الناس بعض الشيء وان تزيد كسبهم قليلا فن المحقق أن تجد منهم نصراء متحمسين . او ليس اى نظام افضل من الاستبداد التركى ؟ لتكن اذن الحكومة الجديدة عادلة حازمة وطنية كما كانت حكومة الشيخ همام العربى فى الصعيد (وقد حدثتك عن تاريخه) ولنثق عند ذلك بانها ستحترم وتطاع وتحب .

---

(١) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ص ٤٣ ـــ القاهرة سنة ١٩٣٢ .
(٢) نفس المرجع ص ٤٤

(٢) كيف يدافع المصريون عن استقلالهم؟ ماذا يصنعون لو اعتدت عليهم دولة اوروبية؟.

لا نتوقع حدوث شيء من هذا الا بعد زمن طويل وعند ذلك يكون قد تم تنظيم الجيش الوطني وجعله بحيث يستطيع رد الاعتداء اما ان كان الاعتداء من جانب الترك او المماليك فاننا نعتقد ان الدول الاوربية تحظر عليهم مس استقلال مصر، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان المصريين يمكنهم أن يستخدموا جيشا اجنبيا من ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ جندى و ينفقوا عليه. و يكفى هذا الجيش لصد الترك عند حد الصحراء ولسحق المماليك فى مصر نفسها و يكون هذا الجيش الأجنبى أيضا نواة الجيش الوطنى. هذا ولما نعلمه من تأثير الذهب فى العثمانيين وانهم يعملون اى عمل للحصول عليه فاننا نستطيع ردهم عن مصر ببذله لهم وكان المماليك يستخدمون المال كلما رأوا سحب السياسة تتلبد فى القسطنطينيه وتنذرهم بشر مستطير(١)

هكذا رسم الجنرال يعقوب مشروع الاستقلال وأوضح فيه وسائل ضمان هذا الاستقلال وما يقوم به ازاء احتمال الاعتداء على الاستقلال.

كانت وطنية يعقوب صادقة صافية لا تشيبها شائبة فكان يريد قطع التبعية للدولة العثمانية ولا يسلم ابدا بعودة الحكم العثمانى الى مصر واذا أمعنا النظر نجد انه بحكم مسيحيته لا توجد عنده فكرة التعلق بدولة الخلافة الاسلامية تلك الفكرة التى سيطرت على الجبرتى وجعلته يرحب بعودة الحكم العثمانى الى مصر و يؤلف كتابه «مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس» الذى يقول فى مقدمته :ــ

«عن الدولة العثمانية» بهجة الدين والدنيا «ثم يتحدث عن تشرف مصر بتبعيتها للدولة العثمانية فيقول» وقد استمر ملك مصر متشوفا بانتظامه فى ممالك الدولة العثمانية (٢).

يقول صاحب كتاب «المسيحية والقومية العربية» قد يقال ان مصر حين امنت للاتراك والمماليك إنما كان منها على أساس الرابطة الدينية او الجامعة الاسلامية وماذا كان يضير الرجل حسب عقيدته ومبدئه ــ ان يدعو لبلده بالانفصال عن تلك الجامعة ــ طالما يشعر بحق ــ انه لا تربطه بالحاكمين رابطة من الدين او القومية بحال، وأى حجة معارضة تقف امام حقيقة واقعة وهى ان مظالم الاتراك والمماليك ابغضت فيهم بنى جنسيتهم و بنى عقيدتهم فى الدين، فكيف نلوم الغريب عنهم جنسا أو دينا؟ (٣)

---

(١) نفس المرجع : ص ٤٥ وص ٤٦.

(٢) الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس الجزء الاول ص ٦ ــ القاهرة سنة ١٩٦١.

(٣) عبادى العبد العبادى الحامى : المسيحية والقومية العربية ص ١٠٠ ــ القاهرة سنة ١٩٥٨.

وكانت وطنية يعقوب تملي عليه القضاء على المماليك عنصر الفساد في البلاد حتى وجد الفرصة سانحة بمحاربة الفرنسيين لهم « اول ما في تأييد يعقوب للتدخل الغربي تخليص وطنه من حكم لا هو عثماني ولا هو مملوكي وانما هو نوع من مساوىء الفوضى والعنف والاسراف ولاخير فيه للمحكومين ولا للحاكمين إذا اعتبرناهم دولة قائمة مستمرة ، فرأى يعقوب ان اى نوع من الحكم لا يمكن ان يكون أسوأ مما خضعت له مصر قبل قدوم بونابرت » (١) .

وكان يعقوب يرفض الاحتلال في أية صورة من صوره وفي أى شكل من أشكاله سواء جاء من دولة اسلامية مثل الدولة العثمانية او دولة مسيحية كفرنسا فالوطنية الصادقة ترفض الاستعباد مهما كان مصدره ، والانسان الحر لا يرضى بالقيد ولو كان من ذهب ، وإذا كان الأمر كذلك فلماذا أيد يعقوب الفرنسيين ؟ كانت كل الدلائل ناطقة بأن الحكم الفرنسي على وشك الزوال وان الفرنسيين كانوا على أهبة الرحيل فان القائد كليبر الذى اذن بتكوين الفرقة القبطية كان لا يرى البقاء في مصر وانه حاول الجلاء عنها بعقد اتفاق العريش في يناير سنة ١٨٠٠ ذلك الاتفاق الذى له بعض العذر في نقضه (٢) فتأييد يعقوب للفرنسيين كان تأييدا مؤقتا .

اما لماذا أيد يعقوب الفرنسين وحارب في صفوفهم ضد المماليك ؟ للاجابة عن هذا السؤال استعرض موقفين ــ الاول يتناول مساوىء المماليك واجرامهم وعبثهم في البلاد بوجه عام ــ والموقف الثاني اشتراكهم مع العثمانيين في مهاجمة منازل الاقباط والاعتداء على حياتهم بوجه خاص ، أما الموقف الأول وهو مساوىء المماليك وشرورهم فلعل اصدق وصف لهم ما ذكره صاحب تاريخ مصر الاجتماعي « كانت هذه الظروف الغريبة تجعل المماليك خلائق خارجة عن المألوف ، مسلمة بحكم الضرورة ، ليس لها يقين بدين ولا يعتاضون عن الدين بمبادئ فلسفة ما ، ومن أجل أنها ربيت بعيدة عن ذويها بين الجيوش وعتادها ، لم يكن لها شعور إلا شعور الانحياز العسكرى ، وكانوا لا يخالطون غيرهم من الناس غرباء بعضهم عن بعض ، لا تصلهم رحم كما تصل سائر الخلق ... لم يحسن اليهم الماضي فلم يقدموا عملا صالحا بين يدى المستقبل . الجهل غالب عليهم والخرافات مالكة عقولهم شديدو المكر ، كثيرو الائتمار والكتمان ، جبناء يرتكبون أنواع المفاسد والمفاسق القتل يردهم وحشيين والصخب والهياج يدفعهم الى الثورة . ولا بدع فان الثورة كانت حالة عادية من حالاتهم ، فلم تكن أيامهم الا معارك متصلة ومذابح ومناحر فيما بينهم لا تنقطع لتخاطف السلطة فلم يعبأوا بمصر الا لسلبها وارهاقها (٣)

هذه هي المخلوقات العجيبة التي كان يحاربها يعقوب فلم يكن يقصد إطلاقا أن يحارب

---

(١) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر ص ٢٢ القاهرة سنة ١٩٣٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٢٧ .

(٣) احمد زكي بدوى : تاريخ مصر الاجتماعي ص ٢٠٣ ــ القاهرة سنة ١٩٣٥ .

أبناء وطنه وان يشهر سيفه في وجه أخيه المصري كان يعقوب يحارب مراد بك الذي قال الجبرتي في نعيه في وفيات سنة ١٢١٥ هـ ابريل سنة ١٨٠١) « إنه كان من أعظم الأسباب في خراب الاقليم المصري بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والقصور ومساعدته لهم ، فلعل الهم يزول بزواله » (١) . أما انضمام البدو الى صفوف المماليك . فقد حدث للبدو من أمثالهم حين قام محمد سلطان باشا برشوتهم أن ينحازوا للانجليز ضد الجيش المصري بقيادة أحمد عرابي ، اما محاربة يعقوب للفلاحين الذين انضموا للمماليك فكان بحكم الضرورة أن يحارب من ينضم الى اعدائه من المماليك .

أما الموقف الثاني الذي دفع يعقوب إلى محاربة المماليك فأترك الأمر لدفاع أحد المحامين عنه في كتابه « المسيحية والقومية العربية » :

« وعذر هذا الرجل أن المماليك تألبوا على المسيحيين في بيوتهم وكنائسهم بحثا عن الأسلحة ، وسجنوهم وعذبوهم وتلا ذلك ان نصيف باشا ـــ أحد قواد الأتراك ـــ أراد التنكيل بالمسيحيين لظنه اتحادهم مع الفرنسيين في الدين فما فعله يعقوب إذن يدخل في باب الدفاع الشرعي ضد الأتراك والمماليك ولا يدخل بأية حال في معنى الخيانة أو الاضرار بأخوانه العرب أو المصريين (٢) .

موقف الأقباط من الحملة الفرنسية

أوضحت فيما سبق راى يعقوب وجماعته ومسلكه ازاء الاحتلال الفرنسي لمصر فلم يكن يريد عودة المماليك والعثمانيين الى الحكم وانما كان يهدف بتكوين فرقه قبطية مسلحة ان تكون لفئة من المصريين يد في تقرير مصير البلاد وأن يكون له أثر في احوال البلاد اذا تركها الفرنسيون وعادت للعثمانيين والمماليك يتنازعونها و يعيثون فيها فسادا (٣) ، كما بينت مشروعه لاستقلال مصر الذي حال الموت دون تحقيقه .

اما موقف الغالبية من الاقباط وعلى رأسهم كبيرهم جرجس الجوهري فهو نفس موقف إخوانهم المسلمين وهو الكفاح ضد المحتلين ، فقد اشترك الاقباط مع اخوانهم المسلمين في معركة امبابة ضد الفرنسيين « وذكر ريو ـــ احد مؤرخي الحملة ـــ أنه كان في امبابه أثنا عشر من الفلاحين معهم اربعون مدفعا وكان منهم كثير من العرب والأقباط والأحباش (٤) . لقد سارع

---

(١) الجبرتي جـ ٣ ص ١٧٥ .

(٢) عيادى العبد العيادى المحامى : المسيحية والقومية العربية ص ٩٤ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٨ .

(٣) شفيق غربال / الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر ص ٢٣

(٤) محمود الشرقاوى : مصر في القرن الثامن عشر (دراسات في تاريخ الجبرتي) الجزء الثالث ص ٤٦ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٧ .

الاقباط يحاربون الفرنسيين الى جانب أبناء وطنهم فى موقعة امبابة . يقول الاستاذ محمود الشرقاوى « نجد بعض المسيحيين يسجن فى القلعة مع المسلمين لحربه الفرنسيين كما سجن المعلم نقولا وكان رجلا ذا مكانة ، ونجد الأقباط يحاربون و يقتلون فى معركة امبابه ضد نابليون » (١)

وجاء فى كتاب عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر : « فكتب منو الى القنصل الأول منذ أواخر نوفبر سنة ١٨٠٠ » إن الاقباط باستثناء المعلم يعقوب لا ينظرون الينا بعين الرضا بل يشعرون بان اسباب السلطة قد افلتت من أيديهم ، ثم وصفهم منو بأنهم اعظم الناس ميلا إلى المخاتلة والمكر فى العالم » (٢) و يعلق الدكتور المؤرخ محمد فؤاد شكرى على هذا القول : وهو وصف إن دل على شيء فإنما يدل على عدم اطمئنان الفرنسيين إلى القبط ، وعلى ان الفرنسيين كانوا يتوقعون إذا استثنيت جماعة المعلم يعقوب ـ اشتراك القبط مع سائر اخوانهم المصريين فى الثورة على الفرنسيين عند سنوح الفرصة » (٣)

موقف الفرنسيين من الأقباط

عندما احتل بونابرت مصر رأى ان يستميل اليه الاكثرية الاسلامية فى مصر وأن يضحى بالأقلية القبطية وقبل أن تصل سفنه الحربية الى شواطىء مصر أعد منشورا وزع على المصريين يوم احتلال الاسكندرية ، وتحمل عبارات المنشور كل وسائل التقرب الى المسلمين وكل عبارات الخداع التى تصدر من المستعمر فقد جاء الى مصر لتأديب المماليك لاعتدائهم على التجار الفرنسيين وأنه يريد ارجاع مصر لسيادة السلطان العثمانى وانه يجل الاسلام والمسلمين وانه عدو المسيحية الذى ناوأ البابا الا ان المنشور كان يحمل الى جانب عبارات الاستمالة ، عبارات التهديد والوعيد للقرى التى تقاوم الفرنسيين وقد جاء فى هذا المنشور : « ايها المشايخ والقضاة والأئمة والجربجية واعيان البلد ، قولوا لأمتكم إن الفرنساوية هم أيضا مسلمون مخلصون واثبات ذلك انهم نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائما يحث النصارى على محاربة الاسلام ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكوالريه الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الاوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى وأعداء اعدائه أدام الله ملكه ، ومع ذلك ان المماليك امتنعوا عن طاعة السلطان غير ممتثلين لأمره فما اطاعوا اصلا الا لطمع انفسهم » (٤)

---

(١) نفس المرجع ص ١٣٥

(٢) الدكتور محمد فؤاد شكرى : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ص ٤٧٨ ـ القاهرة نقلا عن Regnier 385

(٣) نفس المرجع ص ٤٧٨

(٤) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية الجزء الاول ص ٨٦ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

ولما طلب الاقباط من بونابرت أن يلغى القيود المفروضة عليهم أرسل الى جرجس الجوهرى كبير الاقباط كتابا بتاريخ ٧ ديسمبر سنة ١٧٩٩ جاء فيه « يمكنك أن تعلنهم من الآن بأنى سمحت لهم بحمل السلاح وركوب البغال والخيول ولبس العمائم والتقمش بالقماش الذى يليق بهم » (١)

الا ان بونابرت لم يلبث أن تراجع عن خطته وأمر باتباع هذه القيود مراعاة لشعور الأغلبية الاسلامية وكسب رضاها وان يضرب صفحا عن الأقلية القبطية .

ان بونابرت أوصى بأن يستمر الاقباط فى جباية الضرائب والى أن يحين الوقت الذى يحل فيه الاوربيون محلهم ، وجباية الضرائب وظيفة الاقباط التقليدية التى كانوا يمارسونها منذ الفتح العربى .

ولم يبدأ ميل الفرنسيين للأقباط الا بعد أن تولى كليبر الحكم وقامت ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين فألغيت الاجراءات الاستثنائية ضد الاقباط .

وبعد مصرع كليبر تولى القيادة منو وكان قد أسلم ليتسنى له الزواج بسيده مسلمة فأسلم قبل الزواج (٢) وقد ناصب الاقباط العداء فطرد الاقباط من خدمة الحكومة وجباية الأموال (٣) ، يقول المؤرخ الامريكى كرستوفر هيرولد « وانتزع جبابة الضرائب من يد الاقباط وفرض ضريبة واحدة على الأرض (٤) .

فى عهد محمد على

اولا : المعلم غالى يشير بعدم حفر قناة الا بأموال مصرية : عرض على محمد على مشروع حفر قناة بين البحر المتوسط والبحر الاحمر فشكلت لجنة لدراسة المشروع من المهندسين لينان بك وموجل بك ثم أشار البعض على محمد على بتكوين شركة أجنبية لتنفيذ المشروع حتى لا يكون هناك اعتراض ولكن المعلم غالى رئيس دواوين محمد على رأى بثاقب رأيه أن فى هذا المشروع خطرا على البلاد فلم يوافق على المشروع قائلا اذا كان لابد من إنشاء القناة فلتنشأ بمال مصر لتكون فى أيدى ابنائها وحكومتها وحتى لا تكون فى البلاد سيطرة اجنبية تؤدى الى

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر (الجزء الثانى) ص ٢٩٠ ـــ القاهرة سنة ١٩١٣ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية الجزء الثانى ص ١٩٧ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٨ .
(٣) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الأمة القبطية ص ٢٩٥ ـــ القاهرة سنة ١٨٩٨
(٤) كرستوفر هيرولد (بونابرت فى مصر) ص ٥٠٩ ـــ القاهرة سنة ١٩٦٧ ـــ (ترجمة الاستاذ فؤاد اندراوس ومراجعة الدكتور محمد احمد انيس)

المنازعات الدولية فى مستقبل الايام فتضر من حيث يراد منها النفع (١) ولقد اثبتت الأيام صواب رأى المعلم غالى بعد قيام شركة أجنبية بحفر القناة وما جرته على مصر من تدخل أجنبى أدى فى النهاية إلى العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ .

ثانيا : البابا بطرس الجاولى يرفض حماية روسيا :

كانت روسيا تسعى إلى تمزيق الدولة العثمانية عدوها اللدود وطالما اصطرعا فى ميادين القتال ونادت روسيا بحقها فى حماية الأرثوذكس حتى حصلت على هذا الحق فى معاهدة كجوك كينارجى فى سنة ١٧٧٤ فقد أتاحت هذه المعاهدة لروسيا حق التدخل لحماية الرعايا المسيحيين فى الدولة العثمانية مما يمس سيادة الدولة على رعاياها (٢) ثم استعملت روسيا هذا الحق فى تحريض اليونان والصرب والبلغار والرومان للثورة ونجحت فى ذلك ثم تطلعت الى مصر وكانت حالة الأقباط تحت الحكم التركى فى منتهى السوء . كتب عنهم « فانسليب » فى زيارته لمصر سنة ١٦٧١ « فكان الأتراك يعتبرونهم حثالة العالم وأقل منزلة من اليهود وقد كانوا يسيئون معاملتهم عندما يحلو لهم ذلك و يغلقون لهم كنائسهم وأبواب منازلهم حين يروق لهم الأمر ولأتفه الأسباب وأبعدها عن العدل لكى يغتصبوا منهم بعض المال (٣) وما رآه فانسليب فى القرن السابع عشر ظل بعد ذلك سمة الحكم التركى و يصف المؤرخ المرحوم شفيق غربال ما كان فيه الاقباط فى أواخر القرن الثامن عشر من امتهان لا يرفعهم من حضيضه ما ملكوه من مال وجاه ولا يفارقهم مهما زادت حاجة الحكام اليهم هذه الصورة القاتمه للحكم التركى جعلت روسيا تستغل هذه الحالة فأوفد قيصر روسيا من قبله أميرا يعرض على البابا بطرس الجاولى المعاصر لمحمد على حماية روسيا للكنيسة القبطية فرفض البابا فى إباء وشم وعندما سمع البابا المصرى من الأمير الروسى عبارة « تحت رعاية مليكنا العظيم حامى حمى الملك والدين الارثوذكسى القويم » ثارت هذه العبارة فى نفس البابا إلا انه أجابه بشىء من البساطة وهل مليككم يحيا الى الابد ؟ قال لا سيدى الأب بل يموت كما يموت سائر البشر فأجابه البابا بطرس الجاولى اذن أنتم تعيشون تحت رعاية مليك يموت أما نحن فنعيش تحت رعاية مليك لا يموت تحت رعاية هذا الاله العظيم الذى لا نريد أن نتخذ غيره بديلا (٥) ، فوقف الأمير مبهوتا أمام عظمة ذلك الرئيس الدينى ومبادئه العالية .

---

(١) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين جـ ٢ ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩١١

(٢) الدكتور حسين فوزى النجار : السياسة والاستراتيجية فى الشرق الاوسط الجزء الاول ص ١٤٨ ــ القاهرة سنة ١٩٥٣ .

(٣) الدكتور جاك تاجر : أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى حتى عام ١٩٢٢ ص ٢٠٤ القاهرة سنة ١٩٥١ .

(٤) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر فى سنة ١٨٠١ ص ٢٢ القاهرة سنة ١٩٣٢ .

(٥) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين جـ ١ ص ٥٠ ــ طبع جريدة مصر بالقاهرة سنة ١٩١١ .

وتطاير النبأ الى محمد على فقام لساعته وتوجه الى الدار البطريركية ودخل على البابا يحييه بكلمات الشكر علي ما أبداه من الشهامة والوطنية والاخلاص العظيم لملكه فأجابه البابا « لا تشكر من قام بواجب عليه نحو بلاد تظله وتظل إخوانه فى الجنسية والوطنية فانحدرت الدموع من عينى محمد على وقال للبابا « لقد رفعت بعملك شأنى وشأن امتك »(١) هذه صفحة مشرقة من صفحات الوطنية العالية يسجلها التاريخ بالفخر للرئيس الدينى للأقباط الذى أنقذ بعمله المجيد عرش مصر وصان لها استقلالها الذاتى .

فى عهد سعيد باشا

البابا كيرلس الرابع رسول سلام بين مصر وأثيوبيا :

من المواقف الوطنية الخالدة التى تسجل بالفخر للبابا كيرلس الرابع المعروف بأبى الاصلاح قيامه بتسوية النزاع بين مصر وأثيوبيا فى عهد الوالى محمد سعيد باشا ولولا قيامه بهذا الدور الوطنى الرائع لوقعت الحرب بين دولتين بينهما صداقة تقليدية على مر العصور وتجمعها عدة روابط من اهمها ان الكنيسة الاثيوبية تتبع الكنيسة القبطية منذ أن اعتنقت اثيوبيا المسيحية فى القرن الرابع الميلادى إلى الآن وكان البطاركة الأقباط يقومون بتوطيد السلام بين الحكومة المصرية والحكومة الاثيوبية عبر التاريخ .

كان السودان تابعا لمصر منذ فتحه فى عهد محمد على وقد حدثت فى عهد سعيد باشا اعتداءات على الحدود بين اثيوبيا والسودان ويمكن ارجاع هذه الاعتداءات الى ثلاثة اسباب (٢) :

السبب الأول : هو ان الامبراطور ثيودور الذى تولى الحكم سنة ١٨٥٥ كان له غريم ينازعه السلطة وهو الرأس عالى وقد انتصر عليه ثيودور وسجنه ولكن انصاره ظلوا يناوئون الامبراطور فكان يتعقبهم وتعبر قواته الاراضى السودانية فتتعرض هذه المناطق للتخريب والنهب .

السبب الثانى : هو أن منطقة كسلا كانت مسرحا للثورات التى كان يقوم بها أهلها من الهدندوه منذ افتتاحها سنة ١٨٤٠ كما أن تأخير رواتب الجنود التابعين لمصر ، المرابطين على حدود

---

(١) نفس المرجع ص ٥١ .

(٢) الدكتور زاهر رياض : بحث فى كتاب حفل الذكرى المئوية لأبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع ص ٣٨ — ص ٤٠ — القاهرة سنة ١٩٦١ .

السودان كان يدفع الجنود الى الهجوم على القرى الاثيوبية ونهبها دون أن تعرف قوات مصر حدوداً سياسية تقف عندها .

السبب الثالث : هو قيام امبراطور اثيوبيا بصد هجمات جنود مصر وتعقبهم والانتقام لما حدث لرعاياه .

يقول صاحب الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث : « وبينما كانت الاحوال على ما يرام والقلوب مطمئنة والفتنة راقده اذ جاء الخبر بزحف نجاشى الحبشة على بعض الاملاك المصرية الواقعة على الحدود وشنة الغارة عليها وانه نهب اهلها وساق مواشيهم وأسر منهم خلقاً فهال سعيد هذا الامر وازعجه فجند جنداً لقتال النجاشى وعزم على لقائه (١) ، الا ان سعيد آثر طريق السلم فرأى ان يتدخل البابا كيرلس لفض النزاع فهو يقوم بدور السفير بين بلاده من ناحية وبين دولة شقيقة هو نفسه رئيسها الدينى الأعلى من ناحية أخرى فقبل القيام بهذه المهمة مهما كلفه ذلك من مشقات فأعد سعيد لسفر البابا باخره فى النيل تسير فى الصعيد ثم تتم الرحلة بالجمال والهجن حتى حدود اثيوبيا وكانت الباخرة عند مرورها بالمديريات تطلق لها المدافع إجلالا وتعظيما .

ولما علم امبراطور اثيوبيا بقدوم البابا كيرلس الرابع سارع للقائه فى موكب حافل فى أربعين الفا من الجنود على مسيرة ثلاثة أيام من الحدود الاثيوبية فلما اقترب البابا كيرلس من العاصمه الاثيوبية (مجدلا) ترجل الامبراطور عن جواده وسعى على قدميه حاسر الرأس وقبل الامبراطور يدى البابا وقبل كيرلس راسه وسار معه تحفهما الجند وشاع الخبر فى ارجاء اثيوبيا فدقت البشائر وأقيمت الصلاة فى جميع الكنائس .

دسائس الانجليز: عمل الانجليز على بث الدسائس وايقاع الفرقة بين امبراطور اثيوبيا والبابا كيرلس ثم بين سعيد وبين البابا كيرلس فقد هال الانجليز أن يطلب البابا كيرلس الى الامبراطور اخراج المرسلين الانجليز البروتستانت من اثيوبيا (٢) فصمم الانجليز على الانتقام من كيرلس فأوعزوا الى الوالى محمد سعيد باشا الا يعلق الآمال على كيرلس « وما كان مقام البطريرك عند النجاشى العنيد لينيل عزيز مصر ما يتمنى من حسم الخلاف على يديه فأذا اراد الباشا أن ينتهى من عدوه فعليه بالشخوص بالجيش المصرى الى الحدود المصرية » (٣) .

---

(١) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث (الجزء الرابع) ص ١١٩ ــ المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٠٠ .

(٢) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث جـ ٤ ص ١٢٠ ، ص ١٢١ ــ القاهرة سنة ١٩٠٠ .

(٣) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ــ الجزء الثانى ص ١٦١ ــ القاهرة سنة ١٩١٣ .

ولم تقف دسائس الانجليز عند هذا الحد فعندما وصل سعيد باشا على رأس جيشه إلى الخرطوم ، قام الانجليز بتمثيل الدور الثاني من دسائسهم فلما نجحت حيلتهم بقيام سعيد بعسكره إلى السودان » دسوا إلى النجاشي

من اعلمه بأن قدوم كيرلس الى بلادك انما هو لمنعك من إعداد جندك وآلات حربك لتذب عن مملكتك من اغارة والى مصر و يذهب سلطانك وانت آمن مطمئن وقد سير اليك ايضا مع كيرلس كساء مسمم النسيج حتى اذا لبسته تسمم جسدك ومت من يومك » (١) .

فلما علم ثيودور بمجيء سعيد باشا الى السودان في جيش جرار توهم أن الباشا زاحف على بلاده لشن الغارة عليها فهم الامبراطور بقتل البطر يرك لولا تدخل زوجته التي طلبت اليه الا يتعجل في ذلك حتى يقف على الحقيقة » (٢) .

و يردد صاحب كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر ما ذكره كتاب تاريخ البطاركة من أخطار جسام أحدقت بالبابا كيرلس وقد تربص به الموت الدوار « انه صادف مخاطر جسيمة كادت تذهب بأجله وذلك ان بعض الانكليز بعدما توجه الى الحبشة سعوا به عند النجاشي تاودروس وادعوا عليه أن في عزمه أن يجعل الحبشة خاضعة للحكومة المصرية وانه ما سار اليها الا وعساكر مصر تتبعه من ورائه ، فطار النجاشي عند سماعه ذلك جنونا وأمر بحرق البطر يرك حيا فتصدت له الملكة وأثنت بحزمها عزمه » (٣) .

و يصور صاحب الكافي الساعات الرهيبة التي مر بها البابا كيرلس بسبب دسائس الانجليز فعندما سئل عن سبب حضور سعيد باشا بعسكره الى الخرطوم وعن سبب وضع الكساء المسموم بين الهدايا التي أرسلها سعيد للامبراطور كما ادعى الانجليز ذلك وقف بين يدي الامبراطور ورجاله والدمع ينحدر على لحيته و بالغ في بيان الحقائق الى أن قال أما الكساء فهو هدية الباشا للامبراطور وقد طلب كيرلس الرابع ان يلبسه على لحمه وقد فعل ذلك و وكل به من يحرسه يومين كاملين فلم يصبه ضرر فتعجب الناس من ذلك ثم جيء برجل محكوم عليه بالاعدام فألبس الكساء ثلاثة ايام تحت الحراسة فلم يصبه ضرر (٤) فقام أول دليل هدم افتراء الانجليز ثم كتب البابا كيرلس إلى سعيد باشا يحيطه علما بجميع ما حدث فانصرف سعيد بجيشه من الخرطوم فقام الدليل الثاني على افتراء الانجليز فانهارت ادعاءات الانجليز من اساسها ، ولما تيقن الامبراطور ثيودور من براءة البابا كيرلس الرابع وقف امامه حاسر الرأس حافي القدمين وانكب على يديه

---

(١) ميخائيل شاروبيم : الكافي ـــ الجزء الرابع ص ١٢١
(٢) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٣١٧ ـــ القاهرة سنة ١٨٩٨
(٣) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ـــ الجزء الثاني ص ١٦٣
(٤) ميخائيل شاروبيم : الكافي الجزء الرابع ص ١٢٢

يقبلها واعتذر اليه بأن رفع الحجر على رأسه ، فصفح عنه كيرلس فقد تبددت الشكوك وثبتت براءة كيرلس و براءة سعيد بل براءة مصر كلها وفى سبيل مصر لاقى كيرلس الرابع من شدائد واهوال كادت تودى بحياته ولقد نجح فى مهمته السياسية فأرسل الامبراطور معه الى سعيد باشا الهدايا النفيسة وسير معه وزيرا من كبار وزرائه وكتابا إلى سعيد باشا فاستقبل سعيد الوفد الاثيوبى بالاجلال والاكرام ونزل الوزير فى الضيافة الخاصة . (١)

وكان يوم استقبال كيرلس فى القاهرة يوما حافلا اشترك فيه الشعب والحكومة وسار فى موكب يتقدمه رجال الاكليروس ينشدون الالحان الكنسية فى اصوات مرتفعة ، لقد اثبت كيرلس الرابع فى كل مواقفه واعماله انه كان ابنا بارا لمصر ومصلحا من الرعيل الاول من المصلحين الذين اضاءوا لبلادهم فى الظلمات .

فى عهد الثورة العرابية

وقوف الاقباط إلى جانب عرابى : كان الجيش المصرى الذى يؤازر عرابى و يؤيده فى مواقفه مكونا من أبناء الامه المصريه من المسلمين والأقباط ، لقد وقفت الأمة المصرية تساند عرابى واشترك الاقباط جنبا الى جنب مع بقية أبناء الامة فقد رأوا فى عرابى البطل الذى يحاول إبعاد النفوذ الأجنبى ودفع طغيان الخديوى توفيق وأشادت جريدة الوطن بعلو همة الضباط الثائرين وعدالة مطالبهم ونادت بضرورة انشاء برلمان مسئول وحين كان عرابى مرابطا بمعسكره فى كفر الدوار أصدر الخديو توفيق امره بعزله من منصبه ولكن عرابى لم يكترث لهذا الامر واستمر يعد عدة الدفاع ليصد تقدم الانجليز وأرسل الى يعقوب سامى باشا يدعوه الى عقد الجمعية العمومية للنظر فى أمر العزل فأجتمعت فى وزارة الداخلية يوم السبت ٢٢ يوليه سنة ١٨٨٢ وقد حضر الاجتماع نحو خمسمائة من كبار المصريين كان فى مقدمتهم شيخ الازهر و بطريرك الاقباط الانبا كيرلس الخامس وأصدرت الجمعيه العمومية القرار التالى :ــ(٢)

« رأينا أن وجود العساكر فى الاسكندرية والمراكب الانجليزية فى السواحل المصرية ووقوف عرابى باشا بمدافعة العدو و يقتضى وجوب بقاء الباشا المشار اليه فى نظارة الجهدية والبحرية مداوما على قيادة العساكر ومتبعا فى أوامره المتعلقة بالعسكرية وعدم انفصاله من تلك الوظيفة ، ورأينا وجوب توقيف أوامر الخديو وما يصدر من نظاره الموجودين معه فى الاسكندرية كائنة ما كانت لاى جهة من الجهات وعدم تنفيذها حيث أن الخديو خرج عن الشرع الشريف والقانون المنيف »

---

(١) الدكتور زاهر رياض : بحث موضوعه زيارة البابا كيرلس الرابع لاثيوبيا فى كتاب (حفل الذكرى المئوية لأبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع ص ٤٢ القاهرة سنة ١٩٦١)

(٢) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى (القاهرة سنة ١٩٦٦) ص ٤٣٩ الى ص ٤٤٨ .

وقد وقع على هذا القرار عدد من كبار الأقباط : كيرلس الخامس بطريرك الأقباط الارثوذكس وكيل الأقباط الكاثوليك ، بطرس باشا غالى وكيل الحقانية ، وعريان بك تادرس باشكاتب المالية ــ سعيد بك ميخائيل بديوان المالية ومن عمد أسيوط حنا جرجس .

وعندما دعا داعى الجهاد سارع الفلاحون والأقباط إلى تزويد الجيش بما يحتاجه من مختلف المؤن فكان تادرس شنوده المنقبادى يعمل معاونا لوابورات النيل فى أسيوط فعمل على تشغيل جميع الوابورات لنقل العساكر والمهمات الحربية من الوجه القبلى إلى أسيوط التى كانت نهاية الخط الحديدى وكان عرابى يتصل به رأسا لثقته به (١) وانهالت التبرعات على عرابى من البلاد وكان بينهم عدد كبير من أقباط الصعيد (٢) وكان بطرس باشا غالى احد اعضاء اللجنة التى رفعت عريضة عرابى باشا الى الخديو يلتمس فيها العرابيون العفو عنهم و يقدمون له الخضوع و يعتذرون عن أفعالهم الماضيه (٣) ، يتضح من هذا العرض التاريخى تأييد الأقباط المطلق للحركة العرابية والوقوف الى جانب عرابى فى كفاحه ضد النفوذ الأجنبى وطغيان الخديوى ومدافعة الجيش الانجليزى الزاحف لاحتلال البلاد .

الاقباط والحزب الوطنى

انضم بعض كبار الأقباط الى الحزب الوطنى مثل و يصا واصف ومرقس حنا باشا وكان و يصا واصف عضوا باللجنة الادارية للحزب الوطنى وهى لجنة الثلاثين منذ انشاء الحزب الوطنى سنة ١٩٠٧ وكان من خاصة انصار مصطفى كامل ومحمد فريد القى باسم الحزب الوطنى محاضرة باللغة الفرنسية بمسرح زيزينيا بالاسكندرية . يوم ٧ مارس سنة ١٩٠٨ وحضر الاجتماع إلى جانب الوطنيين عدد كبير من الأجانب وقد بين فى محاضرته فضل مصطفى كامل على الحركة الوطنية .

وفى الحق كان مصطفى كامل بطلا بكل ما تحمله الكلمة من معان ، طالب بجلاء الانجليز فى أيام سطوتهم و واجه الاحتلال الانجليزى فى مصر فى أقسى أيامه وتجاربه ، يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى « ولا مراء فى انه باعث الحركة الوطنية التى ظهرت فى مصر عقب الاحتلال البريطانى » (٥) . كل هذا حق لا مراء فيه ولكن تعمد الحزب الوطنى بالسيادة العثمانية جعل مفهوم الاستقلال الذى ينادى به الحزب الوطنى يبدو فى نظر الأقباط ناقصا مبتورا فالحزب

---

(١) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين جـ ٣ ص ٣٥ .

(٢) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان صفحة من تاريخ القبط فى العصر الحديث .

(٣) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ص ٤٩٨ القاهرة ١٩٦٦ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٦٠ القاهرة ١٩٦٢

(٥) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ص ٤٠٨ القاهرة ١٩٥٠

الوطني كان يطالب بجلاء الانجليز عن البلاد ولا يطالب بالغاء السيادة العثمانية يقول الدكتور حسين فوزى النجار « ولم تكن دعوة مصطفى كامل لربط مصر بالخلافة العثمانية إلا نوعا من الولاء للرابطة الاسلامية العامة كان يسود العالم الاسلامى فى ذلك الوقت وظل قويا حتى فى إبان اشتداد الوعى القومى فى البلاد الاسلامية فقد ظلت الاتجاهات القومية فيها لا تنكر الولاء للخلافة وكل ما تتطلع اليه أن تحقق لنفسها نوعا من الكيان الذاتى فى داخل الدولة العثمانية ولم تكشف النزعة الانفصالية فيها عن نفسها الا عندما ما جاءت كنتيجة طبيعية لانهيار الدولة العثمانية وسقوط الخلافة »(١) .

— (مصر للمصريين) —

وفى الوقت الذى اتسمت فيه دعوة مصطفى كامل الوطنية بالمحافظة على الرابطة الاسلامية العامة والولاء للخلافة (٢) وفى نفس السنة وهى سنة ١٩٠٧ التى اسمى فيها مصطفى كامل الحزب الوطنى وكان نص المادة الأولى من برنامجه « استقلال مصر كما قررته معاهدة لندرة سنة ١٨٤٠ ، ذلك الاستقلال الذى يضمن عرش مصر لعائلة محمد على مع الاستقلال الداخلى عن تركيا »(٣) فى ذلك الوقت انطلقت صيحة وطنية داوية كان لها تاثير عظيم فى مستقبل البلاد ، ارتفع صوت أحمد لطفى السيد من منبر صحيفة « الجريدة » ينادى مصر للمصريين لا للانجليز ولا للعثمانيين فكان لهذا الصوت فى نفوس المثقفين من أبناء الأمة تأثير عميق كانت الجريدة لسان حال حزب الامة الذى اسسه محمود سليمان باشا سنة ١٩٠٧ وقد قامت دعوته على ضرورة توجيه الوعى السياسى والقومى فى مصر وجهة مصرية خالصة لا ارتباط بينها و بين دولة الخلافة (٤) ولقد مهد أحمد لطفى السيد لحركة سنة ١٩١٩ لجمع الامة على رأى موحد فى الوطنية .

يقول الاستاذ سلامه موسى « و وجد فى الأول مصادمة قوية من الكتاب الذين الفوا الدعاية للاتراك ولكن سرعان ما انتصر وظفر بالراى العام فى مصر ووجد الأقباط منطقا فى هذه الوطنية كما وجد المثقفون فيها املا جديدا يعبىء الأمة للاصلاح والتجديد فأقبلوا على الجريدة وشغفوا بمقالات لطفى السيد فيها » (٥)

---

(١) الدكتور حسين فوزى النجار: السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط — الجزء الأول ص ٣٧٧ — القاهرة ١٩٥٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٣٧

(٣) أحمد شفيق باشا : مذكراتى فى منتصف قرن (القسم الثانى من الجزء الثانى) ص ٨٠ — القاهرة سنة ١٩٣٦ .

(٤) الدكتور حسين فوزى النجار: السياسة والاستراتيجية فى الشرق الأوسط الجزء الأول ص ٣٤٢ .

(٥) سلامة موسى : تربية سلامة موسى : ص ٣٦ — القاهرة سنة ١٩٥٨ .

فى ثورة سنة ١٩١٩

كانت ثورة سنة ١٩١٩ أروع صورة للوطنية الصادقة أبرزت اتحاد ابناء الأمة المصرية من مسلمين وأقباط اتحادا لم تستطع معاول الاحتلال الانجليزى ان تعمل على فصمه أو تجد ثغرة فى بناء الأمة المكين مما حدا بالزعيم محمد فريد أن يكتب من سويسرا فى آخر رسالة له قبل وفاته يهنىء الأمة المصرية بهذا الاتحاد « إن هذا الصوت يناجيكم اليوم من وراء البحار ليهنىء الامة المصرية على تضافرها وتضامها فى المطالبة بحق امنا المظلومة « مصر » لا فرق فى ذلك بين أبنائها وبناتها مسلمين وأقباط ، مما كان له دوى فى أوربا أخرس المتهمين إياهم بالتعصب الدينى (١) ، لقد قامت الأمة المصرية كلها قومة رجل واحد تطلب جلاء الانجليز عن البلاد وتجلى الاتحاد فى اجلى معانيه فنرى رجال الدين الاقباط يخطبون على منبر الأزهر ، وقد برز فى هذا المجال القمص مرقس سرجيوس والقمص بولس غبريال اية وطنية ابهى واسمى من وطنية القمص مرقس سرجيوس حين يعلن على منبر الأزهر سنة ١٩١٩ « إذا كان الانجليز يتمسكون ببقائهم فى مصر بحجة حماية القبط فأقول « ليمت القبط وليحى المسلمون احرارا » (٢) كما نرى مشايخ الأزهر يخطبون على منابر الكنائس وكان سينوت حنا بك أحد كبار الوطنيين الاحرار يطالع الناس بمقالاته « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا » .

لقد تعرض الأقباط كما تعرض اخوانهم فى سبيل الوطن للنفى والسجن والتشريد والاعدام وبذلوا الدماء رخيصة فى سبيل الوطن المفدى وواجه الانجليز امة متحدة متكتلة فلم يملكوا الا ان يصوبوا بنادقهم ومدافعهم فقابلها المصريون جميعا وصدورهم مفتوحة فارتوت الأرض المقدسة بدمائهم ممتزجة وامام هذا التكتل الرائع لابناء الامة المصرية الباسلة عمد الانجليز الى سياسة التفرقة وظنوا أنها الوسيلة التى تحقق لهم اغراضهم فأتجه العميد البريطانى اللورد اللنبى إلى بطريرك الأقباط الأنبا كيرلس الخامس يمنيه بالحماية البريطانية له وللاقباط اذا تراجعوا عن موقفهم فرفض البطريرك هذه الحمايه من العدو (٣) كما سبق أن رأينا رفض البابا بطرس الجاولى المعاصر لمحمد على حماية روسيا للكنيسة القبطية .

يقول الزعيم سعد زغلول عن وطنية الاقباط فى الخطبة التى القاها يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٢٣ ، ولولا وطنية من الأقباط وإخلاص شديد لتقبلوا دعوة الأجنبى لحمايتهم وكانوا يفوزون بالجاه والمناصب بدل النفى والسجن والاعتقال ولكنهم فضلوا أن يكونوا مصريين معذبين

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٤٠٨ .

(٢) عبادى العبد العبادى المحامى : المسيحية والقومية العربية ص ١٠٦ القاهرة سنة ١٩٥٨ .

(٣) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان « صفحة من تاريخ القبط فى العصر الحديث .

محرومين من المناصب والجاه والمصالح يسامون الخف و يذوقون الموت والظلم على أن يكونوا محمين بأعدائهم واعدائكم (١) .

واني سأعرض أبرز صور الكفاح الذى خاضه الاقباط فى ثورة سنة ١٩١٩ لقد أحس الأقباط أن جهادهم عبر السنين فى سبيل الاستقلال كاد يتوج بالنصر وان ثمار النصر دانية القطوف بهذا الاتحاد المتين «يقول الدكتور زاهر رياض» فلم تكن وقفات المعلم رزق وراء على بك الكبير وصرخات المعلم يعقوب حنا ومدارس كيرلس الرابع ثم صرخات سنة ١٩١٩ إلا اجزاء من معركة متصلة ذات هدف محدد دائم هو هدف الاستقلال التام (٢) .

حين تألف الوفد المصرى فى نوفمبر سنة ١٩١٨ بزعامة سعد زغلول للمطالبة بأستقلال البلاد واستجابت صيحة سعد غالبية أبناء الأمة وسارع الأقباط للانضواء تحت لواء الوفد فقد رأى الأقباط فى سعد بل رأت الأمة جماء الزعيم البطل الذى يحقق الأمل المنشود فى استقلال مصر وضم الوفد الأول إلى اعضائه سينوت حنا بك وجورج خياط بك و واصف غالى بك (٣) وصار من اعضاء اللجنة المركزية بالقاهرة مرقس حنا باشا وتوفيق بك دوس المحامى ولقد نفى مع الزعيم سعد زغلول مكرم عبيد وسينوت حنا وتعرض بعض المجاهدين للاعدام بعد ذلك .

وحدث فى سنة ١٩١٩ أن استقالت وزارة محمد سعيد باشا احتجاجا على اعلان ثار الحماية الانجليزية قدوم لجنة ملنر سنة ١٩١٩ فامتنع الكبراء عن تأليف الوزارة . ونرى الأقباط عندما بدأ الانحراف من أحد كبارهم وهو يوسف وهبة باشا بقبول تأليف الوزارة اعلنوا استنكارهم لهذا الموقف لمجرد ما اشيع وقبل صدور المرسوم بتأليف الوزارة فقد استاء الأقباط من موقفه وعقدوا اجتماعا كبيرا فى صبيحة يوم الجمعة ٢١ نوفمبر سنة ١٩١٩ فى الكنيسة المرقسية الكبرى بالدرب الواسع برئاسة القمص باسليوس ابراهيم وكيل البطريركية اعلنوا سخطهم على موقف يوسف وهبه باشا وعلى قبول تأليف الوزارة وقد خطب فى هذا الاجتماع القمص سلامة منصور رئيس المجلس الملى بالقاهرة والاستاذ توفيق حبيب والاستاذ لويس فانوس والقمص مرقس سرجيوس وكامل جرجس عبد الشهيد بالنيابة عن الطلبة واتفق المجتمعون على ارسال البرقية التالية الى يوسف وهبه باشا وقد وقعها بالنيابة عنهم رئيس الاجتماع القمص باسليوس ابراهيم .

«والطائفة القبطية المجتمع منها يربو على الالفين فى الكنيسة المرقسية الكبرى تحتج بشدة على اشاعة قبولكم الوزارة اذ هو قبول للحماية ولمناقشة لجنة ملنر وهذا يخالف ما اجمعت عليه

---

(١) الدكتور نقولا فياض : الخطابه ص ٢٤٢ ــ القاهرة سنة ١٩٣٠ .
(٢) الدكتور زاهر رياض . بحث غير مطبوع بعنوان «صفحة من تاريخ القبط فى العصر الحديث .
(٣) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ص ١٢٦ ــ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

الأمة المصرية من طلب الاستقلال ومقاطعة اللجنة فنستحلفكم بالوطن المقدس و بذكرى اجدادنا العظام ان تمتنعوا عن قبول هذا المنصب الشائن » (١) .

و يعلق الاستاذ عبد الرحمن الرافعى على هذه البرقية قائلا : فكان هذا الاجتماع مظهرا رائعا للتضامن القومى » (٢) .

وقد اشاد عبد الرحمن فهمى سكرتير لجنة الوفد المركزية فى القاهرة بهذا الموقف فى مذكراته الى سعد زغلول رئيس الوفد المصرى فى باريس :

مصر فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩

حصل اجتماع كبير بالكنيسة المرقسية يوم الجمعة ٢١ نوفبر حضره اكثر من اربعة الاف شخص من علية الأمة القبطية وكتبوا احتجاجا شديدا جدا ضد ترشيح يوسف باشا وهبه لرياسة الوزارة وضده اذا قبل وهو غاية فى الاحكام ولقد ارسلت صورة منه داخل ملف الجرائد الذى ارسل من هنا بتاريخ ٢٣ نوفبر وهذا التنويه للعلم فهذا الاجتماع وما اشتمل عليه فيما اذا كان لم يصل مع ملف الجرائد ، وكان الاجتماع تحت تأثير القمص باسليوس وكيل البطريكخانه وبحضور خمسة آخرين من القمامصة ولقد اوجد هذا الاجتماع رجة شديدة فى المقامات العالية وسبب مضايقة شديدة ليوسف باشا وهبة » (٣) .

وهذه صورة اخرى اعرضها لكفاح السيدات المصريات فى سبيل الاستقلال ففى يوم الجمعه ١٢ ديسمبر سنة ١٩١٩ اجتمع عدد كبير من السيدات المصريات من مسلمات وقبطيات بالكنيسة المرقسية الكبرى للاحتجاج على قيام وزارة يوسف وهبه باشا وقدوم لجنة ملنر وكان فى مقدمتهن : هدى شعراوى ــ شريفة رياض وحرم محمود باشا رأفت وحرم حبيب بك خياط وحرم فهمى بك و يصا وقد اصدرن بيانا ختمته بتأييد مقاطعة لجنه ملنر والاحتجاج على قدومها والإصرار على التمسك بالاستقلال التام . (٤)

وقد كتب عبد الرحمن فهمى إلى سعد زغلول رئيس الوفد فى باريس عن هذا الاجتماع ما يلى :

« اجتمع اكثر من مائتين من السيدات المصريات بالكنيسة المرقسية يوم الجمعة ١٢ ديسمبر الجارى ومعظمهن ان لم يكن كلهن من علية القوم والبيوتات الكبيرة يتقدمهن حرم

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ (الجزء الثانى) ص ١٠٥ ، ١٠٦ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

(٢) نفس المرجع ص ١٠٦

(٣) الدكتور محمد انيس : دراسات فى وثائق سنة ١٩١٩ الجزء الاول ص ١٥٨ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٤) عبد الرحمن الرافعى : ثوره سنة ١٩١٩ (الجزء الثانى) ص ١١٥ ، ص ١١٦ القاهرة سنة ١٩٥٥ .

شعراوى باشا وحرم المرحوم محمود باشا رياض وحرم الدكتور حبيب خياط وحرم فهمى ويصا ...... الخ وكتبن احتجاجا على الحالة الحاضرة وعلى قدوم اللجنه الانجليزية التى تعمل تحت الحماية وعلى الحماية نفسها وطلبن الاستقلال التام لمصر والاحتجاج موقع عليه من الجميع وموجود عندنا (١).

ويردد المؤرخ الفرنسى سلفستر شوليرما كتبه الدكتور محمد صبرى : « كان الاقباط اكثر تحمسا للملكية من الملك :Plus Royalist quele roi لقد كانوا من أشد الناس تحمسا للدفاع عن الفكره الوطنية .

وكان القساوسة يحضون على حب الوطن من فوق المنابر فى المساجد وفى جامعة الازهر الاسلامية وكذلك كان المشايخ والعلماء يخطبون فى الكنائس وكان اكثر المشاهد تاثيرا ظهور الاعلام وقد رسم عليها الهلال كانه يعانق الصليب ، ان هذا الحدث ما هو الا ثوره سياسية ودينية (٢) .

وأى دليل على الوطنية الصادقة اقوى مما حدث فى اعقاب ثورة سنة ١٩١٩ فى قضية طبع منشورين ضد الحكومة من ان السبعة الذين حكم عليهم الانجليز بالاعدام أمام محكمة عسكرية بريطانية فى ٩ اغسطس سنة ١٩٢٣ ثم ابدلت بالقيادة البريطانية العامة : الحبس سبع سنوات وتغريم كل منهم ٥٠٠٠ جنيه (٣) كان منهم أربعة من الأقباط وهم مرقس حنا وواصف غالى وجورج خياط وويصا واصف وأما اخوانهم الثلاثة فهم حمد الباسل ومراد الشريعى ومحمد علوى الجزار، وأن ويصا واصف صاحب العبارة المشهورة عندما دخلوا قاعة المحكمة « لكم أن تحكموا علينا وليس لكم أن تحاكموا » (٤) واختتم هذا الفصل بما قاله العلامة الأمريكى وليم وول الاستاذ بجامعة متشجان فى كتاب « موجز تاريخ القبط » ومهما يكن من امر فان حماسة القبط فى المطالبة باستقلال بلادهم لم تقل عن مواطنيهم المسلمين (٥) » .

---

(١) الدكتور محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ الجزء الاول صفحه ١٦٤ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٢) Sylvester Chauleur: Histoire de Copres D'Egypte P. 160 5, Paris

(٣) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب الثورة المصرية ــ الجزء الأول ص ٦٦ ــ القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٤) ميشيل جرجس : بحث فى مجلة التوفيق موضوعه ويصا واصف ــ العدد الثالث يونيو سنة ١٩٥٩ ص ١٥ .

(٥) وليم وول : موجز تاريخ القبط مطبوع (فى كتاب صفحة من تاريخ القبط) ترجمة الدكتور مراد كامل ص ١٨٩ ــ مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية سنة ١٩٥٤ .

ــ (الفصل الثانى) ــ

ــ ((نشاط الأقباط الدينى)) ــ

أولا : نشاط الأقباط الأرثوذكس

برز نشاط الأقباط فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وعلى وجه التحديد عند ارتقاء أبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع كرسى البطريركية سنة ١٨٥٤ ، أما فى النصف الأول من هذا القرن فلم يقم للأقباط نشاط دينى إلا فى ناحيتين ، ناحية الرعاية الدينية وناحية تدريس الدين المسيحى فى الكتاتيب مع سائر المواد الابتدائية من خط عربى ومبادىء حساب ولغة عربية ولغة قبطية ، اما فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فقد تعدد نواحى النشاط الدينى فقد ظهرت إلى جانب الناحيتين السابقتين ، حركة بناء الكنائس وإنشاء المدرسة الاكليريكية لتعليم رجال الدين ثم مقاومة المذاهب الأجنبية البروتستانتيه والكاثوليكية وفى أوائل القرن العشرين ظهرت مجلات دينية ثم انتشرت مدارس الاحد التى هى اعظم مظهر للنشاط الدينى للأقباط الاثوذكس فى القرن العشرين .

وقد يصور بعض الباحثين الأمور فى غير وضعها الصحيح فما يذكره المؤرخون أن البابا بطرس الجاولى رسم ثلاثة وعشرين مطرانا أو اسقفا فى مصر لا أعتبره نشاطا دينيا إذا علمنا أن هذا البطريرك الذى كان معاصرا لمحمد على وعباس الأول قد تولى منصب البطريركية زهاء ثلاث واربعين سنة (من ١٨٠٩ ــ ١٨٥٢) فلا غرابة فى رسامة هذا العدد من الاساقفة فى الأماكن التى تخلو بوفاة شاغليها ، إنما اعتبر رسامة أسقفين للسودان (واحدا بعد الآخر) بعد ان تم فتح السودان فى عهد محمد على نشاطا دينيا و بعد أن تقلص ظل المسيحية فى السودان فى نهاية القرن السادس عشر وسأتناول فى دراستى لنشاط الأقباط الأرثوذكس الدينى ست نقاط : الرعاية الدينية ، تعليم الدين المسيحى ، بناء الكنائس ، إنشاء المدرسة الاكليريكية لتعليم رجال الدين ، مقاومة المذاهب الأجنبية ، المجلات الدينية ثم أشير اشارة عابرة إلى مدارس الاحد التى تعتبر اعظم مظهر لنشاط الاقباط الدينى فى القرن العشرين .

اولا : الرعاية الدينية : واجب هام على عاتق رجل الدين أن يقوم به على الوجه الأكمل ، و يطلق على القسيس راعى الكنيسة وقد قام رجال الدين فى القرن التاسع عشر بهذه المهمة على اكمل وجه ، فقد كان الانبا مرقس أول بطاركة القرن التاسع عشر والذى عاصر مجىء

الحملة الفرنسية الى مصر وأوائل حكم محمد على يقظا فى وعظ شعبه وتعليمهم ليلا ونهارا و يذكر صاحب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر له سبعا وعشر ين رسالة ألفها والرسالة منشور يقرأ فى الكنائس وفى هذه الرسائل عالج البطر يرك كثيرا من الامراض الاجتماعية كشرب الخمر او عيوبا اجتماعية كتسول الفقراء فى الكنائس أثناء الصلاة فكان موضوع الرسالة الاولى « فى الرحمة » والثانية « من أجل الذين يتكلمون فى الكنيسة بغير أدب » والثالثة من أجل دورة الفقراء فى الكنيسة « وقد قال فى هذه الرسالة » أسألكم بلين المسيح وتواضعه ان تبطلوا دورة الأطباق ولا يدور الفقراء « وموضوع الرسالة السابعة » من أجل الذين يقصدون السحرة فى مضرة الناس « والحادية عشرة من اجل الكهنة والتزام راعى النفوس بتعليم رعيته ما يجب للخلاص » وموضوع الرسالة السابعة عشرة « من أجل الانذار الالهى لمن ارتكبوا المعاصى يطلقون نساءهم بغير سبب » والرسالة الثامنة عشرة « تعز ية فى الشدائد » ويمضى الانبا مرقس فى رسائله يحض الناس على الخير و ينهاهم عن الشر (١)

و يصور الانبا بطرس الجاولى الذى تولى البطر يركية من ١٨٠٩ — ١٨٥٢ فى التقليد أو المنشور الذى وجهه إلى اقباط منفلوط بمناسبة رسامة الانبا ابرام اسقفا لهم المثل الاعلى للراعى الساهر على رعيته حتى لا تشرد منها شاردة .

« نعلمهم جدد الله البركات الروحانية عليهم وهو ان الواصل إلى عندكم اخونا الحبيب الفاضل اللبيب العابد الناسك الخائف من الله الاسقف المكرم بكل نوع انبا ابرام اسقف عليكم وصار له السلطان من قبل النعمة التى نالها من الروح القدس اليه ان يحل و يربط و يكرز الكنائس الجدد والهياكل و يوسم (هنا بمعنى يرسم) الكهنة والقسوس والشمامسة مجانا كما اخذ مجانا و يعمل جميع ما تعمله الأساقفة امثاله وهو أبوكم وراعيكم ورئيسكم ومدبركم فى ناموس الله كما يرضى الله وله السلطان يتصرف فى كرسيه كما ير يد بخوف الله تعالى بعلمه ودينه وفضله .. ولا تخرجوا عن كل ما يشير به من القوانين الشرعية ، وتحافظون على الأصوام المفروضة والصلوات المنصوصة والقداسات المرفوعة .... وتحافظوا على طهارة النفس والجسد والقلب فانه بغير الطهارة لا يعاين أحد مجد الله وتعتمدوا على الصوم والصلاة فى أوقاتها المفروضة فانها سراج الاستفادة ولا تخرجوا عن كل عمل صالح وسعى روحانى عن رأى ابيكم الأخ المشار إليه فهو دليل الاستحسان والسراج المنير الذى ذكره الانجيل المقدس الموضوع على المناره » (٢)

وكان البابا كيرلس الرابع مثلا أعلى لرجال الدين الأقباط فى الرعاية ففى

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر الجزء الاول من ص ٤٩ — ص ٥١ — القاهرة سنة ١٩١٠

(٢) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر الجزء الاول ص ١٠٤ وص ١٠٥ — القاهرة سنة ١٩١٠

الاجتماعات التى كان يعقدها للقسوس كل سبت بمدرسة الاقباط بالازبكية كان يطيل الشرح فى الكلام على واجبات القسوس (١)

وكانت رحلتا البطريرك كيرلس الخامس لتفقد الاقباط ودراسة أحوال الكنائس على الطبيعة خير الأمثلة للرعاية الدينية الساهرة .

رحلة البابا كيرلس الخامس الأولى : فى يناير سنة ١٩٠٤ أراد الأنبا كيرلس الخامس أن يتفقد الأقباط فى الصعيد والسودان فسار يصحبه بعض المطارنه والأساقفة وقد زار عدة مدن فى الصعيد فزار بنى سويف والمنيا واسيوط ــ ابنوب ــ ابو تيج ــ سوهاج ــ جرجا ــ البلينا ــ الأقصر ــ نقادة ــ اسنا ــ ادفو ــ اسوان ، وفى كل هذه البلاد كان يستقبل بمظاهر الحفاوة والتكريم من أبناء الامة المصرية جميعها من مسلمين وأقباط وكان يزور كبار الأقباط والمسلمين والحكام فى منازلهم و يزخر كتاب تاريخ الأمة القبطية من سنه ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ للاستاذ يوسف منقريوس بالخطب والقصائد التى قيلت فى استقباله وفى وصف مواكب التكريم وفى كل البلاد التى زارها كان يقيم الصلاة فى الكنائس وتقام السرادقات ويجتمع فيها مع الشعب . (٢)

الرحلة البطريركية إلى الخرطوم : استقبل فى الخرطوم بكل مظاهر الاكرام والتبجيل وسار فى موكب يتقدمه الكهنه والشمامسة بملابسهم الرسمية الجميلة يرددون الآناشيد وكان الاستقبال عظيما من الحكام ومشايخ الاسلام والشعب ثم اتجه إلى كنيسة الخرطوم فأدى صلاة الشكر وفى يوم الأحد قام برسامة كاهن لكنيسة الخرطوم القبطية وكاهن آخر لكنيسة أم درمان القبطية وكانت حكومة السودان قد منحت أقباط الخرطوم قطعة أرض تبلغ نحو ثلاثة أفدنه لبناء الكنيسة ودار للأسقفية ومدرسه للاقباط ويمكننى هنا أن اسجل صورة الاحتفال فى السرادق كما صورها صاحب تاريخ الامة القبطية سنة ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ « فجلس غبطة البطريرك فى الصدر وعلى يمينه سعادة السردار .. مكشوف الرأس بكل خشوع و وقار ومن ورائه الضباط العظام من الانكليز واكابر الحكام ورؤساء المصالح جميعا وعلى شماله حضرات المطارنة وقسيس الاروام ومن حوله يمينا الشمامسة وقوفا بالتراتيل الكنسية وشمالا شيخ الاسلام ومفتى الديار السودانية بالاصالة عن نفسه و بالنيابة عن قاضى القضاة المتغيب بالاجازة فى مصر وقاضى مديرية الخرطوم الشرعى والعلماء والاعلام ومدير جريدة السودان واكابر الضباط الانكليز والتجار والاروام والوطنيون المصريون والسودانيون فضلا عن الذوات والأعيان من الاهالى و بقية الموظفين والمستخدمين » (٣) وقد قام الانبا كيرلس بوضع حجر الاساس للكنيسة القبطية فى الخرطوم وهذه هى الوثيقة الخاصة بوضع حجر الاساس :

---

(١) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ١١٩ ــ طبع القاهرة سنة ١٨٩٨

(٢) يوسف منقريوس : تاريخ الامة القبطية من سنه ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ ص ٢٨ طبع القاهرة سنة ١٩١٣ .

(٣) يوسف منقريوس : تاريخ الامة القبطية من سنة ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ من ص ٢٨٣ ــ ص ٢٨٥ ــ القاهرة سنة ١٩١٣ .

« انه فى يوم الاحد المبارك الموافق ٢٧ مارس سنة ١٩٠٤ سنة ١٦٢٠ قبطية وسنة ١٣٢١ هجرية وفى السنة الرابعة من جلوس جلالة الملك إدوارد السابع على عرش بريطانيا المعظمى وسلطنة الهند وفى السنة الثالثة عشرة من جلوس سمو الخديو المعظم عباس حلمى الثانى على الأريكة المصرية قد صار الاحتفال تحت رئاسة غبطة الأب البطريرك الانبا كيرلس الخامس والثانى عشر بعد المائة من بطاركة الكرسى الاسكندرى بوضع الحجر الاول لبناء هذه الكنيسة القبطية الارثوذكسية بمدينة الخرطوم عاصمة الحكومة السودانية بحضور سعادة السير / ريجنلد ونجت باشا حاكم عموم السودان وسردار الجيش المصرى واصحاب النيافة الاباء انبا يؤنس مطران كرسى البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية وانبا مرقس مطران كرسى اسنا والاقصر وانبا باخوميوس اسقف دير السيده العذراء بالمحرق ومنفلوط ونسأل الله تعالى أن يتمم هذا البناء بسلام وان يديم مجد كنيسته المقدسة إلى الأبد وأبواب الجحيم لن تقوى عليها الى الابد آمين » (١)

رحلة البطريرك كيرلس الخامس الثانية :ـــ

فى يناير سنة ١٩٠٩ غادر القاهرة البابا كيرلس الخامس قاصدا مدن الوجه القبلى ثم السودان ليتفقد ابناء كنيسته و يرى أحوال رعيته ثم يقوم بتدشين كنيسة الخرطوم التى كان له الفضل فى تشييدها ، وكان مرافقوه فى هذه الرحلة من كبار الاقباط مثل مرقس بك سميكه وجندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن والاستاذ حبيب جرجس مدرس اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية ، فزار بنى سويف فالمنيا فمنفلوط ، اسيوط فأبوتيج فسوهاج فجرجا فالبلينا ثم قنا والاقصر واسوان وفى الخرطوم استقبله ريجنلد ونجت الحاكم العام للسودان بمنتهى الحفاوة والاكرام ثم امر البطريرك رجال الاكليروس باعداد الكنيسة القبطية فى الخرطوم لحفل التدشين فزينت بسعف النخيل واغصان الزيتون واكاليل الزهور والرياحين واضيئت مسارج الانوار وكان قد رافقه فى أثناء رحلته فى الصعيد بعض المطارنة فبات رجال الاكليروس يرتلون طول الليل وفى الصباح رأس الحفلة وحضرها عدد كبير من العظماء ومن افراد الشعب ، وختم البطريرك اعماله الجيدة للأقباط فى السودان بوضع الحجر الاول فى اساس المدرسة القبطية الكبرى فى حفلة رائعة تخللتها الترانيم الشجية والخطب الشائقة الادبية والصلوات الدينية » (٢)

---

(١) نفس المرجع ص ٢٨٩

(٢) نفس المرجع ص ٣٥٨

ثانيا : تعليم الدين المسيحى

كانت الكتاتيب القبطية طوال القرن التاسع عشر فى الغالب ملحقة بالكنائس وكان كثير من التلاميذ شمامسة فى الكنائس فاتخذ التعليم فى الكتاتيب طابعا دينيا ولم يكن يدرس إلى جانبه غير الخط والحساب (١) وكانت المطالعة فى الانجيل وعندما أنشأ البابا كيرلس الرابع مدارسه فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر احتل التعليم الدينى جانبا هاما من الدراسة وعندما سمح للأقباط بدخول المدارس الاميرية سنة ١٨٦٣ لم يكن الدين المسيحى يدرس فى المدارس الاميرية وقد استمر هذا الوضع حتى أوائل القرن العشرين ، وفى سنة ١٩٠٥ رأى الاستاذ حبيب جرجس استاذ اللاهوت فى المدرسة الاكليريكية وواعظ الكنيسة الأول فى ذلك الوقت أن يعالج هذا الموقف فخصص يوم الخميس من كل أسبوع لالقاء دروس للطلبة المسيحيين بالمدارس الاميرية بكنيسة الفجالة وفى سنة ١٩٠٨ نجحت مساعى مرقس باشا سميكه فى تقرير تعليم الدين المسيحى بالمدارس الاميرية (٢) ، فقامت المدرسة الاكليريكية بدور هام فى تدريس الدين المسيحى فى هذه المدارس فعين عدد من خريجيها لتدريس مادة الدين المسيحى كما انتدب الاستاذ يوسف بك منقريوس ناظر المدرسة الاكليريكية مفتشا للتعليم الدينى بالمدارس الأميرية كما ادخل تعليم الدين فى منهج مدرسة المعلمين العليا لاعداد اساتذة تعليم الدين المسيحى .

وكانت كتب الدين المسيحى التى تدرس فى أواخر القرن التاسع عشر فى المدارس القبطية وفى النصف الأول من القرن العشرين فى جميع المدارس القبطية والأميرية فى الغالب من تأليف الاستاذ حبيب جرجس ففى سنة ١٨٩٨ ألف ثلاثة كتب باسم خلاصة الاصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية وفى سنة ١٩٢٠ ألف كتاب « الكنز الأنفس فى ملخص الكتاب والتاريخ المقدس » فى أربعة اجزاء .

على أن أهم الخطوات التى اتخذها الاقباط فى تدريس الدين المسيحى فى المدارس القبطية كانت قرارات المجمع المقدس المنعقد فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٠٣ و يرى القارىء نص هذه القرارات فى الملاحق الخاصة بنشاط الاقباط الدينى .

---

(١) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ١٢٣ القاهرة سنة ١٩٣٨ .
(٢) نفس المرجع ص ١٢٤ .

ثالثا : بناء الكنائس

يبالغ الدكتور جاك تاجر فى تسامح محمد على فى هذه الناحية فيقول « ولم يرفض للأقباط أى طلب تقدموا به بالبناء أو إصلاح الكنائس وتحوى مخطوطات قصر عابدين عددا كبيرا من الاوامر الخاصة بالكنائس حررت بالصيغة الآتية :

امر الى .... بشأن التصريح لطائفة الاقباط بتعمير الكنائس ومساعدتهم فى ذلك وعدم ممانعتهم (١) .

وانى أرى ان المقصود بتعمير الكنائس هنا إصلاحها او اعادة بنائها لا انشاء كنائس جديدة فباستثناء الكنيسة المرقسية الكبرى بالازبكية التى استصدر المعلم ابراهيم الجوهرى من السلطان العثمانى فرمانا ببنائها فى نهاية القرن الثامن عشر وتولى أمر بنائها جرجس الجوهرى مع البطريرك الأنبا مرقس الثامن لا يرى باحث التاريخ إنشاء اية كنيسة جديدة فى النصف الاول من القرن التاسع عشر، فكلما تقادم العهد ببناء كنيسة قام الاقباط باعادة بنائها ، ولكن الحال يختلف فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فنرى انشاء كنائس جديدة فى هذه الفترة من التاريخ فيصدر تصريح ببناء كنائس جديدة وهذا يعنى الى تطور الأفكار نحو الحرية الدينية والى تسامح بعض الولاة وكان الخديو إسماعيل بحق اكثر الولاة من أسره محمد على تسامحا فقامت كنيسة لأقباط طنطا فى عهد سعيد باشا سنه ١٨٥٥ وكان أقباط طنطا يصلون فى كنيسة بلدة سبرباى قرب طنطا ثم أنشئت كنيسة للأقباط فى حاره السقائين بدأها البابا كيرلس الرابع وفى سنه ١٨٨٤ بنى الأقباط كنيسه العذراء بالفجالة فى قطعة الأرض التى تبرع بها ميخائيل بك جاد شيحه ولا تزال الحارة المجاورة للكنيسة تحمل اسم ميخائيل جاد الى اليوم وفى سنه ١٨٨٦ بنى سلامه عجمى الكنيسة المرقسية بالجيزة وظهر المذهب البروتستانتى فى مصر فبنيت أول كنيسة للبروتستانت أو الانجيليين وهى الكنيسة الانجيلية بالازبكية سنة ١٨٦٣ ومن هذا التاريخ إلى نهايه القرن التاسع عشر أنشأ البروتستانت أربعا وأربعين كنيسة جديده لانه لم يكن للمذهب البروتستانتى وجود بين المصريين قبل سنه ١٨٥٩ كما يرى القارىء ذلك فيما بعد عند الكلام عن انتشار البروتستانتية فى مصر .

---

(١) جاك تاجر : أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩٢٢ ص ٢٣٢ .

رابعا : انشاء المدرسة الاكليريكية

كان البابا كيرلس السابع يبذل قصارى جهده لترقية شئون الاكليروس والعمل على ارتقاء ثقافتهم فيعقد لهم الاجتماعات للدراسة والبحث يقول صاحب تاريخ الأمة القبطية ورتب للقسوس ميقاتا يجتمعون فيه كل سبت في مدرسة الازبكية للمطالعة والبحث في الامور الدينية وكان هو يحضر معهم في غالب الأوقات و يناقشهم وكثيرا ما كان يطيل الشرح في الكلام على واجبات القسوس وآدابهم وما يكسبهم مقاما رفيعا بين الناس » (١)

وكان من أعظم أماني أبي الاصلاح البابا كيرلس الرابع إنشاء مدرسة اكليريكية لتخريج رجال الدين فيتقدم رجال الدين تنهض الكنيسة فيتقدم المجتمع القبطي ولكن الموت ادركه قبل تحقيق امنيته .

يقول الدكتور وهيب عطا الله (الانبا غريغوريوس اسقف البحث العلمي والثقافة القبطية الآن) .

« في يقيني أن اعظم اعمال البابا كيرلس الرابع الاصلاحية في الفترة التي أدار فيها دفة كنيستنا القبطية الأرثوذكسية ليس هوانشاءه للكاتدرائية المرقسية بالقاهرة ولا اقامته المدرسة الكبرى او مدرسة حارة السقائين ولا استحضاره المطبعة من اوربا ولا مناداته بتعليم البنات وإنشاء مدرسة لتعليمها ولا منعه الرهبان من مغادرة أديرتهم ، وانما اعظم اعماله الاصلاحية جميعا هو اهتمامه بانشاء مدرسة اكليريكية لتثقيف رجال الدين واعدادهم للاضطلاع بمسئوليات الرعاية و واجب الكهنوت » (٢)

إن تثقيف رجال الدين يعتبر الدعامة الهامة في بناء الاصلاح ، يقول الدكتور وهيب عطا الله « وان الاصلاح الشامل ينبغي أن يبدأ برجل الدين و ينتهي الى الطفل ، كما يبدأ بالطفل و ينتهي الى رجل الدين . فالاصلاح الحقيقي إذن يجب أن يسير في الاتجاهين معا لا في اتجاه واحد » (٣) .

كان المستوى العلمي لرجال الدين الأرثوذكس قبل مجيء البابا كيرلس الرابع قد انحدر

---

(١) يعقوب نخله روفيلة : تاريخ الأمة القبطية ص ١١٩ — طبع القاهرة ١٨٩٨ .

(٢ ، ٣) الدكتور وهيب عطا الله : بحث في كتاب حفل الذكرى المئوية الأولى لابي الاصلاح البابا كيرلس الرابع ص ١٩ وص ٢٠ .

الى الضعف ، هذا المستوى الضعيف هو الذى مكن للمذهب البروتستانتى أن ينتشر ، إن هناك عدة عوامل اخرى لقيام المذهب البروتستانتى فى مصر ولكن الخمول الذى خيم على رجال الدين الأقباط ساعد البروتستانت على نشر مذهبهم .

اهمية إنشاء المدرسة الاكليريكية : يعتبر إنشاء المدرسة الاكليريكية اهم دعائم النشاط الدينى للاقباط الارثوذكس وانى سأتتبع حركه بناء المدرسة الاكليريكية بعرض وثائق انشائها .

قرار اللجنة الملية (١)

محضر جلسة اللجنه يوم الاربعاء المبارك الموافق ٦ ابيب سنة ١٦٠٩ و١٢ يوليه سنة ١٨٩٣ .

« بناء على الأمر الصادر من سياده الآب البطريرك الرئيس باجتماع اللجنة للنظر فى الثلاثة امور الآتى بيانها لمالها من الأهمية وذلك بالنسبة لغياب غبطته بالاسكندرية .

قد اجتمعت اللجنة بالدار البطريركية وهم حضرات باسيلى بك تادرس وحنا بك باخوم ووهبه بك شلبى الساعة ٩ افرنكى صباحا الموافقة ٣ عربى وحصلت المداولة فى ذلك وتقرر باتحاد الاراء ما يأتى :

قد صار تلاوة مشروع المدرسة الاكليريكية المقدم من احدنا حضرة حنا بك باخوم ووجد فى محله — إنما يلزم النظر والتصديق على الدروس والكتب التى يصير استعمالها فى هذه المدرسة المبينة بالمادة الاولى من المشروع المبدىء ذكره بمعرفه غبطة السيد الاب البطريرك والمجلس الروحى » (٢)

محضر جلسة يوم الثلاثاء ١٩ أبيب سنة ١٦٠٩ الموافق
٢٥ يوليو سنة ١٨٩٣ الساعة ٤ افرنكى بعد الظهر

« أنه بناء على امر غبطة السيد الاب البطريرك المعظم ، قد اجتمعت اللجنة من حضرات باسيلى بك تادرس وحنا بك باخوم ووهبه بك شلبى ، واما حضرة قلينى بك فهمى فانه بأوربا » وبحضور مرقس افندى مقار يوس سكرتير اللجنة وحصلت المداولة فيما هو آت .

---

(١) اللجنة الملية هى التى حلت محل المجلس الملى بعد النزاع الذى حدث بين البطريرك كيرلس الخامس وبين المجلس الملى وادت إلى إبعاد البطريرك عن مقر كرسيه الى الدير سنه ١٨٩٢ وانشئت اللجنة بعد عودة البطريرك .

(٢) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ١١ طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ م .

خطة الدراسة بالمدرسة الاكليريكية :

	المـــادة	عدد الدروس فى الاسبوع				
		الفرقة الاولى	الثانية	الثالثة	الرابعة	الخامسة
١	لاهوت — عقائد — علم ودين	٣	٣	٣	٣	٣
٢	تفسير — علم التفسير — علم الوعظ	٣	٣	٣	٣	٣
٣	درس الكتاب المقدس — تاريخ مقدس	٣	٣	٣	٢	٢
٤	التاريخ :					
	كنسى	٢	٢	٢		
	ممالك قديمة وعلاقتها بالكتاب المقدس وتاريخ سياسى	٢	٢	٢		
٥	قوانين الكنيسة — الاحوال الشخصية مؤلفات الآباء				٢	٢
٦	طقوس الكنيسة — الالحان — مزامير تسبحة	٣	٣	٣	٣	٣
٧	فلسفة — منطق — علم نفس			٣	٣	
٨	علم التربية — تاريخ التربيه				٣	
٩	لغات					
	قبطية	٥	٥	٤	٤	٢
	عربية	٥	٥	٤	٤	
	عبرية				٢	٢
	يونانية				٢	٢
	انجليزية	٤	٤	٤		
		٣٠	٣٠	٣٠	٣٠	١٩

صار تلاوة مذكرة من حضرة حنا بك باخوم تشتمل على مارآه حضرته من موافقة إقامة المدرسة الاكليريكية « الدينية » بالمنزل الكائن بالفجالة ، الذى كان معدا لسكن المتنيح أنبا يوئنس مطران المنوفية ، بعد عمل التصليحات والترميمات اللازمة اليه ، ثم صار تلاوة الجدول

المرفق مع تلك المذكرة المبين فيه خوجات (١) خوجات التدريس مع ماهيات باقى الخدمة والمصاريف التى تلزم للمدرسة الآن بصفة مؤقتة البالغ مقدار جميع ذلك اربعة وثمانين جنيها شهريا ، وقد تقرر باتحاد الآراء الموافقة على ذلك ، وانه يتأكد بسرعة ترميم وتصليح المنزل المذكور مع الشروع فى مداركة ما يلزم مداركته لاستعداده حسب الكيفية المبينة بتلك المذكرة والجدول مرفوقها مع مقايسة الترميمات .

دستور اساسى للمدرسة الاكليريكية : يرى القارىء نص هذا الدستور الذى وضعه حنا بك باخوم احد اعضاء اللجنة الملية فى ذلك الوقت وكان مديرا للمدارس القبطية فى الملاحق الخاصة بنشاط الاقباط الدينى .

مواد الدراسة : يتضح من دراسة تاريخ انشاء المدرسة الاكليريكية ان الدروس التى كانت تدرس بها عند إنشائها هى نفس الدروس التى تعطى فى المدارس الثانوية فكان بها مدرس للرياضة والفارق بينها و بين المدرسة الثانوية هو تدريس مادة الدين بتوسع ثم تدريس الالحان القبطية ولم تمض بضع سنين حتى ظهرت المدرسة الاكليريكية بطابع خاص واصبحت مناهجها الدينية ظاهرة . (٢)

انظر الجدول الموجود صفحه ١٢٣

أساتذة المدرسة الاكليريكية : عين بالمدرسة الاكليريكية منذ إنشائها فى سنة ١٨٩٣ عدد من العلماء فكان ناظرها الاستاذ يوسف بك منقريوس وكان يقوم بتدريس التاريخ والجغرافيا وله كتابان فى التاريخ الأول القول اليقين فى مسأله الاقباط الارثوذكسيين وهذا الكتاب يتناول النزاع بين الانبا كيرلس الخامس بطريرك الاقباط و بين المجلس الملى وتطور هذا النزاع والكتاب الثانى تاريخ الأمة القبطية فى العشرين سنه الاخيرة من سنه ١٨٩٣ الى سنة ١٩١٢ — وكان يقوم بتدريس اللغه القبطيه اقلاديوس لبيب المعلم الأول للغة القبطية مدة عشرين سنة (٣) وهو اكبر عالم فى اللغة القبطية فى مصر الحديثه وهو واضع القاموس القبطى ، كما كان المعلم ميخائيل جرجس يقوم بتدريس الألحان الكنسيه أعظم رجال الألحان الكنسيه فى مصر الحديثه وقد امتد به العمر الى ما بعد منتصف القرن العشرين وقد الم ألماما تاما بجميع الحان الكنيسة وكان المرجع الأعلى فى هذه الناحية ، ولقد قام معهد الدراسات القبطية بتسجيل جميع ألحانه فى اسطوانات خشية أن يضيع بموته شىء من هذا التراث الفنى البديع هؤلاء بعض اساتذة المدرسة الاكليريكية الذين بدأوا العمل بها عند انشائها فى نوفبر سنة ١٨٩٣ وفى سنه ١٨٩٨ عين اول الخريجين المرحوم الاستاذ حبيب جرجس مدرسا للاهوت وهو اكبر علماء اللاهوت

---

(١) خوجة كلمة تركية بمعنى مدرس

(٢) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ١١

(٣) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ٢٩ القاهرة سنه ١٩٣٨ .

فى مستهل القرن العشرين بل فى فترة تزيد على الربع الأول من هذا القرن كما كان واعظ الكنيسه الأول فى هذه الفترة ايضا وقد تولى الاستاذ حبيب جرجس نظارة المدرسة الاكليريكية بعد وفاة الاستاذ يوسف منقريوس سنة ١٩١٨ وظل يقوم بتدريس اللاهوت إلى جانب عمل النظارة عدة سنوات . اما اللغه العربية فكان تدريسها يسند إلى أساتذة من الأزهر أو دار العلوم .

وقد ازدهرت المدرسة الاكليريكية فى القرن العشرين فصارت كلية بها قسم عال الدراسة به اربع سنوات و يقبل به الحاصلون على الثانوية العامة ويمنح الخريجون درجة البكالوريوس فى اللاهوت ، وقسم متوسط الدراسة فيه خمس سنوات و يقبل به الحاصلون على الشهادة الاعدادية ويمنح الخريجون دبلوم الكلية الاكليريكية وفى الكلية قسم ليلى جامعى يقبل به الحاصلون على درجة الليسانس أو البكالوريوس من احدى الجامعات المصرية أو ما يعادلها ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات و بالكلية الآن عدد من الاساتذة من حملة الدكتوراه بعضهم تخرج فى قسم الفلسفة بكلية الآداب ثم درس العلوم اللاهوتية فى جامعات انجلترا او جامعة اثينا و يدير الكلية الآن اسقف التعليم الانبا شنوده وهو متخرج فى قسم التاريخ بكلية آداب القاهرة و وكيل الكلية الدكتور الانبا غريغوريوس ـــ المتخرج فى قسم الفلسفة ومعهد الآثار المصرية بكلية الآداب وحاصل على دكتوراه من جامعة مانشستر .

بعض الخريجين : اكتفى بذكر اربعة من خريجى المدرسة الاكليريكية فى اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين كان لهم اكبر تأثير فى نهضة الكنيسة القبطية وتقدمها » (١) .

الاستاذ حبيب جرجس : من القاهرة ، التحق بالمدرسة يوم انشائها فى ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٩٣ وتخرج منها سنة ١٨٩٨ وكان ترتيبه الأول و بعد وفاة القمص فيلوثاوس ابراهيم الخطيب الاول للكنيسة القبطية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر خلفه المرحوم الاستاذ حبيب جرجس فكان الواعظ الأول وعالم اللاهوت الأول فى الربع الأول من القرن العشرين وكان الرائد الأول لمدارس الأحد القبطية فى كل بلاد القطر ، وقد ألف اكثر من عشرين كتابا فكانت كتبه تدرس بالمدرسة الاكليريكية وكانت ترنيماته الكنسية تردد فى جميع كنائس القطر بل ان مجلته الكرمة التى بدأ باصدارها سنة ١٩٠٤ واستمرت سبعة عشر عاما حازت قصب السبق على جميع المجلات فكانت اكثر المجلات القبطية انتشارا واغزرها ثقافة ، و يرتبط تاريخ حبيب جرجس بتاريخ الكنيسة القبطية فى النصف الأول من القرن العشرين فكان الأستاذ الأول لرجال الدين الارثوذكس واستاذ اللاهوت من سنة ١٨٩٨ الى سنة ١٩١٨ بل استمر فى تدريس اللاهوت مع تعيينه ناظر لعدم وجود من يقوم بعمله فى كفاءة وكان ناظر المدرسة الاكليريكية

---

(١) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر من ص ٢٦٣ الى ص ٢٦٦ ـــ القاهرة سنة ١٩٣٨ .

من سنة ١٩١٨ الى وفاته سنة ١٩٥١ وقد صارت فى الفترة الاخيرة كلية زاهرة فقد سقى غرسها بعرق جبينه حتى تركها دوحة الكنيسة الخضراء و يندر وجود من يضارع حبيب جرجس فى ورعه وتقواه وقد عملت مدرسا للغة العربية بضع سنين تحت إدارة هذا الرجل العظيم وقد رحل الرجل إلى ربه ولا يسعنى إلا ان اقول فى ختام هذا الحديث عن سيرته العطرة « كان ملاكا يمشى على الأرض »

القمص يوحنا سلامه: من جرجا التحق طالبا بالمدرسة الاكليريكية عند إنشائها سنة ١٨٩٣ وتخرج فى الدفعة الأولى سنة ١٨٩٨ عين مدرسا بدير المحرق ثم انتظم فى سلك الرهبنة ثم عين وكيلا لمطرانية الخرطوم فى وقت لم يكن للأقباط مطارنة فى السودان فقام بنشاط عظيم وأبدى رعاية ساهرة وسارت بجهوده المدرسة القبطية فى الخرطوم فى كل تقدم كما أزدهرت المدارس القبطية الأخرى فى السودان وله عدة مؤلفات ثمينه فى عقائد الكنيسة القبطية منها كتاب « اللآلىء النفيسة فى شرح طقوس الكنيسة » .

القمص ميخائيل مينا: التحق بالمدرسة الاكليريكية سنة ١٨٩٧ وتخرج منها سنة ١٩٠٢ وقد عين ناظرا لمدرسة الانبا انطونيوس ببوش ثم انتظم فى سلك الرهبنة ثم عين ناظرا لمدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان التى أسسها الأنبا يؤنس الذى تولى منصب البطريركية سنة ١٩٢٨ وكان يعظ فى كثيرمن كنائس القاهرة (١) وكان له قوة التأثيرفى سامعيه ومن مؤلفاته علم اللاهوت فى ثلاثة مجلدات وتحفة هذا الجيل فى شرح التوراة والانجيل .

القمص مرقس سرجيوس: من جرجا ، التحق طالبا بالمدرسة الاكليريكية سنة ١٩٩٨ وتخرج سنة ١٩٠٣ ثم رسم قسا على كنيسة ملوى ثم تنقل فى عدة كنائس وكان من الرعيل الأول فى الجهاد فكان خطيب الازهرفى ثورة سنة ١٩١٩ وقد سجن فى رفح وهو من أعظم خطباء القرن العشرين فى مصر وعالم لاهوتى فذ ألف عدة كتب قيمة واصدرمجلة المنارة المصرية بدأت فى السودان سنة ١٩١٣ واستمرت أكثرمن عشرين سنة تنشر الابحاث القيمة والمقالات الرائعة .

نشاط الاكليريكيين: كانت الاكليريكية الشعلة التى سطعت على المجتمع القبطى فى اواخر القرن التاسع عشر وفى القرن العشرين وكان استاذ اللاهوت بها العالم حبيب جرجس العلم الخفاق الذى يرفرف فى الكنائس والجمعيات وقد تعددت أنواع النشاط فمن وعظ وارشاد ، إلى دروس احد إلى كتابة مقالات . ففى مجال الوعظ كان الطلبة يقومون به فى المدن والقرى فكانت تقسم كنائس القطر المصرى على الطلبة وفى الغالب لتيسير الامور كان الطالب فى العطلة الصيفية يختار الكنائس التى فى المديرية المقيم بها ، فكان كل طالب يقوم بالوعظ فى عدد

(١) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر من ص ١١٢ الى ١١٥

من الكنائس وقد نشر مراقب البطريركية تقريرا عن حركة الوعظ بها كانت مثلا رائعا للنشاط الديني عند الاقباط ، مثال ذلك : الشماس سرجيوس (القمص سرجيوس فيما بعد) كان يقوم بالوعظ في البلاد الآتية : طنطا ، بنها ، أبيار، سبرباى ، محلة مرحوم) وهذا مثال آخر: الشماس فرح جرجس (الاستاذ بالمدرسة الاكليريكية وصاحب مجلة الرابطة المسيحية فيما بعد ، يقوم بالوعظ في الجهات الآتية (قنا ، الاقصر ، دشنا ، دندرة ، العزب ، الطوابية) . هؤلاء الشمامسة الذين جندتهم الاكليريكية في مستهل حياتها للعمل في العطلة الصيفية كانوا يلقون العظات في كل الجهات التي توجهوا اليها ففي بعض الجهات كان الوعظ كل مساء و بعضها ثلاث مرات في الاسبوع وكان اقبال الشعب على سماع الوعظ عظيما ، وكانوا يلقون دروسا دينية على الأطفال بقدر استطاعتهم ثم عينوا بعد تخرجهم كهنة أو وعاظا فقاموا بواجبهم على أكمل وجه وكان للاكليريكيين نشاط عظيم في التأليف ففي مجال الأبحاث الدينية كان لهم النصيب الاكبر وهذه كتب الاستاذ حبيب جرجس والقمص سرجيوس والقمص ميخائيل مينا وغيرهم تمثل كنوزا علمية ودينية هامة كما كانوا السباقين في ميدان الصحافة الدينية فكانت مجلة الكرمة التي اصدرها حبيب جرجس سنة ١٩٠٤ واستمرت ١٧ سنة في الصدور اكثر المجلات القبطية انتشارا وأغزرها مادة كما نهض الاكليريكيون بتدريس الدين في المدارس .

خامسا : مقاومة المذاهب الأجنبية

١) مقاومة انتشار البروتستانتية في عهد البطريرك ديمتريوس الثاني

كان للنشاط الكبير الذى قامت به الارسالية البروتستانتية في اسيوط أثر كبير في أقباط مصر مما دفع بطريرك الأقباط الأنبا ديمتريوس الثاني أن يقوم برحلة إلى الصعيد لتفقد أحوال الأقباط وقد اصطحب معه في هذه الرحلة أفصح رجال الدين الاقباط في القرن التاسع عشر العالم اللاهوتي القمص فيلوثاوس ابراهيم ، وهذا يذكرنا بعقد مجمع نيقية أول المجامع المسكونية سنة ٣٢٥ م بآسيا الصغرى حين اصطحب البابا الكسندروس بطريرك الاسكندرية معه رئيس شمامسته « اثناسيوس » اكثر رجال الدين علما وأقواهم حجة ، وقد وقف الخديو اسماعيل إلى جانب البطريرك ديمتريوس فقد رأى الخديو في حضور الارساليات الأجنبية ما ينقل إلى الدول الأوربية بأقلام رجالها ما يرونه من ظلم الفلاحين وافشاء اخبار مظالمه ثم وضع الخديو باخرة تحت تصرف البطريرك وأمر المديرين في الصعيد بمساعدته ومصاحبة الجنود له في تنقلاته وصدرت الاوامر الى المديريات والمراكز باستقباله رسميا بالعساكر .

وعند دخول البطريرك ديمتريوس الثاني سنة ١٨٦٧ — لا كيرلس الخامس كما يذكر الدكتور جرجس سلامه في كتابه « تاريخ التعليم الاجنبي في مصر في القرنين التاسع عشر

والعشرين ـــ مدينة اسيوط كان موكبه من الباخرة إلى المدينة على نمط دخول السيد المسيح أورشليم إذ ركب الحمار يتقدمه القسوس والشمامسة حاملين الصلبان والأعلام وسعف النخيل وأغصان الزيتون و يرددون « مبارك الآتى باسم الرب » وكان يحيط به الجنود و يتقدمون موكبه بأمر الحكومة .

وقد اجتمع البطريرك بأقباط اسيوط واتفقت كلمتهم على مقاومة مدرسة البروتستانت واصدر البطريرك منشورا بحرمان البروتستانت وجميع من ينتمى اليهم ثم واصل رحلته بالباخرة حتى وصل إلى قوص ، و يرى الاسقف ايسيذورس صاحب كتاب الخريدة النفيسة أن البطريرك لم ينجح فى مهمته (١) ، و يظهر ان قوله على جانب من الصحة فقد سارت البروتستانتية في تقدم تتخطى ما يعترضها من عقبات .

و يلتمس القس لبيب مشرقى « احد اقطاب البروتستانت » العذر لشعب الاقباط لانتزاع ابناء كنيستهم من أحضانها وضمهم إلى الطوائف الأخرى فيقول « أليس الأقباط معذورين إنهم يشاهدون كل طائفة تأخذ أبناءهم أو من ينبغى ان يكونوا ابناءهم ، وتؤسس كنائس على حسابهم ، كنائس لم يدفع فيها مؤسسوها إلا الثمن التافه بخلاف الكنيسة القبطية التى دفعت دماء أبنائها ثمنا لتأسيسها وجعلت تبذل من ذات حياتها قرونا طويلة لتبقى على ذلك التراث الجليل الذى تسلمته من الآباء ، نعم شقت الكنيسة القبطية طريقها وسط نيران حرفية ونيران مجازية واستطاعت أن تخرج من « معمودية النار» التى تعمدت بها عروس السيد المكللة تعتز بتاريخها وتتمسك به وتحارب كل من يحاول أن يمس ذلك التاريخ بسوء »(٢) .

٢) مقاومة انتشار الكثلكة فى عهد البطريرك كيرلس الخامس :

حدث فى سنة ١٨٥٩ انه بعد رسامة القس جرجس مقار أحد كهنة الأقباط الكاثوليك أسقفا لهذه الطائفة ان أصدر منشورا تطاول فيه على الأقباط الارثوذكس كما كتب عدة رسائل واخذ يتجول فى الصعيد لتحويل الأقباط الارثوذكس إلى المذهب الكاثوليكى فانزعجت نفوس الاقباط وتوهموا ان طائفتهم فى خطر التبديد حتى كتب مراسل جريدة التيمس فى القاهرة الى جريدته :

« ان قداسة البابا (يقصد بابا روما) أعلن فى منشور بابوى أصدر فى شهر ديسمبر سنة ١٨٩٥ الماضى برغبته فى اعادة ترتيب بطريركية كاثوليكية اسكندرية للأقباط (الكاثوليك)

---

(١) الخريدة النفيسة جـ ٥ ص ١٤٩

(٢) القس لبيب مشرقى : ذكريات قسيس ص ٢٧٢ ـــ القاهرة سنة ١٩٥٧

وعين عليها جناب الأسقف كيرلس مقارنائبا رسوليا في مصر ورسم اسقفين احدهما للوجه البحرى والآخر للوجه القبلى بحضور الأب سوجارو المندوب الخصوصى من قبل البابا وبحضور جناب قنصل جنرال النمسا المتولى مصالح الأقباط الكاثوليك بالقطر المصرى » (١) .

على أن قول المراسل تعوزه الدقة فقد قرر البابا تأسيس إيبارشيتين خاضعتين للبطر يركية إحداهما فى المنيا وتشمل مصر الوسطى إلى نهاية مديرية المنيا والثانية ايبارشية طيبة (٢) وتشتمل على البلاد الواقعة جنوب مديرية المنيا إلى اقصى القطر المصرى جنوبا ، والى الآن لا توجد للأقباط الكاثوليك ايبارشية خاصة بالوجه البحرى بل يتبع ايبارشية البطر يركية بالقاهرة ، فانبرى الأنبا كيرلس الخامس للدفاع عن كنيسته الأرثوذكسية وكتب المنشور التالى الى المطارنة والأساقفة والكهنة وأفراد الشعب القبطى جاء فيه « ... ونحذر افراد شعبنا من أن يضلوا او ينخدعوا او يغتروا بظواهر الأمور ونحرضهم بأن لا يسمعوا لأولئك القوم كلاما ولا يقبلوا لهم دعوة (غير ادبية) ولا يسمحوا لهم أن يحتفلوا بصلاة فى كنائسنا الأرثوذكسية ولا يقروا لهم بعقيدة غريبة عن تعليم الكنيسة فان الارثوذكسية لا تقبل ابدا البدع ولا ترضى بالتعاليم المخترعة حديثا او قديما المغايرة لروح التعليم المسيحى القويم ولا تتمسك إلا بما نصت عليه الكتب المقدسة وحكمت به القوانين الرسولية وأيدته المجامع المثبتة من الروح القدس وعلمت به الآباء فى كل جيل ولا تسمح أبدا بأن يتخلل تعليمها القويم الكامل تعليم غريب ولا تريد ان يمتزج بنورها الظلام ولا ترغب ان تشترك — بهدايتها الضلالة بل تود وتجتهد أن تحافظ على أمانتها نقية من كل وصمة وخالية من كل شائبة وعارية من كل عيب ومنزهة عن كل فساد » (٣) .

الامضاء

كيرلس بطر يرك الكرازة المرقسية

سادسا : المجلات الدينية

كان من أعظم مظاهر نشاط الأقباط الدينى ظهور المجلات الدينية فى اواخر القرن التاسع عشر ولم يكن من الممكن ظهور هذه المجلات فى النصف الأول من القرن التاسع عشر لعدم وجود الطباعة عند الاقباط وكانت أول مطبعة للأقباط هى التى جلبها من أوربا البابا كيرلس الملقب بأبى الاصلاح سنة ١٨٦٠ وهى أول مطبعة انشئت فى مصر بعد المطبعة الاميرية فى

(١) يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ الى ١٩١٢ ص ٧٥

(٢) بطر يركية الاقباط الكاثوليك بالقاهرة : الدليل الطائفى والتقويم السنوى لكنيسة الاسكندرية ص ١٠٣ — القاهرة سنة ١٩٥٧

(٣) يوسف منقريوس : تاريخ الامة القبطية ص ٨٢

بولاق[1] وكانت تصدر منها جريدة الوطن لميخائيل عبد السيد ، أما تقدم الطباعة والثقافة فى أواخر القرن التاسع عشر فكان باعثا على ظهور المجلات الدينية وكان ظهور الصحف اليومية السياسية أسبق فقد انشئت جريدة الوطن سنة ١٨٧٧ ، اما المجلات الدينية فقد ظهرت فى اواخر القرن التاسع عشر كما أبنت ذلك ، وكان إنشاء المدرسة الاكليركية سنة ١٨٩٣ لتخريج طبقة مثقفة من رجال الدين مظهرا عظيما للنشاط الدينى عند الأقباط الارثوذكس فسيطرت على الصحافة الدينية فى اوائل القرن العشرين كما هى الحال الآن ففى سنة ١٨٩٥ انشأ الاستاذ يوسف منقريوس أول ناظر للمدرسة الاكليريكية مجلة الحق وفى سنة ١٩٠٤ انشأ الاستاذ حبيب جرجس المدرس بالمدرسة الاكليريكية مجلة الكرمة التى استمرت فى الصدور ١٧ عاما وكانت المجلة الدينية الأولى ثقافة وانتشارا وفى سنة ١٩٠٧ اسس الاستاذ فرج جرجس المدرس بالمدرسة الاكليريكية مجلة الرابطة المسيحية وهكذا نرى فى أوائل القرن العشرين ثلاث مجلات دينية هامة يصدرها اساتذة المدرسة الاكليريكية والآن نرى أن معظم المجلات الدينية يقوم بتحريرها أساتذة الكلية الاكليريكية او رجال الدين من خريجيها ، كذلك نرى اشخاصا نابهين من غير اساتذة الاكليريكية قاموا باصدار مجلات دينية ففى سنة ١٨٩٧ أصدرت جمعية التوفيق القبطية مجلة التوفيق وكانت نصف شهرية تهدف إلى الاصلاح وتدعو إليه ، كما أنشأ فى سنة ١٩٠٥ الاستاذ باسيلى بطرس بالاشتراك مع جمعية الايمان القبطية مجلة الفتى القبطى وفى سنة ١٩٠٧ اصدر الاستاذ جرجس فيلوثاوس عوض المجلة القبطية وهى مجلة قوية تمثل الثقافة الدينية العالية وتنشر البحوث التاريخية القيمة وقد احتجبت عن الصدور بعد ثلاث سنوات ثم أنشأ بعد ذلك القمص مرقس سرجيوس مجلة المنارة المرقسية فى السودان اولا ثم انتقلت الى مصر وكانت تنشر الابحاث القوية والمقالات الرائعة ، وهكذا سارت المجلات الدينية فى طريق التقدم إلى أن بلغت فى منتصف هذا القرن نحو ١٥ مجلة للاقباط الارثوذكس وحدهم بخلاف ما للبروتستانت والكاثوليك من مجلات .

مدارس الاحد القبطية
اعظم مظهر للنشاط الدينى فى القرن العشرين

مدارس الاحد عند البروتستانتيه جاءت مع مجيء البروتستانتيية الى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، اما عند الاقباط الارثوذكس فكان اول ظهورها سنة ١٩١٨ على يد الاستاذ حبيب جرجس ناظر المدرسة الاكليريكية فى ذلك الوقت واستاذ اللاهوت بها ، وكان الدافع الى انشاء مدارس الاحد تعويض النقص الذى يعانيه الطلبة الاقباط فى دراسة مادة الدين فى المدارس الاميرية و بعض المدارس الاهلية فبرغم نجاح مرقس بك سميكه فى

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل جـ ١ ص ٢٥١ ـــ القاهرة سنة ١٩٤٨ .

تقرير دراسة الدين المسيحي سنة ١٩٠٨ في المدارس الاميرية الا ان تدريسه لم يسر على الوجه الاكمل لعدم قيام اساتذة متخصصين في الدين بمهمة التدريس ، فقد كان يعهد بتدريسه الى مدرسي المواد المختلفة وقد يكون من بين هؤلاء المدرسين من هو اقل ثقافة دينية من الطالب الذى يتلقى عليه مادة الدين ، كما ان اعتبار الدين مادة اضافية دفعت الطلبة الاقباط من ناحية اخرى الى اهمال دراسة الدين ، هذا النقص دفع الاستاذ حبيب جرجس سنة ١٩١٨ الى انشاء مدارس الاحد وأغراض هذه المدارس كما حددتها اللجنة العامة لمدارس الاحد هي (١) :—

١) تعويد الاولاد والبنات حفظ يوم الاحد والمواظبة على حضور الكنائس لسماع القداس ايام الاحاد للمدارس القبطية وايام الجمعة للمدارس الاميرية .

٢) تعليمهم حقائق الانجيل تعليما تاما وجعلهم أعضاء حية وقوة نافعة للكنيسة .

٣) تعويدهم الفضائل والاخلاق السامية وتحذيرهم من الوقوع في الخطايا المنتشرة بين الأولاد كالحلف والكذب وغيرهما واعدادهم ليكونوا رجالا نافعين لوطنهم .

٤) العناية بنظافة ملابسهم وصحة ابدانهم .

٥) بث الروح القومية فيهم ، وتعويدهم على خدمة شعبهم .

وقد اتخذت اللجنة الوسائل الآتية لتحقيق اهدافها ،

أ) القاء دروس اسبوعية تعد وتطبع وتوزع على طلبة المدارس .

ب) يشرح هذه الدروس معلمون اكفاء من طلبة المدرسة الاكليريكية وخريجيها الذين اشتهروا بالأخلاق الحميدة .

جـ) حضور الأولاد والبنات بنظام مستمر إلى الكنائس وتناولهم الاسرار المقدسة وتعويدهم على العبادة .

د) تنظيم رحلات رياضية نافعة روحيا وجسديا لينموا في النعمة والثقافة معا .

هـ) تدريبهم على الاشتراك في العطاء وتخصيص ما يتبرعون به لأعمال خيرية وتمرينهم على مواساة المرضى والفقراء .

وقد سارت مدارس الاحد بخطى واسعة في مجال التقدم ففي سنة ١٩٣٥ صارت للجنة العامة ٨٥ فرعا بالقاهرة والاقاليم (٢٠ فرعا بالقاهرة و١٨ بالوجه البحرى و٤٤ بالوجه القبلى و٣ بالسودان) .

وكانت تضم اكثر من عشرة الاف عضو بين بنين و بنات من مختلف المعاهد العلمية في جميع مراحل التعليم .

---

(١) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضي والحاضر من ص ١٣٤ الى ص ١٣٦ — القاهرة سنة ١٩٣٨

والآن يرأس مدارس الاحد اسقف الكلية الاكليريكية ومدارس الاحد وهو الانبا شنوده احد خريجي قسم التاريخ بجامعة القاهرة .

ثانيا : نشاط الاقباط الكاثوليك

بدأ اعتناق الأقباط الكثلكة في القرن السابع عشر الميلادى وقبل ذلك كان الكاثوليك فى مصر من الأجانب ، وقد كان تحول الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكى فى غاية الصعوبة وقد بذل بابوات روما جهودا جبارة فى هذا السبيل ولم تشق الكثلكة طريقها بسرعة فى مصر كما سارت البروتستانتية والى الآن عدد الكاثوليك فى مصر أقل من عدد البروتستانت وفى احصاء سنة ١٩٠٧ كان عدد الاقباط الكاثوليك فى مصر ١٤,٥٦٦ وكان عدد الاقباط الانجيليين أو البورتستانت ٢٤,٧١٠ .

كيف جاءت الارساليات الدينيه إلى مصر؟ دخلت الامتيازات الأجنبيه فى مصر فى القرن السادس عشر بأعتبارها ولآية من ولايات الدولة العثمانية التى كانت قد ارتبطت مع ملوك بعض دول اوربا الكبرى بمعاهدات تقول المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر « وقبل ايجاد هذه الامتيازات كان من المستحيل قطعيا على أى تاجر أجنبى أو إرسالية دينيه أن تعيش فى بلاد مصر(١) وفى أوائل القرن السادس عشر عينت كل من فرنسا وانجلترا قنصلا يمثلها فى القاهرة وألف المسيو دى مايبه وكيل فرنسا السياسى الذى أتى إلى مصر فى أواخر القرن السابع عشر كتابا عظيما عن احوال مصر فى أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر وتردد المؤرخه الانجليزية مسز بوتشر ما كتبه المسيو دى مايبه عن شدة تمسك الأقباط بمذهبهم الأرثوذكسى وصعوبة تحولهم الى المذهب الكاثوليكى فقال : « انه لا يوجد فى كل الدنيا شعب عنيد وصلب فى خطئه وتمسكه بمبادئه القديمة مثل هؤلاء المنشقين (أى الخارجين على المذهب الكاثوليكى) فان أعظم وأمهر واحذق المبشرين الكاثوليك كانوا يشتغلون فيا بينهم سنين عديدة بلا فائدة ولا نتيجة تذكر(٢) .

لقد كانت جهود المبشرين الكاثوليك تذهب أدراج الرياح وكان يستحيل زحزحة أقل واحد قبطى عن التمسك بمذهبه الأرثوذكسى ولذلك تعذر على جميع المبشرين جذب قبطى واحد للمذهب الكاثوليكى بالرغم مما بذلوه من جهود عظيمة ومساع هائلة (٣) ثم يمضى المسيو دى

---

(١) مسز بوتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها : الجزء الرابع الترجمة العربية لتادرس شنوده المنقبادى ص ٢٠٩ .

(٢) مسز بوتشر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها (الترجمة العربية) الجزء الرابع ص ٢١٧

(٣) نفس المرجع ص ٢١٨

مايبه فى تصوير جهود الكاثوليك فى تحول الأقباط الى المذهب الكاثوليكى فى صراحة تامة فيقول « ان هؤلاء المبشرين قصدوا مرة مباشرة توزيع صدقات على فقراء الأقباط حتى يستميلوهم إلى سماع تعاليمهم فأوجدوا لهم محلا وجمعوا عددا كبيرا من الفقراء والبائسين وأخذوا يوزعون عليهم الصدقات ، ثم يباشرون الوعظ بينهم حبا فى جذبهم إلى المعتقد الكاثوليكى بلا نتيجة وتصادف تعيين رئيس جديد للارسالية الكاثوليكية بمصر فأمر بمنع الصدقات عن هؤلاء الفقراء فامتنعوا عن المجيء لسماع الوعظ فلما ارسلوا يطلبونهم إلى سماع الوعظ امتنعوا وقالوا (مفيش فلوس مفيش كنيسة » (١) و بذلك لم يبق مع هؤلاء المبشرين الكاثوليك بصفة دائمة إلا أطفال الفقراء الذين درجوا منذ نشأتهم على المذهب الكاثوليكى و بغير سلوك هذا السبيل ما كان يمكن تحويل قبطى واحد عن عقيدته الأصلية ، وحتى هذه الطريقة لم يكتب لها النجاح فى بعض الاحيان فان بعض الأطفال الذين أرسلوا إلى روما فى حداثة سنهم ثم أمضوا سنين طويلة فى الدراسة عادوا الى المذهب الارثوذكسى عند عودتهم إلى مصر واستغلوا معارفهم الواسعة وتسلحهم بالمعرفة فى نفع كنيستهم ، وقد أظهر القنصل دى مايبه تألما لعدم سهولة الحصول على الأطفال الأقباط منذ ولادتهم حتى يمكن تنشئتهم على المذهب الكاثوليكى و يتملكه العجب والدهشة حين يرى أقباطا بين براثن الفقر وفى اشد العوز وتحت نير الاضطهاد ومع ذلك يستحيل اغواؤهم على التفريط فى أولادهم ثم يذكر أنه فى سنة ١٦٩٩ تلقى امرا من إمبراطور فرنسا باختيار ثلاثة من ابناء الاقباط من عائلات طيبة لارسالهم للتعلم فى فرنسا (٢) فلم يستطع الوصول الى ذلك سبيلا سواء من الأسر الطيبة او الأسر البائسة .

لكن الكاثوليك نجحوا فى ضم كثيرين من المقيمين بمصر من السوريين أو اليونانيين الى مذهبهم (٣) وفى سنة ١٧٣١ كان للكاثوليك عدة مراكز فى الصعيد فى اسيوط وابوتيج وصدفا واخميم وجرجا والاقصر واسوان فأرسل البابا كليمان الثانى عشر لرؤساء هذه الارساليات أن يبذلوا ما فى وسعهم لحض الاقباط على إرسال أولادهم الى روما لتعليمهم فيها فلم يقبل الاقباط ذلك (٤) وتمكن اصحاب هذه الارساليات من ارسال ابناء الروم الكاثوليك للدراسة فى روما أى ارسال اطفال من نفس المذهب الكاثوليكى .

وحدث فى القرن الثامن عشر ان خرج اثنان من المطارنة الاقباط الارثوذكس واعتنقا المذهب الكاثوليكى اولهما الانبا اثناسيوس اسقف اورشليم المصرى اعتنق الكثلكة سنة ١٧٣٩

---

(١) نفس المرجع ص ٢١٨
(٢) نفس المرجع ص ٢٢٠
(٣) نفس المرجع ص ٢٠٤
(٤) نفس المرجع ص ٢٠١

فعينته بابا روما نائبا رسوليا للاقباط الكاثوليك فى مصر سنة ١٧٤١ (١) وقد ظل فى القدس وعين له نائبا فى مصر هوصالح مراغى (٢) احد خريجى مدرسة نشر الايمان فى روما ولم يلبث هذا الاسقف أن عاد الى المذهب الأرثوذكسى سنة ١٧٤٤ واقل ما يوصف به هذا الموقف بانه ضرب من العبث فتسلم ادارة الطائفة الكاثوليكية وكيله صالح مراغى (١٧٤٤ — ١٧٤٨) ثم عهد البابا بادارة طائفة الاقباط الكاثوليك الى ثلاثة من رؤساء الارسالية الفرنسسكانية بالتتابع إلى أن جاء دور الاسقف الثانى الارثوذكسى الذى خرج على مذهبه واعتنق الكثلكة وهو الانبا انطونيوس فلايفل اسقف جرجا فصدر قرار حرمانه من الكنيسة الارثوذكسية وآزرت الحكومة الأقباط فألقته فى غياهب السجون ولقى التعذيب حتى لاذ بالفرار إلى روما (٣) وفى عهد الانبا انطونيوس فلايفل (فى سنة ١٧٦١) رسم الانبا روفائيل الطوخى أسقفا . وروفائيل الطوخى من الشخصيات اللامعة فى تاريخ الكنيسة الكاثوليكية فهو من أبناء جرجا أرسل فى صغره إلى كلية نشر الايمان فى روما — هذا الاسقف تروى عنه المؤرخه الانجليزية بوتشر رواية غريبة هى انه اخذ فى صغره بالقوة وارسل الى روما (٤) ولعل تحيزهذه المؤرخه لمذهبها البروتستانتى هو الذى أملى عليها هذه المبالغة فى التعبير ، وعندما أتم الطوخى دراسته عاد إلى وطنه إلا أن عبقريته ونبوغه امليا على رجال البابوية فى روما استدعاءه للتأليف والترجمة فألف كتاب قواعد اللغة المصرية (باللهجة الصعيدية والبحيرية) وقاموسا قبطيا عربيا الفه سنة ١٧٤٦ كما قام بطبع عدة كتب دينية منها الخولاجى وسفر المزامير والاجبية والرسامات وتوفى سنة ١٧٧٢ (٥) ، ثم عين البابا باروكسى قدسى نائبا رسوليا فى مصر من ١٧٨٠ — ١٧٨١ ثم عين بعده يوحنا فرارجى نائبا رسوليا من ١٧٨١ — ١٧٨٥ وفى عهد يوحنا فرارجى اعتنق الكثلكة صهيون غنامى وكان عالما ارثوذكسيا الف عدة كتب منها التقوم القبطى والتقوم الغريغورى (٦) ثم عهد البابا بمنصب نائب رسولى الى متى رقيطى الذى امتدت نيابته من ١٧٨٨ الى ١٨٢٢ .

فى القرن التاسع عشر: لقد اوضحت قصة اعتناق الاقباط الكثلكة فى القرنين السابع عشر والثامن عشر، كان العدد ضئيلا ولكن الأمر يختلف عن ذلك فى القرن التاسع عشر فقد برز المذهب الكاثوليكى فى مصر واعتنقه كبير الاقباط فى عهد محمد على وهو المعلم غالى ، بل ان هذا الوالى فكر فى تحويل الاقباط الارثوذكس بالقوة الى المذهب الكاثوليكى ارضاء لأصدقائه الفرنسيين وفى اواخر القرن التاسع عشر صدر قرار بابا روما بتعيين اول بطريرك للاقباط الكاثوليك فى مصر (١٨٩٩) وهو الانبا كيرلس مقار .

(١) مسز بوتشر: تاريخ الامة القبطية وكنيستها (الترجمة العربية) جـ ٤ ص ٢٠٢

(٢) بطريركية الاقباط الكاثوليك بالقاهرة : الدليل الطائفى والتقوم السنوى لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ص ٩٤

(٣) الأنبا الكسندروس اسكندر (مطران أسيوط للاقباط الكاثوليك) : تاريخ الكنيسة القبطية جـ ٢ ص ٦٥ ، ٦٦ سنة ١٩٦٢ .

(٤) مسز بوتشر: تاريخ الامة القبطية وكنيستها (الترجمة العربي جـ ٤ ص ٢٠٢)

(٥) الانبا الكسندروس اسكندر: تاريخ الكنيسة القبطية جـ ٢ ص ٦٤ و٦٥

(٦) نفس المرجع ص ٦٥

كثلكة المعلم غالي : اكثر محمد علي من استخدام الفرنسيين في حكومته فأفسح هؤلاء الموظفون المجال لقدوم البعثات الدينية الفرنسية ورأى رجال هذه البعثات أن يستعينوا بنفوذ مواطنيهم من الفرنسيين لدى محمد علي في تحقيق مآربهم وز ينوا له أن يحمل الاقباط على اعتناق الكثلكة بدلا من انقسام المسيحيين في بلاده الى عدة مذاهب مع ان البروتستانتيه لم تدخل بين المصريين الا في النصف الثاني من القرن التاسع ومع ان عدد الاقباط الكاثوليك كان ضئيلا وكان محمد علي رجلا مستبدأ يعتمد على القوة الغاشمة في تحقيق مآربه ففكر في ان يحقق رغبة الفرنسيين بالقوة واذا كان هذا الرأى سليما وهو انتظام المسيحيين في مصر في مذهب واحد فأيهما ايسر تحو يل بضع مئات من الكاثوليك على اقصى تقدير الى المذهب الارثوذكسي أم تحو يل اكثر من مائتي ألف أرثوذكسي إلى المذهب الكاثوليكي فاستدعى محمد علي المعلم غالي رئيس دواو ينه وكبير الاقباط وعرض عليه الامر (١) فانزعج المعلم غالي وهاله الأمر ولابد أن قفزت إلى ذهنه صورة دماء ألوف الشهداء من الاقباط في عهد دقلديانوس وحاول ان يقنع محمد علي بأن هناك فرقا كبيرا بين المذهب الكاثوليكي والمذهب الأرثوذكسي دون جدوى ، حقا إن محمد علي أذل الشعب المصري ومنذ مذبحة القلعة في اول مارس سنة ١٨١١ قتل النخوة في نفوس المصريين فاستمر في حكمه طوال سبعة وثلاثين عاما بعد هذه المذبحة الفظيعة من ١٨١١ — ١٨٤٨ دون أن يستطيع مصري واحد أن يعارضه او يقف في وجهه ، ولكن الالتجاء إلى القوة في تغيير العقائد الدينية امر آخر في غاية الصعوبة فلا يمكنه باصدار فرمان من الوالي بجرة قلم ان يحمل الناس على تغيير عقائدهم الدينية لقد سفك الامبراطور الطاغية دقلديانوس دماء قرابة مليون من الأقباط ووصلت دماء الشهداء الى ركبتي جواده كما اراد ولكنه لم يستطع تغيير عقيدتهم وسيرى القارىء في الفصل الخاص بالعادات والتقاليد ان شهيدة مصر ية لم تتجاوز العشر ين عاما لا حول لها ولا قوة تدخل على الامبراطور الروماني في معبده بالاسكندر ية لتو بخه للتبخير للأصنام . واخيرا استطاع المعلم غالي بعقله الثاقب ورأيه اللماح أن يخرج من هذا المأزق وان يقنع محمد علي بوجهة نظره وهي أن هذا التغيير في العقيدة لا يتم بغير قلاقل وسفك دماء كثير ين فتقع الفوضى في البلاد في وقت هي في شغل شاغل باستعداداتها العسكر ية وحروبها في بلاد العرب وغيرها وعرض ان يبدأ هو واسرته باعتناق الكثلكة حتى إذا رأى الاقباط كبيرهم اعتنق هذا المذهب اتبعوه من تلقاء أنفسهم فاعتنق المعلم غالي وافراد أسرته الكثلكة ولم تنجح فكره تحول الأقباط إلى المذهب الكاثوليكي وكشف الفرنسيون لمحمد علي عن حيلة كبير كتابه وكانت خدعته هذه من أسباب غضب الوالي عليه واغتياله بعد ذلك في ٥ مايو سنه ١٨٢٢ في زفتي .

وتشاء إرادة الله أن يكون رئيس الأقباط الكاثوليك الكردينال البطر يرك اسطفانوس من سلالة المعلم غالي كبير الكاثوليك في عهد محمد علي .

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط جـ ١ ص ١٧ .

برز المذهب الكاثوليكي في مصر منذ اعتناق المعلم غالي وأفراد اسرته هذا المذهب و بعد مصرع المعلم غالي عين محمد على باسليوس بك ابن المعلم غالي رئيس محابة الحكومة فاعتبر كبير الأقباط الكاثوليك بل كان أبرز شخصية في الأقباط بوجه عام وقد عين بابا روما نوابا رسوليين عنه في مصر في القرن التاسع هم : (١)

١) متى الرقيطي (١٧٨٨ ـــ ١٨٢٢) .
٢) الأنبا مكسيموس جديد (١٨٢٤ ـــ ١٨٣١) ـــ وقد قام البطريرك الملكاني برسامته أسقفا .
٣) الأنبا تاوضروس أبو كريم (١٨٣٢ ـــ ١٨٥٤) ـــ عين اسقفا سنه ١٨٣٢ وقام برسامته أسقف سرياني .
٤) الأنبا اثناسيوس خزام (١٨٥٥ ـــ ١٨٦٤) .
٥) الانبا اغابيوس بشاى (١٨٦٦ ـــ ١٨٧٩ وتوفى سنه ١٨٨٧) ـــ حضر المجمع المسكوني الفاتيكاني سنه ١٨٧٠ بروما وقد حدث خلاف بينه و بين الاكليروس فأقيل في نوفمبر سنة ١٨٧٩ وأقيم بدله انطون ناداب بصفه نائب رسولى منتدب .
٦) أنطون ناداب (١٨٨٠ ـــ ١٨٨٩) .
٧) سمعان برايا (١٨٨٩ ـــ ١٨٩٢) .
٨) أنطون كابس (١٨٩٢ ـــ ١٨٩٥) .
٩) الأنبا كيرلس مقار (١٨٩٥ ـــ ١٩٠٨) .

أقيم نائبا رسوليا سنه ١٨٩٥ وعين بطريركا للأقباط الكاثوليك سنه ١٨٩٩ فكان اول بطريرك للأقباط الكاثوليك وقدم استقالته من البطريركية سنه ١٩٠٨ وتوفى في بيروت سنه ١٩٢١ ودفن بالكاتدرائيــةالكاثوليكية بدرب الجنينه بالموسكي (٢) .

كان الانبا كيرلس عالما فذا يجيد عدة لغات كان يجيد اللاتينية واليونانية والعربية والقبطية والفرنسيه وحصل على الدكتوراه في الفلسفة وكان يلقى المحاضرات وقد مر بنا أنه أثار بمنشوراته نفوس الأقباط الأرثوذكس فانبرى البابا كيرلس الخامس للدفاع عن العقيدة الأرثوذكسية وعينته الحكومه عضوا بمجلس شورى القوانين وقد تجلى نشاطه بنوع خاص منذ سنه ١٩٠٠ فقام ببناء الكنائس وكان يشترى الأراضي الزراعية لوقفها على الكنائس لتنفق من ريعها واعد مطبعة للبطريركية وقام بطبع عدة كتب قيمة . ومن الكتب التي ألفها : دليل المصريين ـــ العلامه ابن الشمس اى أوريجانوس ، المسيح عمانوئيل واصدر مجله باسم الأسد المرقسي و بعد استقالته من البطريركية سنه ١٩٠٨

---

(١) بطريركية الأقباط الكاثوليك بالقاهرة : الدليل الطائفي والتقويم السنوي لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ص ٩٦ ـــ ص ٩٨ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٩ .

لكثره حساده وشانئيه ألف كتاب « الوضع الالهي لشريعة الكنيسة (١) وانضم إلى كنيسه اليونان الأرثوذكسي ثم كتب التماسا للبابا لعودته إلى المذهب الارثوذكسي وقد جاء في وثيقة عودته الى الكثلكة : « أنا الموقع ادناه كيرلس مقار بطريرك الاقباط الكاثوليك المستقيل القادم الى روما من تلقاء نفسي لأجاهر للكرسي الرسولي بعزمي الثابت أن أحيا وأموت في الايمان الكاثوليكي خاضعا للحبر الروماني .. التوقيع

كيرلس مقار

روما في ٩ مارس سنة ١٩١٢ .

١٠) الانبا مكسيموس صدفاوى (١٩٠٨ ــ ١٩٢٥)

عين مديرا رسوليا بعد استقالة الانبا كيرلس مقار من منصب البطريركية وكان اسقفا للمنيا (٣) فظل في منصبه حتى وفاته سنة ١٩٢٥ .

انشاء المدرسة الاكليريكية للكاثوليك :

في سنة ١٧٢٣ ارسل مجمع انتشار الايمان المقدس إلى رئيس الارسالية الفرنسكانية بمصر أن يرسل اليه شابين قبطيين للدراسة الدينية بمدرسة انتشار الايمان في روما فاختار اثنين هما روفائيل الطوخي من جرجا والثاني صالح مراغي من اخميم وتتابع ارسال البعثات الدينية الى روما الا ان عدد المتخرجين من هذه البعثات كان ضئيلا لا يواجه حاجة الكنائس الى كهنة كاثوليك .

وفي سنة ١٨٧١ عهد مجمع انتشار الايمان المقدس الى الآباء اليسوعيين (الجزويت) في سوريا بتأسيس مدرسة اكليركية للأقباط الكاثوليك بمصر والقيام بادارتها فأنشئت مدرسة اكليركية سنة ١٨٧٩ بالموسكي يتلقى فيها الطلبة دروسهم فقط ثم يرسلون الى مدرسة الآباء اليسوعيين الاكليريكية ببيروت ليدرسوا بها الفلسفة واللاهوت وعند قيام الثورة العرابية في مصر رحل الآباء اليسوعيون مع موجة رحيل الاجانب من مصر وفي سنه ١٨٨٩ تم انشاء مدرسة العائلة المقدسة (الجزويت) بالفجالة بالقاهرة فألحقت المدرسة الاكليريكية الثانوية بها وفي سنة ١٨٩٦ كتب الانبا كيرلس مقار والانبا مكسيموس صدفاوى والانبا اغناطيوس برزى مطارنة الكاثوليك الى البابا ليون الثالث عشر بشأن انشاء مدرسة اكليريكية للاقباط الكاثوليك في طهطا يكون التدريس فيها باللغة العربية فضلا عن المدرسة الاكليريكية الصغرى التي يديرها

---

(١) الانبا الكسندروس اسكندر: تاريخ الكنيسة القبطية جـ ٢ ص ٩٤، ٩٥ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٦ .

(٣) الدليل الطائفي والتقويم السنوى لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ــ ص ٩٨ .

الآباء اليسوعيون فى القاهرة فوافق البابا فتم افتتاحها سنة ١٨٩٩ (١) وعين القمص اثناسيوس سبع الليل رئيسا لها وصارت مدرسة طهطا اكليريكية كبرى لطلاب الفلسفة واللاهوت فقط ثم أسست اكليريكية صغرى بالقاهرة ثم نقل مقرها إلى طنطا ثم إلى المبنى الخاص بالمعهد الاكليريكى بالمعادى وعين مديرا لهذا المعهد سنة ١٩٤٦ الانبا اسطفانوس (الكردينال و بطريرك الاقباط الكاثوليك الآن) اما مدرسة طهطا فقد خصصت للدراسة اعدادية .

المعهد الاكليريكى الفرنسسكانى الشرقى : فى القرن العشرين أنشأ الآباء الفرنسسكان هذا المعهد فى الجيزه لدراسة الفلسفة واللاهوت (٢) و يقوم بالتدريس به الرهبان الفرنسسكان من مصر وايطاليا وجميع طلبته من الأقباط الكاثوليك و به مكتبة عظيمة .

الرهبنة الكاثوليكية : لا توجد إلى الآن رهبنة كاثوليكية للرجال فى مصر (٣) ولكن تأسست رهبنة قلب يسوع للراهبات المصريات فى مصر سنة ١٩١٣ فى مدينة طهطا ولهذه الرهبنة كما جاء فى الدليل الطائفى والتقويم السنوى للكاثوليك سنة ١٩٥٧ ستة أديرة فى مصر (الفجالة ـ مصر الجديدة ـ بنى مزار ـ طهطا ـ سوهاج ثم دير للابتداء فى مصر الجديدة) (٤) وتدير الرهبنة مستوصفات ومدارس وتهتم بالتعليم المسيحى فهى تؤدى رسالة انسانية سامية : تهذيب وتعليم وعلاج الفقراء . و يتبين من تقويم سنة ١٩٥٧ أن الرهبنة تدير خمس مدارس اعدادية (مصر الجديدة ، الظاهر ، بنى مزار ، طهطا ، سوهاج) وتضم أكثر من الفى تلميذة كما تدير الرهبنة اثنى عشر مستوصفا .

انشاء بطريركية الاقباط الكاثوليك :

اعلن البابا ليون الثالث عشر فى نوفمبر سنة ١٨٩٥ الى جميع سكان الاقطار المسيحية فى براءته :

« .... تمجيدا لاسم العلى جلت قدرته وانتشارا للايمان المقدس وامتدادا لدائرة الشركة الكاثوليكية نجدد ونحن بمعرفة تامة وبمجرد ارادتنا الذاتية وبما لنا من ملء السلطة الرسولية مقام البطريركية الاسكندرية الكاثوليكية وتقرر للأقباط امر تدبيرها ونعهد اليهم زمامها ونخول لتلك

---

(١) الدليل الطائفى والتقويم السنوى سنة ١٩٥٧ ص ١١٦ وص ١١٧

(٢) الرابطة الفرنسسكانيه فى ذكرى اليوبيل الفضى للمعهد الاكليريكى الفرنسسكانى الشرقى بالجيزة ـ القاهرة سنة ١٩٦٦ .

(٣) الدليل الطائفى والتقويم السنوى سنة ١٩٥٧ ص ١٢٠

(٤) نفس المصدر ص ١٢٠ .

البطريركية ولجميع من يقومون بادارتها كامل الشرف والامتيازات والحقوق والألقاب وعلى العموم كامل السلطة المفروضة قانونا وحاليا لبطاركة المشرق » (١) .

وقرر البابا ليون الثالث عشر أيضا تأسيس إيبارشيتين خاضعتين للبطريركية إيبارشية المنيا ومقرها مدينة المنيا وايبارشية طيبة ومركزها مدينة طهطا (بمديرية سوهاج) و بذلك تشتمل الكنيسة الكاثوليكية على ثلاث ايبارشيات (٢) ايبارشية البطريركية وتشمل القاهرة والوجه البحرى واسقفية المنيا وتشمل بلاد مصر الوسطى حتى نهاية مديرية المنيا ثم اسقفية طيبة وكانت تشتمل على جميع البلاد الواقعة جنوبى مديرية المنيا و بقى هذا التقسيم الى سنة ١٩٤٧ وفى هذه السنة قسمت ايبارشية طيبة الى ايبارشيتين ــ اسيوط وتنتظم البلاد التابعة لمديريتها ثم طيبة وتنتظم بلاد الصعيد التى تقع جنوبى مديرية اسيوط وفى مارس سنة ١٨٩٦ رسم الأنبا مكسيموس صدفاوى أسقفا للمنيا والأنبا اغناطيوس برزى أسقفا لكرسى طيبة (ومقره طهطا) . وكان اغناطيوس برزى واسع الاطلاع فأصدر كتبا عديدة كما كان متفانيا فى خدمة شعبه فكان موضع التقدير والاحترام ، عينته الحكومة عضوا فى مجلس الشيوخ فى أول برلمان سنة ١٩٢٤ ممثلا للطائفة الكاثوليكية وتوفى سنة ١٩٢٥ .

طهطا مركز انتشار الكثلكة فى مصر:

تعتبر مدينة طهطا مركز انتشار الكثلكة فى مصر ، كما تعتبر مدينة اسيوط مركز انتشار البروتستانتية فى مصر ، وتقوم عدة أدلة على اعتبار مدينة طهطا بمحافظة سوهاج مركز انتشار الكثلكة فى مصر : ــ

١) أنها كانت مقر ايبارشية طيبة التى كانت تشتمل على محافظات الصعيد من أسيوط إلى أسوان فلم تكن إحدى عواصم المحافظات مثل اسيوط او سوهاج او قنا مقرا للايبارشية او مدينة الاقصر التى تحمل الايبارشية اسمها فى العهد الفرعونى وانما اختيرت مدينة طهطا مقرا للايبارشية ومركز الايبارشية الآن فى سوهاج بعد ان كانت طهطا .

٢) عندما اتجه رأى الاقباط الكاثوليك إلى انشاء مدرسة اكليريكية لتعليم رجال الدين كتب مطارنة الأقباط الكاثوليك سنة ١٨٩٦ الى بابا روما ليون الثالث عشر يظهرون له احتياج الطائفة القبطية الكاثوليكية الى مدرسة اكليريكية ملية بالاضافة الى الاكليريكية الصغرى التى يديرها الآباء اليسوعيون فى القاهرة (الملحقة بمدرسة الجزويت بالفجالة) وعرض المطارنة ان تنشأ المدرسة الاكليريكية الجديدة فى مدينة طهطا اذ هى مقر إيبارشية طيبة و يكثر فيها الكاثوليك فوافق البابا على هذا الاقتراح كما مر بنا .

---

(١) و(٢) الدليل الطائفى والتقويم السنوى لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ــ لبطريركية الاقباط الكاثوليك ص ١٠٣

٣) تأسيس رهبنة قلب يسوع للراهبات المصريات فى مدينة طهطا فكانت مركز هذه الرهبنة ثم تأسست لها فروع فى البلاد كما مربنا .

٤) فى طهطا ظهرت الأسر الكاثوليكية الكبيرة مثل أسرة يسى وأسرة خزام

إحصاء الأقباط الكاثوليك : كان عدد الاقباط الكاثوليك حتى أواخر القرن التاسع عشر لا يتجاوز خمسة آلاف بل لا يصل الى ١٪ من احصاء الأقباط عموما والجدول التالى يبين عدد كل طائفة ونسبتها سنة ١٨٩٧ .

أقبــــاط	سنة ١٨٩٧	النسبة المئوية
ارثوذكس	٥٩٢,٣٣٤	٩٧,١
كاثوليك	٤٦٣٠	,٨
بروتستانت	١٢,٥٠٧	٢,١
المجموع	٦٠٩٥١١	١٠٠

وفى احصاء سنة ١٩٠٧ وصل عدد الأقباط الكاثوليك ١٤,٥٦٦ ولم يبين الاحصاء الأخير (١٩٦٠) إحصاء كل طائفة من الطوائف المسيحية ولكن يؤخذ من الدليل الطائفى والتقوم السنوى للأقباط الكاثوليك المطبوع سنة ١٩٥٧ أن عدد الأقباط الكاثوليك فى مصر ٧٧,٠٠٠ وان عدد كهنة الأقباط الكاثوليك ٧٦ (١) ، وصفوة القول أن هذه الطائفة تسير فى تقدم سريع وعلى رأسها أول كردينال مصرى هو الأنبا اسطفانوس الذى خلع روب المحاماة لينتظم فى سلك الرهبنة .

ثالثا : البروتستانتيه فى مصر

بدأ اعتناق المذهب البروتستانتى أو الإنجيلى فى مصر فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ففى سنة ١٨٥٤ بدأ المرسلون الامريكيون التابعون للكنيسة المشيخية المتحدة فى

(١) بطريركية الاقباط الكاثوليك بالقاهرة : الدليل الطائفى والتقوم السنوى لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٧ ص ١٠٥ الى ص ١١٣ .

أمريكا الشمالية بنشر هذا المذهب فكان الدكتور مكيج بولونج وزميله الدكتور بارنوت أقدم المؤسسين للعمل فى مصر سنة ١٨٥٤ (١) لقد نجحت هذه الارسالية الامريكية فى تحقيق هدفها فى حين أخفقت قبلها ارساليات انجليزية بروتستانتيه فجاءت ارسالية انجليزية سنة ١٨٤٠ وافتتحت كلية اللاهوت لتعليم القسوس الأقباط الأرثوذكس تحت اشراف مستر ليدر (٢) ولكنها بطبيعة الحال لم تصادف نجاحا لاختلاف كل من المذهبين الارثوذكسى ، والبروتستانتى فأغلقت سنة ١٨٤٨ ، كما اخفقت إرسالية اخرى تتبع الكنيسة المشيخية فى اسكتلندا كان هدفها نشر المسيحية بين اليهود فى الاسكندرية ففتحت مدارس ولم يقدر لها النجاح فانضم أحد المرسلين بها وهو الدكتور يوحنا هوج الى الارسالية الامريكية المشيخية فكان هذا الرجل المكافح العامل الأول فى بناء الكنيسة الانجيلية فى مصر كما يقترن تاريخ البروتستانتية فى مصر باسم الدكتور وطسن الذى استمر فى حركة التبشير خمسة وخمسين عاما وكان مدير مدرسة اللاهوت الانجيلية زهاء ثلاثين سنة من سنة ١٨٨٦ الى ١٩١٦ . انضم الدكتور هوج فى سنة ١٨٥٧ الى المرسل الامريكى الدكتور لانسنج وقد عملا سويا فى ميدان التبشير وبعد انقضاء خمس سنوات فى عمل التبشير اى فى سنة ١٨٥٩ فى مدينة القاهرة اعتنق البروتستانتية أربعة اشخاص اثنان من المصريين وسورى وأرمنى وفى سنة ١٨٦٠ انعقد اول مجمع مشيخى فى مصر بمدينة القاهرة فى دار المرسلين بدرب الجنينة قرب الموسكى وهذا المجمع فى الواقع ينتسب الى مصر من حيث مكان انعقاده أو مهمته وهى التبشير فى مصر أما اعضاؤه فكلهم من الامريكيين وهم توماس ماكيج وجايمس بارنيت وجوليان لانسنج وكان الدكتور بارنيت اكبرهم سنا فاختير رئيسا لهذا المجمع وقد أفصح المجمع عن سبب تسميته بمجمع مصر (بالايمان انه سيأتى يوم يضم مجمعهم كل وادى النيل) (٣) .

وأول شىء يعمله المرسل عندما تطأ قدماه أية مدينة ينشىء مدرسة لتعليم البنين او البنات فأنشأت الارسالية الامريكية اول مدرسة للبنين فى القاهرة سنة ١٨٥٥ وأول مدرسة لتعليم البنات سنة ١٨٦٠ (٤) فافتتحت مسز مكيج مدرسة لتعليم البنات فى حارة السقائين ثم افتتحت الارسالية الامريكية مدرسة ثانية للبنات فى حى الازبكية . وفى سنة ١٨٦٢ تبرع سعيد باشا بمبان عند مدخل الموسكى لقيامها بخدمات تعليمية فنقلت مدرسة الامريكان للبنين بالأزبكية الى هذا المبنى .

اما فى الاسكندرية فقد افتتحت مدرسة للبنين سنة ١٨٥٦ ومدرسة اخرى للبنات .

---

(١) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية ص ٥

(٢) مسز بوتشر (الترجمة العربية) الجزء الرابع ص ٣٧٩

(٣) ريتا هوج : الاستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل ص ٥٣

(٤) Andrew Watson: The American Mission in Egypt P. 442

وعندما نقل الدكتور يوحنا هوج مقر نشاطه من القاهرة إلى أسيوط فى فبراير سنة ١٨٦٥ نجده فى مارس من هذا العام يفتتح مدرسة للبنين بأربعة تلاميذ ومدرسة للبنات بتلميذتين فى مكان كان من قبل اسطبلا ولم ينتظر الدكتور هوج انجاز المقاعد ففرش الحجرتين بالحصر. إن المدرسة التى بدأت بأربعة تلاميذ سنة ١٨٦٥ صارت فى النصف الأول من القرن العشرين كلية عظيمة تضارع فى مبانيها الشاهقة ونظامها البديع ارقى الجامعات ولها تاريخ مجيد فى التعليم بمصر.

وكان الغرض الأساسى من المدارس الامريكية فى مصر هو نشر المذهب البروتستانتى كتب الدكتور هوج فى يناير سنة ١٨٦١ عن عمله فى المدرسة « ليس قصد مدرسة الارسالية مجرد تهذيب العقل وتحسين الآداب وتعليم المبادىء الدينية ولكن غرضها الأساسى والأول هو اعداد عمال وطنيين يقومون بهذا العمل العظيم. ومن رأيى أن شغل المرسل فى المدرسة ينبغى أن لا يرمى إلا إلى غرض واحد وهو إعداد هؤلاء الشبان وشحذ مواهبهم الطبيعية ليكون منهم مصلحون ومبشرون وخدام للكلمة » (١).

و يقول الدكتور وطسن عن مهمة الارسالية الامريكية « وكانت المدرسة هى المدخل الوحيد إلى المدينة وبمجرد أن يوجد هذا المدخل وتنشأ جماعة بروتستانتيه صغيرة كانت المدرسة تترك للأهليين او تهمل تماما » (٢)

و يتحدث الدكتور جرجس سلامة عن انتشار مدارس الارسالية بشكل كبير حتى بلغت سنة ١٨٩٦ حوالى مائة وثمان وستين مدرسة تابعة للارسالية منها ١٣٣ للبنين و٣٥ للبنات و بلغ عدد التلاميذ الملتحقين بها حينئذ ١١٠١٤ تلميذا وتلميذه » (٣).

وفى مايو سنة ١٨٦٠ انعقد مجمع الكنيسة الانجيلية بمدينة الاسكندرية وقام برسامة الدكتور يوحنا هوج قسيسا فى مصر. والدكتور هوج مرسل اسكتلندى تخرج فى جامعة ادنبرة وقد اعد نفسه لأداء رسالته قبل مجيئه إلى مصر فدرس اللغة العربية وقرأ كل كتاب وصل إلى يده عن مصر، وكان عالما فى اللاهوت والتفسير يأسر القلوب بأخلاقه السامية وعظاته المؤثرة وكان يجيد الوعظ باللغة العربية.

وفى سنة ١٨٦١ جاء الى مصر مرسل امريكى كان له نشاط عظيم هو الدكتور وطسن (موفدا من قبل لجنة العمل التبشيرى فى البلاد الأجنبية التابعة للكنيسة المشيخية المتحدة بأمريكا الشمالية) فأقام بضع سنين فى الاسكندرية ثم بضع سنين أخرى بالمنصورة ثم أستقر به

---

(١) رينا هوج: الأستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل ص ٧٨

(٢) Andraw Watson: The American Mission in Egypt P. 442

(٣) الدكتور جرجس سلامه: تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين ص ٤٩.

المقام في القاهره فكان مدير مدرسة اللاهوت الانجيليه كما مر بنا ــ ثلاثين سنه من ١٨٨٦ الى ان انتقل إلى جوار به سنة ١٩١٦ فقضى في خدمة الارساليه خمسة وخمسين عاما .

وتاريخ الكنيسه الانجيلية المصرية مرتبط أقوى الارتباط بحياة الدكتور وطسن فجاء الى مصر والكنيسه طفلة صغيره لا يتجاوز عدد المنتسبين اليها ستة أعضاء ولم تكن في ذلك الوقت كنيسة منتظمه وليس لها سنودس فرافق تدرجها في مدارج التقدم حتى وصلت الى هذه الدرجة من النهوض والارتقاء . وكان عالما في اللاهوت وواعظا قديرا يجيد الوعظ بها باللغة العربية فكان يعظ في كنيسة الازبكية وفي جميع الكنائس في البلاد التي تدعوه لالقاء عظات بها فكان ينتقل بالذهبية لزيارة البلاد .

ولا ريب في أن الغرض الأول من وفود الارسالية الامريكية إلى مصر كان للتبشير بين المسلمين ولما كان تحول أى مسلم إلى المسيحية من أصعب الأمور وأن التغيير من مذهب إلى مذهب أيسر من التحول من دين إلى دين فقد اتجه نشاط البروتستانت إلى نشر مذهبهم بين الأقباط الأرثوذكس وهذا واضح من قول ريتا هوج عن والدها الدكتور يوحنا هوج « وكان يعيد النظر في الأمور فرأى بعينه الثاقبة أن عدد المصريين في ذلك الحين كان ٤,٧٠٠,٠٠٠ نفس وان عدد المرسلين أربعه فقط فماذا يعملون لهذا الجمع الغفير؟ » (١) و يقول الدكتور هوج في موضع آخر: إن كنا اربعه فماذا نعمل لاربعة ملايين ولكن الاقباط نسبتهم لجيرانهم واحد لأربعة عشر (هكذا كانت النسبة في أيامه) فأربعة بعون الله يوقظون كنيسه نائمة فيها ٣٠٠ ألف نفس » (٢) .

وهؤلاء المرسلون الاربعة هم : هوج ولانسن و وطسن و بون .

ونستطيع أن نقول إن بين أيدينا مصدرين اساسيين لنشر البروتستانتية في مصر احدهما كتاب الدكتور وطسن بالانجليزية The American Mission in Egypt والكتاب الثاني ألفته ريتا هوج ابنة الدكتور الدكتور يوحنا هوج تتحدث فيه عن تاريخ حياة والدها وكفاحه في نشر البروتستانتية واسم هذا الكتاب في الترجمة العربية « الاستاذ الجليل بين مرسلي وادى النيل » (٣) .
وقد كان عمل الدكتور هوج في الاسكندرية قبل انتقاله إلى القاهرة اعطاء الدروس الدينية في مدرسة البنين وتدريس التوراة للصفوف العالية في مدرسة البنات .

---

(١) ريتا هوج : الاستاذ الجليل بين مرسلي وادى النيل ص ٧٨

(٢) نفس المرجع ص ٨٥

(٣) قام بنقل هذا الكتاب من الانجليزية إلى العربية الشيخ متري صليب الدويري

و يتحدث الدكتور هوج عن سياحته التبشرية فى النيل إلى دمياط فى عطلة عيد القيامة سنة ١٨٦١ وقد اصطحب معه المرسل الامريكى لانسن بينما كان المرسل وطسن فى الاسكندرية — عن (رفض المسلمين فى الوجه البحرى سماع كلمة الانجيل وخوف الاقباط من البروتستانت واعتبارهم كفارا ومع ذلك فانهما ألقيا البذار وهما عالمان ان الله ينمى » (١) .

و بينما نرى موقف أقباط الوجه البحرى كان إعراضا عن المبشرين ، نرى الموقف يختلف فى الصعيد فيتحدث الدكتور هوج عن رحلته بالذهبية من القاهرة إلى أسوان وفيها نرى الدكتور هوج المرسل المكافح ذا العزمة الحديدية وهو يسجل عمله فى شهرين تقول ريتا هوج « فزار فى سياحته هذه ٦٣ قرية ومدينة وقطع ذهابا وايابا ١١٦٠ ميلا بالذهبية و٢٠٠ ماشيا او راكبا و باع الكتاب المقدس فى ٤٠ مكانا وقرأه وشرحه فى ٥٠ واقام خدمة رسمية فى ٧ وتحادث فى المسائل الدينية مع ٦٢ كاهنا قبطيا ونحو ٥٠ راهبا وأسقفين وترك ثلاثة موزعين فى مراكز مختلفة ليداوموا على العمل بعد سفره و بلغ عدد الكتب التى باعها ٤٣٠ نسخة بمبلغ ١١٥ ريالا وفى كل مكان كان الاقباط يرحبون به و يرجونه بالالحاح أن يبقى عندهم أو يعيد زيارته لهم قريبا » (٢)

قدوم المرسل الامريكى الدكتور وليم هارفى : جاء الى مصر فى ديسمبر سنة ١٨٦٥ وفى يناير سنة ١٨٦٦ انتقل الى الفيوم واتخذها مقر عمله وافتتح مدرسة بالفيوم و بعد ان مكث بالفيوم خمس سنوات انتقل الى سنورس (وهى أحد مراكز الفيوم) ثم اسندت اليه مهمة زيارة الصعيد بالذهبية وفى سنة ١٨٧٨ عين استاذا بمدرسة اللاهوت الانجيلية ومديرا لمدرسة الأحد الى ان انتقل الى جوار ربه سنة ١٩٠٨ بعد ان امضى فى الخدمة ٤٣ عاما .

اما الدكتور هوج فقد انتقل فى فبراير سنة ١٨٦٥ إلى اسيوط كما مر بنا واتخذها مقر نشاطه التبشيرى و بذلك تكون الحركة البروتستانتية قد اتخذت لها عدة مراكز : فى القاهرة والاسكندرية واسيوط والفيوم والمنصورة (وذلك بعد انتقال الدكتور وطسن من الاسكندرية إلى المنصورة) .

عوامل انتشار البروتستانتية : —

اولا : تخلف الكنيسة القبطية عن مواجهة نشاط الارساليات الاجنبية فقد كان المرسلون مثقفين ثقافة رفيعة ، تخرجوا فى جامعات أمريكا او اسكتلندا فكانوا مسلحين بالمعرفة مزودين بالحماس لنشر مذهبهم بينما كان القسس والوعاظ الاقباط فى ذلك الوقت فى حالة تأخر بالنسبة إلى تقدم المرسلين فما استطاعوا وقف الزحف البروتستانتى . إن البابا ديمتريوس الثانى لم يدخر

---

(١) ريتا هوج : الأستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل ص ٧٩ .
(٢) نفس المرجع ص ٨٥

جهدا فى مكافحة نشر البروتستانتية و وقف بجانبه الخديو إسماعيل يسانده إلى أقصى حد ولكن تيار البروتستانتية كان أقوى و وقف الى جانب البروتستانت قناصل الدول يساندونهم وسيرى القارىء موقف القناصل فى حالة اعتداء البروتستانت على الكنيسة القبطية فى اسيوط .

وفى الوقت الذى شغل فيه الاقباط ابتداء من سنة ١٨٧٥ بالنزاع بين الاكليروس و بين المجلس الملى حول بقاء هذا المجلس أو الغائه ، هذا النزاع الذى انتهى بابعاد البطر يرك كيرلس الخامس عن مقر كرسيه وتحديد اقامته فى دير البرموس سنة ١٨٩٣ كانت الارساليات الاجنبية تمد نفوذها ، تنشىء المدارس والكليات ، وتقيم المؤسسات وتقوم بتحو يل الأرثوذكس إلى المذهب البروتستانتى حتى صارت البروتستانتية عقيدة الآلاف من المصر يين .

العامل الثانى: قيام الارساليات بأعمال اجتماعية صحية استمالت الناس اليهم . يقول الدكتور جرجس سلامة : « فأنشأت المستشفيات والمصحات وقامت بالخدمات المجانية للناس ومثال ذلك مستشفيات هرمل وغيرها التى قدمت خدمات تكاد تكون مجانية للشعب وهدفت بذلك إلى اثارة حب وتقدير القائمين على هذه الاعمال (١)

العامل الثالث: الاهتمام بانشاء المدارس فلولا قيام هذه المدارس ما قدر للارساليات النجاح ففى هذه المدارس يتلقى الطالب مبادىء المذهب البروتستانتى و يتخرج متشبعا بالروح البروتستانتيه ثم إن انشاء المدارس كان مجال عمل للمتخرجين من المدارس الثانو ية فكان خريجو الكلية الامر يكية باسيوط يعينون قسسا او مبشر ين او مدرسين فى المدارس الانجيلية المنتشرة بالقرى وكان دبلوم كلية أسيوط الامر يكية وهو يعادل الثانو ية العامة مع تفوق فى اللغة الانجليز ية — مؤهلا لتعيين المدرسين فى جميع المدارس الانجيلية فى مصر .

ولقد انشأ الدكتور هوج خمسين مدرسة فى الصعيد بها تسعون معلما جميعهم من خريجى الكلية الامر يكية بأسيوط . ولقد درجت الكنائس الانجيلية على اتباع رأى الدكتور وطس وغيره من المرسلين فى الإسراع فى إقامة معهد للتعليم بجانب كل مكان مخصص للعبادة وفى كثير من الأحيان كان يستعمل البناء مدرسة يومية وفى مساء كل يوم وفى صباح الأحد يستعمل كنيسة .

العامل الرابع: إنشاء مدارس اللاهوت التى كانت تقيمها الارسالية ليتخرج فيها القسس المصر يون على المذهب البروتستانتى .

ولقد سارع الدكتور هوج بأسيوط إلى إنشاء قسم (صف) اللاهوت لتخر يج القسس والمبشر ين كما انه اتبع طر يقة توز يع طلبة اللاهوت فى الصيف على كنائس القرى للتدر يب

---

(١) الدكتور جرجس سلامة : تاريخ التعليم الاجنبى فى القرنين التاسع عشر والعشر ين

على الوعظ وهذا ما فعلته المدرسة الاكليريكية للأقباط الأرثوذكس التى انشئت سنه ١٨٩٣ أى بعد انشاء قسم اللاهوت بأسيوط بنحو ثلاثين سنة وكذلك انشئت مدرسه اللاهوت بالقاهرة التى عين الدكتور وليم هارفى استاذا بها سنه ١٨٧٨ وكان مديرها كما مر بنا من سنه ١٨٨٦ إلى سنة ١٩١٦ الدكتور اندراوس وطسن العالم اللاهوتى الكبير « يقول الدكتور جرجس سلامه » وكان هم الارسالية هو أن يتخرج عدد كبير من طلبتها من قسم اللاهوت وأن يصبحوا فى خدمة هذا المذهب و يتضح ذلك من إحصاء الخريجين فيما بين سنتى ١٨٧٥ و١٩٠٤ وذلك أنه قد حصل على دبلوم الكلية الامريكية ١٨٨ شخصا من هؤلاء ٧٠ اصبحوا قسسا و٣٤ فى مجلس الكنيسة و١٦ اصبحوا طلبة بقسم اللاهوت (يقصد كلية اللاهوت الانجلية بالقاهرة) .

وتبين من ذلك أن اغلبية المتخرجين قد اعتنقوا البروتستانتيه وصاروا يدعون لها (١)

العامل الخامس: اعتناق أغنى أسرتين فى الأقباط المذهب البورتستانتى وهما اسرتا خياط و و يصا باسيوط فكان واصف خياط أول قبطى اعتنق البروتستانتية فى أسيوط وهو الذى استقبل الدكتور هوج عند سفره إلى اسيوط سنه ١٨٦٥ وكان قد تردد من قبل على مركز الارسالية بالقاهرة كما اعتنق البروتستانتيه حنا بقطر و يصا و و يصا بقطر و يصا وكانت أسرة و يصا أغنى أسرة فى اقباط مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

العامل السادس: النزاع بين الاكليروس وقادة (أراخنة) الشعب ، ذلك أن رجل الدين الارثوذكسى تنزع نفسه الى حب السيطرة على كل علمانى مهما كان مركزه ، فعلى سبيل المثال قد يحدث نزاع بين ناظر كنيسة من الأعيان ــ و بين قسيس فى القرية او اسقف او مطران فى المدينة فيهجر بعض الاعيان أو أراخنة الشعب القبطى الكنيسة الارثوذكسية و ينضم عضوا فى الكنيسة الانجيلية .

الصدام بين الأرثوذكس والبروتستانت

اتخذ هذا الصدام صورتين : تتمثل الأولى فى قرارات الحرمان التى أصدرها البطريرك ديمتريوس الثانى ضد المرسلين الامريكيين ومن يتصل بهم من الأقباط ثم المشاجرات التى حدثت بين طلبة مدرسة الأقباط المجاورة للبطريركية و بين طلبة مدرسة المرسلين الامريكيين التى كانت وقتئذ عند مدخل الموسكى . والصورة الثانية في أسيوط حين تطاول البروتستانت على النزول إلى الكنيسة القبطية ليلا من منزل مجاور لها واحراق الايقونات (الصور الدينية) .

(١) الدكتور جرجس سلامة : تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر ص ٦٥٦ .

وسأعرض الآن الصورة الاولى مرجئا عرض الصورة الثانية إلى الكلام على تبشير الدكتور هوج في اسيوط .

اما صورة الصدام الأول في القاهرة فتبدأ باجتماع البطريرك ديمتريوس الثاني مع أعيان القبط وإصدار قرار بحرمان كل من يتصل بالمرسلين الامريكيين أو يقرأ كتبهم او يصادق احدا منهم او يذهب الى اجتماعاتهم وقد وصف قرار الحرمان المرسلين بأنهم « هم اعداء الدين و بلا كهنة ولا أسرار ولا طقوس ولا شيء سوى الكتاب المقدس الذي لا يفهمونه .. وهم الذئاب بثياب الحملان الذين يلقون بذار الهرطقة (١) في كل انحاء القطر والذين كل من يتبعهم يكون ابنا لجهنم اكثر منهم » (٢) .

وكان رد فعل قرار الحرمان الذى اصدره البطريرك خروج ثلث طلبة مدرسة المرسلين من المدرسة كما عرضت البطريركية على مدرسة المرسلين دفع ثلاثة امثال مرتباتهم لحملهم على تركها فخرج منها بعض المدرسين . اما من ناحية الطلبة فكانت تحدث اشتباكات بين طلبة المدرسة القبطية و بين طلبة مدرسة الامريكان ، فكان طلبة مدرسة الارسالية يصلون الى مدرستهم وقد فقد بعضهم كتبه او طربوشه او حذاءه الذى خلعه ليسهل له الهروب من الاعتداء » (٣) .

فلما ازدادت اعتداءات طلبة مدرسة الاقباط ولم يبق في قوس الصبر منزع واصبح لا يمكن السكوت على هذه الحالة رأى الدكتور هوج ان يتوجه مع قنصل امريكا لزيارة البطريرك ، تقول ريتا هوج عن هذه الزيارة « فلم يرتح البطريرك لهذه الزيارة لأنه كان يعتبر القس الذى امامه ليس قسا شرعيا بل ذئبا خاطفا ولذلك مدح غيرة رجال البطركخانة في استرداد ابنائها وقال ان هؤلاء الاولاد هم اولادنا ولذلك لنا الحق ان نستعمل كل واسطة في المحافظة عليهم ولكنه في الوقت ذاته تجاهل ما كان يجري به رجاله من الاعتداء » (٤) وتمضي القصة بعد ذلك على ان الثلاثة شربوا القهوة في جو يسوده الهدوء وكأنه الهدوء الذى يسبق العاصفة فثار البطريرك عندا عندما وجه اليه القنصل الامريكي الكلام ، وهنا اعرض نفس الصورة التى سجلتها ابنة الدكتور هوج عن احتداد النقاش بين البطريرك ديمتريوس الثاني والقنصل الامريكي :

قال القنصل : « ان هؤلاء المرسلين الامريكان لا يعلمون الناس الا الانجيل الطاهر فكان ينتظر ان تكون غبطتكم شاكرا أفضالهم لأجل الخير الذى يفعلونه لأولاد الأقباط وغيرهم » .

---

(١) في الاصطلاح الديني معناها بدعة او ضلالة .

(٢) ريتا هوج : الاستاذ الجليل بين مرسلي وادي النيل ص ٦٣

(٣) نفس المرجع ص ٩٣

(٤) نفس المرجع ص ٩٥

فاتقد البطريرك غيظا عند سماعه هذا الكلام وكأنك القيت قنبلة فى وسط الغرفة الواسعة التى كانوا جالسين فيها فقال بصوت عال وهو يكاد يتميز غيظا : « الانجيل الطاهر وهل الامريكان وحدهم هم الذين عندهم الانجيل ؟ ولماذا لا يعلمونه لعبيدهم إذا كان عندهم ؟ لماذا يذهب الأخ إلى الحرب ضد أخيه ؟ لماذا جاءوا إلى مصر بكلماتهم الناعمة الطيبة ؟ ... ان الانجيل عندنا قبلما تولد امريكا فى الوجود اننا لا نحتاج إليهم ليأتوا و يعلمونا فنحن نعرف الانجيل أحسن منهم » (١) .

غير ان هذه المقابلة كان لها نتائج حسنة بالنسبة للبروتستانت فانتهت مطاردة التلاميذ فى الشوارع وانتهى التشديد على والديهم بأن لا يرسلوهم لمدرسة المرسلين . وسار الدكتور هوج فى أداء رسالة التبشير بمذهبه وفى تنظيم عمل موزعى الكتاب المقدس ولقد دأب على الكفاح المتواصل فهو يقول « تربيت على العمل الشاق من صغرى ولذلك فلا غرابة ان كان هذا نصيبى فى الكبر فلو كنت تدللت فى الصغر لكنت غير نافع الآن فى الكبر » (٢) .

ولقد ألف يوحنا هوج الكفاح المتواصل منذ الصغر فقد تكون فى مهد الناقة فى بيت فحام فقير كان له ثمانية أولاد وكان يوحنا ثالثهم واضطر أبناؤه الثلاثة الكبار ان يشتغلوا فى المنجم لمساعدة أبيهم وما كان الفقر الذى تربى فى حجره كما تقول ابنته (إلا جلاء يدفعه إلى القوة و يكسوه لباس الشجاعة و يكلله بالنعمة و يوشحه بالمقدرة التى يشعر بها كل شهم مقدام تحيطه الصعوبات » (٣)

وكان الدكتور هوج بمثابة الدينمو للحركة البروتستانتيه فى مصر فقد امضى سنواته قبل انتقاله الى مقر عمله الجديد بأسيوط فى عمل متواصل وقد جاء فى احد خطاباته « إنى قد اشتغلت هذه السنوات الثلاث اضعاف كل شغلى الشاق فى مناجم الفحم ففى تلك الايام لما كان ينتهى النهار كنا نغسل ايدينا ونبدل ملابسنا ونصلح قوتنا . ولكن هنا ليس راحة البتة » (٤) .

يقول سقراط الفيلسوف : اعرف نفسك بنفسك وكان الدكتور هوج يحاسب نفسه و يعدد الأعمال التى يقوم بها ففى أخر ليلة من عام ١٨٦٤ سطر خلاصة اعماله فى التبشير بمدينة القاهرة (فوجد انه فى مدى السنة ألقى ٢٠٨ عظات وخطب اربعا منها باللغة الانجليزية وعلم ٥٤٠ ساعة منها ٤٠ ساعة فى تعليم المعلمين نحو اللغة العربية و ٥٠٠ ساعة فى دفاتر حسابات الجمعية

---

(١) نفس المرجع ص ٤٥
(٢) نفس المرجع ص ١٠٢
(٣) نفس المرجع ص ٩
(٤) نفس المرجع ص ١٠١

وكتب ١١٠٠ صفحة رسائل ومكاتيب وجوابات وترجم ١٥٠ صفحة الى اللغة العربية من كتب ذات احجام مختلفة و٢٣ فصلا من كتاب تفسير ادوارد للكتاب المقدس (٢)

وفى فبراير سنة ١٨٦٥ انتقل الدكتور هوج الى أسيوط فجعلها مركز التبشير بل صارت مركز البروتستانتية فى مصر، وكان واصف خياط كما مر بنا أول رجل اعتنق البروتستانتية فى اسيوط وكان ذا ثروة طائلة ونفوذ عظيم فساعدها بقلبه وماله . واختار القس هوج بيتا كان فى الاصل اسطبلا فجعل منه حجرة لمدرسة البنين واخرى لمدرسة البنات وفرشها بالحصر لحين اتمام صنع المقاعد الخشبية و بدأت مدرسة البنين بأربعة تلاميذ ومدرسة البنات بتلميذتين . هذه المدرسة التى بدأت بأربعة تلاميذ يجلسون على الحصر صارت فى القرن العشرين افخم مدارس الصعيد وفى عام ١٨٩٦ وصل عدد التلاميذ الى ٥٤٧ منهم ١٠٠ بالقسم الخارجى وكانوا يفدون من ١٦٠ قرية بالوجهين البحرى والقبلى وصارت هذه الكلية مركز اشعاع دينى وعلمى للبروتستانتيه فى مصر تمد الكنائس بالقسس والمبشرين وتمد المدارس بالمدرسين .

وكان الدكتور هوج فى غاية اللباقة ونتصور كيف كان يحاول ان يربح قلوب الأقباط . كان يذهب إلى الكنيسة القبطية بأسيوط فى صباح يوم الأحد و يشترك بقدر الامكان فى العبادة حتى يدخل الكاهن الهيكل لاقامة القداس حينئذ يذهب القس هوج الى مدرسته و يشرح للتلاميذ والسامعين الآيات التى سمعها فى الكنيسة القبطية و يبنى عظته على إنجيل القداس ، وفى هذا العمل ايحاء نفسى لكل قبطى بأن ما قام به الدكتور هوج ان هو الا اتمام للصلاة عند الأقباط ثم ان حضوره جانبا من الصلاة يمكنه من الوقوف على مراسيم الصلاة عند الارثوذكس فهو مبعوث اسكتلندى وفى حضوره اشعار للحاضرين انه لا فرق بين المذهب الأرثوذكسى والمذهب البروتستانتى فهو يحضر مع الأقباط جزءا من الصلاة ثم يتم بقية الصلاة فى مدرسته ، ولا يسع باحث التاريخ الا ان يعجب نهاية الاعجاب بلباقة الرجل وحسن تدبير الامور وكان لشعور الناس انه يفسر لهم انجيل القداس الذى سمعوه فى الكنيسة القبطية ان ازداد عدد الحاضرين فوصل إلى خمسين شخصا .

منشور الحرمان : وفى ذات يوم ذهب الدكتور هوج الى الكنيسة القبطية ليحضر الصلاة على جارى عادته فاذا به يسمع قرار الحرمان الموجه ضده يتلى فى الكنيسة على مسامع الشعب القبطى فلما علم الدكتور هوج ان الكلام موجه ضده انتقل من مكانه وسار حتى وقف بجانب الكاهن الذى كان يتلو قرار الحرمان و يصب اللعنات الموجهة اليه . وقف يستمع وقبعته فى يده ليصغى بكل هدوء لما يقال ضد شخصه وارساليته وعقيدته وكل من يعامله أو يخالطه أو يسلم عليه

---

(٢) نفس المرجع ص ١٠٢

فى الطريق (١). وعندما وصل الكاهن الذى كان يتلو المنشور الى ذم صفات المرسلين الشخصية قال له الدكتور هوج : الله يسامحك ، الله يسامحك ، وغادر الكنيسة ثم توجه مع واصف خياط وو يصا بقطر لمقابلة الأسقف فقابلهم باحترام إلا أن كلمة الأقباط اتفقت على فتح مدرسة قبطية ثم شرع الدكتور هوج فى انشاء مدرسة لاهوتية فى اسيوط وكان يقوم بتدريس المواد العلمية واللاهوتية : نحو، طبيعة ، حساب ، اللغات اليونانية والعربية ــ اللاهوت ، ثم كون جمعيات ليلية لدراسة الكتاب المقدس ثم وضع اساس كنيسة اسيوط الانجيلية سنه ١٨٦٧ .

الصورة الثانية للصدام بين الأقباط الارثوذكس وبين البروتستانت : تتمثل فى اعتداء البروتستانت على كنيسه الاقباط باسيوط فقد نزلوا الى الكنيسة من منزل مجاور لها وجمعوا الايقونات (الصور الدينية) واضرموا فيها النار والآن استعرض هذه الحادثة كما وصفتها ريتا هوج :

(وفى ذات ليلة كان بعض الاخوة مجتمعين فى بيت الخواجة حنا و يصا يدرسون الكتاب معا فقرأوا حتى جاءوا الى قوله : وكان فى تلك الليلة أن الرب قال لجدعون اهدم مذبح البعل الذى لابيك واقطع السارية التى عنده ..... وإذ كان يخاف من بيت ابيه وأهل المدينة أن يعمل ذلك نهارا فعله ليلا وكأن فى الكنيسة على مقربه منهم السارية معلقة على جدرانها وهى صور الشفعاء من قديسين وملائكة فقالت الجماعة « اليس ان دعوة الرب لجدعون هى لنا نحن أيضا فلماذا لا نتقدم ، الان ونغير غيره للرب ونطهر كنيسته من الأصنام ثم صلوا بحراره وطلبوا بركة الرب وإرشاده وقاموا إلى بيت المعلم طناس وكان متصلا بالكنيسة فصعدوا إلى سطحه ومنه نزلوا الى الكنيسة بمساعده أخى المعلم طناس لان الرجل نفسه كان غائبا وهناك اكملوا العمل الذى قصدوه وعادوا فصلوا لله ورجعوا الى بيوتهم بفرح قلب) (٢)

صدى هذا الحادث : ما جاء الصباح حتى اهتزت المدينة من اقصاها الى اقصاها وكأن المدينة قد اصبحت على فوهة بركان وصدرت قرارات الحرمان من الاكليروس تهدد من سولت لهم انفسهم ارتكاب هذه الفعلة الشنعاء وغلت مراجل الصدور وجرى بحث دقيق فقدم الأقباط شكواهم إلى المدير وطلبوا منه الانصاف فأحضر جميع البروتستانت والقى المدير اخا المعلم طناس الذى نزلوا من منزله تحت الكرباج وأمر بجلده حتى يعترف بالفاعلين فذكر اسماءهم واحدا فواحدا فأحضروهم فى الحال واعترفوا بما فعلوا وذكروا السبب الذى دفعهم الى إحراق الا الايقونات فقالوا« ان كتابنا المقدس يحرم عبادة الصور والتماثيل فلم نستطع ان نرى معابدنا ملوثة بما يحرمه ديننا »(٣) .

---

(١) نفس المرجع ص ١٢٠ .

(٢) ريتا هوج : الأستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل ص ١٤٩ .

(٣) نفس المرجع ص ١٤٩ .

ألقى القبض على ثمانية من البروتستانت منهم حنا بقطر و يصا من كبار أعيان اسيوط فطلب شقيقه و يصا من المدير الافراج عنهم فأمهله حتى يعقد صلح بين الطرفين المتنازعين ولكن احتشد نحو الفين من الاقباط وطلبوا من المدير أن ينفذ عدالة القانون فاستمروا فى حبسهم ثمانية ايام ثم جاء عيد الأضحى فأطلق سراحهم ثم صدر الحكم على الثمانية بالنفى الى الوجه القبلى مدة سنة على بعضهم وسنتين وثلاث على الاخرين و بغرامه قدرها ١٧٥٠ ريالا تعويضا عن الايقونات فقاموا بدفع الغرامة وقابل اقباط اسيوط هذا الحكم بمواكب الابتهاج تمر فى الشوارع ولقد بدأ تنفيذ الحكم بالنفى فى اسنا وقضى المحكوم عليهم شهرا فى اسنا ثم اتصل الدكتور هوج بالقناصل الذين بسعيهم عند الخديو اسماعيل صدر قرار الافراج عن المعتدين وعادوا الى اسيوط .

وفاة الدكتور هوج : استمر الدكتور هوج فى نشاطه التبشيرى يلقى العظات و يفتح المدارس و يدير الارسالية من عاصمة الصعيد و يزور البلاد حتى انتقل الى جوار ربه سنة ١٨٨٦ و يعتبر الدكتور هوج بحق واضع اسس البروتستانتية فى مصر ، فاذا تأملنا تاريخ الحركة البروتستانتية حتى وفاته نجد انه أنشأ ١٠ كنائس فى حين اننا لا نرى حتى تاريخ وفاته فى كل من الاسكندرية والقاهرة والمنصورة والمنيا والفيوم غير كنيسة واحدة .

اعتراف الحكومة بالطائفة البروتستانتية : اتخذ هذا الاعتراف ثلاث خطوات :

١) فى سنة ١٨٥٠ صدر فرمان همايونى يقضى بجعل الانجيليين الوطنيين طائفة قائمة بذاتها (و يلاحظ ان هذا الفرمان صدر قبل أن يعتنق احد من الاقباط البروتستانتية وقد تم ذلك تمهيد . لعمل الارساليات) فقد جاءت قبل ذلك كما سبق القول ارساليات انجليزية لم يقدر لها النجاح قبل هذا التاريخ وصادفت بعض النجاح فى عهد الاحتلال البريطانى مثل الارسالية الانجليزية التى انشأت بعض المدارس وأسست مستشفى هرمل . ان كره الاقباط للاحتلال الانجليزى جعل الارسالية الاسقفية تسير فى مصر بخطوات متثاقلة ولم يكن الامر كذلك مع الارسالية الامريكية فلم يكن للأمر يكان هدف استعمارى .

٢) صدرت ارادة خديوية سنة ١٨٧٨ بتعيين وكيل لهذه الطائفة هو جرجس بك برسوم .

٣) توصل الدكتور وطسن الى اصدار الأمر الخديوى العالى فى سنة ١٩٠٢ و به اعترفت الحكومة رسميا بالطائفة الانجيلية وبموجبه تشكل مجلسها الملى (٢)

انتشار البروتستانتية : فى عام ١٨٧٥ بلغ عدد البروتستانت ٦٠٠ (١) وفى الفترة بين

---

(١) اليوبيل الماسى لكنيسة الانجيلية : من خطاب القس ابراهيم جرجس الميرى تحت عنوان حياة الدكتور أندراوس وطسن .

(٢) A. Watson: The American Mission in Egypt P. 327

١٨٩٠ الى ١٨٩٤. تحول ٢١٦٥ قبطيا الى المذهب البروتستانتي عن طريق عملهم بالارسالية الامريكية وبمدارسها (١) ...

وفي عام ١٨٩٥ بلغ عدد البروتستانت في مصر ٤,٥٥٤ (٢) وفي سنه ١٩٠٤ بلغ عددهم ٢٩ الفا وفي احصاء عام ١٩٤٧ بلغ عدد البروتستانت ٩٠,٩٦٧ (٣) أما إحصاء سنه ١٩٦٠ فلم يبين عدد كل طائفة . واني أؤيد قول الدكتور جرجس سلامة « ما من شك في أن التعليم الأجنبي في مصر هو المسئول الأول عن تحويل عدد كبير نسبيا من الأقلية القبطية الارثوذكسية في مصر الى البروتستانتية والكاثوليكية (٤) وقد انتشرت المدارس الامريكية في المدن والقرى وكان المذهب البروتستانتي يدرس بتلك المدارس وكانت المدارس الانجيلية تبدأ اليوم المدرسي بالترتيل والصلاة وتختمه بذلك وكان كتاب الترانيم الذى بأيدى التلاميذ هو نفسه كتاب الكنيسة الانجيلية وكان التلاميذ يدرسون مطالعة في الانجيل مع شرح الآيات الى جانب المطالعة العربية وكان المدرس عضوا في الكنيسة يشترك في اجتماعاتها المسائية وفي الصلاة ايام الاحد و يقوم بتدريس الدين بمدارس الاحد التي تعقد عصر يوم الاحد وفي الصعيد كانت كلية اسيوط الامريكية تشرف على المدارس الانجيلية وتمدها بالمدرسين والمناهج ومازلت اذكر اني امضيت السنة الاولى الابتدائية تلميذا باحدى المدارس الانجيلية (مدرسه بني قرة الانجيلية بمديرية اسيوط) وكانت اسئلة امتحان النقل الى السنه الثانيه الابتدائية من اعداد وطبع الكلية الامريكية باسيوط وكانت مادة الدين تحتل جانبا كبيرا من الدراسة وكان الاشراف على جميع هذه المدارس والتفتيش عليها للكنيسة و بلغ عدد هذه المدارس عام ١٩٠٠ (١٨٦) مدرسه منتشرة في البلاد .

و يتحدث القس لبيب مشرقي عن الدين في كلية أسيوط : « لعل أبرز شيء في تاريخ كلية اسيوط هو الناحية الدينية ، نعم فقد كان الدين عنصرا أساسيا فيها ، ففي الدراسة توجد حصص الديانة كل يوم ... وكانت المراجع لمؤلفين عالميين ، كما كان المدرسون للديانة كبار اساتذة الكلية (٥) . ثم يتحدث عن مدى تقدم الكنيسة الانجيلية في ميادين النشاط الديني والعلمي والاجتماعي فيقول : « واستمر الصف يتحرك : كليات ومدارس من كل نوع للدراسات العالية والثانوية والابتدائية . كليات ومدارس للأولاد والبنات . في العواصم والمدن والقرى . مدارس يومية ومدارس أحدية ، مؤسسات مباركة ، ملاجيء مستوصفات ومستشفيات ، جمعيات خيرية ، نواد كنسيه وغير كنسية ، خدمات اجتماعية وجمعيات نسائية ، رابطة شباط »(٦) .

---

(١) A. Watson P. 300 (٢) A. Watson P. 396

(٣) تعداد عام ١٩٤٧

(٤) تاريخ التعليم الاجنبي في مصر في القرنين ١٩ و ٢٠ ص ٦٢ .

(٥) القس لبيب مشرقي : ذكريات قسيس ص ٢١٧ — القاهرة سنة ١٩٥٧

(٦) نفس المرجع ص ٢٩٨

بناء الكنائس البروتستانتيه (الانجيلية) : كانت أول كنيسة بروتستانتيه (انجيلية) فى مصر كنيسة الازبكية التى انشئت سنة ١٨٦٣ ثم تبعها إنشاء الكنائس فوصل عدد الكنائس الانجيلية فى مصر الى نهاية القرن التاسع عشر ٤٤ كنيسة ثم بلغ عدد الكنائس الانجيلية التى انشئت الى سنة ١٩١٩ — ٨٨ كنيسة أى ٤٤ كنيسة بنيت من ١٩٠١ — ١٩١٩ ، وهذا بيان بالكنائس التى انشئت فى القرن التاسع عشر كما ورد فى كتاب اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية عام ١٩٣٧ .

مجمع مشيخة الوجة البحرى

الكنيسة	تاريخ تنظيمها	الكنيسة	تاريخ تنظيمها
الازبكية	١٨٦٣	المنصورة	١٨٩٥
الاسكندرية	١٨٦٨	طنطا	١٨٩٧
حارة السقائين	١٨٩٥		
			٥ كنائس

مجمع الاقاليم الوسطى

(تشمل مديرية الفيوم وبنى سويف والمنيا)

الكنيسة	تاريخ تنظيمها	الكنيسة	تاريخ تنظيمها
سنورس	١٨٧٢	شارونه	١٨٩٦
المنيا الأولى	١٨٨٥	الفشن	١٨٩٦
صفط ميدوم	١٨٨٩	بنى سويف	١٨٩٩
صفط اللبن	١٨٩١	الكوم الاخضر	١٨٩٩
أبوقرقاص	١٨٩٢	جزيرة شارونه	١٨٩٩
			١٠ كنائس

مجمع اسيوط

الكنيسة	تاريخ تنظيمها	الكنيسة	تاريخ تنظيمها
اسيوط	١٨٦٨	كوم اسفحت	١٨٨٩
المطيعة	١٨٧١	دير الجنادلة	١٨٨٩
النخيلة	١٨٧١	صنبو	١٨٨٩
ملوى	١٨٧٦	هور	١٨٨٩
الجاولى	١٨٧٩	الدوير	١٨٩٤
الحواتكة	١٨٧٩	دير البيشا	١٨٩٥
بافور	١٨٧٩	بصرة	١٨٩٩
العزية	١٨٨٠	الواسطى	١٨٩٩
الزرابى	١٨٨٢	المعصرة	١٨٩٩
مير	١٨٨٢	البدارى	١٩٠٠
البياضة	١٨٨٧	نزلة الملك	١٩٠٠
أبو تيج	١٨٨٨		
			٢٣ كنيسة

مجمع الأقاليم العليا
(المديريات التى تقع جنوب اسيوط)

الكنيسة	تاريخ تنظيمها	الكنيسة	تاريخ تنظيمها
مشطا	١٨٨١	اسنا	١٨٨٥
اخميم	١٨٨٢	سوهاج	١٨٩٧
قوص	١٨٨٢	قنا	١٨٩٨
			٦ كنائس

ويتبين من هذا الاحصاء أنه انشىء بمديرية أسيوط اكثر من نصف الكنائس الانجيلية فتعتبر اسيوط بحق مركز انتشار البروتستانتية كما كانت الكلية الأمريكية بأسيوط قلبها الخافق ويتبين من اليوبيل الماسي للطائفة الانجيلية ان عدد الكنائس التي بنيت في القرن العشرين في الفترة من (١٩٠١ الى ١٩١٩) ٤٤ كنيسة (٥ في الوجه البحرى و١٥ في الاقاليم الوسطى و١٦ في اسيوط و٨ في الاقاليم العليا)

ويقوم السنودس وهو المجمع الروحى الاكبر للكنيسة الانجيلية بالاشراف على جميع اعمال الكنيسة التي تقوم بها المجامع ويهتم بكافة النواحي الدينية والثقافية وأعمال البر، والأساس في نظامه الشعب فهو الذي يختار مجلس الكنيسة اى يختار شيوخا يمثلونه وهم الذين يديرون الكنيسة وفي السنودس تمثل كل كنيسة بقسيس وشيخ (١)

المجلات الدينية : انشأ البروتستانت في سنة ١٨٩٠ مجلة الهدى وفي سنة ١٨٩٢ مجلة نجم المشرق وتعتبر الهدى المجلة الرسمية للطائفة الانجيلية ولا تزال تصدر الى الآن

تعدد فروع البروتستانتية : في القرن التاسع عشر كان الفرعان البارزان للبروتستانتية في مصر هما الكنيسة الاسقفية الانجليكانية والكنيسة المشيخية ، اما الكنيسة الاسقفية فهى مذهب الانجليز وهذه لم يقدر لها الا نجاح ضئيل لكره الاقباط للانجليز أعداء البلاد وقد اسست كنيسة يسوع نور العالم ومستشفى هرمل بمصر القديمة وكنيسة جميع القديسين على رأس شارع ماسبيرو (بميدان الشهداء) وكان وجود هذه الكنيسة أمام ثكنات الانجليز الحمراء في لون دماء الشهداء مثيرا لشعور الأقباط ، أما أهم فروع البروتستانتية فهو الكنيسة المشيخية التي تقوم على نظام شيوع الكنيسة كما تسمى الكنيسة الانجيلية التي تتبع الانجيل وحده بخلاف الارثوذكس الذين يؤمنون ايضا بالتقليد الشريف الى جانب ايمانهم بالكتاب المقدس وهذا النوع هو الذى احتل النصيب الاعظم من دراستنا للبروتستانتية وفي القرن العشرين تعددت فروع البروتستانتية حتى وصلت نحو خمسة عشر فرعا من اهمها نهضة القداسة او الاصلاح وقد نشرت هذا المذهب ارسالية كندية والاخوة او البلموث نسبة الى بليموث بانجلترا وتنطق مع بعض تحريف « بلموس » والكنيسة الرسولية والخمسينية .

اما مذهب الاخوة او البلموس فقد نشره في مصر بنيامين بنكرتن احد المرسلين الذين جاءوا من امريكا لخدمة الانجيل في الشرق الاوسط وكان مقره مدينة بيروت وقد درس بنكرتن اللغة العربية واعتنق مذهب الاخوة على اثر زيارته لانجلترا وتعرفه بتشارلس ستانلى أحد الاخوة البارزين وقد شجعه ستانلى وزوده بمطبعة عربية فكان يطبع النشرات ويدعو الى مذهبه بين سنتي ١٨٧٥ ــ ١٨٨٥ ويرسلها الى مرسل المانى من الاخوة كان يقيم في الاسكندرية اسمه

---

(١) القس لبيب مشرقى : ذكريات قسيس ص ٢٣٨ ــ القاهرة سنة ١٩٥٧ .

لو يس شـلوطهاور الذى كان يتولى توز يعها (١) وكان بنكرتن يمكث فى مصر نحو اربعة اشهر من كل عام يتنقل بين البلدان و يعقد الاجتماعات فى البيوت وكان ركوب الدواب هو الوسيلة الوحيدة للوصول الى القرى فكان يقضى الساعات على ظهر دابته وفى بعض الاحيان كان يبيت فى البيـادر (الاجران) (٢) . كل هذا فى سبيل نشر مذهبه وكان اول مصرى اعتنق المذهب البـلـموسى هو القـس جرجس روفائيل راعى الكنيسة الانجيلية بملوى . انفصل جرجس عن الكنيسة البروتستانتية المشيخية واعتنق مبادىء الاخوه سنة ١٨٨١ (٣) لاقتناعه بمبادىء بنكرتن فكان اول ظهور هذا المذهب بمدينة ملوى (بمديرية اسيوط فى ذلك الوقت) ومن ملوى انتقل الى مدن الصعيد وقراه مثل اخميم والنخيلة كما اقتنع بصحة المبادىء التى كان يذيعها بنكرتن القس بطرس ديناسيوس راعى كنيسة الاقصر الانجيلية (٤) وقد ظل القس جرجس روفائيل يدعو لمذهبه قرابة نصف قرن حتى توفى سنة ١٩٣٤ (٥) .

وكان اول شخص من افراد الشعب اعتنق مبادىء الاخوة موسى صالح (٦) احد كبار تجار ملوى وكان قوى الشخصية كريم السجايا ظل فى حماسه لنشر المذهب البلموسى نحو نصف قرن ، وعرف الاخوة فى المانيا وفى انجلترا وفى كثير من البلاد الاوربية اسم موسى صالح حتى اقترن اسمه بنشر المذهب للبلموس فى مصر (٧) ، واصبحت مدينة ملوى مركز انتشار هذا المذهب فى مصر . وليس البلموسى قسوس ولا رئيس دينى وانما يعقدون اجتماعاتهم تحت قيادة الله ، ولهم فى مصر نحو ١٨٠ كنسية منها ١٢ كنيسة فى القاهرة .

وفى سنة ١٩٠٠ ظهر بمصر فرع آخر من فروع البروتستانتيه وهو مذهب نهضة القداسة واطلق عليه الشعب « الاصلاح » ومن مبادىء هذا المذهب تحريم التدخين وتحريم التحلى بالذهب وقد بدأ هذا المذهب بمدينة اسيوط وكان اول مرسل من كندا ادخل هذا المذهب مدينة اسيوط هو القس رندل (٨) وفى سنة ١٩٠٣ جاء الى مصر من كندا الاسقف تروتر (٩) لنشر هذا المذهب وفى سنة ١٩٠٥ اصدرت طائفة الاصلاح مجلة بوق القداسة ومازالت مستمرة فى الصدور الى الآن وفى سنة ١٩٢٠ جاء الى مصر الاسقف بلاك (١٠) وقد قام بنشاط عظيم فى جميع كنائس الاصلاح فى طول البلاد وعرضها نحو ثلاثين سنة وكان خطيبا مفوها وواعظا

---

(١) رسالة الشباب المسيحى ــ ملحق مجلة المراعى الخضراء عدد سبتمبر ١٩٥٣ ص ٧
(٢) نفس المرجع عدد اكتوبر سنة ١٩٥٣ ص ١١
(٣) نفس المرجع عدد نوفمبر سنة ١٩٥٣ ص ١٠
(٤) نفس المرجع عدد ديسمبر سنة ١٩٥٣ ص ٧
(٥) نفس المرجع عدد مايو سنة ١٩٥٤ ص ٩
(٦) نفس المرجع عدد يناير سنة ١٩٥٤ ص ١٠
(٧) نفس المرجع عدد نوفمبر سنة ١٩٥٤ ص ١٤
(٨) (٩) ، (١٠) ، مجلة بوق القداسة سنة ١٩٥٠

قديرا ، كان يعظ باللغة الانجليزية و يقف الى جواره مترجم يتابع ترجمة عظاته الى العربية عبارة عبارة ، وتعتبر اسيوط مركز انتشار هذا المذهب ومن اسيوط انتقل مذهب نهضة القداسة الى (ابوتيج) والنخيلة بمديرية اسيوط والى اخميم بمديرية جرجا و يبلغ عدد الكنائس نهضة القداسة الآن فى مصر مائة كنيسة منها ١٥ كنيسة في القاهرة .

والتفاهم تام بين جميع الطوائف القبطية فى مصر ، و يعيش جميع المصريين فى ظل الاخاء والمحبة يرفرف عليهم جميعا غصن السلام .

— ((الفصل الثالث)) —

— (نشاط الأقباط الفكرى) —

أولا : الحالة الفكرية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر:

حين نزلت الحملة الفرنسية بمصر سنة ١٧٩٨ كانت الحالة الفكرية فى مصر فى ركود تام ، ولم يكن فى مصر غير معهد واحد للتعليم وهو الأزهر ودخوله بحكم طبيعة رسالته الدينية مقصور على المسلمين ، أما الاقباط فلم يكن عندهم أى نوع من المعاهد العلمية ، وكان التعليم بينهم مقصورا على الكتاتيب وكانت فى الغالب تلحق بالكنائس وقد ظلت الحالة على ذلك حتى تقلد منصب البطريركية فى سنة ١٨٥٤ البابا كيرلس الرابع الذى اشتهر فيما بعد بأبى الاصلاح فأنشأ المدارس الحديثة وقام بنهضة علمية وثورة فكرية بل يمكن القول أنه أسدل ستارا على الماضى و بدأ عهدا جديدا هو عهد إشراق نور العلم وتنوير الأفكار والتقدم .

كان أبناء الأقباط قبل ذلك يتعلمون فى الكتاتيب القبطية القراءة ومبادىء الحساب كما يحفظون المزامير والصلوات السبع والألحان الكنسية وكانوا يكتبون على الواح الصفيح او الخشب المدهون ، وكان يقوم بمهمة التعليم فى الكتاتيب العرفان او العرفاء . (١)

و يذكر التاريخ أن المعلم يعقوب حنا (الجنرال يعقوب) تلقى تعليمه فى كتاب ملوى كما تلقى تادرس شنوده المنقبادى مؤسس جريدة مصر ومن اعلام الصحافة القبطية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر تعليمه بكتاب العريف دوس بأسيوط ثم التحق بمدرسة الأقباط بأسيوط عند إنشائها سنة ١٨٦٧ ، وكان ابناء الموظفين او كتبة الدواثر — بعد اتمام منهج الكتاب يصحبون آباءهم خلال أدائهم عملهم لاجادة الخط والتدريب على صياغة الرسائل والخطابات وتعلم قدر من الحساب على القواعد الاصلية وحفظ (سورة الفدان) وهى عبارة عن أوليات الكسور بشاراتها القبطية القديمة . (٢)

---

(١) Rev. Shoenoda Hanna: Who are the Copts P. 288. Sainte Catherine (Bon - Pasteur)

(٢) كامل ميخائيل عبد السيد : بحث غير مطبوع بعنوان « نشأة المجالس الملية للاقباط الارثوذكس .

يقول الدكتور احمد عزت عبد الكريم « ولما كان الاقباط (يحتكرون) مهنة الكتابة وفن الحساب ، كان اطفالهم يتعلمون الكتابة والحساب عملا مع آبائهم » (١) .

اما الاغنياء فكانوا يأتون لأبنائهم بمدرسين من الازهر للتزود من معرفة اللغة العربية والقليل منهم كان يدرس اللغة التركية للتفاهم مع الحاكمين .

أما البنات فلم تكن لهن مدارس او كتاتيب ، و يقول المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين الذى زار مصر فى عهد محمد على « للأقباط مدارس عديدة (يقصد الكتاتيب) ولكنها للصبيان فقط ، وقل من القبطيات من تستطيع القراءة ، وأولئك اللائى يقرأن تعلمن بالمنزل » (٢)

و بعد ان ولى محمد على حكم مصر سنة ١٨٠٥ واتجه تفكيره الى انشاء جيش من المصريين ، انشأ المدارس الحديثة وكانت هذه المدارس ذات صبغة عسكرية ، وكان الأقباط مبعدين عن الانتظام فى سلك الجندية ولم يستقر الأمر لتجنيد الاقباط الا فى عهد الخديو اسماعيل فكان الاقباط ممنوعين من دخول هذه المدارس حتى سنة ١٨٦٣ فحرموا من الحركة التعليمية التى قام بها الولاة الاول من اسرة محمد على ودليلنا على ذلك ما رواه صاحب تاريخ الامة القبطية من أنه عندما عهد محمد سعيد باشا إلى البابا كيرلس الرابع بالسفر إلى اثيوبيا لحسم النزاع على الحدود الاثيوبية السودانية ، عرض البابا كيرلس الرابع على سعيد باشا ان يقبل الطلبة الأقباط فى المدارس الأميرية العالية كالمهندسخانة ومدرسة الطب وغيرها فوعده الباشا بالنظر فى طلباته عند عودته من بلاد الحبشة (٣) .

لذلك يمكن القول إن هناك ثلاثة عوامل جعلت الاقباط يقصرون فى مضمار العلم فى النصف الاول من القرن التاسع عشر عن إخوتهم المسلمين فلم تظهر منهم شخصيات تضارع رفاعة الطهطاوى أو على مبارك فى الناحية العلمية .

العامل الأول : لم يكن للأقباط معهد علمى كالأزهر يرفع مستوى ثقافتهم .

العامل الثانى : كان دخول المدارس الحكومية التى أنشاها محمد على مقصورا على المسلمين ، فهمتها اعداد رجال الجيش .

العامل الثالث : لما كانت هذه المدارس الجديدة ومعها الأزهر مصدر المبعوثين إلى أوربا

---

(١) الدكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عهد محمد على ص ٦٧٧

(٢) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون ـــ الترجمة العربية لعدلى طاهر نور ص ٤٠٤

(٣) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الامة القبطية ص ٣٢١ .

لم يوفد قبطى واحد الى اوربا ولا يعثر باحث التاريخ على اسم قبطى واحد أوفده محمد على فى بعثة علمية وهذه البعثات واردة فى كتاب « عصر محمد على » للأستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعى ، ويمكن للقارىء أن يلاحظ فى البعثات الأخيرة بعض المسيحيين ولكنهم ليسوا من الاقباط و بذلك لم يتح محمد على تكافؤ الفرص أمام جميع المصريين على قدم المساواة .

لقد كانت البعثات العلمية فى النصف الأول من القرن التاسع عشر حكومية ولم تكن فكرة سفر أفراد على نفقتهم الخاصة للدراسة فى جامعات أوربا قد ظهرت على مسرح الوجود .

أما المدارس الأجنبية و بخاصة الكاثوليكية فكان إقبال الأقباط عليها قليلا فى مبدأ الأمر لتهيب الأقباط من المدارس الكاثوليكية ربما سعت إلى تحويل أبنائهم الأرثوذكس إلى المذهب الكاثوليكى ، وهذه المدارس الأجنبية بدأت فى وقت متأخر فلم تنقض عشر سنوات على إنشاء أولها حتى ظهرت مدارس أبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع المجانية فأقبل الطلبة عليها من مختلف الأديان والجنسيات وكانت أول مدرسة كاثوليكية لتعليم البنات فى القاهرة هى مدرسة الراعى الصالح (Bon - Pasteur) وقد بدأت فى حى الموسكى سنة ١٩٤٦ . ثم اسس الكاثوليك فرعا لها فى شبرا سنة ١٨٦٣ وصار هو الاصل (١) كما كانت اول مدرسة للفريرق الاسكندرية هى كليه سانت كاترين Sainte Catherine انشئت سنة ١٨٤٧ (٢) .

ثانيا : النهضة العلمية
فى عهد البابا كيرلس الرابع

اعتلى البابا كيرلس الرابع الكرسى البطريركى فى ١٧ يونيه سنة ١٨٥٤ وكان الاقباط فى حالة ركود فكرى نتيجة لما أنزلته الحكومات العابثة بالكرامات والحريات امثال حكومة المماليك والعثمانيين من عسف وجور فجاء هذا البطريرك المصلح رائدا من رواد النهضة فى القرن التاسع عشر فدفع عجلة الاصلاح الشامل دفعا قويا الى الأمام ففتح دور العلم امام جميع الطلبة بلا تفريق بين المسلمين والاقباط (٣) بل لمختلف الجنسيات وكان التعليم بالمجان مع منح الطلبة الكتب بالمجان مما جعل هذا الرائد المصلح يسبق بحق زمانه ، فتح المدارس وسار فى نواحى الاصلاح بعزيمة قوية تحطم العقبات وتتغلب على الصعاب .

وقد تحالف عليه الجهال والرجعيون كما حارب العرفاء مدارسه الحديثة لأنهم شعروا أن

---

(١) الدكتور جرجس سلامه : تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين ١٩ و٢٠ ص ١٣٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١٤٠

(٣) Rev. Shenouda Hanna: Who are the Copts P. 89

فيها القضاء على كتاتيبهم وعلى رواتب العائلات لهم من عيدية التلاميذ من قمح وفطير وكسوة ونقدية و بلح ولحم فى كل موسم وعيد (١) .

وقد تجسم الخطر امام العرفان من قيام مدارس البابا كيرلس الرابع فأشاعوا أنها تعلم الكفر وفساد الأخلاق والعقائد غير الأرثوذكسية ، و يصور المؤرخ ميخائيل شارو بيم موقف العرفاء وقد كان معاصرا لهذه الأمور فى مطلع حياته فقد كان تلميذا فى الكتاب « وكان المشار اليهم فى تعليم الأطفال يومئذ جماعة من العميان يعرفون باسم العرفان وكان لهم منزلة عظيمة بين الناس وحرمة واسعة وكلمة مسموعة فلما أحسوا بما فعله كيرلس أدركوا ما وراءه من الخيبة لهم وسد ابواب الرزق فى وجوههم فتجردوا الى المداوة وايقاظ الفتنة الراقدة وجعلوا يطوفون بالبيوت ويحرضون آباء الاولاد وامهاتهم على العصيان وشق عصا الطاعة و يقولون كيف تلقون أولادكم بأيديكم الى التهلكة وصاحبكم كيرلس قد عاقد الدولة على أن يجند لها أولادكم ألوفا لتدفع بهم إلى حيث لا يعلم إلا الله ، وكان اذا وصل الى الدار البطر يركية شيء من الكتب او معدات التعليم ولولوا وقالوا هذه البنادق آلات الحرب وملابس الصيف وأحذية الشتاء تأتى على عجل وكان الناس كافة كما هو اليوم يكرهون الجندية ويخافون التجنيد خوفا ما عليه من مز يد فاعتقدوا صحة الخبر واخذتهم الطيرة وكرهوا عمل كيرلس وتجردوا لمقاومته وجماعة العرفان لا ينفكون عن التطواف وحض الناس على مقاومته » (٢) ثم يسير المؤرخ ميخائيل بك شارو بيم فى عرض صورة التعليم فى الكتاتيب ووقع حركة الانبا كيرلس الرابع الاصلاحية فى نفس العريف الذى كان يقوم بتدريسه و يقول للتلاميذ « اسكت يا ابن النجار ، اخسأ يا شقى ، اخرس يا شيطان ، لا تعض أذن أخيك يا ابن الصايغ ، قم وافرغ ما فى خياشيمك يا ابن يوسف ، صه يا أحدب ، يا أبا الرأسين ، يا أبا ذباب ، ومازال على هذا الحال من النداء والصياح والجلبة والسب والشتم ونحن فى جلبة وضجيج حتى نعس واشتد غطيطه ونحن كالحلقة حوله ندفع عنه الذباب ونطرد الكلاب الداخلة علينا من الباب فلما سكنت قلوبنا بنومه أقبلنا على معلمنا الذى كان يكتب لنا الألواح و يضفر لنا زعف النخيل فراشا نجلس عليه فسألناه عما أصاب العريف فى يومه قال هو بخير وعافية ولكنه فى شاغل مما أتاه كيرلس البطر يرك » (٣)

ولقد عرف الرائد العظيم البابا كيرلس الرابع كيف يواجه الصعاب و يذلل العقبات فجميع العرفان وطيب خاطرهم وخصص لهم مكانا بالمدرسة الكبرى ورتب لهم المرتبات وعهد اليهم أن يقوموا بالتعليم فى المرحلة الابتدائية وأقرهم على ما بأيديهم وجعل لامتحان تلاميذهم أياما محدودة فى كل ستة أشهر فمن نجح الحق بالمدرسة القبطية . يقول المؤرخ ميخائيل بك

---

(١) كامل ميخائيل عبد السيد : بحث غير مطبوع عنوانه : نشأة المجالس الملية

(٢) ميخائيل شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث الجزء الرابع ص ١٣١ وص ١٣٢

(٣) المرجع السابق ص ١٣٢ .

شاروبيم « فلم يمض على ذلك إلا القليل حتى دخل من هؤلاء فى صفوف المدرسة نيف وتسعون تلميذا ومائة ممن كانوا خارجا وظهرت عليهم علامات النجابة ودلائل الفرح فتكلموا الانجليزية والفرنسية والايطالية والقبطية وجودوا العربية وتعلموا منها النحو والصرف والبديع والبيان ونبغوا ونجحوا نجاحا عظيما » (١) .

وقد استعان بخيرة المدرسين من مصريين وأجانب وسوريين ولبنانيين وايطاليين وانجليز وكان ينفق بسخاء منقطع النظير وكانت ماهية محمد بك بدر الحكيم تعادل الآن مرتب استاذ كبير فى الجامعة (٢) وكان يتفقد سير الدراسة فى مدرسة الازبكية يوميا ومدارس حارة السقائين كل أسبوع وقد خصص مكتبا فى مدرسة الأزبكية لاستقبال الزائرين والسائحين ، وجعل سجلا لتدوين ملاحظات الزائرين والعمل على تنفيذ الصالح منها ، وكان يجلس فى الفصول إلى جانب الطلبة مستمعا وكان يختبرهم بنفسه من حين لآخر واذا انتهت الحصة يشجع الطلبة بقوله « لقد استفدت اليوم فائدة لم أكن اعرفها قبلا » (٣) .

تقول مسز بوتشر الانجليزية : « فأسس مدرستين منتظمتين الأولى للبنات والأخرى للبنين وقد كان التعليم فيهما عظيما والعلوم التى تدرس من ارقى ما يدرس فى المدارس العالية والراقية » (٤)

ـــ ((برامج التعليم بمدارس ابى الاصلاح)) ـــ

أولا : اللغات : العربية ــ القبطية ــ الانجليزية ــ التركية ــ الايطالية ــ الفرنسية .

ثانيا : العلوم الحديثة : التاريخ ــ الجغرافيا ــ الانشاء ــ الهندسة ــ الكيمياء ــ الخطوط

ثالثا : الفنون الجميلة : الرسم والموسيقى والالحان (وكان البابا كيرلس يختار الموهوبين فى جمال الصوت لتعلم الموسيقى والالحان) .

ـــ (مدارس كيرلس الرابع) ـــ

أنشأ ابو الاصلاح عددا من المدارس المجانية للمسلمين والاقباط وللمصريين والأجانب على السواء وكان يهدف الى تثقيف الشعب ورقى البلاد ونهضة الأمة المصرية جمعاء .

---

(١) الكافى الجزء الرابع ص ١٣٢

(٢) عبد الحليم الياس نصير المحامى : الذكرى المئوية الاولى لأبى الاصلاح ص ٦٨

(٣) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر جـ ٢ ص ١٣٠

(٤) تاريخ الامة القبطية : جـ ٤ ص ٣٧٩ (الترجمة العربية) .

١) مدرسة الأقباط للبنين بالدرب الواسع (شارع الكنيسة المرقسية الآن) بجوار بطر يركية الاقباط .
٢) مدرسة البنات القبطية بجوار البطر يركية بكلوت بك .
٣) مدرسة البنين بحارة السقائين بعابدين .
٤) مدرسة البنات بحارة السقائين بعابدين .
٥) مدرسة المنصوره للبنين بمدينة المنصورة .
٦) مدرسة للبنين بعزبة أوقاف دير الأنبا انطونيوس ببوش (بمديرية بنى سويف) .

ولقد احضر اول مطبعة اهلية من ايطاليا واحتفل بإحضارها فى محطة القاهرة احتفالا عظيما وهى اول مطبعة فى مصر بعد مطبعة بولاق . (١)

وقد افتتح مدرسة الازبكية سنة ١٨٥٤ وجعل ناظرها الاستاذ اسكندر جروه السورى وكان اديبا وشاعرا يجيد عدة لغات ثم عقبه فى النظارة العلامة القمص فيلوثاوس ابراهيم بغدادى رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى وأفصح رجال الدين الاقباط فى القرن التاسع عشر وقد جاء بعده الأديب الشاعر تادرس بك وهبى الذى دفعه حبه للغة العربية إلى أن يدرس متخفيا فى الأزهر ، ولما كشف أمره أشهروا عليه سلاح ذلك الزمن (٢) ولكن فضيلة الأستاذ الأكبر أنقذه وطيب خاطره واذن بقبوله لمتابعة حلقات دروس الأزهر هو وزميله الاستاذ ميخائيل عبد السيد مؤسس جريدة الوطن .

ولقد أدت المدارس القبطية بالقاهرة رسالتها على خير وجه ومازالت ماضية حتى الآن وقد نبغ عدد كبير من خريجيها وصلوا الى اعظم مناصب الدولة وأنى اذكر الآن امثلة لبعض الشخصيات الكبيرة .

من نوابغ خريجى مدرسة الأقباط الكبرى بالأزبكية :

— (من وكلاء الوزارات) —

١) عبد الحميد مصطفى باشا — وكيل المالية
٢) محمود عبد الرازق باشا — وكيل الداخلية
٣) اسماعيل حسنين باشا — وكيل المعارف

---

(١) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل — الجزء الاول ص ٢٥١ .
(٢) عبد الحليم الياس نصير المحامى : الذكرى المئوية الاولى لأبى الاصلاح البابا كيرلس الرابع ص ٦٨ — بحث موضوعه فضل أبى الاصلاح على الثقافة والتعليم .

— (ومن المستشارين) —

١) المستشار أحمد شرف الدين بك
٢) المستشار مينا ابراهيم بك
٣) المستشار سليمان يسرى بك
٤) المستشار حنا نصر الله باشا
٥) المستشار يس أحمد باشا (الذى صار نائبا عاما ثم وزيرا للاوقاف)

— (من المحامين) —

١) خليل ابراهيم باشا المحامى
٢) اسماعيل زهدى بك المحامى

— (ومن المؤرخين) —

١) ميخائيل بك شاروبيم (صاحب كتاب الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث)
٢) يعقوب نخله روفيله (صاحب كتاب تاريخ الأمة القبطية)

— (ومن علماء الدين) —

القمص فيلوثاوس ابراهيم بغدادى رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية

— (ومن الادباء ورجال الصحافة) —

١) تادرس بك وهبى الشاعر
٢) ميخائيل بك عبد السيد

— (ومن كبار الموظفين) —

حسن كامل الشيشينى باشا المدير العام لبنك التسليف الزراعى سابقا وكان ممن ثاروا على المستشار الانجليزى دنلوب ففصل من المدارس الأميرية ورحبت به المدارس القبطية .

— (ومن علماء اللغة القبطية) —

١) باسيلى بك روفائيل الطوخى
٢) برسوم الراهب .

بعض نوابغ خريجى مدرسة حارة السقايين : اربعة من رؤساء الوزارات هم :

(١) بطرس غالى باشا (٢) يوسف وهبه باشا
(٣) عبد الخالق ثروت باشا (٤) حسين رشدى باشا .

وكان البابا كيرلس الرابع أول من أنشأ مدرسة مصرية لتعليم الفتاة (قبل المدرسة السنية التى أنشئت فى عهد الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٣) وفى الوقت الذى كانت فيه مدرسة البنات القبطية التى أنشأها البابا كيرلس الرابع ومدرسة الخياط الواصفية التى انشأها واصف خياط بأسيوط سنة ١٨٦٧ تسيران فى موكب التقدم كانت مدرسة الحكومة التى أنشأها الخديو اسماعيل بعدهما تعتبر فى طريقها و يؤخذ من البيان الذى نشره الدكتور أحمد عزت عبد الكريم أن عدد طالبات مدرسة البنات فى حى السيوفية التى افتتحت فى يناير سنة ١٨٧٣ والتى صارت نواة المدرسة السنية فيا بعد أن عدد طالباتها فى سنة افتتاحها كان ٢٨٦ طالبة وصار هذا العدد فى سنة ١٨٨٠ ـ ٢٠٨ طالبة (١) وأن عدد المدرسات بها سنة ١٨٧٥ كان خمس عشرة مدرسة صار هذا العدد سنة ١٨٨٠ مع ضم مدرسة القربية اليها احدى عشرة مدرسة فقط و يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم ولكن عصر اسماعيل انتهى ولم ينشأ من مدارس البنات سوى مدرستى السيوفية والقربية . (٢)

كما كان أول مصلح يقوم بانشاء مكتبة عامة قومية بمدرسة الأقباط بالقاهرة وأول من انشأ مدارس وطنية مجانية وقد سعى البابا كيرلس الرابع لاشراف الحكومة على امتحانات المدارس القبطية و براجها وقد تحقق ذلك بعد وفاته .

ثالثا : النهضة العلمية بعد البابا كيرلس الرابع

ارتقى البابا ديمتر يوس الثانى الكرسى البطر يركى بعد وفاة ابى الإصلاح ولم يكن الشخصية التى تستطيع أن تملأ الفراغ الذى تركه البابا كيرلس الرابع ولكن القوة التى دفع بها كيرلس الرابع عجلة الاصلاح ما زالت تحركها وتديرها ولم تفقد طاقتها ولقد ساندت الحكومة المدارس القبطية ومنحتها الهبات فجاء عصر اسماعيل يحمل للمدارس القبطية كل عون وتقدير لمهمتها وأداء رسالتها فصار للاقباط فى عهد إسماعيل نحو ١٢ مدرسة اهمها المدرسة البطر يركية الكبرى ومدرس مصر القديمة وأخرى بالجيزة ومدرستان بالاسكندرية . (٣)

---

(١) الدكتور احمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر فى نهاية حكم محمد على الى اوائل حكم توفيق ــ الجزء الثانى ص ٣٥٩ القاهرة سنة ١٩٤٥ .

(٢) نفس المرجع ص ٣٧١

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل الجزء الأول ص ٢٠٤

امر الى رئيس مجلس الاحكام

صدر فى ١٣ صفر سنة ١٢٨٠ هـ امر الى رئيس مجلس الاحكام باشراف نظارة المعارف على المدارس القبطية وامتحاناتها وتوظيف خريجها وتعريف قدامة البطريرك بالكتب الاميرية الجارى تدريسها بمدارس الحكومة لكى تدرس فى مدرستى الازبكية وحارة السقايين وصدر ترخيص بأن يمتحن تلاميذها امام لجنة الامتحانات الحكومية وان يؤخذ من طلاب هاتين المدرستين موظفون فى المصالح الأميرية .

وفى الامر العالى المرسل إلى نظارة المالية طلب الخديوى اسماعيل منح المدارس القبطية الأرثوذكسية اعانة مالية فقال :ـــ

« انه نظرا لما علم لدينا من حصول المسعى والاجتهاد من بطركخانة الاقباط فى استعداد وانتظام مكاتب ومدارس وإيجاد معلمين بها لتعليم الاطفال ما يلزم من العلوم واللغات الاجنبية ونحو ذلك وسعيها فى هذا النوع أوجب الممنونية ، فلأجل مساعدتها على ذلك وتوسعة دائرة التعليم الجارية بمكاتبها قد سمحت مكارمنا بالاحسان على تلك البطركخانة بألف وخمسماية فدان عشورية من أطيان المتروك والمستبعدات الموجودة بالمديريات على ذمة الميرى » (١) .

وقد وصفت الوقائع المصرية الاحتفال الذى اقيم بمدرسة الاقباط سنة ١٢٨٣ هـ (برياسة المهندس الوزير محمود بك الفلكى وحضور شريف باشا ناظر الداخلية ومدير عموم المدارس المصرية وحافظ باشا ناظر المالية وراغب باشا رئيس شورى النواب وعبد الله باشا رئيس مجلس الاحكام واسماعيل صديق باشا المفتش وقد عقبت الوقائع على امتحانات التلاميذ :

« ان التلاميذ الذين امتحنوا ابدوا ما يشهد لهم بالفطنة الغريزية والرشد والسداد والاستعداد واحسنوا فى كل جواب » ونشرت جريدة الوقائع الصادرة فى يوم الخميس ١٦ فبراير سنة ١٨٧١ :

---

(١) محفوظات عابدين : سجل ١٩١٩ اوامر عربية بتاريخ ٢١ رجب ١٢٨٣ هـ (٣٠ نوفبر سنة ١٨٦٦) .

خطبه على فهمى بك
من كبار رجال الامتحان بنظارة المعارف
فى احتفال مدرسة الاقباط بالازبكية وحارالسقايين

(الحمد لمن جعل العلوم أشرف ما تنفق لها نفائس النفوس والأعمار وتشرق بها افاق البسيطة شموس الافكار و يتسع بها نطاق العمار والصلاة والسلام على الرسول العربى وكل صفى ونبى . و بعد فان أرباب امتحان هذه المدرسة العيسو ية الغراء المؤسسة على ما يجدد لها بين اخواتها من المدارس المصرية حمدا يحات لها ذكراها قد اجبنا الدعوة لامتحان هؤلاء التلاميذ الانجاب وكل داع لامر خيرى او ساع فيه لا شك انه يلبى ويجاب وقد اجرينا على طبق العادة السنوية

وكانت المدارس القبطية تحتفل بانتهاء العام الدراسى و يدعى الى هذا الحفل كبار رجال الحكومة مسلمين ومسيحيين

وعرفت الحكومة فضل هذه المدارس فتقرر اعفاء طلبتها من الخدمة العسكرية وكان رفاعه الطهطاوى يحضر لامتحان طلبتها وتصف لنا جريدة الوقائع المصرية الصادرة فى ٥ / ٣ / ١٨٧٢ صورة لهذا الامتحان الذى أداه تادرس وهبه الذى صار مديرا للمدارس القبطية وشاعر الأقباط فى القرن التاسع عشر:

« صار افتتاح الامتحان الذى ميز فيه تادرس وهبه بين الأقران ، واشير اليه فيه بالبنان ، وكان امتحان هذا التلميذ فى اللغة العربية والمنطق والبيان واللغة الفرنساوية والانجليزية والهندسة واللغة الطليانية فأحسن فى كل هذه الاجابة فظهرت عليه إشارات النجابة وكان رئيس لجنة الامتحان رفاعة رافع الطهطاوى ناظر قلم الترجمة بديوان المدارس » .

وقد بلغ عدد طلبة المدرسة القبطية بالازبكية سنة ١٨٧٧ ـــ ٣٧٩ تليمذا منهم ٣٠٢ من الاقباط كما بلغ عدد تلميذات مدرسة البنات القبطية بحارة السقائين ٤٥ تلميذه وعدد تلميذات مدرسة البنات القبطية بالازبكية ٨٠ تلميذة (١) .

ولقد أدت المدارس القبطية رسالتها على خير وجه ففى الوقت الذى أغلقت فيه المدارس

---

(١) الدكتور زاهر رياض : بحث لم يطبع تحت عنوان : نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث .

الحكومية بحجة الاقتصاد ظلت المدارس القبطية منهل العلم الوحيد فى التعليم العام لجميع المصريين على اختلاف دياناتهم ، وفى الوقت الذى جعل فيه التعليم الابتدائى بمصروفات ظلت المدارس القبطية تمنح تعليمها المجانى لمن يطلبه .

١) احتفال الحكومة المصرية بمدارس الاقباط

نقلا عن الوقائع المصرية فى ١٦ / ٣ / ١٨٧١ الصفحة الاولى

(ما دعينا اليه بمحضر شريف من سادة علماء اخيار وقادة أرباب اعتبار واهال وطنيين وأجانب متفرجين فما منهم الا وقد تهلل وجهه بسمات الفرح وانبسط خاطره لما شاهده وانشرح . فما من تلميذ انتصب على التميز امام الممتحنين إلا ورفعت راية فضله ... وتلقاها هذا المحفل باليمين .. يبدى من اللغة العربية ما يعذب عن قطر الندى ، ومن الفرنساوية والطليانية والانجليزية والقبطية ومن الحساب والخط ما يرفع ذكره على المدى ... وفى ذلك فليتنافس المتنافسون وحق الثناء على حضرة المطران وكيل مسند البطريركية الذى اشرق به هذا الامتحان وزهت به هذه الدعوى الاحتفالية ، كما نقر بأن نجاح هذه المدرسة الحية وامتحان هذه السنة الحالية انما هو من حسن مساعى حضرة ناظرها القمص فيلوثاوس ابراهيم المحتشم الجارى فى جمع تنظيمها وجليل ترتيبها على سنن أقوم ، وكذلك حضرات خوجاتها فانهم مساهمون فى بذر صلاحية غرس تعليماتها على منهج سديد .

ومقالة جناب المبدع البارع فى اللغات الاجنبية والفنون الادبية حضرة مصطفى افندى رضوان معلم الفرنساوية . وصلاة وسلام على أنبيائه الاخيار الذى هدوا بما بلغوه من الرسائل والآثار والاخبار) .

ولم تقف مدارس الاقباط عند حد نشر التعليم فى القاهرة والاسكندرية وعواصم المديريات بل انتشرت فى سائر ارجاء القطر و يبدو من بيان قلم الاحصاء فى نظارة المالية بعدد تلاميذ المدارس القبطية ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ مدى انتشار المدارس القبطية وهذا البيان ملحق بهذا الفصل كما جاء فى هذا البيان ان عدد التلاميذ والتلميذات الاقباط فى المدارس المصرية ١٠,٤٩٥ وفى الانكليزية ٣٢٢ والامريكية ٦٧١١ والنمساوية ٤١ والهولندية ٧٤ والفرنسية ٢٩٥٤ والالمانية ٥٠ واليونانية ٧٨ والايطالية ٩٣٩ والروسية ١١ وكانت البنات القبطيات اللواتى يتعلمن بالمدارس المصرية يبلغن ١٢٧٧ فقط بينما كان عددهن عظيما فى المدارس الاجنبية فكان فى المدارس الانكليزية ١٠١ والامريكية ٢١٤١ والهولندية ٢٦ والفرنسية ١٢٨٢ والالمانية ٤٠ واليونانية واحدة والايطالية ٨١٣ فكان مجموع الاناث ٥٦٨١ والذكور ١٥٩٩٤ ومجموعها

٢١٦٧٥ (١) وهو عدد التلاميذ والتلميذات الاقباط فى مصر فى العام الدراسى ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ وارتفاع نسبة تعليم البنات يدل على نهضة علمية شاملة وتقدم يبشر بالخير ولم يترك الاقباط المكاتب الاهلية التى كانت تديرها وزارة الاوقاف وتصرف عليها من اوقاف المسلمين دون أن يلتحقوا بها فقد بلغ عدد تلاميذها فى سنة ١٩١٠ ــ ٢٤٩٢ تلميذا كان بينهم ٩١٢ قبطيا وكذلك بعض المدارس الابتدائية التى كانت تديرها وزارة الاوقاف ايضا بلغ عدد تلاميذها ١٨٨٧ تلميذا كان بينهم ٢٤٢ قبطيا اى بنسبة ١٢,٨٪ (٢) و يقول الدكتور زاهر رياض ان النوع الوحيد من التعليم الذى لم يرض عنه الاقباط ولم يتجهوا اليه هو مدرسة المعلمين الخديوية فلم يزد عدد الطلبة الاقباط منذ سنة ١٨٨٨ الى سنة ١٩١٠ اى نحو ربع قرن على اربعة طلاب ثم يقول « وهذا شيء يعاب عليهم ولعل السبب فى ذلك ما كانت عليه هذه الوظيفة فى مدارس الحكومة من ضعف فى المرتبات ولكنهم تناسوا ان المدرس هو منشيء الجيل » (٣)

وحين انشىء التعليم العالى اقبل الاقباط عليه اقبالا عظيما وكان هذا التعليم لجميع المصريين بمصروفات وهذا بيان بالمدارس العالية وعدد الطلبة :

المدرسة	عدد الاقباط	عدد المسلمين
مدرسة الحقوق	٨٤	٢٦٣
مدرسة الطب	٥٤	٨٩
المهندسخانة	٣٠	٥٩

وفى عام ١٩٠٧ تخرج فى مدرسة الطب ثمانية عشر طالبا منهم تسعة من المسلمين وثمانية من الإقباط ويهودى واحد وكان الدكتور ابراهيم فهمى المنياوى الذى صار استاذ الجراحة بكلية طب القصر العينى ووكيل المجلس الملى العام اول الخريجين (٤) كما كان الدكتور نجيب محفوظ اول الخريجين سنة ١٩٠٣ وكان عددهم ثمانية اطباء (٥).

---

(١) جرجس فيلوثاوس عوض : المجلة القبطية السنة الاولى (١٩٠٧ ــ ١٩٠٨) ــ العدد الثامن ص ٤١٧ ــ القاهرة نوفمبر سنة ١٩٠٧

(٢) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع تحت عنوان نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث .

(٣) نفس المرجع

(٤) جرجس فيلوثاوس عوض : المجلة القبطية ــ السنة الاولى

(٥) الدكتور نجيب محفوظ : حياة طبيب ص ٦٦ القاهرة سنة ١٩٦٦ .

المدارس البروتستانتيه

يقسم الدكتور جرجس سلامة فى رسالته (تاريخ التعليم الاجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين المدارس الامريكية فى مصر الى اقسام منها (١) مدارس خارج الارسالية (٢) ومدارس الارسالية وكانت كل المدارس الكبرى تديرها الارسالية مثال ذلك مدرسة البنات الامريكية بالازبكية (١٨٦٠) والكلية الامريكية باسيوط (١٨٦٥) وكلية البنات الامريكية بالقاهرة (١٩٠٩) ، والجامعة الامريكية بالقاهرة (١٩١٩) . هذه المدارس تنسب الى هيئة أجنبية فلا تعتبر مدارس قبطية ولكن يدخل فى دراستنا عدد الاقباط فى هذه المدارس وقد سبق بيان ذلك من الاحصاء الرسمى ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧ اما المدارس خارج الارسالية فانها تحمل اسم المدرسة الانجيلية او اسماء اشخاص فهى مدارس مصرية تدخل فى صميم دراستنا وفى الجدول الملحق بهذا الفصل نجد المدارس البروتستانتيه مع المدارس القبطية وهذه المدارس هى :ـ

١) المدرسة الاهلية لاخوان و يصا بأسيوط (سنة ١٨٧٥)
٢) المدرسة الخيرية الانجيلية بصنبو (١٨٨٠) .
٣) مدرسة داود بك تكلا ببهجورة (١٨٩٠) .

وقد اغفل هذا البيان مدرسة هامة لم ترد فى الجدول الملحق وهى مدرسة الخياط الواصفية بأسيوط ، انشأها واصف بك خياط وهى اول مدرسة لتعليم البنت فى الصعيد وانشئت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر سنة ١٨٦٧ ومازالت تؤدى رسالتها الى الآن ولها فضل السبق فى تثقيف ربة البيت فى الصعيد ولم تقم للاقباط الكاثوليك مدارس فى القرن التاسع عشر والى سنة ١٩٠٧ وهى السنة التى فيها اذيع البيان الرسمى بالمدارس القبطية الملحق بهذا الفصل ، ذلك لقيام المدارس الاجنبية الكاثوليكية الكبرى التى يديرها الجزويت والفرير بمهمة التعليم ولأن الكاثوليك لم يكن عددهم كبيرا وقد كان فى وجود المدارس الكاثوليكية الاجنبية ما يحقق رغبة الاقباط الكاثوليك فى العلم ام البروتستانت فقد كانت المدرسة عندهم هى مفتاح الدخول للمدينة او القرية لنشر المذهب البروتستانتى كما يرى القارىء ذلك فى قول الدكتور وطسن احد كبار ناشرى البروتستانتية فى مصر فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الدينى .

فى التعليم الصناعى

بدأت نهضة التعليم الصناعى عند الأقباط فى اوائل القرن العشرين وقد سبقت جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة بطريركية الأقباط فى هذا المضمار ففى سنة ١٩٠٥ أنشأت جمعية التوفيق القبطية مدرسة لتدريب التلاميذ على الصناعة والبرادة وفى سنة ١٩١٠ صار بهذه المدرسة ٤٧ تلميذا منهم خمسة مسلمون بينهم اثنان مجانا وثلاثة يونانيون (١)

السنة	البرادون	النجارون	مصاريف	مجانا	المجموع
أولى	١٥	١٢	٧	٢٠	٢٧
ثانية	٦	٣	٧	٢	٩
ثالثة	٣	٢	٣	٢	٥
رابعة	٤	٢	٢	٤	٦
المجموع	٢٨	١٩	١٩	٢٨	٤٧

مدارس البطريركية القبطية : فى سنة ١٩٠٨ افتتحت بطريركية الاقباط الارثوذكس مدرسة البنات الصناعية ببولاق وفى سنة ١٩٠٩ افتتحت مدرسة البنين الصناعية بجوارها ولا تزال مدرسة البنين قائمة تؤدى رسالتها الى الآن ، وقد أقيم حفل عظيم بمناسبة افتتاحها برئاسة البابا كيرلس الخامس حضره بعض الاساقفة وعدلى باشا يكن محافظ العاصمة فى ذلك الوقت وعبد الحميد باشا رئيس مجلس شورى القوانين وعبد الحليم باشا عاصم ناظر الأوقاف . وجاء فى خطبة الدكتور اخنوخ فانوس المحامى فى هذا الاحتفال « ارجو أن يعلم جمهور الحاضرين أن هذه المدرسة وان يكن الذى أسسها هو غبطة بطريرك الاقباط بمال الأقباط فأنها اسست لتكون مطمحا لكل أبناء المصريين على السواء وان لا يكون فيها تمييز بين عنصر وعنصر او بين فريق وفريق وهى الروح التى يجب ان تعم جميع العناصر المصرية المكونة للوحدة الوطنية بل هى الروح التى يتعلق بها دون سواها ارتقاء البلاد » (٢) .

---

(١) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين ج ١ من ١٥٦ ــ القاهرة سنة ١٩١٠ .

(٢) يوسف منقريوس : تاريخ الامة القبطية من ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ ص ٢٠٤ وص ٢٠٥

برنامج التعليم فى مدرسة البنين : يقسم الى قسمين صناعى وعلمى فالتعليم الصناعى يتعلمه الطلبة فى عنبرين يحتويان على ورش الخياطة وصناعة الاحذية والنجارة والبرادة والخراطة وسبك المعادن والسراجة والسمكرية والعربات .

و يتلقى الطلبة المواد العلمية فى الصباح و بعد الظهر بالتعاقب وفق النظام الذى وضعته ادارة الصناعة والزراعة بالمعارف وهذا المنهج يشتمل على مبادىء العلوم الابتدائية وقواعد الرياضيات ومبادىء الهندسة الميكانيكية والرسم و يشترط لقبول الطلبة ان لا تقل سن الطالب عن ١٠ سنوات وان لا تزيد على ١٦ سنه ، وقد أعدت المدرسة وجبة غذاء بقيمة رمزية قدرها ثلاثة مليمات .

وتبلغ نفقات مدرسة الصناعة للبنين فى السنة ١٧٠٠ جنيه تقريبا تدفع نصفها البطريركية وتدفع ادارة الصناعة بالمعارف النصف الآخر.

وفى سنة ١٩١٠ بلغ عدد تلاميذ هذه المدرسة ١٢٨ تلميذا منهم ٢١ مسلما نحو نصفهم بالمجان ويهودى واحد يشتغل فى الحدادة وهذا بيان بعدد الطلبة وانواع الصناعات نقلا عن كتاب الاقباط فى القرن العشرين الجزء الاول لرمزى تادرس ص ١٥٩ .

الورش	مجانا	مصاريف	المجموع
النجارون	١٦	٤	٢٠
البرادون	١١	٨	١٩
خراطو الخشب	٦	—	٦
خراطو المعادن	٤	٤	٨
الخياطون	١٧	٤	٢١
الاسكافيون	٩	—	٩
صناع الاحذية	١٢	—	١٢
السمكرية	١٠	٥	١٥
النقاشون	١٣	١	١٤
صناع العربات	٤	—	٤
المجموع	١٠٢	٢٦	١٢٨

مدرسة البنات الصناعية : كان بهذه المدرسة في سنة ١٩١٠ ــ ٥٢ طالبة منهن ثماني مسلمات بينهن اثنتان بالمجان و يشترط لقبول الطالبة أن تكون بالغة من العمر عشر سنوات وكانت الرسوم الدراسية المقررة ٤٠ قرشا فقط وتتناول جميع الطالبات طعام الغذاء في المدرسة مجانا ومدة الدراسة بها اربع سنوات مقسمة إلى قسمين صناعي وعلمي ، فالتعليم الصناعي تتلقاه الطالبات في الصباح و بعد الظهر فتمضي الطالبات النهار بالتعاقب في غرف الغسيل والطبخ والتفصيل والكي ثم يتلقين من المواد الدراسية مبادىء اللغتين العربية والانجليزية والحساب والجغرافيا وتدبير المنزل وكانت هذه اول مدرسة من نوعها تعلم الفتيات الصناعة وتبلغ نفقات هذه المدرسة ٣٥٠ جنيها في السنة والجدول الآتي يبين عدد الطالبات في السنوات الدراسية المختلفة و بيان المجانية بها (١) :ــ

السنة	مجانا	بمصاريف	المجموع
تحضيرية	٧	٥	١٢
اولى	٩	٨	١٧
ثانية	١٠	٢	١٢
ثالثة	١١	١	١٢
المجموع	٣٧	١٦	٥٣

قلة اقبال الاقباط على المدارس الصناعية : لم يقبل الاقباط على ارسال ابنائهم الى المدارس الصناعية بنفس النسبة التي كانوا يقبلون بها على التعليم العام ، وذلك لتفضيل التعليم العام الذي يعد للمناصب على التعليم الصناعي ، كما أن ابناء الصناع منهم كانوا يتوارثون الصناعات عن آبائهم و يتعلمونها تعلما سطحيا في الحوانيت والمعامل مما يمكنهم بالقيام بأودهم في زمن اقل مما يقضونه في المدارس الصناعية ، وفيما يلي احصاء رسمي يبين نسبة عدد الاقباط في المدارس الصناعية الى اخوانهم (٢) :ــ

(١) رمزي تادرس : الاقباط في القرن العشرين ج ١ ص ١٦٠

(٢) نفس المرجع ص ١٦٧

المدرسة	أقباط	مسلمون	المجموع
بولاق الكبرى	٣٩	١٣٥	١٧٤
ورشة بولاق	١٤	٢٨٠	٢٩٤
المنصورة	١٤	٧٧	٩١
أسيوط	٧٥	١١٤	١٨٩
محمد على	٥	٣٢٤	٣٢٩
ابوتيج	٤٦	٤٤	٩٠
دمنهور	١١	١٤٥	١٥٦
طوخ	٣	٦٧	٧٠
الفيوم	٣٠	١٥٨	١٨٨
المجموع	٢٣٧	١٣٤٤	١٥٨١ أى ١٥٪ من مجموع عدد الطلبة فى القطر المصرى .

النهضة العلمية والأدبية

إن المدارس القبطية التى انشأها البابا كيرلس الرابع قد اينعت غراسها وأتت بخير الثمرات كما ان اتصال الاقباط بالثقافة الاوربية عن طريق المدارس الأجنبية وان كان اقبالهم على المدارس الكاثوليكية قليلا أول الأمر خوفا من تحويلهم إلى المذهب الكاثوليكى ، وفى القرن العشرين سافر كثير من الأقباط للدراسة فى اوربا مثل مكرم عبيد فى انجلترا وويصا واصف فى فرنسا فشهد الأقباط نهضة علمية أدبية منذ عهد الخديو اسماعيل سارت جنبا الى جنبهم مع النهضة الفكرية العامة فى البلاد وسأتتبع فى دراستى الحركة الفكرية فى جميع نواحيها فى الدين وفى التاريخ وفى الادب وفى الصحافة فى الفترة التى أقوم بتأريخها .

علماء الدين

الأنبا يوساب أسقف جرجا واخميم المعروف بأبن الأبح : اشتهر فى النصف الثانى من القرن الثامن عشر وعاش الى اوائل القرن التاسع عشر وكان عالما لاهوتيا فذا ألف كتاب سلاح

المؤمنين (١) و يرى القارىء خطبته في رثاء ابراهيم الجوهري في الفصل الخاص بنشاط الاقباط الاجتماعي .

القمص فيلوثاوس ابراهيم : أفصح رجال الدين وأكثرهم نبوغا في القرن التاسع عشر ألف عدة كتب وكان الخطيب المفوه ولسان الكنيسه القبطية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر واجه الحركه البروتستانتيه كما واجه الكثلكة في مصر فكان قوى الحجة يسيطر على المشاعر وهو الذى كتب لعلى باشا مبارك الفصل الخاص بالكنائس القبطية والبطاركه في الجزء السادس من الخطط التوفيقية وهو الذى رافق البطريرك الانبا ديمتريوس في رحلته الى اسيوط سنة ١٨٦٧ لمقاومة انتشار البروتستانتية والف كتبا عديدة من أهمها الخلاصة القانونية في الاحوال الشخصية وكتاب الحجة الأرثوذكسية ضد اللهجة الرومانية (يقصد الكثلكة) كما ان له كتاب خطب ومواعظ .

نوابغ برزوا في القرن العشرين : الاستاذ حبيب جرجس مدرس اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية وقد الف نحو عشرين كتابا منها سر التقوى وعزاء المؤمنين واسرار الكنيسة السبعه والوسائل العملية للاصلاحات القبطية وهو رجل المنابر الذى خلف القمص فيلوثاوس ابراهيم في تدريس اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية وفي الوعظ بالكنائس .

ومن نوابغ رجال الدين في القرن العشرين القمص مرقس سرجيوس وله عدة كتب في تفسير الانجيل والأبحاث الدينية والقمص ميخائيل مينا وله علم اللاهوت في ثلاثة اجزاء والقمص يوحنا سلامه ومن اشهر كتبه اللآلىء النفيسة في شرح طقوس وعقائد الكنيسة في جزئين وقد تحدثت عن هؤلاء العلماء بأيضاح في الفصل الخاص بنشاط الاقباط الديني .

ومن الاساقفة الذين أناروا بعلمهم في اواخر القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين اسقف سورى الأصل هو الانبا ايسيذورس انتظم في سلك الرهبنة في مصر وكان قد وفد من سوريا مع خاله اشعيا السرياني الذى عين وكيلا لبطريركية الأقباط الارثوذكسي في الاسكندرية ايام الثورة العرابية (٢) ودخل الأديرة المصرية وانتظم في سلك الرهبنة حتى أصبح اسقف دير البرموس بوادى النطرون وكان عالما فذا الف كتبا قيمة في تاريخ الكنيسة والأبحاث اللاهوتية منها « الخريدة النفسية في تاريخ الكنيسة » وهذا الكتاب أحد المصادر التى اعتمدنا

---

(١) كامل صالح نخله وفريد كامل (عضوا لجنة التاريخ القبطى) : خلاصة تاريخ المسيحيه في مصر ص ١٤٠ — القاهرة سنة ١٩٤٦ .

(٢) القمص انطونيوس يسطس البرموسى (الانبا ديسقورس اسقف المنوفية الآن) دير السيدة العذراء برموس ص ١٩٣ — القاهرة سنة ١٩٦٠

عليها فى هذه الرسالة وله كتاب « التبر المسبوك فى تاريخ البطاركة والملوك » والمطالب النظرية فى المواضيع الالهية ومشكلة الطلاب فى حل ومشكاة الكتاب وغيرها .

ومن نوابغ الرهبان : القمص عبد المسيح صليب المسعودى كان راهبا بدير البرموس ونظم مكتبة الدير وجمع لها اهم الكتب وألف كتابا فى تاريخ الأديرة « تحفة السائلين فى ذكر أديرة رهبان المصريين » وقد اعتمد فيه الى حد كبير على كتاب الخطط للمقريزى . وله كتاب التحفة البرموسية وهو موسوعة تضم اكثر من الف ومائة صفحة وفيه بين حساب الأبوقطى والتواريخ العالمية الاخرى من يهودية ورومانية ولا تينية ومقارنة دقيقة بينها تشهد له بسعة الاطلاع والدقة فى البحث(١) .

المؤرخـــــون

ميخائيل بك شاروبيم : كان قاضيا فى محكمة المنصورة فى اول حركة قضائية سنة ١٨٨٣ ، الف كتابه الكافى فى أربعة اجزاء ، عاصر احداث النصف الثانى من القرن التاسع عشر فصورها تصوير مشاهد و باحث محقق وكتابه تاريخ عام لمصر .

يعقوب نخله روفيله : كان مدرسا بمدرسة الاقباط بالازبكية وكان عضوا بالمجلس الملى الثانى سنة ١٨٨٣ بل كان من دعاة النهضة الاصلاحية وله كتاب « تاريخ الأمة القبطية » .

مؤرخون آخرون : ظهر مؤرخون آخرون نشأوا فى أواخر القرن التاسع عشر وعاشوا فى القرن العشرين ولهم كتب تاريخية هامة :

١) **توفيق اسكاروس :** كان موظفا بدار الكتب المصرية وقد هيأ له عمله بالمكتبة فرصة للاطلاع على كثير من الكتب والوثائق التاريخية ، الف كتابه نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر فى جزئين سنة ١٩١١ ، وسنة ١٩١٢ وقد تحدث عن عظماء الاقباط مثل البابا بطرس الجاولى والبابا كيرلس الرابع وابراهيم الجوهرى وجرجس الجوهرى .

٢) **يوسف منقريوس :** كان اول ناظر للمدرسة الاكليريكية من سنة ١٨٩٣ ــ ١٩١٨ اى مكث نحو ربع قرن ناظرا لها وكان مدرسا للتاريخ ، الف كتابين فى تاريخ الاقباط احدهما « القول اليقين فى مسألة الاقباط الارثوذكسيين » وتناول فيه الكلام عن المجلس الملى والخلاف بين البطريرك الانبا كيرلس الخامس والمجلس الملى ، وهو حين يتناول النزاع بين البطريرك والمجلس الملى يتناوله بروح موظف تابع للبطريرك يقف الى جانبه لا بروح مؤرخ محايد ، والكتاب الثانى « تاريخ الأمة القبطية فى العشرين سنة الاخيرة من

---

(١) نفس المرجع ص ١٩٢ .

سنة ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ وقد تناول فيه تاريخ الكنيسة فى هذه الفترة ومسجل تاريخ جميع الأساقفة والمطارنة فى ذلك الحين .

٣) رمزى تادرس : كان من رجال الصحافة عمل محررا فى جريدة مصر التى أسسها تادرس شنوده المنقبادى سنة ١٨٩٥ وقد مكنته مهنة الصحافة من الاطلاع على شئون الاقباط واحوالهم فألف كتابه « الاقباط فى القرن العشرين فى خمسة اجزاء » فنشر الجزء الاول سنة ١٩١٠ والثانى سنة ١٩١١ ثم توالى نشر بقية الاجزاء وهو يتحدث عن تاريخ الاقباط الى السنة التى نشر فيها كتابة وهذا الكتاب يعتبر فى واقع الأمر تاريخا للأقباط فى القرن التاسع عشر ومستهل القرن العشرين والكتاب يعطى صورة عن الاقباط فى بعض النواحى وقد تحدث عن الأسر القبطية الكبيرة و يؤخذ على هذا الكتاب أنه يغلب عليه جانب الانشاء والمبالغة عند الكلام عن كبار الاقباط وسجل اعمالهم .

٤) سليم سليمان الفيومى : كان مدرسا للرياضة بالمدارس الثانوية ، الف كتابه « مختصر تاريخ الامة القبطية فى عصرى الوثنيه والمسيحيه ، صدر سنة ١٩١٤ .

ــ ((الأدب العربى عند الاقباط)) ــ

دفع حب اللغة العربية ثلاثة من القبط إلى دخول الأزهر متخفين وهؤلاء الثلاثة صاروا من بين اعلام الأدب والثقافة فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وفى أوائل القرن العشرين .

اولهم ميخائيل عبد السيد الذى أسس جريدة الوطن سنة ١٨٧٧ وله كتاب الهداية فى اربعة اجزاء وهو يشتمل على ابحاث دينية وثانيهم جندى ابراهيم الصحفى الذى انتقلت إليه ملكية جريدة الوطن سنة ١٩٠٠ وقد التحق بالازهر تحت اسم الشيخ ابراهيم الجندى (١) اما الثالث فهو تادرس وهبه الشاعر وقد ظهر فى شعره تأثره بالثقافة الاسلامية إلى حد كبير .

وفى سنة ١٨٩٥ أسس تادرس شنوده المنقبادى جريدة مصر .

وفى ميدان الخطابة ظهر الدكتور اخنوخ فانوس المحامى وكان رئيس طائفة البروتستانت وكان ايضا كاتبا وشاعرا وله عدة كتب منها كتاب « الأثر الخالد » وهو يشتمل على قصائد من الشعر وقطع من النثر ومن أمثلة خطبه ما جاء فى تأبين فقيد الوطنية المرحوم قاسم بك امين فى حفلة أقامها نادى النيل بأسيوط .

---

(١) محمد سيد كيلانى : الادب القبطى قديما وحديثا ــ ص ٢٥ ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

« كان قاسم بك أمين فى خلوته عن القضاء رجلا أديبا وجليساً أنيسا رقيقا لطيفا . كان قاسم أمين فى بيته زوجا فاضلا كاملا صادقا يعرف مقام العائلة . مقام الزوجة أم البنين ويجلها ويحترمها ويحتفظ لها فى قلبه وطبعه الاخلاص والوفاء . كان قاسم امين بين بناته أبا بالمعنى الحقيقى مربيا صادقا لهن ليصرن جليلات صادقات وأمهات مربيات حكيمات .

كان قاسم امين فى افكاره رجلا عصريا راقيا بعيد النظر عميق التصور دقيق النقد كشافا صادقا للحقائق . كان فى قلبه وضميره طاهرا حسن النية محبا للخير والفضل والأدب .

وبالاختصار فى الوصف الحقيقى كان كله روضة زاخرة عاطرة مثمرة يبهج النظر والذوق والقلب » (١) .

ومن الخطباء الذين لمعوا فى القرن العشرين توفيق دوس ووهيب دوس ومرقس فهمى ومرقس حنا وميخائيل فانوس وكلهم من المحامين .

ومن امثلة النثر قول تادرس وهبه يتغنى بأمجاد الفراعنة :

« ان لمصر فى التاريخ شأنا دونه الفرقدان وفخرا يرويه عنها من ابناء الزمان كل قاص ودان لأنها البقعة المباركة التى ضربت فيها سرادقات العمار والكعبة التى بها للطائفين اعتمار، ولكم يؤمها حريص من العلماء على مشاهدة آثار القدماء » و يبدو تأثره بالثقافة الاسلامية فى ذكر الكعبة والاعتمار.

ومن خطباء القرن العشرين القمص مرقس سرجيوس احد خطباء ثورة سنة ١٩١٩ وحبيب جرجس مدرس اللاهوت فى المدرسة الاكليريكية والواعظ الأول فى الكنيسة القبطية فى الربع الأول من القرن العشرين .

وعندما دعا داعى الوطن للجهاد فى ثورة سنة ١٩١٩ ظهر خطباء الوطنية وكان مكرم عبيد أعظم خطيب فى الأقباط بل أعظم رجل فى اقباط القرن العشرين هذا الخطيب النادر اعتبره الخطيب الثانى فى مصر الحديثة بعد سعد زغلول .

الشعراء الأقباط :

تادرس وهبه : كان ناظر المدارس القبطية و يعتبر شاعر الاقباط فى القرن التاسع عشر ومن أمثلة شعره قوله فى رثاء بطرس باشا غالى فى ذكرى الاربعين (ابريل سنة ١٩١٠) .

---

(١) الدكتور المتوح فانوس : الاثر الخالد ص ١٤٠ القاهرة سنة ١٩١٤ .

ولتخر الاهرام بعد التعالى ... ولتكن بعده كثيبا مهيلا
وليدم مطرقا أبو الهول يبكى ... وسط منفيس راحلا مخذولا
ولتزر دائما مقاما حواه ... ولتقبل رفاته تقبيلا
وليضع كل عارف بعلاه ... من بنى مصر فوقه اكليلا (١)

نصر لوزا الاسيوطى : من ١٨٨٧ ـــ ١٩٦٦

شاعر مجيد وكانت له جولات صادقة فى ثورة سنة ١٩١٩ وقد امتد به العمر فى القرن العشرين حتى توفى فى عام (١٩٦٦) ويمكن ان استعرض نماذج من شعره متتبعا الترتيب الزمنى : ـــ

١) من قصيدة قالها فى الاحتفال السنوى لمقتل بطرس باشا غالى (٢) سنة ١٩١٢ :

ما للجموع حيال القبر تزدحم ؟ ... هل ساقها مأرب فى ذلك أم قسم ؟
أم ذاك حج ، نعم شدوا رحالكم ... هنا الشهيد وهذا قبره الحرم
هنا العظيم ، هنا الغالى الذى شهدت ... بجل افعاله الأفراد والأمم

٢) وفى سنة ١٩١٣ قام الأدباء الاقباط برحلة لزيارة آثار الفراعنة بالأقصر فقال نصر لوزا أمام تمثال رمسيس الاكبر بمعبد الكرنك (٣) : ـــ

هم حاربوا كل شىء غير انهم ... على محاربة المقدور ما قدروا
تضمنتهم بطون الأرض مظلمة ... وكم زهت بهم التيجان والسرر
ضاقت بهم كل ارض ينزلون بها ... لهفى عليهم وما ضاقت بهم حفر
قد صيروا أمم الدنيا مسيرة ... فالنهى إن هم نهوا والأمر إن امروا
ياويح سهم المنايا كيف جار على ... فراعن الدهر من شادوا ومن ظفروا

٣) وقال فى ثورة سنة ١٩١٩ يتحدث عن وحدة عنصرى الامة ومقاومة الاحتلال : (٤)

أخوة جمعتهم تحت رايتها ... مدى الحياة فلا تفصم بأزمان
قد لم شملكم الله العلى فهل ... يستطيع تفريقكم بهتان انسان
عيسى واحمد قرا فى خلودهما ... بمسلم لم يطق ضيا ونصرانى

(١) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الثانى ص ١٢٤ ـــ القاهرة سنة ١٩١١ .
(٢) محمد سيد كيلانى : الادب القبطى قديما وحديثا القاهرة سنة ١٩٦٢ ص ٢٢٤ .

(٣) ، (٤) المرجع السابق ص ٤٧ ، ١٦٧ ، ١٥٨

كل بمجده، كل بمبيعته | يدعو إلى الله في سر واعلان
هل يقبل الضيم منكم معشر نجب | آباؤهم مثل فرعون وقحطان
بالسيف قد فتحوا الدنيا غطارفة | دانت لهم كل أمصار وأوطان

جرجس البياضي: قال فى رثاء بطرس باشا غالى : (١)

نور عيسى فى وجهه يتجلى | كهلال يلوح فوق السماء
دق ذاك الناقوس حزنا عليه | دقة القلب من جوى البرحاء
وجرى الحزن فى الصليب فأمسى | مطرقا بالعلامة السوداء
نبأ روع الخلائق جمعا | ليته لم يكن من الأنباء

اسكندر قزمان: قال فى رثاء عطيه وهبه وكيل جمعية التوفيق القبطية سنة ١٩١٤ (٢)

تبكى الشبيبة قد أصيب أمامها | وتنكست لمصابه أعلامها
سل فتية التوفيق كيف وفقت | فى عهده وتحققت أحلامها
أكذا يغيب البدر ليل تمامه | و يصاد من أحبائنا ضرغامها

الصحافة القبطية

برز الأقباط فى ميدان الصحافة منذ نشأتها الأولى فى مصر فقد أصدر ميخائيل عبد السيد جريدة الوطن سنة ١٨٧٧ وكانت جريدة الوطن بحق، يقول عنها المؤرخ عبد الرحمن الرافعى « وكانت سياستها وطنية ولهجتها حرة » (٣) وكان جرجس ميلاد مدير جريدة الوطن أديباً بارعا فى اللغة الانجليزية وكان لجريدة الوطن مواقف وطنية رائعة من أمثلة ذلك ما حدث حين طلبت الحكومة التركية من الحكومة المصرية مناصرتها بارسال الجيوش المصرية لتناصر الدولة العثمانية فى الحرب البلقانية فرفضت الحكومة المصرية هذا الطلب بحجة قصور الميزانية وقفت الوطن تؤيدها دفاعا عن الاستقلال المصرى الذى حصل عليه اسماعيل بفرماناته المتعددة ومن المواقف التى تذكر لجريدة الوطن موقفها حين اقترحت الصحف البريطانية على حكومتها

---

(١) المرجع السابق ص ٤٧، ١٦٧، ١٥٨

(٢) جمع الأستاذ راغب اسكندر المحامى : مقالات وخطب عطية وهبى فى كتاب « الاثر الذهبى لعطيه وهبى »

(٣) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ج ١ ص ٢٤٨ القاهرة سنة ١٩٤٨.

احتلال مصر لتمنع انتشار النفوذ الروسى إليها تصدت لها جريدة الوطن تهاجم هذا الموقف الاستعمارى وتنبه الاذهان الى ما يحاك من الدسائس من أجل الانتقاص من الاستقلال المصرى (١) «يقول الدكتور زاهر رياض» واذا كتب لمصر يوما أن تؤرخ تاريخها الدستورى وتسجل للأبطال الذين ساهموا فى الثورة على استبداد اسماعيل والمطالبة بالحكومة الديمقراطية الدستورية فان اسماء ميخائيل عبد السيد وجرجس ميلاد (٢) يجب أن تكون فى مقدمه هذه الأسماء فقد كانت جريدتهم هى التى عالجت شئون مصر من وجهة نظر مصرية بحتة متخطية جميع الصعاب الرسمية من إنذار وتعطيل فتحدثت عن مساوئ الحاشية والوزارة النوبارية معا وخروج الاجانب ووزيريهم وشجعت مجلس النواب وأتاحت فرصة الظهور وأمدت رجاله بالرأى السديد وناقشت اموره الفقهية كواجب انتخاب رئيسه لا تعيينه وحق المجلس فى فرض الضرائب ومسئولية الوزارة امامه كما بحثت فى وجوب فرض الضرائب على الاجانب وخاصة الوزيرين اللذين يتقاضيان الاف الجنيهات من شعب مفلس (٣) .

وقد استمرت جريدة الوطن فى الصدور الى ما بعد مجىء الاحتلال الانجليزى بمصر ثم توقفت حينا الى أن عادت الى الصدور سنة ١٩٠٠ حين آلت ملكيتها إلى جندى ابراهيم .

وفى سنة ١٨٩٥ أنشأ تادرس شنوده المنقبادى جريدة مصر التى أسهمت فى الحركة الوطنية سنة ١٩١٩ بنصيب وافر فكانت للأقباط منذ أواخر القرن التاسع عشر صحيفتان يوميتان تقابلان جريدة الاهرام التى أنشأها بالاسكندرية سنة ١٨٧٥ سليم و بشارة تقلا اللبنانيان وجريدة المقطم التى انشأها سنة ١٨٨٩ فارس نمر و يعقوب صروف اللبنانيان ايضا .

اما المجلات فكانت فى اواخرا القرن التاسع عشر عدة مجلات : الحق ، التوفيق ، طبيب العائلة ، المفتاح والجدول التالى يبين المجلات التى كانت تصدر سنة ١٩١٠ وكانت قد احتجبت عن الصدور ثلاث مجلات هامة هى المجلة القبطية لجرجس فيلوثاوس عوض وعين شمس لاقلاديوس بك لبيب والعائلة القبطية لجمعية الاتحاد الاسكندرى وهذا بيان بالمجلات القبطية التى كانت تصدر سنة ١٩١٠ (٤) ولم يذكر البيان مجلتين دينيتين للبروتستانت الاولى : المرشد أسست سنة ١٨٩٤ ومنذ سنة ١٩١١ غير اسمها الى الهدى وهى لسان الكنيسة الانجيلية والمجلة الثانية هى نجم المشرق وقد صدرت سنة ١٩٠٠

---

(١) الوطن فى ٩ مارس سنة ١٩٧٨ .

(٢) جد الدكتور مراد كامل استاذ اللغات السامية بجامعة القاهرة سابقا .

(٣) الدكتور زاهر رياض : بحث لم يطبع «نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث»

(٤) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين الجزء الأول ص ١٤٤ القاهرة سنة ١٩١٠ .

اسماؤها	مباحثها	اصحابها	عدد مشتركيها	قيمة اشتراكها	عمرها (سنة)
				ـــ	
المحيط	علمية ادبية تاريخية	عوض واصف	١٢٠	٥٠	٩
المفتاح	علمية أدبية تاريخية	توفيق عزوز	٩٣٠	٤٠	١١
فرعون	اجتماعية ملية ادبية	توفيق حبيب	٦٠٠	٢٠	٢
طبيب العائلة	صحية أدبية	د. حبيب خياط	٨٠٠	٣٠	١٥
الشمس	علمية زراعية	مسيحة خليل الجرجاوى	٥٠٠	٥٠	٢
الجنس اللطيف	نسائية أدبية	السيده ملكه سعد	١٠٠٠	٤٠	٣
الحق	دينية علمية ادبية	يوسف بك منقريوس	٨٠٠	٢٥	١٦
الرابطة المسيحية	دينية علمية ادبية	فرح جرجس	١٠٠٠	٤٠	٤
التوفيق	دينية علمية ادبية	جمعية التوفيق بالقاهرة	١٥٠٠	٢٠	١٥
الكرمة	دينيه علمية أدبية	حبيب جرجس	١٩٠٠	٢٥	٦
ميزان الاعتدال	قضائية تشريعية	عازر حلمى المحامى	٥٠٠	٤٠	٨

أول قاموس عربى فرنسى

كان من نوابغ الأقباط فى أوائل القرن التاسع عشر الياس بقطر واضع أول قاموس عربى فرنسى، ولد فى اسيوط سنة ١٧٨٤ وربى تربية حسنة وظهر نبوغه فى اللغه الفرنسية وحين جاءت الحملة الفرنسية على مصر عمل مترجما للجيش الفرنسى وساعد علماء الحملة فى وضع كتاب «وصف مصر» وقد رحل إلى فرنسا مع الفرنسيين عند خروجهم من مصر وعين مدرسا بمدرسة اللغات الشرقية بباريس وتوفى سنة ١٨٢١ وطبع قاموسه فى باريس سنة ١٨٢٨ (١).

اللغه القبطية

ظلت القبطية لغه تخاطب الأقباط فى الصعيد حتى القرن السابع عشر ومنذ القرن الثامن عشر انتهى التخاطب باللغه القبطية ولكنها ظلت لغة الكنيسة حتى القرن العشرين وقد سار رجال

(١) كامل صالح نخله وفريد كامل (عضوا لجنة التاريخ القبطى) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٤٦ وص ١٤٧ ـ القاهرة سنة ١٩٤٦.

الاكليروس فى الحفاظ على هذا التراث الذى يربطهم بأجدادهم لدرجة انهم كانوا يعتقدون أن الصلاة داخل الهيكل بغير القبطية أمر لا تقره القوانين الكنسية (١). وفى الوقت الحاضر تقام الصلاة فى الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية باللغتين القبطيه والعربية، اما الصلاة فى الكنائس البروتستانتيه منذ نشأتها فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فهى باللغه العربيه.

وعند مجيء الحمله الفرنسيه على مصر كان بعض الاقباط يجيدون اللغه القبطية فقد جيء لبونابرت بقس قبطى من الصعيد يجيدها و بعجوز قبطيه تنازعه ذلك الامتياز (٢).

علماء اللغه القبطيه

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ظهر بعض العلماء فى اللغه القبطيه والفوا فيها اجروميات وقواميس وأشهرهم :ـ

من الاقباط الارثوذكس :ـ

١) عريان مفتاح، ألف اجرومية وكتب مفردات ومحاورات وكان اول مدرس للغة القبطية بمدرسة الاقباط الكبرى بالأزبكية (٣) وتوفى سنة ١٨٨٨ م.

٢) القمص فيلوثاوس ابراهيم العالم اللاهوتى والخطيب المشهور وقد تتلمذ على عريان مفتاح (٤) وقد الف اجرومية وكتب محاورات وجمل وتوفى سنة ١٩٠٤.

٣) برسوم ابراهيم الراهب الف اجرومية وكتب مفردات وكتاب اعراب وكتاب التمرينات التهذيبية وكان مدرسا للغة القبطية فى المدرسة الاكليريكية والاقباط بالأزبكية.

٤) اقلاديوس بك لبيب اكبر عالم فى اللغة القبطية فهو يعتبر بحق عميد الأدب القبطى وصاحب القاموس القبطى وقد ألف أجرومية و بين فى مقدمتها مصادر كتابه لعلماء أجانب وأقباط (٥)

ومن الأقباط الكاثوليك :

١) الأنبا اغابيوس بشاى أسقف الاقباط الكاثوليك وقد الف أجرومية وقاموسا

---

(١) يسى عبد المسيح ـ بحث فى كتاب صفحة من تاريخ القبط (مطبوعات جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية سنة ١٩٥٤ ـ ص ٥١

(٢) كامل صالح نخله وفريد كامل ـ خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٢١٦.

(٣) جرجس فيلوثاوس عوض : المجله القبطية السنة الاولى عدد يوليو سنة ١٩٠٧ ص ١٩٤

(٤) نفس المصدر

(٥) نفس المصدر ص ١٩٦

٢) مرقس كابس بك عضو معهد مصر العلمى الف بحثا فى اللغة القبطية فى الحروف اليونانية التى ادخلت فى الكتابة المصرية وله محاضرة فى وصف بعض اوراق بردية قبطية بدار الاثار المصرية (١).

الفنون القبطية فى القرن التاسع عشر

كان الاهتمام بالفن القبطى فى القرن التاسع عشر ضئيلا و يكاد يكون مقصورا على بعض الرهبان الذين ورثوا طريقة النقش و بعض الزخارف وقد ظل الفن القبطى (من رسم ونقش وتصوير وحفر وهندسة بناء) فى القرن التاسع عشر إلا ان ما اضعف الاهتمام به استدعاء بعض الفنانين الأجانب لرسم الكنائس المنشاة وقل ان يجد زائر المتحف القبطى المتنقل فى حجرات التراث الفنى آثارا فنيه من تراث القرن التاسع عشر ففى مجال الرسم والتصوير عهد الاقباط منذ القرن الثامن عشر بهذه الفنون الى مصورين من الارمن أو الروم أو الايطاليين .

فيجد الزائر لكنيسة العذراء الشهيرة بقصرية الريحان بمصر القديمة عددا من الصور (الايقونات) القديمة معظمها من عمل المصور يوحنا الأرمنى من مشاهير مصورى الايقونات فى القرن الثامن عشر (١) واذا انتقل الزائر الى كنيسة مار جرجس بقصر الشمع بمصر القديمة يرى عددا من الايقونات من تصوير انسطاسى الرومى فى القرن التاسع عشر (بتاريخ ١٨٦٤) منها صورة لأحد القديسين وأخرى للقديسة دميانه وحولها العذارى الشهيدات وصورة ثالثة للشهيد مار جرجس فوق جواده وهو يطعن التنين (٣) وحين قامت اسرة المرحوم بطرس باشا غالى ببناء الكنيسة البطرسية فوق ضريحه عام ١٩١١ على نفقتها الخاصة تخليدا لذكراه قام بعمل الايقونات مصور ايطالى من روما فرغ من انجازها بعد خمس سنوات ، كما ان صور الفسيفساء بها من صنع مصورا ايطالى آخر من فينسيا (٤).

وتنتقد المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر التى زارت مصر فى اواخر القرن التاسع عشر ما وصلت اليه حالة الفنون القبطية من تدهور فتقول : ــ « ان صناعة الأوعية ــ النقش على الخشب والنقش على النحاس والترصيع ــ كانت لم تزل تستخدم ــ بنسبة قليلة فى المنازل الخصوصية ولكن صناعة النقش والرسم (التصوير) ماتت (٥) إلا ان قول هذه المؤرخة الانجليزية لا يخلو

---

(١) لجنة التاريخ القبطى : خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ٢١٩ (القاهرة سنة ١٩٣٢).
(٢) رؤوف حبيب : الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ص ٤٥ القاهرة سنة ١٩٦٦
(٣) نفس المرجع ص ٤١ وص ٤٢
(٤) نفس المرجع ص ١١٠
(٥) مسز بوتشر: تاريخ الامة القبطية الجزء الرابع (الترجمة العربية) ص ٣٧٢ القاهرة سنة ١٩٠٠

من مبالغة فقد ظلت كنائس الوجه القبلى تأخذ الاشكال المعمارية القبطية التقليدية وتستعين ببعض الرسامين الاقباط فى عمل الايقونات والرسوم الحائطية .

وبرزت خلال القرنين ١٩ و٢٠ صناعة التطعيم والتعاشيق الخشبية التى اخذت شهرة عالمية فى فنون صناعة الاخشاب ففى الوقت الذى استعانت فيه اسرة المرحوم بطرس باشا غالى برسامين ايطاليين قاموا بنقش حيطان الكنيسة البطرسية بالعباسية بالقاهرة وعمل الايقونات استعانت بفنانين أقباط لصناعة حجاب الهيكل .

ومن امثله الفنون القبطية فى القرن التاسع عشر المحفوظة فى المتحف القبطى ما يراه زائر هذا المتحف فى القاعتين السادسة عشر والسابعة عشرة من ملابس كهنوتية وستائر توضع على أبواب الهياكل مزينة بصور ورسوم (١) .

وإذا وازنا بين ما كانت عليه الفنون القبطية فى العصر القبطى (فى القرن الخامس الميلادى مثلا) و بين ما وصلت اليه من تدهور فى القرن التاسع عشر نجد ان الفن القبطى يمثل الانحدار من قمة الجبل الى سفحه ، يؤيد هذا القول التراث الفنى فى كلا العهدين فيردد عالم الأثار الاستاذ رؤوف حبيب المدير السابق للمتحف القبطى قول : « مونريه دى فيلار » فى وصف الباب الخشبى الثمين من بقايا آثار كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة والذى يرجع الى القرن الخامس الميلادى

« ان الطريقة التى تمت بها نقوش الباب المذكور كانت من أعلى مرتبة بل ومن فن رفيع عولج بمهارة فائقة وقوة نادرة فى اليد التى أبرزت موضوعاته وأسبغت عليها سحرا ينتزع إعجاب الناظرين سواء فى حركة الطيران لأشكال الملائكة كأنها حية نشيطة وكذلك فى ابراز كمال الاجسام وتمام نسبها ودقتها وكذلك فى كيفية صنع ملابس الأشخاص وتعرجها كأن الرياح تداعبها كل هذا يجعلها قطعة فريدة ذات تكوين رائع وذوق سليم بديع لا يضارع » (٢) وقد كانت صناعات الحفر على الخشب والنجاره والتحف والتطعيم بالعاج والعظم والتحف الزجاجية وغيرها مزدهرة فى العصر القبطى . (٣) ومما يبشر بالخير فى القرن العشرين أن الفن بدأ يأخذ طريقة فى التقدم وفقا للمخطط العلمى والحضارى الذى تؤكده الدراسات الخاصة بالفنون والآثار القبطية بمعهد الدراسات القبطية بالقاهرة و يرأس هذا المعهد الدكتور سامى جبره رئيس معهد الاثار بجامعة القاهرة سابقا وقد برع من رجال الفن عدد من الفنانين أمثال رمسيس

---

(١) وديع حنا ، مرشد المتحف القبطى وكنائس مصر القديمة والمتحف الرومانى ص ١٤٤ وص ١٤٥ وص ١٤٩ ـــ القاهرة سنة ١٩٣١ م .

(٢) رؤوف حبيب : الكنائس القبطية القديمة بالقاهرة ص ٣١ وص ٣٢ .

(٣) سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية (رساله ماجستير) ص ٢٤٣ ـــ القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

و يصا واصف (نجل المجاهد الوطني و يصا وأصف) برع في العمارة ، وايزاك فانوس في الأفرسك والموزيك ويمكن مشاهدة آثاره الفنية الرائعة على جدران مزار القديس مرقس في الكاتدرائية الجديدة بالعباسية وراغب عياد وله رسوم في بعض الكنائس .

المتحف القبطي

في سنة ١٨٨٢ جاء العالم الانجليزي ألفرد بتلر إلى مصر وكتب مؤلفين عن الآثار القبطية (الكنائس والأديرة القديمة) وقد أوضح فيها أهمية هذه الآثار ووجوب الاهتمام بجمعها وصيانتها فبدأ مشروع المتحف القبطي تدب فيه الحياة بفضل توجيهات بتلر سنة ١٩٠٠ فأدخلت الكنائس القبطية الأثرية تحت اشراف لجنة حفظ الآثار العربية التابعة لوزارة الأوقاف بناء على طلب بطرس باشا غالي (١) ومنذ سنة ١٩٠٠ أخذ مرقس سميكه باشا يجمع الأثار القبطية في حجرة خاصة بجوار الكنيسة المعلقة وفي سنة ١٩١٠ أنشاء هذا المتحف مرقس سميكة باشا وقد عاونه البابا كيرلس الخامس والانبا يؤنس وكيل الكرازة المرقسية ، وقد أنشيء ليملأ الحلقة الناقصة في سلسلة تاريخ الفن المصري ، فالمتحف المصري بميدان التحرير يحوى آثار العصر الفرعوني ، كما أن متحف بلدية الاسكندرية يشمل آثار العصر اليوناني الروماني ، وتحوى دار الآثار العربية بباب الخلق روائع العصر الاسلامي الزاهر فأنشيء المتحف القبطي لسد هذا الفراغ تيسيراً لدراسة الآثار المصرية في عصورها المختلفة وتتبع تطورها على مدى الزمن تأسس المتحف القبطي بفضل جهود مرقس سمكيه باشا ونخله بك الباراني ليضم الآثار القبطية التي تبرز ملامح العصر القبطي في ناحية ومدى ارتباطه بالعصر الفرعوني والعصر الاسلامي من ناحية أخرى (٢) وقد ضمته الدولة إلى مؤسساتها القومية في سنة ١٩٣١ فهو يمثل جزءا هاما من تاريخ الحضارة المصرية وبخاصة في العصر المسيحي الذي يبدأ في القرن الرابع الميلادي حين أصبحت المسيحية دين الدولة المصرية الرسمي و ينتهي بالفتح العربي لمصر سنة ٦٤١ وبه الآن علاوة على قسم المعروضات مكتبة ثمينة حوت اكثر من ٤٥٠٠ مجلد بين مطبوع ومخطوط كليا في التاريخ القبطي (٣) .

---

(١) وديع حنا : مرشد المتحف القبطي وكنائس مصر القديمة والحصن الروماني ص ٨ — القاهرة سنة ١٩٣١ .

(٢) سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية ص ١٣ — القاهرة سنة ١٩٦٣ .

(٣) الدليل العام للأقباط ص ٨٩

ـــ ((الفصل الرابع)) ـــ

ـــ ((نشاط الاقباط الاجتماعى)) ـــ

جاء فى الباب السابع من الميثاق « ان القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان قادرة على هداية الانسان وعلى اضاءة حياته بنور الايمان ، وعلى منحه طاقات لا حدود لها من أجل الخير والحق والمحبة » .

لقد نادت المسيحية بالبر والعطف على الفقراء وافتقاد اليتامى والأرامل فى ضيقاتهم . يقول الدكتور حسن سعفان « إن السيد المسيح جعل قانونه الأعظم العطف على الفقراء والبر بهم ولا سيما الأقارب ولقد نادت المسيحية الى جانب ذلك باحترام الفقراء والطبقات المعوزه والمستضعفة و بتقدير الشخصية الانسانية وحسن معاملتها و باعتبار كل الناس اخوة فى الانسانية ، وهذه المبادىء قد اتخذت كأسس للخدمات الاجتماعية فى العصور المسيحية » (١) فالتعاليم المسيحية هى مصدر الخدمات الاجتماعية والنشاط الاجتماعى فكانت الكنائس فى القرن التاسع عشر ومازالت تنظم مساعدات الفقراء والعطف عليهم ، توزع المساعدات وتتعهد الأسر الفقيرة وظهر رجال البر فى كل عصر ليكونوا بلسما لجراح الانسانية ونورا يبدد ظلام الفقر والعوز ، اما المجالس الملية والجمعيات الخيرية القبطية فلم تظهر الا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، ولقد كثرت الجمعيات الخيرية فى القرن العشرين وتعددت نواحى نشاطها ولكن طابعها الخير والخدمة الانسانية ، ولقد زاد اهتمام البلاد بالخدمات الاجتماعية فى القرن العشرين فأنشئت وزارة الشئون الاجتماعية سنة ١٩٣٩ ,ومن اعمالها الاشراف على الجمعيات الخيرية ، كما زاد اهتمام الاقباط بالناحية الاجتماعية فرسم اسقف للخدمات العامة والاجتماعية هو الانبا صموئيل من خريجى كلية الحقوق بجامعة القاهرة و بكالوريوس التربية وعلم النفس من الجامعة الامريكية بالقاهرة (٢) لتنظيم المساعدات الاجتماعية بل يمتد نشاط هذا الاسقف الى تفقد

---

(١) الدكتور حسن شحاته سعفان : الخدمة الاجتماعية ص ١٤٣ ــ طبع القاهرة سنة ١٩٥٤ .

(٢) يحمل الانبا صموئيل ايضا بكالوريوس الكلية الاكليريكية وماجستير من امريكا . وقد حضر فى صيف سنة ١٩٦٧ جميع المؤتمرات الدينية فى امريكا واوربا وافريقية التى بحثت آثار العدوان الاسرائيلى وقابل بابا روما بابا روما موفدا من قبل البابا كيرلس وقد ادانت جميع المؤتمرات المسيحية اسرائيل فى عملها الغادر وطالبت بانسحابها من البلاد العربية .

احوال الاقباط المقيمين فى اوربا والامر يكتين وقد سافر الى هذه البلاد لهذه المهمة اكثر من مرة ورددت الصحف منذ وقوع العدوان الاسرائيلى على بلادنا ما يقوم به هذا الاسقف من جهود لازالة آثار العدوان وكان من ثمار جهود الكنيسة القبطية وكان هو لسانها فى مؤتمر الكنائس العالمى بجنيف تبرع هذا المجلس بمليونى جنيه لازالة آثار العدوان .

وسأتناول بالبحث فى هذا الفصل اربع نقاط : الاولى دور الكنيسة فى النشاط الاجتماعى والثانية دور رجال البر فى هذا النشاط والثالثة دور المجالس الملية والرابعة دور الجمعيات الخيرية .

أولا : دور الكنيسة فى النشاط الاجتماعى

جاء فى الباب الثالث عشر من الدسقولية (او تعاليم الرسل) تحت عنوان « يجب على الاساقفة الاهتمام باليتامى » : « ايها الاساقفة اهتموا بطعام اليتامى ، ولا تدعوهم عاجز ين شيئا ، ولا تدعوهم من بالكم ، ادفعوا لهم ما لآبائهم والارامل لازواجهن والشبان اهتموا بتزوجيهم والصناع اعطوهم عملا ، والضعفاء اصنعوا معهم رحمة ، والغرباء اعطوهم الضيافة والجياع اطعموهم والعطاش اروهم ، والعراه اكسوهم والمرضى عودوهم والمعتلون اعينوهم وهؤلاء كلهم اهتموا وليكن اهتمامكم باليتامى بالاكثر حتى لا يعوزهم شىء . والفتاة العذراء راعوها الى ان تبلغ حد التزوج وحينئذ اعطوها لاخ مؤمن » (١)

ولقد رسمت تعاليم الرسل الطريق امام رجال الدين لعمل البر وخدمة المجتمع . ولقد كانت الكنائس تدير اعمال البر والصدقات طوال القرن التاسع عشر ، ولقد درجت الكنائس على تخصيص طبق لمساعدة الفقراء او تضع صندوق النذور فى مكان بارز فى الكنيسة او عند بابها ، فيقوم المطران او الاسقف فى كل ايبارشية فى مصر ويحصر الاسر الفقيرة وتقديم مساعدات شهرية او عند حلول الأزمات كما تقوم بتوزيع الكسلوى واللحوم فى الاعياد والمواسم وكانت المدارس القبطية التى تقوم بانشائها المطرانية او الاسقفية تقبل نسبة كبيرة من الطلبة بالمجان او بمصروفات مخفضة وهكذا رفعت الكنيسة من مستوى الشعب العلمى والاجتماعى ، ان عددا كبيرا من الموظفين فى المصالح الحكومية وغير الحكومية تعلموا فى هذه المدارس التى اضاءت لهم السبيل و بددت لهم الفقر فى مستقبل حياتهم .

ان البطر يرك كيرلس الرابع الملقب بأبى الاصلاح رسم الخطة المثلى فى هذا السبيل فأنشأ مدرسة الاقباط الكبرى فى القاهرة وهى اولى المدارس القبطية بالمجان لجميع الطلبة من مسلمين واقباط وكانت الكتب توزع عليهم مجانا .

---

(٢) الدسقولية (او تعاليم الرسل) ص ١١٥ — القاهرة سنة ١٩٤٠ .

ولما رأى البابا كيرلس الخامس تهاون المشتركين فى الجمعية الخيرية سنة ١٨٩٦ فى فعل الخيرات ودفع مرتبات الفقراء وجه منشورا اليهم يستدر عطفهم على الفقراء هذه صورته :ـــ

« حضرة الابن المبارك

بعد السلام الروحى واستمداد البركات السمائية لكم ولعائلتكم ليس يخاف على فطنتكم ان اسداء الاحسان فرض على كل انسان وان حالة اخوتنا الفقراء والمحتاجين وخصوصا ذوى البيوت الشهيرة الذين اختنى عليهم الدهر (وقاكم الله) تستدعى توجيه العناية وبذل ما فى الوسع لسد الاحتياجات الضرورية ولا ريب ان الرحمة عنوان الفضيلة بل هى ثمرة التقوى وهى التى تفتخر يوم الدينونة العظيم .

وحيث ان جمعية المساعى الخيرية موجودة بالبطريكخانة لأجل اتحاد العمل بعنايته تعالى تحت رعايتنا وهذا يحتاج التعاون والتعاضد فاكلف حضراتكم بالمحبة الروحية أن تتكرموا بتسطير ما تسمح به مروءتكم فى الوريقة المرسلة طيه وترسلوها إلى الجمعية لأجل تسجيل الاشتراك بدفترها ومباشره تحصيله شهريا وصرفه فى شئون الأرامل واليتامى والفقراء والمحتاجين أسوة بإخوانكم المعتادين على دفع الاشتراك للآن وأساله تعالى أن يحفظكم بتمتعوتميكم ببركته و يؤهلكم دائما لفعل الخير و يساعدكم و يراعيكم و يبارك عليكم ويجعلكم من المختارين الوارثين للسعادة الأبدية ولله الشكر دائما (١) .

تحريرا فى ١٠ بابه سنة ١٦١٣ .

وإنى أذكر أعظم مثلين لرجال الدين فى القرن التاسع عشر فى عمل البر وتخفيف و يلات الانسانية .

يذكر التاريخ أن الانبا صرابمون اسقف المنوفية المعاصر لمحمد على كان يخرج تحت ستار الليل حاملا القمح والدقيق والطعام إلى منازل من أختنى عليهم الدهر وقد اشتهرت مبراته فى القاهرة وإيبارشية المنوفية (٢)

اما المثل الثانى لأعمال البر فيتجلى فى اروع صورة فيما كان يقوم به الأنبا ابرام أسقف الفيوم يقول عنه ليدر « قديس السماء للمسلم والمسيحى على السواء (٣) كانت تقصده مئات

---

(١) يوسف منقر يوس : تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ الى سنة ١٩١٢ ص ١٠٤

(٢) لجنة التاريخ القبطى : خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٨٦ .

(٣) Leeder: Moderan Sons of the Pharoahs. P. 265

الفقراء على اختلاف دياناتهم فيمنحهم كل ما عنده وكانت دار الأسقفية مأوى الغرباء وكان يقدم ثيابه للعراة وطعامه للجياع ولا يسمح أن يأكل طعاما أفخر مما يقدم للفقراء .

وكان الدير المحرق ولا يزال يقوم بعمل انسانى جليل فيجود على الفقراء من اهل منطقته بمبالغ نقدية وعطايا عينية من خبز ودقيق ولحم وغلال وللدير تبرعات اخرى سنوية وموسمية (١) لمؤسسات خيرية ومدارس من امثلتها جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة التى انشئت سنة ١٨٩١ ومدرسة الاقباط بمنفلوط التى انشئت سنة ١٩٠٨ وقد بلغت اوقاف الدير المحرق فى نهاية القرن التاسع عشر نحو خمسمائة فدان و بلغت حتى ثورة ١٩١٩ نحو الفى فدان » (٢) .

كذلك عملت الكنائس الكاثوليكية على مساعدة الفقراء وتفقد المرضى ومساعدة الأسر .

وحينما انشئت الكنائس البروتستانتية فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قامت بدور هام فى رعاية المجتمع فنظمت دفع العشور للفقراء اى يقدم الشخص عشر ايراده لأعمال البر وقد سار عدد كبير على هذا النهج ، من امثلة ذلك حنا و يصا كبير البروتستانت فى اسيوط وكذلك حركت الاثرياء من البروتستانت الى فتح المدارس وكانت نسبة كبيرة من الطلبة تتعلم بالمجان فأنشأ واصف خياط مدرسة لتعليم البنات فى اسيوط (مدرسة الخياط الواصفية) ولا تزال قائمة الى الآن وقد أوقف عليها مائة فدان ، كذلك انشأ و يصا وحنا بقطر و يصا باسيوط مدرسة اخوان و يصا سنة ١٨٧٥ واوقف عليها مائة فدان وكذلك انشأ داود بك تكلا مدرسة ببهجورة وانشأ ميخائيل فلتس مدرسة بصنبو (مركز ديروط) وعبد المتجلى اسعد (٣) مدرسة بدير مواس .

وجاء فى الخطاب الذى القاه الدكتور تشارلس رسل الامريكى مدير كلية اسيوط فى حفل اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية سنة ١٩٣٧ :

« لا يجوز أن ينسى مؤرخ مصر الحديثة ان الكنيسة الانجيلية مع تابعتها مدرسة القرية قد حملتا النور والعلم الى بسطاء الناس فى الريف قبل ان يوضع مشروع التعليم العام للأمة بأكثر من خمسين سنة . لسنا نفخر فأن الكنيسة قد اخذت هذه الخدمة على عاتقها شعورا منها بالواجب وضرورة التضحية انها اعتبرت العلم ميراثا مشروعا لكل ابناء الله وليس امتيازا خاصا بالمصريين وذوى الحظوظ من سكان المدن » (٤) .

---

(١) الانبا غريغوريوس : الدير المحرق : (تاريخه ووصفه وكل مشتملاته) ص ٣٧١

(٢) تبلغ اوقاف الدير المحرق الآن من واقع السجلات ٢٦١٨ فدانا ـــ المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٣) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية (خطاب القس معوض حنا) ص ١٦

(٤) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية : خطاب الدكتور تشارلس رسل ص ٢٤

وانى اسجل فى هذا المقام بعض عبارات عن تأثير الكنيسة الاجتماعى من الخطبة التى القاها رجل البروتستانتية الاول فى مصر الدكتور القس ابراهيم سعيد وأفصح رجال الدين البروتستانت لسانا وأرفعهم مكانة ، قال هذه الخطبة فى اليوبيل الماسى سنة ١٩٣٧ (بمناسبة مرور ٧٥ سنة على الكنيسة الانجيلية فى مصر) .

« ان تأثير الكنيسة الاجتماعى هو خير مترجم عن حقيقة تأثيرها الدينى لها ان تتكلم فى خدمتها الدينية باللغة اللاتينية او اليونانية او العربية لكنها فى خدمتها الاجتماعية ، لا تستطيع ان تتكلم الا لغة واحدة — هى لغة الصمت — هى لغة الخدمة — هى لغة الملائكة — هى لغة الله — هى لغة المحبة ، لأن الله محبة .....

ما من شك فى ان خدمة الكنيسة الاجتماعية تتميز عن خدمتها الدينية فى انها تتطلب شجاعة اكبر وتضحية أوفر ، فالكنيسة فى تأثيرها الدينى قد تتوارى خلف المنبر فتملى ارادتها على الجماعة ، سواء أرغبت الجماعة فى رسالتها أم رغبت عنها ، لكنها فى خدمتها الاجتماعيه تخلع رداء البنوه وتنزع لباس الكهنوت وتتزر بمنشفة العبد الخادم فتشتغل بيدين راضيتين » (١)

ثانيا : دور رجال البر فى النشاط الاجتماعى

كان ابراهيم الجوهرى كبير الأقباط فى اواخر القرن الثامن عشر يقوم بعمل وزارة أوقاف ووزارة شئون اجتماعيه للاقباط بل شمل بره غير الأقباط فعمل الخير للانسانية جمعاء لا يقتصر على أبناء دين دون آخر . وإنى اردد ذكر هذا الرجل رغم انه عاش ومات فى القرن الثامن عشر لعاملين الأول أن خيره عم مصر طوال القرن التاسع عشر بل لا يزال الاقباط ينعمون بأوقافه إلى الآن ، والعامل الثانى أن اسمه يقترن بأسم أخيه جرجس الجوهرى الذى خلفه فى رئاسة الدواوين الحكوميه فى عهد ابراهيم بك ومراد بك ثم فى عهد الحملة الفرنسية وفى أوائل عصر محمد على ، لقد نسج أخوه جرجس على منواله فى اعمال البر . ان اسم ابراهيم الجوهرى يتلى فى الكنائس الآن ، لقد ورد اسمه فى كتاب السنكسار(٢) فوصفه بقوله « الرجل البار» هذا الرجل لا يقوم بألوف فلا اعرف فى تاريخ الاقباط من هو أكثر إسراعا منه لعمل الخير وتخفيف ويلات الانسانيه ، كتب عنه صاحب نوابغ الاقباط فى القرن التاسع عشر فى الجزء الاول أكثر من مائة وستين صفحه يعدد مآثره ومبراته فعندما كان كاتبا بسيطا كان يخصص ثلث مرتبه

---

(١) اليوبيل الماس للكنيسة الانجيلية : خطاب القس ابراهيم سعيد ص ٢٨

(٢) السنكسار: كتاب هام فى الكنيسه القبطية يشتمل على سير القديسين والشهداء وتتلى منه كل يوم احد سيرة الشهيد او القديس الذى توافق ذكراه يوم الاحد وفى بعض الطبعات يطلق على السنكسار (الصادق الامين فى اخبار القديسين)

لنفقاته ويخصص ثلثى مرتبه للفقراء ونسخ الكتب الدينيه (١) ووقفها على الكنائس يقول الجبرتى : « وعمرت فى أيامه الكنائس وديور النصارى وأوقف عليها الاوقاف الجليلة والاطيان ورتب لها المرتبات العظيمة والأرزاق الداره والغلال (٢)

كان ابراهيم الجوهرى رجلا عظيم النفس كريما الى ابعد حدود الكرم ، سخيا إلى أقصى حدود السخاء نذر نفسه للخير يرى أن ما يقدمه للفقراء ان هو الا وديعة من عند الله حتى يسلمها إلى اصحابها الفقراء ، كان هذا الرجل كما قلت يقوم بدور وزارة اوقاف او وزارة شئون اجتماعيه ، ففى سجلات بطر يركية الاقباط الارثوذكس ٢٣٨ وقفيه وقفها ابراهيم الجوهرى وشقيقه جرجس الجوهرى للكنائس والاديره والفقراء ولقد سجل صاحب كتاب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر فى الجزء الاول من كتابه حجج الوقف فى اكثر من خمس وعشر ين صفحه من الكتاب فقد شاد بعض الكنائس واصلح بعضها وأصلح الأديره واعان الفقراء واشترى أملاكا لتوقف على الكنائس .

و يقول صاحب نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر « فما اعظم سروره حينما كان يجالس الفقراء وهم كثير ون و يوأكلهم او يقوم بخدمتهم بنفسه لا لعدم وجود من يؤدى بدله عمله بل هذه كل بغيته ومحبته لاسم الفقير وشخص الفقير وكلام الفقير يترك الامراء والكبراء فى بيته لهم فى خدامه من يؤدون طلباتهم وهو يخصص ذاته لحاجة الفقراء (٣) .

ان المنازل العديده التى تمتلكها بطر يركية الأقباط الارثوذكس فى القاهرة هى من وقف ابراهيم الجوهرى وأخيه جرجس الجوهرى . ان صاحب الفضل الأول فى إنشاء الكنيسة المرقسية الكبرى هو ابراهيم الجوهرى فقد كان رئيس الدواو ين فى كل القطر وانتهز فرصة قدوم إحدى اميرات البيت السلطانى فى مصر فى طر يقها لأداء فر يضة الحج وادى لها خدمات جليله بنفسه ولما سألته عن رغباته التمس منها السعى لاصدار فرمان سلطانى بالترخيص فى انشاء كنيسه الاز بكيه ، يقول صاحب الجر يده النفيسة :

« فلم تستقر قدماها فى الاستانة حتى اصدرت له الفرمان وأرسلته إليه فعاجلته المنية قبل ان يدرك مرغوبه و يشرع بالعمل فلما تولى منصبه أخوه اتحد مع البطر يرك مرقس و٨ من أعيان الأمة وشرعوا فى العمل وقد بنوا الكنيسة فى ملك الأمير يعقوب والمعلم ملطى (٤) »

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر الجزء الاول

(٢) الجبرتى : الجزء الثانى ص ٢٦٢ .

(٣) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ج ١ ص ٢١٥ القاهرة سنة ١٩١٠ .

(٤) الاسقف ايسذورس (الراهب البرموسى) : الجر يدة النفيسة ج ٥ ص ٤٣٠ — القاهرة سنة ١٩٠٦ .

وقبل أن أنتقل من ذكر أعمال البر التي قام بها إبراهيم الجوهري أورد خطبة الأنبا يوساب اسقف جرجا المعروف بأبن الأبح في رثائه في كتاب « سلاح المؤمنين » فهي تعدد نواحي الخير التي قام بها هذا البار: « منا له من اضطراب عظيم صار في كورة مصر بل في كافة الاقطار المصرية . ناحت الشيوخ وبكى الشبان ، خرج الفلاحون وولولت العربان . كان القاضي يبكي والكهنة يرفعون اصواتهم بالعويل ، تعالين ياكل الأرامل وابكين على رجلكن الذي كان يهتم لكن بالطعام والكسوة ، والطموا ياكل الفقراء والمساكين واصنعوا لكم مناحة على من يباشر أحوالكم كل حين . نوحوا وابكوا أيها الرهبان سكان البراري على من كان يفتقد كل حالاتكم دائما .

اجتمعوا ونوحوا ايها الكهنة خدام الرب والبسوا مسوحا على الذي كان يفتقد الكنائس بالمحرقات والقرابين . نوحوا وابكوا ياكل خدام بيت الرب على الذي كان مرتصداً دائما ليعمل كل احتياجاتكم » (١) .

وللاستاذ كامل المصري بحث موضوعه : ابراهيم الجوهري في كتاب صور من تاريخ القبط لخص فيه أعمال ابراهيم الجوهري في قسمين الأول يشتمل على أعماله في الأديرة من إصلاح أو انشاء مبان أو اسوار ووقف املاك على رهبانها والقسم الثاني يشتمل على أعماله في الكنائس ومساعدة الفقراء ومن هذا البحث يتبين ان الرجل كان نادرة زمانه في عمل البر ومن مبراته انه سمع أن موظفا فصل من عمله منذ ستة أشهر ولم يجد عملا فأرسل إليه لالحاقة باحدى الوظائف الا ان هذا الموظف رأى أن يؤثر بهذه الوظيفة شخصا آخر فصل منذ سبعة أشهر فهو أولى منه بالوظيفة لحاجته اليها فقام ابراهيم الجوهري بتوظيف الاثنين (٢) ومن هذه القصة يتضح امران الاول مدى ماطبعت عليه نفس ابراهيم الجوهري من حب للخير ، والامر الثاني سمو اخلاق الناس في ذلك العصر وما جبلت عليه من حب الايثار لا الأثرة فهذا شخص متعطل يرى ان غيره اولى منه بالوظيفة وهذا سمو في النفس الى مدى بعيد .

ويتحدث على باشا مبارك في الخطط التوفيقية عن تادرس عريان رئيس ديوان المالية في عهد سعيد باشا عن اقباله على أعمال البر والعطف على الفقراء « واشتهر بين قومه بفعل الخير والاحسان شهرة بليغه فكم من كنائس قليلة الايراد و بيوت مستورة واشخاص منقطعة كان مرتبا لها مرتبات شهرية او سنوية كما دلت على ذلك دفاتره التي ما كان يطلع عليها احد حال وجوده » (٣) .

---

(١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم في القرن التاسع عشر ص ٢٦٦ وص ٢٢٧ .

(٢) جمعية مارمينا العجايبي باسكندرية : صور من تاريخ القبط (بحث بقلم كامل المصري) ص ٢٩٣ — الاسكندرية سنة ١٩٥٠ .

(٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ج ٦ ص ٨٠ الطبعة الاولى سنة ١٣٠٥ هـ

ثالثا : دور المجالس الملية فى النشاط الاجتماعى

نشأة المجلس الملى : الكنيسة القبطية ديموقراطية للشعب حق الاشتراك مع الاكليروس فى الاشراف على شئونها وإدارتها وتوجيهها ، هذه الكنيسة لا تتم فيها رسامة كاهن أو اسقف او بطريرك بدون تزكية واختيار الشعب فجميع مناصبها ابتداء من القسيس الى البابا لا تسند الى شخص الا بناء على تزكية من الشعب .

حدث بعد وفاة البابا ديمتريوس فى يناير سنة ١٨٧٠ ان استمر كرسى البطريركية شاغرا قرابة خمس سنوات وكان يدير شئون الكنيسة الانبا مرقس مطران الاسكندرية وكانت قد تقدمت به السن وناء تحت اعباء الواجب الملقى عليه وكان المطارنة لا ينظرون اليه كرئيس يجب عليهم طاعته (١) بل كانوا ينظرون اليه كواحد منهم ان شاءوا اخذوا بأقواله وان شاءوا ضربوا بها عرض الحائط واصبحت الحاجة ماسة إلى هيئة تساند الرئيس الدينى فى تنظيم الاوقاف وقضاء الأحوال الشخصية فاجتمع لفيف من الشبان الذين تثقفوا فى مدارس أبى الاصلاح الانبا كيرلس الرابع وبهرتهم اصلاحاته فى ٦ يناير سنة ١٨٧٤ واسفر اجتماعهم عن المطالبة بتشكيل مجلس ملى يرعى شئون الاقباط ، ينظم اوقافهم و يشرف على مدارسهم و يرعى أحوال فقرائهم ويحكم فى احوالهم الشخصية ولاقت هذه الحركة تشجيعا من بعض رجال الاكليروس وعلى رأسهم القمص فيلوثاوس ابراهيم رئيس الكنيسة المرقسية الكبرى (٢) وتزعم حركة المطالبة بانشاء المجلس الملى بطرس بك غالى وفى يوم الجمعة ١٦ يناير سنة ١٨٧٤ تم اجتماع الاعيان والوجهاء بالدار البطريركية تحت إشراف الأنبا مرقس مطران الاسكندرية والقائمقام البطريركى وأجرى انتخاب المجلس الملى الاول دون تدخل من الحكومة وأسفر الانتخاب عن فوز اثنى عشر عضوا واثنى عشر نائبا وأوكلوا الى بطرس بك غالى ابلاغ الحكومة نتيجة هذا الانتخاب والتماس اقراره واعتماده ، فأرسل الخطاب التالى للمعية السنية على لسان المطران وكتبه بطرس غالى بخطه وهذا نصه : (٣)

« انه لما كان جل مقصود الذات العلية الخديوية إرتقاء الرعايا لأقصى درجات التمدن . وكانت مصالح الطائفة القبطية المختصة بأوقافها ومدارسها وكنائسها وفقرائها ومطبعتها بحسن

---

(١) الايضاحات الجلية فى تاريخ المسألة القبطية جمع وتأليف بطرس وابراهيم ص ١٤ ــ المطبعة الانكليزية بالقاهرة سنة ١٨٩٣ .

(٢) كتاب ذكرى البابا كيرلس الرابع ص ٤٦ القاهرة سنة ١٩٦١ بحث بقلم راغب اسكندر المحامى موضوعه (اثر نهضة ابى الاصلاح فى حياتنا الملية والاجتماعية) .

(٣) بحث غير مطبوع للمرحوم الاستاذ كامل ميخائيل عبد السيد موضوعه نشأة المجالس الملية .

توجيهات العواطف الداودية ، آخذة فى التقدم والعمارية وقد انطبع فى قلوب الرعايا حب زيادة التقدم ، اقتداء بمن احيا لهم اسبابه ــ ادامه الله ، فرأينا أنه اذا تشكل مجلس من أبناء الطائفة معنا فى نظر وادارة خصوصياتها المعتاد نظرها بالبطريكخانة فيكون داعيا لزيادة ترقية تلك الأمور ونجاحها ، وبذلك نكون اجر يناها فى رضاء السدة العلية ، فقد دعونا من لزم من الطائفة لانتخاب اثنى عشر عضوا يتركب منهم المجلس واثنى عشر نائبا لهم ، وبأنفاس سعادة الخديو الأعظم قد تم الانتخاب بمحضر عمل بالبطريكخانة . واقتضى ترقيمه لسعادتكم . نؤمل عرض الكيفية للأعتاب السنية إذا وافقت الارادة العلية الاحسان بصدور الأمر الكريم لمحافظة مصر بمعرفة (بالاعتراف) المجلس المذكور (لرؤية) لنظر الأمور المثنى عنها (المشار اليها) فيكون بذلك من ضمن الاحسانات الداوديه المنسجمة على هذه الطائفة . »

٢ فبراير سنة ١٨٧٤

ووقع على هذا الخطاب الأنبا مرقس وحمله دميان بك جاد ونسيم بك شحاته الى اسماعيل باشا صديق (المعروف باسماعيل باشا المفتش) ليرفعه إلى الخديو اسماعيل

وبعد ثلاثة ايام فقط صدر الأمر باعتماد تشكيل المجلس بتاريخ ٥ فبراير سنة ١٨٧٤ وهذا نص خطاب المعية السنية لمحافظة مصر:

« وكيل بطريكخانة الاقباط قدم الينا انهاء رقم ١٥ ذى الحجة سنة ١٢٩٠ (٢ فبراير سنة ١٨٧٤) علمنا منه انه لمناسبة ان مصالح الطائفة القبطية المختصة بأوقافها وفقرائها وكنائسها ومدرستها ومطبعتها آخذة فى التقدم والعمارية فقد تراءى له انه اذا تشكل مجلس من أبناء الطائفة للاتحاد معه فى نظر وادارة ــ خصوصياتها المعتاد نظرها فى البطريكخانة يكون ذلك داعيا لزيادة ترقية تلك الامور ونجاحها .

« فلهذا صار انتخاب اثنى عشر عضوا لذلك المجلس واثنى عشر نائبا لهم بمعرفة من لزم من الطائفة وتم الانتخاب بمحضر عمل بالبطريكخانة ويلتمس صدور امرنا للمحافظة بمعرفة المجلس الملى المحكى عنه واختصاصاته برؤية الأمور المثنى عنها .

وحيث ان ما حصل من انتخاب اولئك الأعضاء والنواب لتشكيل ذلك المجلس بالكيفية التى توضحت ، وقد استحسن لدينا وقورن بمساعدتنا اجابة التماس وكيل البطريكخانة المومأ اليه .

وبذلك لزم اصدار امرنا للمعلومية بما ذكر . وهذا كما اقتضت ارادتنا « ١ هـ »
لائحة المجلس: بعد انتهاء عملية الانتخاب أعد المجلس لائحة يجرى عليها وتم التصديق

عليها فى يوم الجمعة ٢٠ فبراير سنة ١٨٧٤ وهذه مقدمة اللائحة (١) وهى تدل على روح التضامن التى سرت بين الأعضاء والعمل بمرضاة الله لاصلاح شئون ــ الأقباط :

بسم الله المبدى المعين

لائحة نظام وحدود المجلس الملى القبطى

« الحمد لله منظم أحكام الانام ، بما أنعم به على أولياء الأمور ثواقب العقول والافهام .

و بعد فانه اعتمادا على ماورد بالانجيل المنير من أنه اذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فأكون حاضرا معهم ، قد تشكل مجلس رسمى للملة القبطية الأرثوذكسية لينظر فى أمورها الخاصة الجنسية . والمرجو منه تعالى أن يكون اجتماع أرباب هذا المجلس مؤسسا على مضمون هذه الآية الشريفة وأن تكون عزائمهم فى الانضمام الرسمى مرتبطة ومعمولة على ممارسة النظر والحكم فى كل مسألة بما يطابق مرضاته المنيفة حتى يكون التآمهم على خط مستقيم مبينا حقيقة ، وفى نفس الأمر على اسمه العزيز الكريم وأن تكون بصائرهم العقلية شاخصة نحوه تعالى ، إذ هو مطلع على ما يهتمون به ويحكمون متيقنين نوال عنايته الغريبة واسعافاته العجيبة بما يقصدونه من المقاصد الخيرية والمزايا الوطنية و يبتغون ، وتثبت برعايته العليا آمالهم وتدوم بين أبناء الجنس ثمرات اعمالهم هذا ولما كان لابد لكل مجلس من حدود يسرى على موجباتها و يركن فى ممارسة الأمور المخول نظرها إليه تحديدها فقد دعا الحال لترتيب هذه اللائحة على النسق الآتى :

« وانى أورد هنا المادة الأولى وهى تدل على عمل المجلس فى ميدان النشاط الاجتماعى :

« إنه عهد للمجلس أن ينظر ويحكم فى خصوصيات الملة ، أعنى فى إدارة الاوقاف والمدارس وخدمها والكنائس والمطبعه وخدمتها وسياسة أحوال الفقراء وفى مشاكل أبناء الأمة وغير ذلك مما يتعلق بالأمور الملية المنوط نظرها والبت فيها بدار عموم الرياسة الروحية (٢) »

ولقد قام المجلس الملى الأول بأصلاح المدارس القبطية والفصل فى قضايا الأحوال الشخصية واصلاح الكنائس والأوقاف وسار بالنهوض بمرافق الشعب القبطى العامة ثم اتجهت الأفكار الى اختيار بطر يرك جديد وتم انتخاب الانبا كيرلس الخامس بطر يركا وتمت رسامته

---

(١) كامل ميخائيل عبد السيد : بحث غير مطبوع موضوعه نشأة المجالس الملية .

(٢) نفس المصدر.

فى يوم الأحد أول نوفمبر سنة ١٨٧٤ وصدر الأمر العالى بأعتماد انتخابه . إلا أن هذا البطر يرك كان لا يريد أن يشاركه ممثلو الشعب فى السلطة فطلب من الحكومة إلغاء المجلس إلا ان الحكومة وقفت إلى جانب الشعب تناصره وأصدر الخديو توفيق أمرا إلى رئيس النظار محمد شريف باشا بتاريخ ٣ مارس سنة ١٨٨٣ بإعادة تشكيل المجلس وعمل لائحة جديدة له وابلاغ القرار للبطريرك وتم انتخاب المجلس الجديد فى مارس سنة ١٨٨٣ من ٢٤ عضوا ونائبا وصودق على تشكيلة ثم صدر أمر عال فى ١٤ مايو سنة ١٨٨٣ بالتصديق على اللائحة الجديدة (١) للمجلس الملى وهى تتكون من أربعة أبواب وتشتمل على ٣٨ مادة يهمنا من هذه المواد فى دراستنا أربع مواد : المادة الثامنة والمادة الثالثة عشرة والمادة السادسة عشرة والمادة التاسعة عشرة ، فالمادة الثامنة تبين اختصاص المجلس ومدى نشاطه الاجتماعى وهذا نصها :

« يختص المجلس المذكور بالنظر فى جميع ما يتعلق بالاوقاف الخيرية التابعة للاقباط عموما وكذا ما يتعلق بمدارسهم وكنائسهم وفقرائهم ومطبعتهم وكافة المواد المعتاد نظرها بالبطريكخانة ، أما المادة الثالثة عشرة فتبين دور المجلس الملى فى إعانة الفقراء وهذا نصها « من وظائف المجلس فيما يتعلق بالفقراء اجراء ما يأتى :—

أولا : حصر وجمع الايرادات المخصصة للفقراء .

ثانيا : توزيعها على المحتاجين بالعدل والانصاف وصرف ما يترتب لكل منهم فى الأوقات اللازمة .

ثالثا : صرف ما يلزم لدفن المعدمين وتربية أيتامهم بقدر الامكان .

رابعا : البحث والنظر فيما يترتب عليه زيادة تلك الايرادات وتحسين حالة الفقراء واجراء ما يؤدى لذلك .

والمادة السادسة عشرة تبين اختصاص المجلس فى قضايا الاحوال الشخصية فهى تنص « من وظائف المجلس المذكور ايضا النظر فيما يحصل بين ابناء الملة من الدعاوى المتعلقة بالاحوال الشخصية . . »

اما المادة التاسعة عشرة فهى توسع دائرة المجلس الملى فتعطى المجلس حق إنشاء مجالس فرعية فى الأقاليم وبذلك يمتد النشاط الاجتماعى للمجالس الملية إلى جميع بلاد القطر فلا يقف عند حد العاصمة وحدها فتنص هذه المادة :

« وكذلك يجوز للمجلس أن يرتب مجالس فرعية بالجهات المهمة التى يرى لزوم تعيين

---

(١) الايضاحات الجلية فى المسأله القبطية ص ١٦ ومابعدها .

مجالس فيها وتعيين عدد اعضاء كل مجلس منها وحدود اختصاصاته بشرط عدم الخروج عن الحدود المقررة فى هذه اللائحة و يتولى رئاسة كل مجلس الاسقف أو الرئيس الروحانى الذى يعينه حضرة البطريرك بالاتحاد مع المجلس العمومى او الاعضاء فيصير انتخابهم بمعرفة جمعية تتركب ممن يلزم من أهالى الجهة المراد تشكيل المجلس فيها تحت رئاسة من يتعين رئيسا للمجلس المذكور» .

يتضح من نص هذه المادة فى لائحة سنة ١٨٨٣ أنها توسع نشاط المجلس الملى العام بإنشاء مجالس فرعية وقد تم انشاء هذه المجالس فكان فى كل ايبارشية مجلس ملى فرعى أو اكثر، هذا المجلس الفرعى رئيسه المطران أو الاسقف واعضاؤه خمسة غير الرئيس واذا كان بالايبارشية مجلسان كان المطران او الاسقف رئيس احد المجلسين واختير احد القساوسة رئيسا للمجلس الملى الثانى وهذا ما كان يحدث فى ايبارشيات الوجه البحرى فكانت الايبارشية تضم عدة مديريات لقلة عدد الأقباط فى الوجه البحرى أما المجلس الملى العام او الأعلى فرئيسه البطريرك ويختار احد الأعضاء وكيلا للمجلس ويحل محله فى الرئاسة فى اثناء غيابه وكذلك كان الشأن فى المجالس الفرعية لكل مجلس وكيل يختار من بين أعضائه .

وقد تألف من اعضاء المجلس العام أربع لجان هى لجنة الادارة ولجنة المدارس ولجنة الفقراء والكنائس ولجنة قضايا الأحوال الشخصية وقد سارت المجالس الملية فى نشاطها الاجتماعى فهى تشرف على المدارس والكنائس القبطية وتقبل عددا من الطلبة بالمجان ، و ينظم كل مجلس فرعى برئاسة المطران أو الأسقف صندوق الاحسان ويحصر الأسر الفقيرة التى تحتاج إلى مساعدات كما كانت المجالس تقوم بعمل صلح ونشر السلام بين الأسر وفى قضايا الأحوال الشخصية كانت المجالس الفرعية تعتبر محكمة درجة أولى وكان فى القاهرة مجلس ملى فرعى — يفصل فى القضايا ثم تستأنف الاحكام امام المجلس الملى العام فهو محكمة درجة ثانية وكان المحامون عنصرا هاما فى تكوين هذه المجالس وكان المجلس الملى العام ينتظم بعض الوزراء السابقين كما يضم عددا من المستشارين والقضاة وكان الشعب يميل إلى انتخاب رجال القانون اعضاء فى المجلس الملى حتى تنتظم المحاكم الملية على خير وجه والمجالس الملية باقية إلى الآن ولكن انتزع منها اختصاص قضاء الاحوال الشخصية الذى تقوم به المحاكم وذلك ابتداء من سنة ١٩٥٦ وكانت المجالس الملية تضم أعظم الشخصيات فى العاصمة وفى الاقاليم ومن استعراض اسماء اعضاء المجلس الملى العام الواردة فى الفصل الخاص بطبقة الاعيان وكبار الموظفين ما يؤكد ذلك بكل جلاء . ان انتخاب المجالس الملية يتم كل خمس سنوات وقد أدت المجالس الملية فى ميدان النشاط الاجتماعى خدمات جليلة ولذلك رأى البروتستانت أن يطالبوا بتكوين مجلس ملى فتوصل المرسل الامريكى الدكتور وطسن الى إصدار الأمر الخديوى فى سنة ١٩٠٢ بتشكيل المجلس الملى الانجيلى (١) وقد ادى للبروتستانت ما ادته المجالس الملية للأرثوذكس من خدمات فى ميدان النشاط الاجتماعى .

(١) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية من خطاب القس ابراهيم جرجس تحت عنوان حياة الدكتور اندراوس وطسن .

رابعا : دور الجمعيات الخيرية

ان اعظم نشاط فى الميدان الاجتماعى يتجلى فيما تقوم به الجمعيات الخيرية من أعمال مجيدة تسطر لها بالفخر والاعجاب فى الدنيا وتريح بها نعيم الآخرة وفى اجتماع عدد من الناس على حب الخير وعمل البر ارتقاء بالانسانية للسير فى طريق الكمال وفى عمل الجمعيات تتجلى القيم الانسانية ، وأبت مروءة بعض رجال الخير فى القرن العشرين ذكر كلمة ملجأ لما تبعثه هذه الكلمة من ذل وإشعار بدار العوز والفاقة فغير اسم ملجأ إلى بيت وهذا ما فعلته جمعية المحبة القبطية بشبرا منذ سنين فتقول « بيت المحبة » لا ملجأ المحبة وهذا ما فعلته مدارس الأحد فى روض الفرج من تغيير اسم الملجأ إلى بيت مدارس الأحد وهذا يدل على إحساس مرهف من صانعى الخير لتبعث فى أبناء الملاجىء عزة النفس ولتحفظ للنفس الانسانية كرامتها وفى الواقع أن العامل الهام فى تقدم المجتمع القبطى هو انشاء الجمعيات الخيرة فهى التى أنشأت المدارس المجانية فى وقت كان التعليم الحكومى بمصروفات باهظة لا يحتملها أبناء الفقراء كما أنشأت الملاجىء والمستوصفات والمستشفيات وهى التى تكسو العريان وتشبع الجائع ، وتحمل الرحمة الى البائسين وتفتح ابواب الخير للوافدين فيحمدون الله الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف .

إن بناء المجتمع القبطى الحديث قام على دعائم ومن اهمها الجمعيات الخيرية ونشاطها متعدد الجوانب فى البر بالفقراء وفى التعليم وغيرها يقول صاحب « رسالة الجمعيات القبطية ومدى اتساعها . فالجمعيات بيننا هى كل شىء ، هى التى مسحت دمعة الفقير وعطفت على اليتيم وافتقدت الأرملة هى التى شعرت بالعرى والجوع والجهل والمرض فاهتزت غيرة واندفعت تضحية تكسو وتشبع وتعلم وتشفى حتى خيل الينا أنها هى التى وضعت مبدأ الانسانية فلا يوجد بينها و بين الفقير فرق ولا يفصلها عنه جاه أو مال ، يأتى اليها فيدخل إلى كل بيت من بيوتها فترعاه وتخرجه شابا متعلما متسلحا بكل معدات الحياة وتأتى إليها الصغيرة المعدمة فتجد ما وجده أخوها من حسن الضيافة وما هى إلا سنوات قليلة حتى ترى تلك الصغيرة الشاحبة اللون التى كانت تتعثر فى أذيالها البالية فتاة مثقفة انيقة تعرف كيف تعيش وكيف تكون زوجة فأما فربة بيت » (١) .

إن الجمعيات الخيرية بدأ إنشاؤها فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وكانت اولى الجمعيات هى الجمعية الخيرية القبطية وكان الفضل فى انشائها سنة ١٨٨١ يرجع الى بطرس باشا غالى . لقد كانت الكنيسة فى عهد البابا بطرس الجاولى وفى عهد البابا كيرلس الرابع

---

(١) رمزى تادرس : الجمعيات القبطية ومدى اتساعها : الجزء الاول ص ٦١ القاهرة سنة ١٩٤٦ .

تتولى توزيع الصدقات من أوقافها ومن تبرعات رجال البر وفى سنة ١٨٧٤ تولى المجلس الملى الأول توزيع الصدقات تحت اشراف البابا كيرلس الخامس وفى سنة ١٨٨١ رأى بطرس باشا غالى ضرورة تنظيم هذه الصدقات فألف مع بعض رجال الخير اول جمعية خيرية قبطية باسم جمعية المساعى الخيرية (١) ولعلها أول جمعية خيرية اسست فى مصر. ولم ينشىء الاقباط الارثوذكس فى القرن التاسع عشر الا خمس جمعيات ولم ينشى الاقباط الكاثوليك الا جمعية واحدة سأتحدث عنها ثم اواصل الحديث عن الجمعيات القبطية التى انشئت فى القرن العشرين الى ثورة سنة ١٩١٩.

جمعيات الاقباط الارثوذكس:

١) **الجمعية الخيرية القبطية:** أسست سنة ١٨٨١ باسم جمعية المساعى الخيرية فى اجتماع عقد بمنزل يوسف مفتاح بالازبكية فى ٨ يناير سنة ١٨٨١ وقد حضر هذا الاجتماع ثلاثون من كبار الاقباط وحضر معهم الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار وعبد الله النديم وأديب اسحق وخطب فى هذا الاجتماع عبد الله النديم وقد اسندت رياسة الجمعية إلى بطرس غالى فكان اول رئيس جمعية قبطية فى مصر وسارت فى مهمتها لمساعدة الفقراء من مبرات المحسنين وكانت فى سنواتها الأولى تتراوح بين مائة جنيه فى السنة وار بعمائة جنيه (٢) وفى سنة ١٩٠٨ بلغت ثلاثة الاف من الجنيهات وفى هذه السنة اطلق عليها « الجمعية الخيرية القبطية » فأنشأت مستشفى بسيطا بكلوت بك وفى سنة ١٩٢٦ اسست الجمعية الخيرية المستشفى القبطى بشارع رمسيس وهو اول مستشفى أهلى فى القاهرة يقول عنه الدكتور نجيب محفوظ « وقد حد الناس للجمعية أن جعلت لهذا المستشفى صفة قومية لا تفرقة فيها بين فقير وفقير فعالجت المرضى على اختلاف نحلهم وتعدد اجناسهم ومللهم. وكما قال رئيس الجمعية (٣) فى حفل افتتاحه ان المستشفى خيرى عام وان تسميته بالمستشفى القبطى لم تكن الا نسبة للجمعيه التى أنشأته. وقد تم بناؤه واعداده سنة ١٩٢٦ و بلغت نفقات بنائه وتأثيثه سبعين الف جنيه » (٤)

وقد تولى رياسة الجمعية الخيرية بعد بطرس باشا غالى، خليل باشا ابراهيم (من سنة ١٩٠٧ الى سنة ١٩٢٢ ثم تولى رياسة الجمعية بعده جرجس باشا انطون.

وفى سنة ١٩١٠ انشأت الجمعية المشغل البطرسى فتعد الفتيات الفقيرات للمستقبل بمدارس المشغل من دراسة ابتدائية وتدبير منزلى وفنون طرزية وقد قامت الجمعية بتعليم

(١) نفس المصدر ــ المقدمة

(٢) نفس المصدر ص ٩

(٣) جرجس باشا انطون

(٤) الدكتور نجيب محفوظ : حياة طبيب ــ ص ١٣٦ القاهرة سنة ١٩٦٦

عدد كبير من أبناء الفقراء بالمجان وصرف مرتبات واعانات شهرية وصدقات فى المواسم والأعياد للأسر الفقيرة وتخصيص عدد من اسرة المستشفى للعلاج المجانى .

وفى الحق إن المستشفى القبطى أهم ثمرة لنشاط الاقباط الاجتماعى فى مصر .

٢) **جمعية التوفيق القبطية :** أسست سنة ١٨٩١ وهى ثانية الجمعيات القبطية فى مصر ، قامت تنادى بالاصلاح فوقفت الى جانب المجلس الملى فى الخلاف بين المجلس والبطريرك كيرلس الخامس وتألفت من صفوة الاقباط المتحمسين للاصلاح فكان من مؤسسيها : رفله جرجس (اول رئيس لها) وجندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن ــ المؤرخ ميخائيل بك شاروبيم ــ عطيه بك وهبه ــ مرقس بك سميكه مؤسس المتحف القبطى ــ مينا بك ابراهيم المستشار الدكتور ابراهيم منصور (١) وكان اول رئيس للجمعية عند تأسيسها سنة ١٨٩١ رفله جرجس وعند انتخابه عضوا بالمجلس الملى العام سنة ١٨٩٢ تنحى عن الرئاسة فتولاها من سنة ١٨٩٢ ــ ١٨٩٦ المؤرخ القاضى ميخائيل بك شاروبيم وفى سنة ١٨٩٦ تولى رياستها الدكتور ابراهيم منصور (٢) وقد قامت الجمعية تنادى بضرورة الاصلاح فأنشأت مجلة التوفيق استمرت فى الصدور مدة حتى احتجبت ثم عادت الى الصدور منذ بضع سنين وأسست اول مدرسة صناعية للاقباط كما يرى القارئ ذلك فى فصل نشاط الاقباط الفكرى وأسست مدرسة للبنين واخرى للبنات ببركة الرطل ثم انشأت لها ثلاثة فروع فى الاسكندرية وطنطا والفيوم وقد قام كل فرع بإنشاء مدرسة قبطية .

٣) **جمعية النشأة القبطية :** هى ثالثة جمعية انشأها القبط ، أسست فى مارس سنة ١٨٩٦ من أثنى عشر عضوا فى حارة السقائيين بالقاهرة على ثلاثة مبادىء ــ رئيسية (١) الحث على درس اللغة القبطية وتشجيع المشتغلين بها علما وعملا (٢) تدريس قواعد الدين تفسيرا ووعظا (٣) جمع تاريخ واف للاقباط على قدر الامكان (٣) . وكان الاستاذ حبيب جرجس مدرس اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية يلقى بها عظاته (٤) .

وفى سنة ١٨٩٨ اصدرت نتيجتها السنوية وكانت اول نتيجة قبطية صدرت من نوعها وهذه النتيجة تنتظم ثلاثة انهر احدها للتاريخ القبطى وثان للتاريخ الافرنجى (الميلادى) وثالث للتاريخ الهجرى وهذه النتيجة عمل هام فريد من نوعه والجمعية تقوم بأداء رسالتها من سنة ١٨٩٨ الى الآن فى إصدار هذه النتيجة وهى تبين اوقات الزراعة والرى وتقلب الجو وفيضان النيل ومواسم زراعة كل نبات كما تبين مواعيد الأصوام والأعياد وتاريخ استشهاد القديسين ووفاة البطاركة وتكريس البيعة إلى غير ذلك و يرجع الفضل فى

---

(١) الاثر الشعبى لعطيه بك وهبى جمع راغب اسكندر المحامى ص ٢٤ القاهرة سنة ١٩١٤ وفى ص ٢٨ صورة لاعضاء جمعية التوفيق القبطية سنة ١٨٩٢ .

(٢) نفس المرجع ص ٣١

(٣) نفس المرجع ص ٣٤

اصدار هذه النتيجة الى الاستاذ توفيق اسكاروس صاحب كتاب نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر.

وفى سنة ١٩٣٧ انضمت الى لجنة كنيسة الملاك غبريال بحارة السقائين فبرزت اعمال هذا الاتحاد فى نواحى النشاط الاجتماعى وكانت لجنة كنيسة الملاك غبريال قد أسست فى عام ١٩٢٠ وأهدافها خدمة الفقراء والنهوض بالكنيسة فسارت جمعية النشأة منذ سنة ١٩٣٧ فى هذا الاتجاه.

٤) **جامعة المحبة:** أسسها الاستاذ حبيب جرجس مدرس اللاهوت بالمدرسة الاكليريكية مع بعض اصدقائه باسم «جامعة اشعة حب يسوع» ثم اطلق عليها جامعة المحبة وكان لها فروع عدة فى الأقاليم وكان عدد الأعضاء يزيد على خمسمائة عضو وكان من أهدافها غرس الفضائل فى النشء وإحياء اللغة القبطية وتعليم الدين المسيحى وفى سنة ١٩٠٥ اتجهت إلى تعليم طلبة المدارس الأميرية الدين المسيحى و بعد ان تقرر تدريس الدين المسيحى بهذه المدارس اتجهت الى تعليم البنات الفقيرات وافتتحت مدرسة باثنتى عشرة بنتا كانت تقوم بتعليمهن (١) وكسوتهن وقد اتسع نشاطها ونقلت الى دار واسعة بحى الظاهر.

٥) **جمعية الايمان القبطية:** اسست سنة ١٩٠٠ فى حارة السقائين للوعظ والارشاد ثم نقلت إلى حى الفجالة حتى يستمع الى العظات عدد اكبر وكان يقوم بالوعظ بعض طلبة المدرسة الاكليريكية وخريجيها (٢) مثل الاستاذ فرج جرجس، هذه الجمعية كان كل أعضائها من طلبه المدارس العالية وكان على رأسهم زكى صديق الطالب بكلية الطب (الدكتور زكى صديق طبيب الرمد) وسارت هذه الجمعية فى الوعظ وتدريس الكتاب المقدس واللغة القبطية وفى سنه ١٩١٤ أنشأت فرعا لها بجزيرة بدران بشبرا ثم استقل هذا الفرع ولما كان مجال الكتابة فى هذه الرسالة يقف عند ثورة سنة ١٩١٩ فانى أقول على سبيل الاشاره إن هذه الجمعية تمثل فى القرن العشرين أعظم نهضة قبطية إصلاحية شاملة فى عدة ميادين ففى التعليم بلغ عدد تلاميذ وتلميذات مدارسها خمسة الآف وأنشأت مستوصفا ومستشفى وكنيسة كبرى ومجلة منتشرة.

جمعيات الأرثوذكس من أول القرن العشرين حتى ثوره سنه ١٩١٩:

جمعيه أصدقاء الكتاب المقدس: أسسها سنة ١٩٠٨ الاستاذ باسيلى بطرس أحد خريجى المدرسة الاكليريكية بعد أن زار انجلترا سنه ١٩٠٧ وشاهد مظاهر النشاط الروحى فى جمعياتها الدينية (٣) فسار فى تأسيس هذه الجمعية وجعل أهم أغراضها إعداد شباب

---

(١) حبيب جرجس: المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر ص ١٢١ القاهرة ١٩٣٨

(٢) نفس المصدر ص ١٢٠

(٣) رمزى تادرس: الجمعيات القبطية ومدى اتساع أعمالها ج ١ ص ٣٥.

نافع للكنيسة مسلح بالأخلاق الفاضلة ولذلك قامت هذه الكنيسة منذ سنه ١٩١٥ بإعداد منازل لسكنى الطلبة الغرباء ليعيشوا في جو روحي بعيد عن الرذيلة وليعاونوا الجمعية في العطلة الصيفية بنشر الثقافة الروحية بين ذويهم وهذه الجمعية تقوم بإلقاء محاضرات في قاعتها وتنشرها بواسطة شبابها في المدن والقرى وتقيم الخيام على شاطىء النيل سنويا تقضيه نحو عشرة أيام او اسبوعين في جو روحي بين مظاهر الطبيعة الجميلة ثم تعقد . مؤتمرا سنويا تدعو اليه أعضاء الفروع وتدرس الوسائل الناجحة لترقية الشباب وبحث الشئون الدينية والاجتماعية وفي مشاكل الشبان وعلاجها ولها مكتبة حافلة بالكتب وقد تولى رئاستها مرقس باشا سميكه بعد مؤسسها الاستاذ باسيلي بطرس .

٢) جمعية ثمرة التوفيق القبطية :
أسسها سنة ١٩٠٨ الاستاذ تادرس ميخائيل مع بعض زملائه و بعد وفاته تولى رياستها شقيقه عبده ميخائيل وهدفها العناية بالفقير ، بدأت بنشر الوعظ والارشاد ومن أهم منشآتها مدرسة البنين التي أسستها سنة ١٩١٠ وجميع التلاميذ يتعلمون مجانا بل تنفق عليهم كل ما يصل إلى يدها من اشتراكات أو تبرعات وفي سنة ١٩١٩ أسست مستوصفا وكانت لها مظاهر رائعة خلال الحركة الوطنية الكبرى سنة ١٩١٩ فاتخذهاالزعيم سعد زغلول منتدى لالقاء خطبه و بياناته (١) .

٣) **جمعية الاخلاص القبطية بالاسكندرية :** انشئت سنة ١٩٠٩ وجعلت أهم اغراضها غرس مبادىء الاصلاح وتعضيد المجلس الملى السكندري في قراراته النافعة ومحاربة العادات المستهجنة ، احياء اللغة القبطية وتعليم الدين المسيحي وقد سارت بنجاح وتقدم وكان من ثمرات أعمالها إنشاء كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك ومدرسة للفنون الطرزية ، ومستوصف ومستشفى ومدارس أولية .

٤) **جمعية ملجأ الايتام :** أسس، هذه الجمعية سنة ١٩١٧ جرجس بك فهمي الأسقف لغرض إنشاء ملجأ لايواء بعض اليتامى وتعليمهم تعليما أوليا بسيطا وفي سنة ١٩١٩ أنشأت الملجأ وألفت فرقة موسيقية من أبنائه تستطيع بايرادها أن تقوم بالانفاق عليهم والحاق من يبلغ السن القانونية للعمل والالتحاق بفرق موسيقى الجيش (٢) ثم حدث تطور كبير في نظم التعليم والصناعة التي يقوم بدراستها أبناء الملجأ .

جمعيات الاقباط الكاثوليك :

١) **الجمعية الخيرية للأقباط الكاثوليك بالقاهرة :** أسست في فبراير سنة ١٨٨٦ وكان من مؤسسيها باغوص باشا غالي وطوبيا كامل تويج باشا والاستاذ مرقس كابس بك وأهم

---

(١) نفس المصدر ص ١٤

(٢) نفس المصدر ص ٢٤

اغراضها مساعدة المحتاجين والمرضى من الاسر الفقيرة بالقاهرة و يقوم إيرادها فى ذلك الوقت على الاشتراكات والتبرعات وأبواب مصروفاتها هى : مرتبات شهرية للعائلات الفقيرة ومساعدات وقتية لمواجهة الظروف الطارئة كحالات الزواج والوضع ونفقات علاج الفقراء وهى جمعية نموذجية أعدت لكل اسرة من الاسر التى تمدها بمرتبات شهرية ملفا (١) يحوى الملاحظات الخاصة بالعائلة المعانة .

٢) **الجمعية القبطية الكاثوليكية لرعاية وتعليم اولاد الفقراء :** أنشئت فى القاهرة سنة ١٩٠٤ و يبدو من اسمها هدفها هو تعليم بعض ابناء الأسر الفقيرة وقد سارت فى هذا السبيل ثم اهتمت بتعليم البنات الفقيرات ، ويجتمع مجلس إدارتها مرة أو مرتين كل شهر إلا أن اللجنة الفرعية المكونة من الرئيس والسكرتير وأمين الصندوق تجتمع مرتين فى الاسبوع للنظر فى الشئون المستعجلة الخاصة بالاولاد الملحقين بالمدارس ثم تعرض قراراتها على مجلس الادارة فى اول اجتماع له .

و يتكون ايراد هذه الجمعية من الاشتراكات والتبرعات واعانة الجمعية الخيرية السالفة الذكر والحفلة الخيرية السنوية وتنفق الجمعية على الطلبة الفقراء فى المدارس المسيحية مثل مدرسة الفرير بالخرنفش والفرير بشبرا ومدارس راهبات الراعى الصالح وغيرها . (٢)

— ((جمعيات البروتستانت)) —

تنشأ فى معظم الكنائس الانجيلية جمعيات المساعى ، وفى جمعية المساعى لجنة تسمى لجنة الاعتدال ، عمل هذه اللجنة محاربة الخمور والمخدرات ، وتوجيه الناس إلى الأخلاق الحميدة والصفات الكريمة فهى تعمل على اعتدال الشبان بصفة خاصة فى مسلكهم ، وتقوم جمعية المساعى برعاية الفقراء وافتقاد الأرامل والأيتام فى ضيقاتهم ، وهكذا تقوم جمعيات المساعى بلجانها بأنواع النشاط الاجتماعى عند البروتستانت وكانت للبروتستانت جمعية خيرية فى أواخر القرن التاسع عشر اما الجمعية الخيرية الانجيلية القائمة الآن والتى يتبعها المستشفى الانجيلى فى شبرا فقد تأسست فى القرن العشرين وفى سنة ١٩٣٧ بالذات ، ووجهت الكنيسة الانجيلية أعيان الطائفة الى انشاء مدارس انجيلية كما يرى القارئ كل ذلك بايضاح فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الفكرى .

---

(١) بطر يركية الاقباط الكاثوليك بالقاهرة : "الدليل الطائفى والتقويم السنوى لكنيسة الاسكندرية سنة ١٩٥٦ — ١٩٥٧ م ص ١٢٧ — القاهرة سنة ١٩٥٦ .

(٢) نفس المصدر ص ١٢٩ .

الباب الثالث

الحياة الاجتماعية



((الفصل الأول))

((تطور المجتمع القبطى))

نحو مجتمع افضل :

شهد القرن التاسع عشر تطورا عظيما فى المجتمع القبطى فقد تحرر الأقباط من القيود التى كانت مفروضة عليهم فى القرن الثامن عشر وما قبله مثل تحديد زى خاص بهم وحرمانهم من ركوب الخيل و بناء كنائس جديدة وغير ذلك و يرى القارئ كل ذلك بوضوح فى الفصل التالى كما حدث تطور فى كل نواحى الحياة ، ولقد حدث تغيير فى بعض الأوضاع التى كانت سائدة منذ أزمان بعيدة فقد ألغيت الجزية سنة ١٨٥٥ وقد ظل الأقباط يدفعون الجزية أكثر من ألف ومائتى عام (من الفتح العربى على يد عمرو بن العاص الى سنة ١٨٥٥) ففى عهد الوالى محمد سعيد سنة ١٨٥٥ ــ الغيت الجزية فزال القيد المفروض على أهل الذمة وحلت قافلة الزمان الأقباط فى الطريق إلى المساواة التامة فى عهد الخديو اسماعيل

إن أعظم حدث فى تاريخ الأقباط فى القرن التاسع عشر هو تجنيد الأقباط هذا التجنيد بدأ فى عهد الوالى محمد سعيد ثم تعثر سيره وانتظم الأقباط فى سلك الجندية فى عهد الخديو اسماعيل . فاندمج الأقباط فى جسم الدولة فصار الأقباط جزءا من الجيش المصرى (١) واذا كان محمد على قد لجأ الى تجنيد المصريين المسلمين عقب فشل تجنيد السودانيين فإن تجنيد المصريين بوجه عام يعتبر تطورا هاما فى المجتمع المصرى فلم نسمع فى التاريخ منذ قدوم الاسكندر إلى مصر إلى مجىء محمد على تجنيد المصريين بوجه عام ، النبأ الوحيد الذى يصل إلى مسامعنا خلال هذه المدة وهى تبلغ أكثر من الفى سنة هو اشتراك بعض فرق مصرية فى جيش بطليموس الرابع كانت عامل انتصاره فى موقعة رفح سنة ٢١٧ (٢) ق . م أما المصريون الذين اشتركوا مع المماليك فى محاربة بونابرت فلم يكونوا فرقا نظامية كما أن فرقة الجنرال يعقوب حنا لم يقدر لها البقاء .

---

(١) Sylevestre Chauleur: Histoire De Coptes D 'Egypte P. 132

(٢) الدكتور ابراهيم نصحى : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى بحث تحت عنوان مصر فى عصر البطالسة ص ١٢ طبع وزارة الثقافة .

إن الوضع القانونى للأقباط قبل انتظامهم فى سلك الجندية مع تجنيد مواطنيهم المسلمين فى عهد محمد على وعباس الاول هوفى تحديد أحكام القانون الدولى الخاص فى الوقت الحاضر وضع أجانب عن الدولة فلا يلتزم الأجانب بأداء الخدمة العسكرية إذ أن هذا التكليف مقصور على الوطنيين كما هو الحال فى الغالبية العظمى من الدول (١)

واذا كان من غير الجائز تطبيق معايير الوقت الحاضر على القرن التاسع عشر إلا أن محمد على أوجد تفرقة بين أبناء وطن واحد ، و بذلك يمكن القول على وجه اليقين إن الاقباط اندمجوا فى جسم الدولة فى عهد الخديو اسماعيل فكان الجيش مكونا من المسلمين والأقباط على السواء وكان غرض الحكومة المصرية من تجنيد الاقباط هو الا تبقى على امتياز يوجد الحسد والبغضاء بين رعاياها (٢) وقد حدث فى اثناء حديث الكاتب الفرنسى جبرائيل شارم مع الخديو اسماعيل ان مرت كتيبة من الحرس أمام القصر فقال الخديو لمحدثه « انظر إلى هذه الكتيبة أن فيها عربا واقباطا ومسلمين ومسيحيين وهم يسيرون فى وصف واحد . وأنى اؤكد لك انه لا يوجد بينهم من يهتم بديانة جاره وان المساواة بينهم تامة » (٣) .

وقرر الخديو اسماعيل ترشيح الأقباط لانتخابات اعضاء مجلس شورى النواب وفى حديثه مع نوبار باشا عن انتخابات مجلس شورى النواب قال له : « عندنا أقباط أيضا بين المنتخبين وقد فتحنا الأبواب للمسلمين والأقباط بدون تمييز (٤).

و بقيام الحياة الدستورية واختيار ممثلى الأمة من المصريين بلا تمييز كما أن منح الخديو إسماعيل مناصب الدولة الكبرى لمن يستحقها من المصريين بلا تمييز بسبب الدين كل ذلك جعل بلادنا متماسكة وأبرز أبناءها شعبا واحدا .

ظهور المذاهب الأجنبية فى مصر: شهد القرن التاسع عشر نمو المذاهب الأجنبية فى مصر ، ففى النصف الأول من هذا القرن برز المذهب الكاثوليكى باعتناق المعلم غالى رئيس كتاب الدواوين فى عهد محمد على هذا المذهب بعد أن كان مقصورا على عدد من الأفراد ثم اتخذت الكثلكة مركز انتشارها فى طهطا بمحافظة سوهاج وفى أواخر هذا القرن عين أول بطريرك للأقباط الكاثوليك هو الأنبا كيرلس مقار سنة ١٨٩٩ ، كما شهد النصف الثانى من القرن التاسع

---

(١) الدكتور فؤاد عبد المنعم رياض : الجنسية ومركز الاجانب ــ القاهرة ١٩٦٦ ص ٣٨٧

(٢) الدكتور محمد محمود السروجى : الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ص ٩٦ ــ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(3) Sylvestre Chauleur: Histoire De Coptes D'Egypte. P. 152 (Voyey ce bateaillon, decilara le Khedive a son interlocuteur, il y a la des Arabes et des Coptes, des Muslims et des Chretiens qui marchent dans le meme rang. Je vous assure qu'aucun de'aux ne sebreo ccuped due culte de son voisin L'Egalite antre aux est complete)

(٤) محفوظات عابدين القسم الأوربى خطاب بتاريخ ١٨ نوفمبر سنة ١٨٦٦ سجل ٢ / ٣٤ .

عشر دخول المذهب البروتستانتي في مصر ولم يكن له وجود بين المصريين في النصف الأول من هذا القرن ثم اتخذت البروتستانتية مركز انتشارها في أسيوط وصحب انتشار المذهب البروتستانتي بناء كثير من الكنائس البروتستانتية وإنشاء عدد كبير من المدارس الأجنبية .

إلغاء التقويم القبطي من دواوين الحكومة : ومن الأمور الهامة التي يجب ذكرها في تاريخ القرن التاسع عشر أن التقويم القبطي الذي كان يستعمل في أيام الفراعنة ومن وليهم من حكام ثم استمر مع التقويم الهجري في مصر الاسلامية يستعمل جنبا إلى جنب في المصالح الحكومية ، أبطله الخديو اسماعيل وأوجد بدله التاريخ الأفرنجي (الميلادي) اعتبارا من أول توت سنة ١٥٩٢ قبطية ١١ سبتمبر سنة ١٨٧٥ م و يعلل بعض المؤرخين ذلك برغبة الخديو اسماعيل في محاكاة الأجانب في كل شيء لأنه كان يريد في زعمه جعل مصر قطعة من أوربا و يذكر صاحب مختصر تاريخ الأمة القبطية تعليلا آخر : « وذلك لأنه لما استدان أموال الافرنج اضطروه لاستعمال تاريخهم (١) و يلمح القارىء في كتاب الجيش المصري في القرن التاسع عشر للدكتور السروجي تقديم ميزانية ديوان الجهادية بالتاريخ القبطي ومن أمثلة ذلك ميزانية ١٥٨٥ قبطية ــ تقابل (١٨٦٨ ــ ١٨٦٩ م) وميزانية سنة ١٥٨٧ قبطية تقابل (١٨٧٠ ــ ١٨٧١ م) وميزانية ١٥٩٠ قبطية ــ تقابل (١٨٧٣ ــ ١٨٧٤ م) (٢)

تطور المجتمع المصري : في القرن التاسع عشر حدث تطور عظيم في المجتمع المصري بوجه عام ، فقد كان المجتمع المصري في القرن الثامن عشر مغلقا ضربت الدولة العثمانية حجابا كثيفا بينه و بين الحضارة الأوربية فكان المجتمع المصري مرتبطا بالدولة العثمانية التي انتهجت سياسة العزلة عن الغرب ، أما في القرن التاسع عشر فقد صار مجتمعا متحررا اتصل بالحضارات الأوربية فقد كانت الحملة الفرنسية بحق نقطة تحول في تاريخ مصر من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية (٣) كما يقول الميثاق في الباب الثالث « جاءت ومعها لمحات من العلوم الحديثة التي طورتها الحضارة الأوربية » فكان بدء الاطلاع على الحضارة الأوربية عند قدوم الحملة الفرنسية على مصر فشاهد الناس عن كثب مدنية وأنظمة أخرى تخالف ما كان سائدا في بلادهم و بدأ ادخال الحضارة الأوربية إلى مصر ، وكما يقول العلامة ابن خلدون إن المغلوب مولع أبدا بالاقتداء بالغالب فان انكسار المماليك امام الحملة الفرنسية وعجز العثمانيين عن إخراج الفرنسيين جعل محمد على يستخدم الأسلحة الحديثة و يقيم المصانع و يستقدم المهندسين والخبراء الفرنسيين للسير بمشروعاته فاتصلت مصر بالحضارة الأوربية وكانت فرنسا أبرز الدول التي اتصلت بها مصر . يقول الدكتور راشد البراوي وزميله « وظلت بين مصر وفرنسا صلة روحية طوال

---

(١) سليم سليمان القبوصي : مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ١٤ القاهرة سنة ١٩١٤ .

(٢) الدكتور محمد محمود السروجي : الجيش المصري في القرن التاسع عشر ص ٢٨٧ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٣) الدكتور راشد البراوي ومحمد حمزه عليش ــ التطور الاقتصادي في مصر في العصر الحديث ص ٤٣ ــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .

القرن التاسع عشر أشبه بصلة التلميذ باستاذه ودخلت المدنية الغربية على أيدى الفرنسيين الذين وفدوا على البلاد والمصريين الذين تلقوا العلم فى فرنسا وعادوا إلى بلادهم مشبعين بالرغبة فى إنهاضها وإصلاح أحوالها وتطبيق المبادئ والمثل التى اقترنت بالثورة الفرنسية » (١)

وفى مدى هذا القرن نرى معيار الوطنية يتغير وأن استغلال الشعوب للسيطرة عليها باسم الدين كما كانت تفعل الدولة العثمانية لم يعد يجد طريقه بين كثير من المفكرين فبينما نرى الجبرتى فى مطلع القرن التاسع عشر يرحب بعودة الحكم العثمانى إلى مصر لتمسكه بدولة الخلافة الاسلامية و يؤلف كتابه « مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس » و يقول عن الدولة العثمانية « بهجة الدين والدنيا » و يدعو للسلطان العثمانى « اللهم أدم ملكه واجعل الدنيا بأسرها ملكه » (٢) ثم يرى ملك مصر تشرف بتبعيته للدولة العثمانية فيقول « وقد استمر ملك مصر متشرفا بالنتظامه فى ممالك الدولة العثمانية (٣) » . فاننا فى القرن العشرين نرى أحمد لطفى السيد فى أوائل هذا القرن يطلق صيحته « مصر للمصريين لا للانجليز ولا للعثمانيين » وهذا هو المعيار السليم للوطنية فى ابهى صورها .

تطور عدد السكان : عند مجيء الحملة الفرنسية على مصر فى أواخر القرن الثامن عشر كان عدد الأقباط قد تناقص الى أقصى حد فيقدر عدد الأقباط بنحو ١٥٠,٠٠٠ وكان يسكن القاهرة من هذا العدد ١٠,٠٠٠ اما الاسكندرية فكان جميع سكانها عند مجيء الحملة الفرنسية لا يتجاوز ثمانية آلاف فيكون عدد الاقباط بها ضئيلا للغاية . واذا كان عدد أقباط القاهرة بالنسبة إلى مجموع الأقباط فى مصر فى مطلع القرن التاسع عشر هو ١ : ١٥ الا أن هذه النسبة الآن تختلف الى حد كبير فتصل الى ١ : ٥ فحسب احصاء سنة ١٩٦٠ بلغ عدد أقباط القاهرة ٣٧٨,٣٤٥ من مجموع الأقباط حسب احصاء سنة ١٩٦٠ وهو ١,٨٢٣,٤٤٨ (٤) و يقطن مدينة الاسكندرية من الأقباط حسب احصاء سنة ١٩٦٠ ١١٦,٣٧٦ ، سبب تغير نسبة السكان هو هجرة السكان من الريف إلى المدن و بخاصة القاهرة والاسكندرية لا تساع مجال العمل فيها .

وقد بلغ عدد الأقباط فى أواخر القرن التاسع عشر نحو ستمائة الف ففى إحصاء سنة ١٨٩٧ ، ٦٠٩,٥١١ .

---

(١) نفس المصدر ص ٤٤ .

(١) الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين ج ١ ص ٢٦ القاهرة سنة ١٨٦١ .

(٣) نفس المصدر ص ٦ .

(٤) حسب احصاء سنة ١٩٦٠ يسكن نحو ربع الاقباط فى مدينتى القاهرة والاسكندرية ونحو نصفهم ٩٤١,٨٢٠ فى اربع محافظات فى الصعيد هى المنيا واسيوط وسوهاج وقنا ونحو ربع الأقباط موزع فى باقى البلاد المصرية .

الأحياء القبطية ومنازل الأقباط :

فى عهد الحملة الفرنسية على مصر انتقل مقر كرسى البطريركية سنة ١٧٩٩ من حارة الروم إلى مقره الحالى بالدرب الواسع بالأزبكية (١) (شارع الكنيسة المرقسية الآن) وفى القرن التاسع عشر كانت الأزبكية حى القبط وفى تعداد سنة ١٩٤٧ كان عدد المسيحيين فى حى الأزبكية يزيد على عدد المسلمين، بل إن شياخة الفجالة فى تعداد سنة ١٩٦٠ يزيد عدد المسيحيين بها على عدد إخوانهم وكان عدد من الأسر القبطية يقيم فى حارة السقائين ولذلك رأى البابا كيرلس الرابع فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر أن ينشىء مدرسة قبطية لأبناء هذا الحى حتى يجنبهم مشقة السير إلى مدرسة البطريركية بالأزبكية وكان بعض الأقباط يسكنون مصر القديمة بل كان أغنياء الأقباط يبنون لهم منازل فى مصر القديمة لقضاء أشهر الصيف بها و يدفعهم إلى ذلك عاملان أحدهما أن تكون مصيفا لهم بجوار النيل أو على مقربة منه والعامل الثانى أن هذه المنطقة تعتبر بقعة مباركة لكنائسها الأثرية ففيها كنيسة أبى سرجة وهى التى فى مغارتها لجأت السيدة العذراء حاملة طفلها السيد المسيح هربا من وجه الملك هيردوس ولذلك تحتفل هذه الكنيسة إلى الآن بذكرى دخول السيد المسيح أرض مصر فى أول يونية من كل عام وبها كنيسة المعلقة وهى من أهم كنائس مصر وسميت المعلقة لكونها معلقة فوق مدخل الحصن الرومانى المسمى حصن بابليون (٢) وقد ظلت كعبة الأقباط يحج اليها كل قبطى عدة قرون فحين كان مقر البطريركية بالاسكندرية كانت كنيسة المعلقة مقر أسقفية مصر ثم انتقل إليها مقر كرسى البطريركية عند نقله من الاسكندرية إلى القاهرة فى القرن الحادى عشر فى عهد المستنصر بالله الفاطمى ليكون قريبا من مركز الحكومة (٣) وفى سقف هذه الكنيسة وهياكلها وأبوابها وايقوناتها تتجلى روائع الفن القبطى، وفى مصر القديمة كنيسة ابى السيفين وكانت مقرا للبطريركية بعد انتقالها اليها من كنيسة المعلقة.

وكان بعض الاقباط يسكنون فى المنطقة الواقعة بين خان الخليلى والخليج المصرى وهى الصاغة الحالية واشتغلوا بصياغة الذهب والفضة وتسليف النقود مقابل الرهون وكان فلاحو القرى يقصدونها عند نزولهم بالقاهرة لتجهيز بناتهم وسبب اختيار هذه المنطقة لقربها من سوق النحاس فى منطقة النحاسين وسوق المنسوجات والصابون فى الغورية (٤) و يسكن قليل من الأقباط فى الغورية و بولاق واشتغلوا بالتجارة.

---

(١) توفيق اسكاروس: توابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر ج ١ ص ٣٧.

(٢) لين بول: سيرة القاهرة ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن وزميليه ص ٦٧ القاهرة سنة ١٩٥٠.

(٣) لجنة التاريخ القبطى: خلاصة تاريخ المسيحية ص ١٣٤

(٤) الدكتور زاهر رياض: بحث غير مطبوع: نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث

اما الازبكية فتنسب الى ازبك بك قائد قايتباى (١) احد سلاطين المماليك (١٤٦٧ ــ ١٤٩٠ م) وقد شرع هذا القائد فى تعمير الأزبكية وفى القرن التاسع عشر كانت نسبة كبيرة من أقباط القاهرة تسكن بها حتى كان يطلق على بعض اجزائها (حارة النصارى).

يقول الاستاذ حسن عبد الوهاب «وكان يشرف على البركة حى الاقباط المعروف ــ بحارة النصارى وكانت دوره كبقية دور القاهرة حافلة بالمشربيات والشبابيك الخرط وهو الطراز السائد لاحياء القاهرة.. وفى سنة ١٨٦٤ ردمت البركة وضمت الى الحديقة التى اعيد تنظيمها» (٢) فساكن الأقباط فى القاهرة كانت بمنطقة شمال القاهرة وغربها و باب المقسى حيث قسم الازبكية وفى باب البحر ومعظمهم من متوسطى الثروة (٣).

وعند مطلع القرن التاسع عشر انشئت الكنيسة المرقسية الكبرى بالأزبكية وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر قام الانبا كيرلس الرابع الملقب بأبى الاصلاح باعادة بنائها ولا تزال الكاتدرائية الكبرى التى تتم فيها رسامة البطاركة والمطارنة وألاساقفة.

اما حى الفجالة فكان فى القرن الثامن عشر حقولا لزرع الفجل فسمى شارع الفجالة باسم من يزرعونه (٤) وفى عهد الحملة الفرنسية تم تعبيد هذا الشارع ثم ردمت بركة الرطل فأصبحت هذه المنطقة فى عهد الخديو اسماعيل تضم القصور الفخمة والبساتين الناضرة والشوارع الجميلة وفى سنة ١٨٨٤ بنى الاقباط كنيسة الفجالة على الأرض التى تبرع بها ميخائيل بك جاد شيحه ولا تزال الحارة المجاورة لهذه الكنيسة تحمل اسم ميخائيل جاد إلى اليوم.

إن أحياء شبرا وروض الفرج والساحل التى يسكن بها حسب احصاء ١٩٦٠ ١٩٠,٠٠٠ من الاقباط او ما يزيد على عشر عددهم فى مصر لم تنشأ إلا فى القرن التاسع عشر ومعظم هؤلاء الأقباط من ابناء الصعيد شادوا بيوتا او سكنوا فى هذه المناطق ان هذه الاحياء التى بها الآن ١٩ كنيسة للاقباط الارثوذكس لم تقم بها أية كنيسة فى القرن التاسع عشر، ان أقدم كنيسة فى شبرا وهى كنيسة السيدة العذراء بشارع مسرة يرجع تاريخ بنائها الى سنة ١٩٢٦.

اما الاسكندرية التى بها الآن اثنتان وعشرون كنيسة للاقباط الارثوذكس فأن عشرين كنيسة منها بنيت فى القرن العشرين منها سبع كنائس بنيت فى النصف الاول من هذا القرن

---

(١) فؤاد فرج: القاهرة الجزء الثالث ص ٧٢ ــ القاهرة سنة ١٩٤٦.
(٢) حسن عبد الوهاب: تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ــ القاهرة سنة ١٩٥٩.
(٣) جورجى زيدان: تاريخ مصر الحديث ج ١ ص ٨٧ ــ القاهرة سنة ١٩٤٥
(٤) فؤاد فرج: القاهرة ج ٣ ص ٥٢٣

و١٣ كنيسة بنيت فى عهد الثورة وفى القرن التاسع عشر لم تكن بها غير كنيستين الأولى المرقسية وهى أم الكنائس القبطية وأول كنيسة أنشئت فى بلادنا اسمها القديس مرقس سنة ٦٥ م وفى القرن التاسع عشر بنيت كنيسة مارجرجس بالشاطبى .

كنائس القاهرة فى القرن التاسع عشر:

كان فى القاهرة عند مطلع القرن التاسع عشر نحو عشرين كنيسة و باستثناء الكنيسة المرقسية الكبرى التى تم بناؤها فى سنة ١٨٠٠ والتى صدر بشأنها فرمان من السلطان العثمانى فان جميع كنائس القاهرة قديمة أثرية ــ كتب العالم الانجليزى الفريد بتلر عن كنائس مصر الأثرية مجلدين طبعا فى اكسفورد سنة ١٨٨٤ . بعض هذه الكنائس تخطى فى القدم اكثر من عشرة قرون و بعضها يوغل فى القدم إلى القرن الرابع الميلادى مثل كنيسة حارة زويلة كما ذكر المقريزى و بعضها يرجع الى ماقبل الفتح العربى مثل كنيسة المعلقة التى بنيت على حصن بابليون والتى تسلمها الاقباط بعد جلاء الروم عن الحصن .

فى حى مصر القديمة اثنتا عشرة كنيسة قديمة ولم يزد عليها فى القرن العشرين الا كنيسة مارمينا التى أنشأها البابا الحالى فى النصف الثانى من هذا القرن .

إن زائر هذه الكنائس يتملكه الاعجاب و يقف أمامها فى خشوع لروعة الفن وعظمة التاريخ ومهما قيل من إطراء فى وصف الكنائس الجديدة مثل الكنيسة البطرسية التى انشأها ابناء بطرس باشا غالى سنة ١٩١١ ومهما وصفت هذه الكنيسة بأنها اجل كنائس مصر فأن زائر المعلقة يتملكه الاعجاب أكثر، إن مرور الزمن يضفى على هذه الأماكن الأثرية روعة و يبعث خشوعا .

هنالك على مقربة من كنيسة المعلقة بمصر القديمة كنيسة العذراء المعروفة بقصرية الريحان ، هذه الكنيسة نصفها تحت الارض وتعلوها قباب تتخللها كوات تنفذ منها أشعة الشمس فتلقى فيها ضوءا خافتا وتوقد الشموع أثناء الصلاة فتعطى منظرا خلابا مؤثرا .

تقع كنائس مصر القديمة فى ثلاث جهات منها خمس كنائس بداخل الحصن الرومانى و يطلق عليها كنائس قصر الشمع وهى كنيسة العذراء الشهيرة بالمعلقة وكنيسة الست بربارة (وهى شهيدة بنت أحد الأشراف) وكنيسة أبى سرجة وكنيسة مارجرجس وبجوارها دير للبنات وكنيسة قصرية الريحان والى جوار المعلقة يوجد كنيس لليهود باسم (بن عزرا) وله قصة عجيبة فقد كان اصلا كنيسة الملاك ميخائيل باعها البطريرك المعاصر لاحمد بن طولون لليهود وذلك ان ابن طولون طالب البطريرك الانبا مخائيل الثالث فى القرن التاسع الميلادى بعشرين الف دينار

فاستجدى كثيرا ولم يكن لديه ما يكفى فاضطر إلى بيع هذه الكنيسة لليهود (١) بمقتضى عقد يوصف بالغرابة لمدة مائة سنة تبدأ من اليوم ولم يحدد هذا اليوم . وقد ذكرها المقريزى (٢) وشاهدها بتلر وكتب عنها وقد شاهدت هذا المعبد فى يناير سنة ١٩٦٩ .(٣)

وفى دير أبى السيفين بالقرب من جامع عمرو ثلاث كنائس هى كنيسة أبى السيفين وبجوارها كنيسة الأنبا شنوده وكنيسة العذراء الشهيرة بالدمشيرية . (٤)

وفى منطقة ساحل أثر النبى اربع كنائس كنيسة العذراء ببالون الدرج وكنيسة اباكير و يوحنا وكنيسة الأمير تادرس وكنيسة الملاك القبلى .

وفى فم الخليج كنيسة مارمينا وبجوارها مدافن الاقباط .

وفى القاهرة كنائس اخرى قديمة كانت قائمة قبل القرن التاسع عشر بقرون ولا تزال قائمة الى الآن ففى حارة الروم كنيستان وفى حارة زويلة كنيستان وقد وصفها على باشا مبارك فى الجزء السادس من الخطط التوفيقية(٥) وفى الخندق كنيسة الانبا رويس (فى العباسية) والملاك البحرى (٦) (بحدائق القبة الآن) . وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر نشطت حركة بناء كنائس جديدة للارثوذكس والبروتستانت كما يرى القارىء ذلك بوضوح فى الفصل الخاص بنشاط الاقباط الدينى .

الاقباط فى شبرا وروض الفرج : إن كلمة شبرا بضم الشين لا فتحها كلمة قبطية بمعنى عزبة أو حقل . وفى سنة ١٨٠٠ كانت أراضى شبرا كلها أراضى زراعية و بساتين وكانت قرية جزيرة بدران تقع فى الجنوب الغربى من هذه الأراضى (٤) ولما أنشأ محمد على قصره فى شبرا الخيمة فتح فى سنة ١٨٠٨ شارع شبرا ليكون طريقا بين القاهرة وقصر شبرا ثم بنى الوالى محمد سعيد باشا وتبعه الأمراء قصورا فى شبرا هى الآن المدارس الكبرى بها مثل قصر النزهه الذى بناه سعيد باشا سنة ١٨٥٨ بشارع شبرا (المدرسة التوفيقية الثانوية) ثم قصر الأمير طوسون بن سعيد باشا (مدرسة شبرا الثانوية) ثم قصر الأميز شيكولانى (شبرا الاعدادية للبنين) وهكذا سار

---

(١) Alfred. J. Butler Vol. P 235 - Oxford 1884

(٢) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٣٩٧ ــ القاهرة ١٣٢٦ هـ

(٣) Alfred. GJ Butler; Vol. 1 P. 169.

(٤) نسبة الى احد اعيان القبط من بلدة دمشير قام باصلاحها فى القرن الثامن عشر (من كتاب كنائس مصر القديمة للاستاذ رؤوف حبيب)

(٥) الخطط التوفيقية ج ٦ ص ٧٤ وص ٧٥ المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٥ هجرية

(٦) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٤٢٣ ــ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ

(٧) فؤاد فرج : القاهرة ــ الجزء الثالث ص ٥٢٨ ــ القاهرة سنة ١٩٤٦ .

تعمير هذا الحي فقام كبار الموظفين والأعيان والتجار بإنشاء القصور الجميلة والبساتين الزاهرة على جانبي الطريق .

وكان الوصول من القاهرة إلى شبرا على ظهور الحمير البيضاء الجميلة وصارت شبرا متنزه سكان القاهرة بوجه عام (١) فكانت شبرا بمزارعها النضرة ومناظرها الجميلة هي المكان المطروق للتنزه والرياضة فكان يقصد إليها الرياضيون مشاة وركبانا وكان الماريرى الدواب تغدو وتروح وأحيانا واقفه في انتظار اصحابها ممن حضروا للرياضة والتنزه وكانت العربات الفخمة تجرها الجياد الجرية المطهمة تحمل افراد العائلة الخديوية أو كبار الرأة والأعيان يتقدمها السواس لافساح الطريق واظهار عظمة الراكبين اتماما لمظاهر الأبهة.

أن نصف أقباط القاهرة يسكنون في شبرا وروض الفرج الآن وهنا يواجهنا هذا السؤال : لماذا يكثر إقبال الأقباط على السكنى في شبرا وروض الفرج ؟ : هذه المناطق كانت ارضا زراعية وهي بطبيعة الحال مجال امتداد العمران في القاهرة بل ان بعض مناطق روض الفرج والساحل أرض طرح نهر ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر و بعد سنة ١٨٦٠ . والعامل الهام في اختيار هذه المناطق هو قربها أو مجاورتها لمحطة العاصمة لانتظام عدد كبير من الموظفين الأقباط بمصلحة السكك الحديدية وهي في موقع متوسط بالنسبة لسائر أحياء القاهرة ولذلك تدرج العمران من الجنوب إلى الشمال ، ومعظم أقباط هذه المناطق من الصعيد لأن أكثر من نصف الاقباط في الصعيد بل كان أكثر من ربع الأقباط في مديرية أسيوط وحدها في القرن التاسع عشر . إن معظم الأقباط الذين استوطنوا شبرا وروض الفرج من متوسطي الحال وقد يبدأ الشخص (موظفا أو تاجرا مثلا) باقتصاد مبلغ حتى ــ يستطيع أن يقيم الطابق الأول ثم يستمر في اقتصاده فيقيم الطابق الثاني وإذا تيسرت له الظروف استمر في حركة البناء ولذلك نرى اغنياء الاقباط يسكنون مصر الجديدة فنسبة الأقباط بها حسب احصاء سنة ١٩٦٠ ــ ٢٨٪ (٣٥ ألفا من ١٢٥ ألفا) (مجموع الاقباط والمسلمين) ولم تكن مصر الجديدة قد ظهرت بعد إلى حيز الوجود في القرن التاسع عشر فلم يكن بالتالي مجال ليسكنها الاقباط ، إن مصر الجديدة انشئت في القرن العشرين و بدأ امتياز شركة مصر الجديدة سنة ١٩٠٥ لتعيد ذكرى مدينة عين شمس الفرعونية القديمة (٣) فقرب موقع شبرا وروض الفرج من محطة العاصمة جعل الاقباط يسكنون هذه المناطق ولا يقبلون على السكنى في حي جديد كالدقي مثلا . كما ان قرب شبرا من حي الازبكية الذي يكثر به الاقباط سهل واجب الصلاة لهم في وقت لم تكن فيه كنائس للاقباط الارثوذكس في احياء شبرا وروض الفرج في القرن التاسع عشر وفي الربع الأول من

---

(١) نفس المرجع ص ٥٢٩

(٢) احمد شفيق باشا : مذكراتي في نصف قرن ــ الجزء الأول ص ٢٥ القاهرة سنة ١٩٣٢ .

(٣) فؤاد فرج : القاهرة : الجزء الثالث ص ٥٧٠ القاهرة سنة ١٩٤٦ .

القرن العشرين فيؤدى اقباط شبرا وروض الفرج الصلاة فى كنيسة البطريركية بالازبكية أو فى كنيسة الفجالة التى انشئت سنة ١٨٨٤ . كما أن اشتغال بعض الاقباط بتجارة الغلال كالفول والعدس جعلهم يسكنون روض الفرج لتلقى شحنات متاجرهم القادمة على السفن الشراعية من الصعيد وقد ساعد على انتشار العمران بسرعة فى أحياء شبرا وروض الفرج والساحل مد خط الترام فى شبرا سنة ١٩٠٢ وفى شارع روض الفرج وساحل روض الفرج سنة ١٩٠٣ مما سهل اتصالها بقلب القاهرة ويجعله فى بضع دقائق منها (١) على ان ازدحام السكان فى القاهرة بوجه عام أضطر الناس الى أن يتجهوا الى هذه الأراضى الخلاء على ان نسبة الاقباط الى مجموع السكان المصريين فى اى قسم من هذه الأقسام لن ترتفع الى نسبتهم فى مصر الجديدة فهى ٢٨٪ كما سبق القول او الى ٢٦٪ فى قسم قصر النيل (١١ الف من ٤٢ الف) اما فى قسم الازبكية وهو حى القبط القديم فتصل نسبة الاقباط ٤١٪ (٢٦ الف من ٦٤ الف) كما ورد فى احصاء سنة ١٩٦٠ وهذا بيان بنسبة الاقباط الى مجموع السكان المصريين حسب هذا الاحصاء

القسم	عدد الاقباط	مجموع السكان المصريين (الاقباط والمسلمين)	النسبة المئوية
قسم شبرا	٧٥,٨٩٤	٢٩٥,٩٨٤	٢٥٪
قسم روض الفرج	٦٠,٩٧٣	٢٦٥,١١٨	٢٣٪
قسم الساحل	٥٢,٨٤٢	٣٠٣,٥٨٥	١٧٪

انظر الجدول الموجود صفحه ٢١٧

الاقباط لا الانجليز هم الذين حملوا الحضارة الى السودان :

اولا : بعد فتح السودان فى عهد محمد على :

بعد فتح السودان سنة ١٨٢١ احتاج محمد على إلى عدد كبير من الموظفين لتنظيم شئون السودان وكان العمل يجرى هناك فى ظروف قاسية لعداء الاهالى للمصريين من ناحية وعدم توفر وسائل المعيشة من ناحية أخرى . وقد تقدم عدد من الأقباط للعمل فى تللك الجهات وتحملوا أعباء العمل بكل شجاعة وصبر وعادت المسيحية الى السودان بعد ان غابت عنه نحو خمسة قرون وعندما استقر الأقباط فى السودان رسم البابا بطرس الجاولى اسقفا للسودان .

---

(١) شحاته عيسى ابراهيم : القاهرة (من مطبوعات الالف كتاب) ص ٢٢٩ .

احصاء عن الاقباط فى كل مديرية سنة ١٩٠٧

اسماء الاقاليم	ارثوذكس		كاثوليك		بروتستانت		(المجموع)
	اناث	ذكور	اناث	ذكور	اناث	ذكور	
المحافظات	٢٠٦٤٧	٢٤٧٠٧	١٦٨٩	١٧٨٤	٥٧٧	٤٠١	٤٩٨٢٥
القليوبية	٤٢٩٨	٤٢٤٠	١٨	٢١	٥٢	٧٤	٨٧٠٣
الشرقية	٧١٣١	٧٨٤٣	٨٠	٨٨	٤٤	٨٣	١٥٨٦٩
الدقهلية	٨٦٨٨	٨٣١٩	١٠٥	٩١	٢٦	٤٢	١٧٢٧١
الغربية	١٠٣٦٣	١٠٢٨٩	١١٧	١٤٧	٥٥	٧٠	٢١٠٤١
البحيرة	٥٠٨٧	٥١٣٣	٦٢	٩٠	٣٥	٤٦	١٠٤٥٣
المنوفية	١٤٧٤٢	١٤٠٣٠	٢١	١٧	٣٠	٣٨	٢٨٨٧٨
الجيزة	٥٧٠٠	٦٠٧٦	٢٥	٨٠	٢١	٣٧	١١٩٣٩
الفيوم	١٠٠٨٩	١٠٢٤٦	٢٨	٢٣	٢٦٥	٢٥٥	٢٠٩٠٦
بنى سويف	١٠٠٩٣	٩٨١٨	٢٩	٤٨	٧٥	٧٦	٢٠١٣٩
المنيا	٥٣٥٤٢	٥٣٥٤٣	٨٤٠	٨٨٢	٢٩٠٦	٣٠٣٥	١١٤٧٤٨
اسيوط	٨٨٢٤٧	٨٧٩٨٢	٢٠٦١	٢٢٩١	٦٧٧٣	٧٦٠١	١٩٤٩٥٥
جرجا	٦١٥٠٧	٦٢٣٧٢	١٤٠١	١٣٦١	٤٤٠	٥٦٠	١٢٧٦٤١
قنا	٢٧٧٣٣	٢٨٧٨٦	٤٩٠	٦٤٠	٤٦٥	٥٣٩	٥٨٦٥٣
اسوان	٢٤٣٩	٢٧٤٦	٢١	١٦	٢٤	٤٥	٥٢٩١
المجموع	٣٣٠٧٤٠	٣٣٦٢٩٦	٦٩٨٧	٧٥٧٩	١١٧٨٨	١٢٩٢٢	٧٠٦٣٢٢

إن الموظفين الاقباط هم الذين حملوا الحضارة إلى السودان فقد كان الموظفون فريقين — فريق العسكريين و يشمل المأمورين والضباط وجنود الحامية وكان اغلبهم مترفعين عن الاهالى يحملون طابع القسوة والكبرياء وكان الأهالى يرهبونهم لما كانوا يلاقونه من قسوتهم و بخاصة فى جمع الضرائب وفريق المدنيين وكان اغلبهم من الاقباط فقد اختلطوا بالشعب ولم يكونوا يعيشون بمعزل عن الاهالى كما كان الضباط والجنود فى ثكناتهم بل سكنوا فى المنازل التى بنتها لهم الحكومة فى الخرطوم الجديدة وأم درمان وأخذ الأهالى يبنون منازلهم إلى جوارهم وعلى مثالهم و يقلدونهم فى طرق معيشتهم ومعاملاتهم . يقول الدكتور زاهر رياض فكانوا بذلك الممثلين

الحقيقيين لمصر المتمدينة فى هذه الاقاليم المتأخرة (١) وكان السودان يتبع ادارة خاصة فى مصر باسم (ادارة السودان عين لها ابراهيم روفائيل الطوخى رئيسا فى سنة ١٨٧٣ وظل بها حتى سنة ١٨٨٢ فتركها عند مجيء الاحتلال البريطانى ثم أعيد اليها سنة ١٨٨٤ ثم عين قاضيا بمحكمة الاستئناف الأهلية .

وقد ساهم الاقباط فى النشاط التجارى فاتجروا فى حاصلات السودان مثل سن الفيل وريش النعام وبرز منهم فى ميدان التجارة عدة اشخاص مثل شنوده وغطاس و بقطر و باسيلى (٢)

ثانيا : بعد استعادة السودان :

فى سنة ١٨٩٨ استعيد السودان ولم تمض سنتان على استعادته حتى كان الاقباط قد سكنوا منطقة كبيرة شمال أم درمان القديمة وانتشر الأقباط فى السودان فكان منهم عدد كبير من الموظفين وكان عدد كبير من التجار و بخاصة من بلدة نقادة فى الصعيد واشتهر أبناء هذه البلدة بالنشاط التجارى حتى أصبحت فى السودان كلمة نجادى بمعنى تاجر فاذا ما ارتفعت قيمة التجارة فى السودان سنة ١٩١٤ إلى مليون وثمانمائة ألف جنية فقد كان الأقباط من ورائها يدفعونها بالجهد والعرق (٣) وكان التجار الاقباط يصدرون من مصر المسمار البلدى اللازم لبناء والسيوف والبنادق (٤) .

ولم تمض خمس عشرة سنه على استعادة السودان حتى كان الأقباط قد اسسوا ست كنائس اثنتان اسستا سنة ١٩٠٠ وهما كنيستا أم درمان و وادى حلفا وفى سنة ١٩٠٥ أنشئت كنيسة الخرطوم وفى سنة ١٩١١ اسست كنيسة الدامر وفى سنة ١٩١٣ أنشئت كنيستا الخرطوم بحرى والابيض وكانت تكاليف هذه الكنائس من تبرعات الاقباط المقيمين فى السودان فى حين أن الانجليز لم يستطيعوا أن ينشئوا كنيسة فى السودان إلا فى سنة ١٩١٢ وشعروا بأنهم لا يستطيعون المضى فى طريقهم إلا بالتقرب إلى الأقباط فدعوا البطريرك كيرلس الخامس إلى حضور حفل تدشينها فأعتذر وفى هذا الحفل القى مطران الانجليز فى السودان فقال انه يعترف لغبطة البطريرك برئاسته لكنيسة أقدم أمة وأنه يعتبر الكنيسة القبطية الشقيقة الكبرى للكنيسة الانجليزية (٥) .

---

(١) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث .

(٢) الدكتور محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان ص ٩٥

(٣) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث .

(٤) نعوم شقير: تاريخ السودان الجزء الاول ص ١٤٦ القاهرة سنة ١٩٠٣

(٥) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين ج ٥ ص ١٤

وحمل المدرسون الاقباط رسالة التعليم في السودان سواء في المدارس الحكومية أو في المدارس القبطية واختلط الاقباط بالسودانيين في الأندية والمقاهي ودور العلم وعاشوا في إخاء وحسن جوار وأخذ الاقباط على عاتقهم قيادة الجيل الجديد من السودانيين الى الحضارة والتقدم . يقول الدكتور زاهر رياض : « فمن القادر على أن يأخذ بيد السوداني في هذا السبيل ؟ أهو الموظف البريطاني الذي عاش يتردد على مكتبه صباحا والى بيته الأنيق المزود بملعب التنس وحمام السباحة ظهرا وأخيرا الى ناديه الذي لا يستطيع السوداني دخوله إلا أذا كان يعمل خادما فيه ؟ وفي كل هذه الحالات لا يعيش معيشة أوربية فحسب بل اوربية رفيعة لا يستطيع السوداني ان يرقى الى مجرد التفكير فيها ، ام هذا القبطي الذي يعيش في أم درمان داخل اطار يستطيع السوداني إذا رغب تقليده ثم يتردد على قهوات الخرطوم وأم درمان واخيرا يستقبله السودانيون في منازلهم .

لا جدال في ان الاقباط هم الذين قادوا المجتمع السوداني نحو الحضارة الاوربية وليس انصاف الآلهه من الأوربيين (١) .

الاقباط في موكب التقدم

انتظم الاقباط في موكب التقدم منذ منتصف القرن التاسع عشر في عهد البابا كيرلس الرابع ولازال هذا الموكب يسير في طريقه الى مدارج النهوض والارتقاء فبلغ صورة رائعة للنهوض والتقدم في القرن العشرين وقد شمل هذا التقدم جميع النواحي الدينية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية .

ففي الناحية الدينية لم يكن يسمح للأقباط بانشاء كنائس جديدة في النصف الأول من القرن التاسع عشر اما في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فقد أنشأ الاقباط منذ عهد سعيد إلى نهاية هذا القرن مئات الكنائس الجديدة وسار موكب التقدم فبنيت مئات أخرى لجميع الطوائف القبطية في القرن العشرين و يكفي أن اذكر أن الاسكندرية لم تكن بها في القرن التاسع عشر الا كنيستان للأقباط الأرثوذكس صارت بها الآن اثنتان وعشرون كنيسة للأقباط الارثوذكس .

و يذكر المؤرخون أن القرن التاسع عشر لم يشهد في نصفه الثاني إلا أميرا واحدا للخطابة الدينية في الكنائس هو القمص فيلوثاوس ابراهيم راعي الكنيسة المرقسية الكبرى ، الذي كان يتنقل من منبر الى منبر في طول البلاد وعرضها ، أما في القرن العشرين فنرى عشرات من امراء

(١) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان نصيب الاقباط من الحركة القومية في العصر الحديث .

المنابر واكتفى الآن بذكر ابلغ عشرة من رجال الدين (ستة من الارثوذكس وأربعة من البروتستانت) أما الاقباط الارثوذكس فهم الأنبا لوكاس مطران منفلوط الراحل والقمص مرقس سرجيوس أحد خطباء ثورة سنة ١٩١٩ والقمص ابراهيم عطية مدير الكلية الاكليريكية السابق والانبا شنوده أسقف الكلية الاكليريكية والقمص عبد المسيح ثاوفيلوس النخيلي من رجال الدين في الصعيد والقس بولس باسيلي صاحب مجلة مارجرجس ، بل بلغ هذه المكانة عدد من غير رجال الاكليروس مثل الاساتذة اسكندر حنا وحبيب جرجس وعياد عياد .

واما الاقباط الانجيليون فهم الدكتور القس ابراهيم سعيد رئيس الطائفة الانجيلية والمرحوم الدكتور القس توفيق جيد والدكتور القس لبيب مشرقي والقس صموئيل وهبه بالاسكندرية .

وفي النهضة التعليمية لم تكن للاقباط مدارس في النصف الأول من القرن التاسع عشر بل كانت الدراسة في كتاتيب العرفان غير الصحية ، يجلس التلاميذ على الحصر أو على الخوص المجدول ، أصبحت لهم منذ عهد البابا كيرلس الرابع في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مدارس راقية على احسن طراز ومستوى علمي رفيع يتعلم فيها الطلبة عدة لغات و يسمح للأقباط بدخول المدارس الاميرية اسوة بمواطنيهم منذ سنة ١٨٦٣ في عهد الخديو اسماعيل وفي القرن العشرين التحقوا بالجامعات التي تضم نسبة عالية منهم ، كما سافروا للدراسة في اوربا في بعثات علمية فبرز منهم نوابغ في الطب والمحاماة والهندسة والعلوم والفنون وغير ذلك .

وفي الناحية الاجتماعية لم تكن الجمعيات الخيرية للاقباط بطوائفهم الثلاث حتى أواخر القرن التاسع عشر تتجاوز عشر جمعيات ، أصبحت لهم في القرن العشرين مئات الجمعيات تساير النهضة في البلاد فبنت المستشفيات والمستوصفات والمدارس والملاجيء وانتشرت في البلاد بصورة مشرفة تنشر رسالة البر وتطارد البؤس وترفع عن الفقير نير الشقاء وتكفكف دموع البائسين وترعى الايتام والمعوزين .

وفي الناحية الاقتصادية سار الاقباط في مجال التقدم الى أبعد شوط فبعد أن كان عملهم في القرن التاسع عشر يكاد يكون محصورا في الوظائف الحكومية او الصناعه الحرفية او فلاحة الارض ، سار الاقباط في مجال التقدم الاقتصادى فمنذ صار للمصريين حق الملكية العقارية صار عدد كبير من الأقباط في عداد الاغنياء فأشتروا الاف الافدنه وصار منهم تجار كبار و يرى القاريء كل ذلك بوضوح في الفصل الخاص بطبقة الاعيان وكبار الموظفين فيرى الثراء الطائل الذى وصل اليه الاقباط من الزراعه والتجارة و بخاصة أقباط اسيوط .

— ((الفصل الثانى)) —

— ((العادات والتقاليد)) —

العادات والتقاليد عند الاقباط مستمدة من عدة مصادر، **المصدر الاول** مصدر فرعونى وهو ما تلقاه الاقباط من اجدادهم الفراعنة من عادات وتقاليد سارت مع الزمن وتخطت الاجيال ووصلت الى القرن التاسع عشر بل هى باقية الى اليوم من أمثلة ذلك تحلى السيدات بالأساور على شكل حيات ، مصدر هذا التقليد هو تقديس الحيات عند الفراعنة (١) ، ومثل صرف روح الميت فى اليوم الثالث عند الاقباط فليس لهذا التقليد مصدر دينى وانما هو اعتقاد الفراعنة ان روح المتوفى تحوم فى المنزل ثلاثة ايام ، ومثل القاء الطفل سنته جهة الشمس مصدره عبادة الشمس فهى عند الفراعنة الاله رع فقد اخذ نجم هذا الاله يعلو فى الاسرة الخامسة وهو عند الفراعنة يستطيع ان يبدل بسنة الجاموسة سنة العروسة للبنت او يبدل بسنة الحمار سنة الغزال للصبى (٢) .

المصدر الثانى : من مصادر هذه العادات والتقاليد مصدر مسيحى مستمد من الكتاب المقدس وكتب العقائد المسيحية وطقوس الكنيسة وتاريخها مثل نظام الصلاة والصوم والأعياد وموالد القديسين والشهداء فالمسيحية بلا شك مصدر الاحتفال بذكرى القديسين امثال أعياد السيدة العذراء ومار جرجس وغيرها ، ومراجع هذه العادات والتقاليد الكتب الدينية وقد كتب العلماء الاجانب و بخاصة الذين زاروا مصر فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين عن هذه العادات والتقاليد فصوروا فى كتبهم المجتمع القبطى اصدق تصوير مثل المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين الذى زار مصر مرتين ودرس اللغة العربية وأمضى فى مصر بضع سنوات فى عهد محمد على والمؤرخة الانجليزية مسز بوتشر وفاولر و بتلر وليدر (٣) .

---

(١) سليم حسن : مصر القديمة الجزء الاول ص ٣٥٤ ـــ القاهرة سنة ١٩٤٠

(٢) وليم نظير: العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٤٢ القاهرة سنة ١٩٦٧ .

(٣) من الكتب التى تتناول هذه الدراسة : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا اليومية للاستاذ محرم كمال ومثل كتاب مصر والحياة المصرية القديمة تأليف ايرمان وهرمان وترجمة الدكتور عبد المنعم ابو بكر وكتاب العادات المصرية بين الامس واليوم لوليم نظير

(a) Edward William Lane: Manners and Customs of the Modern Egyptians.

(b) A.J. Butler: The Ancient Coptic Churches of Egypt.

(c) Fowler: Christian Egypt, Past, Present and Future. London 1952

(d) G.A. Leeder: Modern Sons of the Egyptian Pharoahs

(e) Butcher: The Story of the Church of Egypt.

المصدر الثالث: مجموعة الاوامر التى كان يصدرها الولاة خلال الحكم الاسلامى فى مصر فقد فرض بعض الولاة قيودا على الاقباط فى الزى وغيره كانت متبعه فى مصر عند قدوم الحملة الفرنسية على مصر وفى عهد محمد على ، من امثلة ذلك لبس العمائم السوداء وتحريم لبس العمائم البيضاء فقد كان القبطى العلمانى (الذى ليس من رجال الدين) يلبس عمامة سوداء او زرقاء وقد شاهد هذا الوضع المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين عند زيارته مصر وبحث تعليل لبس العمامة السوداء أو الزرقاء وسأتعرض لهذا التعليل فيما بعد .

المصدر الرابع: مصدر اجنبى يظهر فى تقليد واقتباس الاسماء الأوربية ، فارتداء البدلة يعزى الى الاقتداء بالاوربيين والعربة التى تحمل موتى الاقباط هى اقتباس من المدنية الغربية وهكذا يتلقى الاقباط فى القرن التاسع عشر عادات وتقاليد هى نتاج ما مر بهم من عصور وما أتصل بهم من أمم . يقول الكاتب الاجتماعى احمد زكى بدوى :

« أن الفتوحات المتعاقبة لا تعين من تاريخ مصر غير مراحله السياسية والدولية اما المراحل الاجتماعية فانها تشتبك وتمتزج فى معترك لا نهاية له من التطور والتماثل . وقد نلمس فى العادات والتقاليد والمعتقدات التى تسود المجتمع المصرى الحالى كثيرا من آثار القرون الوسطى ومصر الوثنية او مصر الفرعونية وكان الفتح الاسلامى يعتبر كأنه اسدل حجابا أبديا على مصر القديمة وعلى رسومها وعاداتها وتقاليدها وكل تراثها الفكرى والاجتماعى ، ولكن مباحث الآثار المصرية القديمة كشفت عن حقيقة هامة ، إن تراث مصر الفرعونية مازال يتسرب الى تقاليد المجتمع المصرى المعاصر والى عاداته ورسومه ومعتقداته ، وان هذا التراث لم ينقطع عن المثول فى تطورات مصر الاجتماعية فى عصورها ومراحلها المختلفة وكل ما هنالك انه كان يتخذ لكل عصر صورة » (١) .

وفى الواقع أن العادات والتقاليد تتمشى مع الزمن وتتخطى المراحل السياسية الا نرى بعض الالعاب الفرعونية سائدة الى اليوم فى القرى مثل لعبة كرة الشراب والسيجة ونرى العادات والتقاليد الفرعونية سائدة فى المدن مثل رش العروس بالملح فى الأفراح منعا للحسد ، ومثل تعليق البصل أو كسره على الأبواب فى صبيحة يوم شم النسيم مثلما كان يحدث أيام الفراعنة .

ونتبين مدى التأثيرات التى طرأت على المجتمع القبطى وتعدد مصادر العادات والتقاليد فى اسماء الأقباط فهى من عدة مصادر فبعضها كلمات قبطية مثل بشاى بمعنى العيد وشنوده بمعنى ابن الله و باخوم بمعنى النسر و باهور بمعنى عبد الله وتادرس بمعنى عطا الله ونصيف بمعنى

---

(١) أحمد زكى بدوى : تاريخ مصر الاجتماعى ص٨ وص ٩ — القاهرة سنة ١٩٣٥ .

حسن وصوفيا بمعنى حكمة و بعضها يونانية مثل كلمة بسطوروس بمعنى الصليب أو باسليوس بمعنى ملك و بعضها لاتينية مثل مكسيموس بمعنى عظيم اقلاديوس بمعنى سيف أو اسماء واردة فى الكتاب المقدس مثل صموئيل وداود وموسى وابراهيم ومتى و بطرس أو اسماء هى فى الأصل صفات عربية مثل أمين وثابت ونجيب وعزيز ونبيه أو اسماء انجليزية مثل وليم أو فرنسية مثل لويس أو تركية مثل جابى . والآن اتناول بالبحث العادات والتقاليد فى مختلف النواحى .

١) فى الولادة والعماد والختان

عند ولادة الطفل يمتلىء البيت فرحا و يعلو البشر الوجوه و بخاصة اذا كان المولود ذكرا وتستمر الوالدة مدة اسبوع فى غرفتها و يقوم بتدبير شئونها قريباتها أو صديقاتها وفى ليلة السابع تحتفل الاسرة (بالسبوع) وتنتقد المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر ما يتعرض الطفل من تجارب فى هذا اليوم فتقول « فأول عذابه ومضايقته أن يدقوا هونا من نحاس أصفر قرب أذانه إلى أن تكاد تشق ثم يهزونه فى غربال . و بعد أن يتم إزعاج الطفل المسكين فى اليوم السابع من عمره بتلك الوسائل الخرافية تلبس امه ثوبا أبيض وتأخذه على ذراعيها وتدرو به فى غرف المنزل فى شكل موكب » (١) وفى الواقع هذا الموكب يبدو جميلا وهو يتنظم عددا من أقارب الطفل فيحمل الاطفال الشموع فى أيديهم ويمشون صفين أمام الوالدة و يرددون اغانى الولادة وقد جرت التقاليد أن توزع اطباق الحلوى والفاكهة ، و يشتمل على سبعة أنواع لآن الطفل مولود منذ سبعة أيام ، كما جرت التقاليد أن توقد ثلاث شمعات تثبت فى إناء به إبريق إذا كان المولود ذكرا وقلة إذا كان المولود أنثى وكل شمعة ترمز إلى اسم و يعطى الطفل اسم الشمعة التى تستمر مشتعلة مدة اطول اشارة الى ان صاحب هذا الاسم سيكون أطول عمرا .

اما العماد فطبقا لقوانين الكنيسة الأرثوذكسية يكون عند بلوغ الولد أربعين يوما والبنت ثمانين يوما الا أن كثيرا من الأسر تقوم بتعميد أطفالها فى أحد التناصير (الاحد الذى يسبق عيد القيامة بأسبوعين) وتحتفل الأسر بالعماد فى بهجة وسرور و يلبس الطفل ثوبا أبيض جميلا ، وقد أوصى السيد المسيح بالعماد ، و يتم العماد بتغطيس الطفل ثلاث مرات فى ماء المعمودية (وهى حوض مخصص لذلك فى الكنائس) ثم يدهن بالزيت المقدس ولقد اعتمد السيد المسيح من نهر الأردن وقام بتعميده يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) ولهذا يعتبر نهر الاردن مقدساً عند المسيحين .

وأما الختان ففى القرن التاسع عشر كان متبعا عند الاقباط و بخاصة فى الريف

---

(١) مسز بوتشر : ج ٤ ص ٤١٥ الترجمة العربية لتادرس شنوده المنقبادى .

والاختتان يتم اقتداء بالسيد المسيح معلم المسيحية الأعظم وتقول المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر «لا يوجد عند الاقباط ما يثبت ان اتباع الختان هو تنفيذ لطقس دينى بل هو فقط احتياط صحى يتبع وقت ما يجب اتباعه» (١) .

٢) فى الملبس

كان الاقباط قبل قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر يلبسون العمامة السوداء و يرجع هذا التقليد الى عهد الحاكم بأمر الله الفاطمى الذى فرض على الاقباط أن يلبسوا العمامة السوداء (٢) كالعباسيين اعداء الفاطميين كما كان بعض الاقباط يلبسون العمامة الزرقاء و يرجع هذا التقليد إلى عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون أحد سلاطين المماليك حين أصدر أمره باتباع ذلك (٣)

وقد جرت التقاليد أن يخصص الجانب الأيمن من الشارع لسير المسلمين والجانب الأيسر لسير المسيحيين واليهود «فقد امتنع على المسيحيين واليهود قبل الغزو الفرنسى بحكم هذه التقاليد لبس العمامة الخضراء أو الحمراء او البيضاء أو التدثر بالشيلان الفاخرة أو انتعال (المراكيب الحمراء) او الصفراء كما جرت التقاليد بأن يترك المسيحيون واليهود الجانب الأيمن من الشارع لسير المسلمين وأن يترجلوا عن ركائبهم إذا مروا بجامع من الجوامع تعظيما وتقديسا ، وامتنع عليهم ركوب الخيل والبغال وما كان احد منهم يجرؤ على تناول الطعام والشراب علنا فى الأسواق او الشوارع طول شهر الصوم أو التدخين بحال من الاحوال» (٤) .

وعندما جاءت الحملة الفرنسية تغير كل ذلك وتحرر الأقباط من هذه التقاليد إلا أن تحلل الأقباط وغيرهم من الطوائف غير الاسلامية من هذه القيود أثار موجة تذمر وسخط عند المسلمين . يقول الجبرتى «ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف بسبب خدمتهم للفرنسيين» (٥)

وقد عرف بونابرت ما فى تحرر الاقباط وغيرهم من الطوائف غير الاسلامية من القيود التى كانت مفروضة عليهم من إساءة الشعور الاسلامى فبين فى مذكراته تقديره أهمية هذا الأمر بيانا واضحا فقال : «لا فائدة فى إظهار الاحترام العميق للدين الاسلامى إذا كنا نسمح للأقباط

---

(١) نفس المصدر ص ٤١٨ .

(٢) Edward William Lane: Manners and Customs of the Modern Egyptians. P.556.

(٣) المقريزى : الخطط المقريزية ج ٣ ص ٤٠٤ القاهرة ١٣٢٦ هـ

(٤) الدكتور محمد فؤاد شكرى : عبد الله جاك مينو وخروج الفرنسيين من مصر ص ٥٩

(٥) الجبرتى : ج ٣ ص ٤٦

والروم والمسيحيين الغربيين بقدر من التحرر يغير من منزلتهم الماضية وقد أردت أن يكونوا أكثر خضوعا وأكثر احتراما لكل ما يتعلق بالاسلام والمسلمين مما كانوا فى الماضى » (١)

إن المتأمل فى تاريخ الجبرتى يجد أن رغبه بونابرت قد نفذت فأصدر امره إلى المسيحيين واليهود أن يعودوا إلى عاداتهم وتقاليدهم التى ساروا عليها قبل مجيئة إلى مصر فيذكر الجبرتى فى حوادث رمضان سنه ١٢١٣ هـ « رجوع نصارى الشوام إلى لبس العمائم السود والزرق وإلى ترك لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات وذلك بمنع الفرنسيين لهم من ذلك » ، « ونبهوا (أى الفرنسيون) أيضا فى أوائل رمضان بأن نصارى البلد يمشون فى عادتهم مع المسلمين أولا ولا يتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولا يشربون الدخان » (٢)

إلا أن هذه الحالة فى ظل الحكم الفرنسى لم تستمر لسببين ذكرهما المرحوم المؤرخ شفيق غربال « ولم يكن استمرارها مما يمكن فى ظل حكم غربى جمهورى شعاره المساواة والحرية الدينية وما كانت الاعتبارات السياسية لتستطيع محو هذا الشعار تماما هذا إلى جانب حاجة الاحتلال الفرنسى لغير المسلمين وأموالهم ودرايتهم بأحوال البلاد ونظمها وعادات أهلها ولا مكان الوثوق بهم بفضل اتفاق المنافع » (٣)

و بالتطور الفكرى وتسامح بعض الحكام خفت هذه القيود إلى أن تلاشت فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر .

كان الاقباط يلبسون الجبة او الجلباب وفى النصف الثانى من القرن التاسع عشر دخلت الأزياء الاوروبية فحل الطربوش (الزى التركى) محل العمامة وحلت البدلة محل الجبة عند الطبقة المتعلمة او الراقية وفى كتاب الأقباط فى القرن العشرين الذى ألفه الاستاذ رمزى تادرس سنة ١٩١٠ نجد صورا لاقباط عاشوا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يرتدون البدلة أذكر منهم المؤرخ يعقوب نخلة روفيله صاحب تاريخ الأمة القبطية المولود سنة ١٨٤٧ وقد صار مدرسا للغة الانجليزية بمدرسة البطريركية القبطية ، وكذلك نرى صورة المؤرخ ميخائيل بك شاروبيم صاحب كتاب « الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث » وقد عين قاضيا سنة ١٨٨٤ بمحكمة المنصورة فى اول حركة قضائية كان يرتدى طبعا البدلة الأوروبية وكذلك ترى صورة الأديب الشاعر تادرس بك وهبه المولود بالقاهرة سنة ١٨٦٠ ثم صورة جندى بك ابراهيم صاحب جريدة الوطن المولود سنة ١٨٦١ . وفى هذه الصور نجد البدلة رداء المثقفين من ألاقباط » (٤) .

---

(١) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ . ص ١٣ مطبعة المعارف سنة ١٩٣٢ .

(٢) الجبرتى ج ٣ : ص : ٤٧ .

(٣) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ومشروع استقلال مصر سنة ١٨٠١ ص ١٣ .

(٤) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين ـــ الجزء الثالث

أما السيدات فكن يلبسن الفساتين وتلبس السيده الراقية (الحبرة) وعند الخروج من المنزل تلبس السيدات النقاب شأنهن شأن المسلمات وتلبس النساء غير المتزوجات ونساء الطبقات الدنيا النقاب الأبيض فى الشارع وتلبس فضليات السيدات المتزوجات النقاب الاسود » (١) .

وكانت السيدات كما هى الحال الآن يلبسن الأساور على شكل حيات و يرجع هذا التقليد الى تقديس الحيات عند الفراعنة .

٣) فى العبادة

يتجه الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك فى صلاتهم إلى الشرق لعدة أسباب منها أن الشرق هو الجهة التى قال السيد المسيح إنه يظهر منها عند مجيئه الثانى ولقول داود النبى : « رتلوا للرب إذ استوى على سماء السماء أسمع صوته من الشرق صوتا عز يزا « فالى هذه الجهة التى سمع منها صوته ومنها مجيئه أوجبت الشر يعة أن يوجه إليها المصلى وجهه » (٢)

والمسيح نور العالم والشرق مطلع الأنوار و يقول إشعياء النبى لذلك فى المشارق مجدوا الرب (إشعياء ٢٤ : ١٥) اما الأقباط الإنجيليون أو البروتستانت فيتجهون فى صلاتهم إلى أية جهة إن اتجاه الأقباط الأرثوذكس فى صلاتهم نحو الشرق كان له تأثير فى نظام الكنائس فجعل جميع الهياكل تقام فى الجهة الشرقية من الكنيسة وللكنيسة منارة او منارتان والمنارة بالنسبة الى الكنيسة كالسارية بالنسبة للسفينة وكما تكون للسفينة سار يتان هكذا يكون للكنيسة أحيانا منارتان أما الجرس فقد أخذ عن نوح إذ كان يضرب النواقيس ثلاث مرات فى اليوم لأجل اجتماع الصناع ولعمل السفينة وللأكل » (٣)

وقد جرت التقاليد أن تقام الكنائس الأرثوذكسية فى الغالب على اثنى عشر عمودا وهذا رمز إلى تلاميذ المسيح الا ثنى عشر كما أن بناء قبة واحدة إشارة إلى وحدانية الله واشرافه على الكنيسة أو قبة كبيرة فى الوسط وحولها ١٢ قبة إشارة الى المسيح وتلاميذه كما أن بناء اربعة اعمدة فى الجزء الخارجى من الكنيسة يقوم عليها بناء الكنيسة تشير الى الأربعة الاناجيل ــ كلمة المسيح الحية التى قامت عليها الكنيسة وأسست دستورها من هذه الاناجيل لتحيا رفيعة العماد .

---

(١) Edward William Lane. Manners and Customs of the Modern Egyptians P. 557. London 1954

(٢) القمص منقريوس عوض الله : منارة الاقداس فى شرح طقوس الكنيسة والقداس ص ١٢٤ القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٣) القمص منقريوس عوض الله : منارة الاقداس فى شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس ص ٢٧ ــ القاهرة سنة ١٩٤٧

وفى القرن التاسع عشر كانت جميع كنائس الأقباط الأرثوذكس تجعل مكانا خاصا للسيدات فى الجوانب العليا من الكنيسة و يسمى فى اصطلاح الكنيسة « خورس » وذلك لاتباع الحجاب ولكن المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر التى زارت مصر فى أواخر القرن التاسع عشر تنتقد هذا الوضع وترى أن يسمح للسيدات بالجلوس فى وسط الكنيسة أسوة بالرجال عوضا عن نفيهن فى أروقة مقامة فى أعلى الكنيسة على حد تعبيرها بل ترى أن هذا الحجاب جعل السيدات ينصرفن عن الصلاة إلى تمضية الوقت فى تجاذب أطراف الحديث (١) ، و بينما نرى المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر تنتقد نظام الحجاب فى الكنائس القبطية بتخصيص الخورس فى الكنيسة للسيدات نرى المؤرخ الانجليزى ستانلى لين بول يبدى إعجابه بالكنائس القبطية فيقول « غير أنه مما لا شك فيه أن معظم الاحتفالات التى تتم فى الكنيسة القبطية لها وقارها وهيبتها فما من أحد يستطيع أن يشهد القداس فى كنيسة قبطية دون أن يسير ذلك انتباهه . وكذلك لا يستطيع أحد الا يتحرك لسماع اصوات الشمامسة وهم يترنمون فى الكنيسة القبطية فى صوت واحد مرتفع ومهما يكن من شىء فلا ينبغى أن ننكر ما تدين به الكنيسة القبطية من إيمان قويم » (٢) .

وقد جرت التقاليد أن يعلق فى الكنائس القبطية فى القرن التاسع عشر بيض النعام وهذه الظاهر، تجدها فى الكنائس القديمة ، و بيض النعام يرمز الى اليقظة فكما أن تفريخ النعام لا يتم إلا بنظر النعامة إلى بيضها لا تغفل عنه لحظة واحدة كذلك يجب على المؤمن أن يتطلع إلى الله ، وتسمى الكنائس الارثوذكسية بأسماء الرسل والشهداء والقديسين والملائكة فنجد عددا كبيرا من الكنائس باسم السيدة العذراء وعددا آخر باسم الشهيد مار جرجس وعددا ثالثا باسم مار مرقس بينما تسمى الكنائس الإنجيلية فى حالة تعددها فى مدينة باسم الكنيسة الانجيلية الأولى والكنيسة الانجيلية الثانية كما فى اسيوط والمنيا ففى مدينة المنيا عندما أسست أول كنيسة سنة ١٨٨٥ أطلق عليها اسم الكنيسة الانجيلية وهكذا فى كل قرية او مدينة لا يكون بها أكثر من كنيسة وعندما بنيت فى مدينة المنيا كنيسة انجيلية اخرى سنة ١٩٠١ اطلق عليها الكنيسة الانجيلية الثانية (٣) وأطلق على الكنيسة التى بنيت سنة ١٨٨٥ الكنيسة الإنجيلية الأولى ، بيد أن بعض فروع المذهب البروتستانتى مثل الكنيسة الأسقفية ــ مذهب الانجليز ــ يطلق على الكنائس الأسقفية أسماء من أمثلة ذلك كنيسة يسوع نور العالم بمصر القديمة وكنيسة جميع القديسين بجوار المتحف المصرى بميدان التحرير بالقاهرة .

---

(١) مسز بوتشر : تاريخ الامة القبطية وكنيستها ــ الجزء الرابع ــ الترجمة العربية ص ٤١٨ .

(٢) ستانلى لين بول : سيرة القاهرة الترجمة العربية للدكتور حسن ابراهيم حسن وزميليه ص ٦٨ ــ القاهرة سنة ١٩٥٠

(٣) القمص منقريوس عوض الله : منارة الاقداس فى شرح طقوس الكنيسة والقداس ص ١١٣ القاهرة سنة ١٩٤٧ .

(٤) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية ص ١٠٢

٤) فى الصيام

الصوم عند الاقباط وسيلة لتدريب الإرادة وضبط النفس لكبح جماح الشهوات فتسيطر الروح على الجسد وترتفع النفس الإنسانية الى مستوى رفيع وتسبح فى جو روحى بديع و يلازم الصوم الاهتمام بالصلاة والاكثار من توزيع الصدقات وغاية الصوم كما حددته الكنيسة هى التكفير عن الخطيئة وإماتة الشهوات الجسدية ليخضع الجسد للروح و يصوم الأقباط بالامتناع عن تناول الطعام مدة من النهار قد تصل إلى الظهر أو العصر أو الغروب حسب مقدرة الصائم و يتناول الصائم بعدها أطعمة خالية من الدسم غير حيوانية فالامتناع عن الطعام فترة من الوقت والشعور بالجوع يبعث العطف على الفقير كما أن الامتناع عن الاطعمة الدسمة يكبح جماح الشهوات فيخضع الجسد أمام سلطان الروح .

و يصوم الأقباط الارثوذكس والأقباط الكاثوليك قرابة نصف العام أو يزيد ولا يتقيد الاقباط الانجيليون أو البروتستانت بهذه الأصوام التى أقوم بعرضها وانما يصومون فى بعض الأيام على أن الذى جرى عليه العمل هو أن عددا كبيرا من البروتستانت يصومون أصوام الارثوذكس وجرت التقاليد فى مصر أن يحتفل البروتستانت بعيدى الميلاد والقيامة معهم . و يصوم الاقباط الارثوذكس والأقباط الكاثوليك الأربعاء والجمعة من كل أسبوع ماعدا أيام الخماسين وهى الخمسون يوما التى تبدأ بعيد القيامة وتنتهى بعيد العنصرة فلا يجوز الصيام فى الخماسين لأنها أيام فرح وابتهاج بقيامة السيد المسيح وانتصاره على الموت وصيام الأربعاء لذكرى التشاور للقبض على السيد المسيح والجمعة لذكرى صلبه ، و ينتهى كل صوم من الاصوام بعيد ، وسأقوم بتتبع هذه الاصوام عند الأرثوذكس والكاثوليك وفق ترتيبها فى السنة .

صوم الميلاد مدته ٤٣ يوما يبدأ فى ١٦ هاتور و ينتهى فى ٢٨ كيهك (٦ يناير) وكان فى القرن التاسع عشر ينتهى فى ٥ يناير ثم يعقبه عيد الميلاد الآن فى ٧ يناير وكان فى القرن التاسع عشر فى ٦ يناير وسأشرح تعليل ذلك فى دراسة الأعياد وفى صيام الميلاد تحتفل الكنائس بليالى كيهك فيذهب الأقباط إلى الكنائس لترديد المدائح والتسابيح استعدادا لاستقبال عيد الميلاد وكان الأقباط فى ليالى الأحد من شهر كيهك يسهرون فى الكنائس الى الصباح فى صلاة وتسبيح .

و يبدأ صيام نينوى ومدته ثلاثة ايام (الاثنين والثلاثاء والأربعاء) قبل الصوم الكبير بأسبوعين تشبها بأهل نينوى فى توبتهم عن طريق الصوم ونينوى مدينة قديمة بالقرب من الموصل الحالية بالعراق وكانت نسبة كبيرة من الاقباط تصوم هذه الأيام صوما انقطاعيا فلا يتناول الصائم

الطعام حتى الغروب أو ظهور النجوم ولا يزال بعض الأقباط ينسج على هذا المنوال الآن وقد بدأ الاقباط صيام نينوى فى أواخر القرن العاشر (١)

اما الصوم الكبير وكان عند بدء انتشار المسيحية أربعين يوما وهى الأيام التى صامها السيد المسيح ليعلم البشرية الصوم وكان فى القرن التاسع عشر كما هو الآن خمسة وخمسين يوما و ينتهى بعيد القيامة و يسمى الأسبوع الأخير منه أسبوع الآلام وفيه تلبس الكنيسة ثوب الحداد وتتم الصلاة فى خشوع وتتذاكر الكنيسة فى هذا الاسبوع المؤامرة اليهودية التى انتهت بصلب السيد المسيح و يطلق الأقباط على كل يوم من أسبوع الآلام إسما يناسب ذكرى خاصة منها أربعاء أيوب وقد اعتاد كثير من الأقباط فى هذا اليوم الاستحمام بالماء البارد و يدلكون أنفسهم بالعشب المسمى « رعرع ايوب » (٢) لذكرى شفاء ايوب النبى به .

وخميس العهد لذكرى غسل المسيح أرجل تلاميذه (الحواريين) ليعلمهم التواضع وفيه أيضا بدأ معهم عهدا جديدا ثم يعقبه الجمعة الكبيرة لتذكار صلب المسيح و يصوم الأقباط فى هذا اليوم من منتصف الليلة السابقة إلى انتهاء الصلاة فى نحو السادسة مساء و يقضى المصلون فى هذا اليوم فى الكنيسة نحو تسع ساعات من التاسعة صباحا حتى السادسة مساء وتردد فيه ذكريات الصليب فى لحن حزين . ثم يعقبه سبت النور لظهور النور من القبر المقدس فى القدس فى عصر هذا اليوم و ينتهى الصيام الكبير بالعيد الكبير (عيد القيامة) . و بعد انتهاء الخماسين يبدأ صيام الرسل وتختلف مدته حسب اختلاف الفترة الواقعة بين انتهاء الخماسين و يوم ١١ يوليه و يعقبه عيد الرسل فى ١٢ يوليه و يبدأ صوم العذراء فى أول مسرى (الموافق الان ٧ اغسطس) و يستمر خمسة عشر يوما و ينتهى بعيد العذراء فى ١٦ مسرى الموافق الان ٢٢ اغسطس .

٥) فى المواسم والأعياد

يعقب كل صوم عند الأقباط عيد من الأعياد وأهم هذه الأعياد ثلاثة هى عيد الميلاد وعيد الغطاس وعيد القيامة وسأتحدث بالتفصيل عن هذه الأعياد ثم أتناول بالدراسة المواسم والأعياد الأخرى .

عيد الميلاد : يحتفل العالم المسيحى بهذا العيد تذكارا لميلاد السيد المسيح فى بيت لحم بفلسطين ويحتفل به الأقباط الارثوذكس والأقباط الانجيليون فى مصر الان فى ٧ يناير أما الاقباط

---

(١) الدكتور مراد كامل : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية (المجلد الثانى) ص ٢٩٦ من قيام دقلديانوس الى الفتح العربى .

(٢) ادوارد وليم لين : الترجمة العربية بقلم عدلى طاهر نور ص ٣٦٦ .

الكاثوليك فيتبعون النظام الغربي فى ٢٥ ديسمبر وكان الاقباط يحتفلون بهذا العيد فى القرن التاسع عشر فى ٦ يناير وقد استمر الاحتفال فى ٦ يناير طوال القرن التاسع عشر. ان التقويم الميلادى لم يستعمل فى مصر إلا منذ ١٨٧٥ فى عهد الخديو اسماعيل لارتباطه بصندوق الدين فقد كان التقويم الهجرى والتقويم القبطى فى مصالح الحكومة يسيران جنبا إلى جنب حتى سنة ١٨٧٥ وعلى ذلك يكون إدراك الاقباط أن عيد الميلاد ــ وهو حسب تنظيم الكنيسة فى ٢٩ كيك فى ثلاث سنوات و٢٨ كيك فى سنة واحدة تلى سنه الشهداء الكبيسة (٣٦٦ يوما والنسىء فيها سته ايام) ــ أنه يوافق ٦ يناير غير واضح . هذا الادراك يظهر فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر وإن المستشرق الانجليزى إدوارد وليم لين الذى كان فى مصر ١٨٣٤ يذكر كل الأعياد الثابته التاريخ المرتبطة بالتقويم القبطى متقدمه فى القرن التاسع عشر عما نراه فى القرن العشرين بيوم واحد مثال ذلك عيد الغطاس وهو يوافق ١١ طوبة كان فى القرن التاسع عشر يوم ١٨ او ١٩ يناير وهو فى القرن العشرين يوم ١٩ أو ٢٠ وفى سنه ١٩٠٠ صار الاحتفال بعيد الميلاد فى ٧ يناير وسيستمر هذا النظام طوال القرن العشرين وتحتفل اوربا وامريكا والدول التى تتبع النظام الغربى الآن بعيد الميلاد فى ٢٥ ديسمبر من كل عام .

إن الكنيسة القبطية كنيسة تقليدية تسير وفق تعاليم الرسل فقد جاء فى الدسقولية (أو تعاليم الرسل) أن يكون الاحتفال بعيد الميلاد فى الخامس والعشرين من الشهر التاسع الذى للعبرانيين الموافق اليوم التاسع والعشرين من الشهر الرابع الذى للمصريين (اى شهر كيهك) (١) ، وقد طبقت الكنيسة هذا التحديد ، فكان الاحتفال بعيد الميلاد عند بدء التقويم القبطى (تقويم الشهداء) سنه ٢٨٤ م وعند عقد مجمع نيقيه بآسيا الصغرى سنه ٣٢٥ م يتم فى ٢٩ كيهك وكان يوافق فى التقويم اليوليانى (نسبة إلى يوليوس قيصر) ٢٥ ديسمبر فكان احتفال المسيحيين بهذا العيد يتم فى يوم واحد فى الشرق والغرب على السواء واستمر عيد الميلاد يزحف فى التقويم اليوليانى (دون أن يتحرك فى التقويم القبطى من ٢٩ كيهك) الى ٢٦ ديسمبر ثم ٢٧ ديسمبر إلى ان صار فى سنة ١٥٨٢ فى ٤ يناير وهذا الزحف نتج عن الفرق بين المدة الحقيقية

ثانية دقيقة ساعة يوم

لدورة الأرض حول الشمس وهى ٥٦ ٤٨ ٥ ٣٦٥ مع احتسابه على غير الحقيقة $365\frac{1}{4}$ يوم وان من يتتبع سير التواريخ فى التوفيقات الالهامية لمحمد مختار باشا يلاحظ أن أول يناير فى القرن التاسع عشر كان يقابل ٢٤ كيهك فيكون ٦ يناير يوم العيد المقابل ليوم ٢٩ كيهك فى التقويم القبطى ولكن منذ سنه ١٩٠٠ نلاحظ ان اول يناير كان يقابل ٢٣ كيهك وعلى ذلك يكون العيد ٧ يناير المقابل ليوم ٢٩ كيهك وقد استمر الاحتفال بعيد الميلاد فى الشرق والغرب فى يوم واحد حتى سنة ١٥٨٢ فأعيد فى التقويم الغربى الى ٢٥ ديسمبر و بقى فى التقويم القبطى محافظا على

---

(١) الدسقولية أو تعاليم الرسل ص ١٣٠ ــ القاهرة سنة ١٩٤٠ م .

يوم ٢٩ كيهك فى ثلاث سنوات و٢٨ كيهك فى السنة التى تلى الكبيسة دون اعتبار لما يقابل هذا اليوم فى التقويم الميلادى وهنا اجد نفسى أمام مسألتين هامتين أتعرض لبحثهما ، المسألة الأولى كيف انتقل عيد الميلاد إلى ٧ يناير بعد أن كان أيام مجمع نيقية سنه ٣٢٥ فى ٢٥ ديسمبر وفى القرن التاسع عشر فى ٦ يناير والمسألة الثانية : كيف وقع الخلاف فى عيد الميلاد بين المسيحيين فى الشرق والمسيحيين فى الغرب ولابد لهاتين المسألتين من دراسة وجيزة للتقويم .

قبل الميلاد بربع قرن كان نظام السنة قد استقر على أنها ٣٦٥ $\frac{1}{4}$ يوم ثلاث سنوات بسيطة كل منها ٣٦٥ والسنه الرابعة كبيسة عدد أيامها ٣٦٦ ، كان هذا النظام قد استقر فى التقويم اليوليانى نسبة إلى الامبراطور الرومانى يوليوس قيصر الذى استعان بالعالم الفلكى المصرى سوسيجينيس فى ضبط التقويم الرومانى فأدخل نظام السنة الكبيسة وقد بدأ العمل بالتقويم اليوليانى سنه ٤٦ ق . م مع تسمية أحد الشهور يوليو نسبة إلى يوليوس قيصر وسار العمل بهذا التقويم مع الاحتفاظ بعدد أيام كل شهر باستثناء تغيير واحد فقد جعل اغسطس قيصر أحد الشهور يحمل اسمه (اغسطس) مع زيادته إلى ٣١ يوما وانقص شهر فبراير يوما فصار فى السنة البسيطة ٢٨ يوما وفى الكبيسة ٢٩ يوما والسنة فى التقويم اليوليانى سنة شمسية تتم بدورة الأرض حول الشمس مرة كل ٣٦٥ $\frac{1}{4}$ يوم .

اما فى مصر فكان الامبراطور الرومانى اغسطس قيصر (الذى فى عهده ولد السيد المسيح) قد أدخل نظام السنة الكبيسة فى سنه ٢٦ قبل الميلاد فى التقويم المصرى وكان هذا التقويم منذ وضع اسسه العلامة توت قبل الميلاد بالآف السنين يقوم على نظام السنة البسيطة ٣٦٥ واستمر طوال العصور حتى اتبع نظام السنة الكبيسة سنة ٢٦ ق . م كان توت واضع أول تقويم فى العالم وكان أول من قسم السنة إلى اثنى عشر شهرا وكانت كل الشهور متساوية كل منها ٣٠ يوما وكان يطلق عليها الشهر الأول والشهر الثانى وهكذا وكان يعقب هذه الشهور شهر صغير عدد أيامه خمسة اعتبرت بمثابة الايام التى ولدت فيها المعبودات الخمسة وهى أوزوريس وايزيس وست ومنفيس وحوريس واتخذت مناسبات لاحتفالات دينية خاصة أما الشهور الاثنا عشر فقد وزعت على ثلاثة فصول الأول فصل الفيضان والثانى فصل بذر الحبوب والثالث فصل جنى المحصول (٣) .

كانت السنة فى التقويم المصرى القديم نجمية نسبة إلى نجم الشعرى اليمانية فقد لاحظ العلامة توت أن نجما يفوق سائر النجوم فى اللمعان فقد بدأ أظهر وألمع نجم فى السماء (٤) يشرق

---

(١) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٤٨ .

(٢) شاكر باسيليوس: الاعياد والابوقطى محاضرات لطلبة المعهد العالى للدراسات القبطية . ص ١٣ .

(٣) الدكتور مراد كامل : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩٩ طبع وزارة الثقافة .

(٤) سيرجيمس جينز (ترجمة الدكتور أحمد عبد السلام الكردانى : النجوم فى مسالكها ص ١٨٤ ــ القاهرة سنة ١٩٤٤ م .

و يغرب فى ميعاد ثابت ، يطلع قبل شروق الشمس ودورته تعادل دورة الأرض حول الشمس فى عام عرف باسم سيروس وكان ظهوره يوافق بده الفيضان فأطلق عليه فى مصر القديمة نجم الاله ايزيس فهو فى اعتقادهم الجالب للفيضان وتتراوح الفترة بين ظهوره مرتين متتاليتين ٣٦٥ يوما و بضع ساعات والسنة النجمية هى التى تقع بين ظهور ين متتاليين لنجم الشعرى اليمانية وراس السنة المصرية هو اللحظة التى يظهر فيها هذا النجم وقد أطلق عليه العرب نجم الشعرى اليمانية لظنهم أنه يظهر فى الأفق فوق بلاد اليمن (١) ولكن الدولة فى تاريخ مصر القديمة سارت على نظام السنه المدنية البسيطة .

التقويم القبطى : أنشا الأقباط تقويمهم مبتدئا بالسنة التى تولى فيها الحكم الامبراطور الطاغية دقلديانوس وهى سنة ٢٨٤ م فعرف بتقويم الشهداء وهو تقويم شمسى يسير على النظام اليوليانى فاتخذ نظام السنة الكبيسة كل أربع سنوات إلا انه احتفظ بأسماء الشهور القبطية : توت بابه .. الخ وأول سنته تبدأ بعيد النيروز وكان فى ذلك الوقت فى ٢٩ اغسطس فى ثلاث سنوات و٣٠ بالنسبة للسنة التالية للكبيسة وهو تقويم زراعى ، يتمشى مع سنة مصر الزراعية ومواسم الزراعة والحصاد والفيضان و يعتبر التقويم القبطى الصورة الأخيرة او نهاية التطور الذى وصل اليه التقويم المصرى .

التقويم الميلادى : فى سنة ٥٣٢ لاحظ الراهب ديوناسيوس السكيثى (ناظر المجلات البابوية بمدينة روما) تفككا فى الاتصالات لاختلاف التقويم فى الدول فلكل دولة تقويمها الخاص ونظامها الخاص فتتخذ بعض الدول تاريخ الاسكندر ودول اخرى تتبع تأسيس مدينة روما ورأى ان يستند التقويم على حادث هام يدين له العالم ولم يجد حادثا أعظم من ميلاد المسيح ليكون مبدأ التقويم العالمى وأتبعه جستنيان ثم شارلمان ثم أصبح التقويم المعمول به فى كل دول العالم وقد سار هذا التقويم على النظام اليوليانى فاحتفظ بأسماء الشهور الرومانية ومدتها وطول السنة البسيطة والكبيسة وما تغير هو عدم احتساب التاريخ من تأسيس مدينة روما واحتسابه من ميلاد السيد المسيح .

وقد سار تقويم الميلاد مع تقويم الشهداء جنبا إلى جنب على النظام اليوليانى حتى سنة ١٥٨٢ م فكانت جميع الاعياد المسيحية فى وقت واحد فى الشرق والغرب حتى ذلك التاريخ .

التقويم الغريغورى : فى سنة ١٥٨٢ لاحظ البابا غريغوريوس الثالث عشر بابا روما اختلافا فى موعد الاعياد الثابتة وفى الاعتدال الربيعى عما كان عليه فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥ م بما يقدر بعشرة أيام فالاعتدال الربيعى الذى كان فى أيام مجمع نيقية فى ٢١ مارس صار فى ١١

---

(١) جرجس فيلوثاوس عوض : بحث فى المجلة القبطية السنة الاولى ١٩٠٦ ــ ١٩٠٧ ص ٣٠٣ .

مارس كما ان الاعياد الثابتة زحفت فابتعدت عما كانت عليه أيام مجمع نيقية عشرة أيام فعيد الميلاد صار فى ٤ يناير فى سنة ١٥٨٢ بعد ان كان فى ٢٥ ديسمبر أيام مجمع نيقية و بالرجوع إلى الفلكيين وكانت المراصد قد تقدمت فأعلن علماء الفلك ان الزمن الذى تستغرقه الأرض فى

ثانية دقيقة ساعة يوم.

مدارها حول الشمس يبلغ ٤٦ ٤٨ ٥ ٣٦٥ بينما كان يحسب فى التقويم اليوليانى ٦ ٣٦٥ فالسنة الشمسية تزيد على الحقيقة الموجودة ١١ دقيقة و١٤ ثانية وقام البابا غريغوريوس الثالث عشر بحذف عشرة أيام من شهر اكتوبر سنة ١٥٨٢ فقد نام الناس ليلة ٥ اكتوبر واستيقظوا فى صباح اليوم التالى على أنه ١٥ اكتوبر وبهذا تلافى العشرة الأيام التى تجمعت من أيام مجمع نيقية كما وضعت قاعدة لضمان تلافى الأيام التى تستحدث فى المستقبل بحذف ٣ أيام كل ٤٠٠ سنة (١) ففى التقويم اليوليانى كل سنة تقبل القسمة على ٤ كبيسة وأما التقويم الغريغورى فقد عمد الى عدم احتساب السنة القرنية (ذات الصفرين من اليمين فى الآحاد والعشرات) كبيسة مالم تقبل القسمة على ٤٠٠ ولتوضيح ذلك تعتبر السنوات ١٧٠٠ و١٨٠٠ و١٩٠٠ كبيسة فى النظام اليوليانى لأنها تقبل القسمة على ٤ ، و بسيطة فى النظام الغريغورى لأنها لا تقبل القسمة على ٤٠٠ وأما سنة ١٦٠٠ فتعتبر كبيسة فى النظام اليوليانى لأنها تقبل القسمة على ٤ وكبيسة فى النظام الغريغورى لأنها تقبل القسمة على ٤٠٠ ، وفى حذف عشرة أيام رجع الاعتدال الربيعى إلى ٢١ مارس كما رجع عيد الميلاد عند الغربيين إلى ٢٥ ديسمبر ورجعت الاعياد الثابتة كما كانت عليه أيام مجمع نيقية .

وأما الشرقيون فقد سار تقويم الشهداء على النظام اليوليانى باحتساب يوم الكبيس على طول الخط (٢) ، فقد وصل الفرق الآن ١٣ يوما منذ مجمع نيقية سنة ٣٢٥ الى الآن وقد كان الأختلاف عشرة ايام حتى سنة ١٦٩٩ م وصار الاختلاف ١١ يوما حتى سنة ١٧٩٩ وصار الاختلاف ١٢ يوما حتى سنة ١٨٩٩ م وأصبح الاختلاف منذ سنة ١٩٠٠ والى سنة ٢٠٩٩ — ١٣ يوما ومعنى ذلك أن عيد الميلاد سيكون فى ٨ يناير سنة ٢١٠٠ وفى ٩ يناير سنة ٢٢٠٠ م و١٠ يناير سنة ٢٣٠٠ م حتى يأتى الوقت الذى يصل فيه على أبواب الصوم الكبير او يدخل فى الصوم الكبير .

وعلى ذلك يمكن القول إن الاختلاف فى عيد الميلاد يرجع إلى عدم ضبط التقويم القبطى وتصحيحة بما يساير الوضع الفلكى ودورة الأرض السنوية حول الشمس وقد كان العيد عند الشرقيين والغربيين أيام مجمع نيقية فى ٢٩ كيهك فى التقويم القبطى الموافق ٢٥ ديسمبر فى

---

(١) شاكر باسيليوس: الاعياد والأ بوقطى محاضرات مطبوعة على الآلة الكاتبة لطلبة المعهد العالى للدراسات القبطية بالقاهرة ص ١٤

(٢) نفس المرجع ص ١٥

التقويم اليولياني فقد قام البابا غريغوريوس الثالث عشر بضبط التقويم الميلادى ورده إلى ما يجب أن يكون وبقى التقويم القبطى دون تصحيح والجدول الآتى يبين مدى اختلاف الأعياد الثابتة فى القرن التاسع عشر عن القرن العشرين ويمكن بوضوح ملاحظة تأخر يوم فى كل عيد فى القرن العشرين عما كان عليه فى القرن التاسع عشر .

العيد	التاريخ القبطى (لم يتغير)	التاريخ الميلادى فى القرن ١٩	التاريخ الميلادى فى القرن العشرين
النيروز	اول توت	١٠ سبتمبر فى السنة البسيطة و١١ سبتمبر فى السنه التالية للكبيسة .	١١ سبتمبر فى السنة البسيطة و١٢ سبتمبر فى السنة التالية للكبيسة
الغطاس	١١ طوبة	١٨ يناير فى السنة البسيطة و١٩ يناير فى السنة التالية للكبيسة .	١٩ يناير فى السنة البسيطة . و٢٠ يناير فى السنة التالية الكبيسة .
البشارة	٢٩ برمهات	٦ ابريل	٧ ابريل
الرسل	٥ ابيب	١١ يولية	١٢ يولية
العذراء	١٦ مسرى	٢١ اغسطس	٢٢ اغسطس

وإنى اقترح تصحيح التقويم القبطى ورده إلى الوضع الصحيح الذى ينبغى أن يكون عليه وأن يقوم البابا المصرى كيرلس السادس بتصحيح التقويم القبطى كما فعل بابا روما فى القرن السادس عشر ولا يتعارض مع هذا مع تعاليم الرسل التى وردت فى الدسقولية حتى يتمشى مع علم الفلك والطريقة المثلى هى رد عيد النيروز أول السنه القبطية كما كان بدء التقويم القبطى وفى أيام مجمع نيقية الى ٢٩ اغسطس بدلا من ١١ سبتمبر فى السنة البسيطة والى ٣٠ اغسطس بدلا من ١٢ سبتمبر فى السنة الكبيسة و بذلك يكون عيد الميلاد فى ٢٥ ديسمبر ولا أقول ذلك لنتشبه بأوربا بل أقول ذلك لأنهم على صواب فيما فعلوا وعلى ذلك إذا نفذ هذا الاقتراح فستكون جميع أعياد الكنيسة وتذكار القديسين والشهداء فى وضعها الثابت من التقويم القبطى الجديد للسنكسار فتسير جميع الأعياد القبطية فى مواعيدها تماما توافق من ناحيه أخرى ما كانت توافقه فى التقويم الميلادى .

عيد الغطاس : هو تذكار عماد السيد المسيح فى نهر الأردن وقام بتعميده يوحنا المعمدان (يحيى بن زكريا) وكان قداس العيد يستمر كما هو الحال الآن إلى منتصف ليلة العيد وكان الاحتفال به فى القرن التاسع عشر فى ١٨ يناير فى السنة البسطية و١٩ يناير فى السنه

التالية للكبيسة كما ورد فى البيان السابق ومن العادات التى كانت متبعة الاستحمام فى النيل أو إحدى الترع وقد وجد المستشرق إدوارد وليم لين سنه ١٨٣٤ أن الذى يمارس عادة الغطس فى النيل عدد قليل فى العاصمة و يقول « و يعتبره اكثرهم للتسلية أكثر من اعتباره شعيرة دينية » (١) وكان فى بعض الكنائس حوض كبير يسمى المغطس فى الجانب الأيمن من الجهة الغربية للكنائس ومازال موجودا غير مستعمل فى كنائس أبى السيفين وأبى سرجه فى حى مصر القديمة كان يملاء بالماء و ينزل فيه الشعب ليله عيد الغطاس (٢) وجرت عادة الاقباط فى عيد الغطاس أن يأكلوا القلقاس وأن يمصوا القصب .

عيد القيامة : أهم الأعياد القبطية وهو ذكرى قيامة السيد المسيح من الموت وفى الأحد الذى يسبق عيد القيامة تحتفل الكنيسة بعيد الشعانين أو احد السعف فيحتفل الأقباط بذكرى دخول السيد المسيح مدينة أورشليم راكبا على جحش بعد أن أقام السيد المسيح لعازر من الموت فهتفت الجماهير المحتشدة « مبارك الآتى باسم الرب » حاملين سعف النخيل وأغصان الزيتون ، وهكذا يحتفل الأقباط بهذه الذكرى بين مظاهر البهجة وتبدو الكنائس بضوء الشموع وسعف النخيل وأغصان الزيتون فى ثوب البهاء

أما عيد القيامة فقد رتبت الكنيسة أن يكون بعد فصح اليهود بحيث لا يحتفل المسيحيون بعيد القيامة مع اليهود فى أية سنة فقد جاء فى الباب الحادى والثلاثين من الدسقولية (او تعاليم الرسل) « واحذروا من أن تعيدوا مع اليهود لأنه ليست لكم الآن معهم شركه لأنهم ضلوا وأخطأوا وزلوا . هؤلاء الذين ظنوا أنهم تكلموا بالحق وصاروا ضالين فى كل زمان » (٣) وجاء فى الرسالة التى وجهها الامبراطور قسطنطين إلى الكنائس عقب قرار مجمع نيقيه سنة ٣٢٥ م « لقد تباحث المجمع فى مسألة عيد الفصح فتقرر بالاجماع أنه من الموافق أن يقام هذا الاحتفال المسيحى فى كل كنائس العالم فى يوم واحد مادمنا نعتقد أنه اليوم الذى يفتح باب الرجاء فى السعادة غير الفانية وقد أجمع الآباء على رفض فكرة محافظة المسيحيين على عادة اليهود والاحتفال بعيد القيامة فى نفس اليوم الذى تحتفل فيه الأمة القاتلة » (٤) .

وعلى ذلك يشترط فى تحديد عيد القيامة ما يأتى :ـــ

(١) ان يكون فى يوم الأحد التالى للبدر (القمر الكامل) الذى يأتى بعد الاعتدال الربيعى .

---

(١) ادوارد وليم لين (الترجمة العربية لعدلى طاهر نور) : المصريون المحدثون (شمائلهم وعاداتهم) ص ٤٠٩ القاهرة سنة ١٩٥٠ م .

(٢) الدكتور مراد كامل : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩٦ طبع وزارة الثقافة .

(٣) الدسقولية (أو تعاليم الرسل) ص ١٦٤

(٤) مجلة اليقظة : العددان الثانى والثالث ص ٦ (السنة ٤٣) نوفمبر وديسمبر سنة ١٩٦٦ بحث بقلم الاستاذ نجيب بولس مدير الأرصاد بضبط النيل سابقا موضوعه (التقويمان القبطى والاثيوبى)

(٢) أن يكون بعد عيد الفصح اليهودى (ذبح الخروف) فلا يجوز أن يأتي قبله لأنه لا يجوز أن يقع المرموز إليه وهو عيد القيامة قبل الرمز (الفصح اليهودى) كما لا يأتى معه لأنه لا مشاركة للمسيحيين مع اليهود طبقا لأقوال الرسل الواردة فى الدسقولية كما سبق .

وتبدو الصعوبه فى تحديد عيد القيامة وأنه يأتى بعد فصح اليهود والسنة عند اليهود قمرية شمسيه فهى قمرية من حيث الشهور وللتوفيق بينها و بين السنة الشمسية لارتباط بعض اعيادهم بالحصاد الذى يتم وفق التقويم الشمسى فى موسم معين ، فعيد الفصح عند اليهود يكون فى وقت الحصاد فى الربيع وعلى ذلك نرى عيد القيامة الذى يشترط أن يكون الأحد التالى له يكون فى موسم الربيع فلا يقع قبل الأسبوع الأول من ابريل ولا يتأخر عن الاسبوع الأول من مايو لذلك لجأ اليهود إلى اضافة شهر ثالث عشر فى كل ثلاث سنوات حتى تساير السنة اليهودية السنه الشمسية فتقع الأعياد المرتبطة بالزراعة فى مواسمها ولما كانت السنه القمرية تنقص ١١ يوما عن السنه الشمسية كان عدد الأيام الناقصة فى ثلاث سنوات هو ٣٣ يوما وعلى ذلك تكون السنة القمرية الثالثة ١٣ شهرا و يستوعب الشهر الثالث عشر ثلاثين يوما وتبقى ثلاثة أيام تضاف إلى السنة التالية (١) . وعلى ذلك يتقدم الفصح اليهودى أو يتأخر تبعا لاضافه الشهر الثالث عشر (آذار الثانى) أو عدم إضافته (٢) ويمكن بالحساب الفلكى تحديد فصح اليهود دون الرجوع الى اليهود أنفسهم وقد قام بحساب الابقطى (٣) فى أوائل القرن الثالث الميلادى البابا المصرى ديمتريوس الكرام (الثانى عشر فى عداد بابوات الاسكندرية) لقد توصل إلى حساب الأبقطى بمساعده الفلكى بطليموس وكان يتولى تحديد عيد القيامة لجميع كنائس العالم فى يوم واحد وهو الأحد التالى لعيد الفصح عند اليهود وقد عرض حساب الأبقطى على مجمع نيقية المنعقد من ٣١٨ اسقفا سنه ٣٢٥ م فأقره وكان بابا الاسكندرية يتولى ابلاغ سائر الكنائس فى الشرق والغرب بتحديد عيد القيامة واستمرت جميع الكنائس تتبع ذلك ابتداء من عقد مجمع نيقية الى سنة ١٥٨٢ حين اعلن بابا روما غريغوريوس الثالث عشر أنه لا داعى لمراعاة عيد الفصح اليهودى وأنه يكفى مراعاة الاعتدال الربيعى (٤) فقال بأن عيد القيامة يكون فى يوم الأحد الذى يلى البدر (١٤ من الشهر القمرى) الذى يلى الاعتدال الربيعى (٢١ مارس) وتمشيا مع هذه القاعدة قد يأتى عيد القيامة قبل فصح اليهود و يكون المرموز إليه قد جاء قبل الرمز أو قد يأتى عيد القيامة مع فصح اليهود وفى هذا مخالفة لتعاليم الرسل ، وعلى هذا يمكن القول بأن بابا روما غريغوريوس الثالث عشر كان مصيبا فى تصحيح عيد الميلاد فى جعله فى ٢٥ ديسمبر ولكنه كان مخطئا فى تحديد عيد القيامة الذى خالف فيه تعاليم الرسل والمجامع المسكونية مثل مجمع نيقية .

---

(١) ايريس حبيب المصرى : قصه الكنيسة القبطية من ص ٤٥ الى ص ٤٨

(٢) شاكر باسيليوس : الاعياد والابقطى (سلسله محاضرات مطبوعة على الالة الكاتبة لطلبة المعهد العالى للدراسات القبطية) .

(٣) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٤٨

(٤) الابقطى معناه الحرق الباقى لأن هذا الحساب يشتمل على استعمال الباقى بعد عمليات حسابية متعددة .

وقد استمر البروتستانت فى أوربا يتبعون نظام الكنيسة القبطية تبعا لتقويم الأبقطى حتى سنة ١٧٧٥ م و بعد ذلك صاروا يتبعون النظام الغربى (١) . وهكذا أصبح الشرقيون يحتلفون بعيد القيامة فى يوم بينما يحتفل الغربيون فى يوم آخر والكنيسة القبطية هى التى تتبع فى تحديد عيد القيامة التقويم الصحيح كما جاء فى الدسقولية (او تعاليم الرسل) .

الاعياد الاخرى :

وتبدأ الخماسين بعيد القيامة وتنسب رياح الخماسين المعروفة فى الجغرافيا إلى الخمسين يوما التى تبدأ بعيد القيامة وتنتهى بعيد العنصرة و يتخللها فى اليوم الأربعين لعيد القيامة عيد الصعود (أى صعود السيد المسيح إلى السماء) . وتعتبر الخماسين فترة ابتهاج وفرح عند الأقباط بقيامة السيد المسيح من الموت ولذلك لا يجوز الصوم فى أى يوم ، ولقد اخطأ المستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين حين حسب الخماسين ٤٩ يوما (٢) وان أولها شم النسيم ، فشم النسيم هو اليوم الثانى من أيام الخماسين .

و يتبع شم النسيم عيد القيامة ــ عيد الربيع منذ أيام الفراعنة كانوا يخرجون فيه للتنزه على ضفاف النيل وإلى الحدائق والبساتين أو على الزوارق او المراكب تتهادى على صفحة النيل فهو عيد الطبيعة الجميلة فى ثوب الربيع الفتان ولما اعتنقت مصر المسيحية كان يقع فى الصوم الكبير فجعله الأقباط فى اليوم التالى ليكثر ابتاجهم بالعيدين وحتى يكون فى وقت الافطار وقد ساروا على هذا المنهج إلى الآن ، و يعتبر شم النسيم عند الأقباط عيداً قوميا ودينيا فهو عيد الربيع الذى تحتفل به البلاد من ناحية وفيه قداس شم النسيم وهو تذكار ظهور السيد المسيح لا ثنين من تلاميذه بعد قيامته فى فجر الأحد وقد جرت عادة الاقباط فى شم النسيم أن يكسروا بصلة و يشموها وأن يضعوا بصلة على عتبة الدار وكانت عادة تعليق البصل شائعة عند الفراعنة ، أما بيض شم النسيم فيرمز إلى قيامة السيد المسيح من الموت فقشرة البيض تشبه القبر وتعتبر البيضة أصل الحياة فكما أن فرخ الدجاج هو الذى ينقر البيضة بمنقارة ويخرج منه مكتسبا الحياة ، هكذا السيد المسيح استعمل سلطانه على الموت وتخطى حواجز القبر وخرج منه حيا ، أما تلوين البيض فهو علامة الفرح والابتهاج بقيامة السيد المسيح ، ومن الأعياد التى يحتفل بها الأقباط ذكرى دخول السيد المسيح أرض مصر هربا من الملك هيرودس وتحتفل الكنائس الأثرية بهذا العيد مثل كنيسة العذراء بمسطرد وكنيسة العذراء بالمطرية وكنيسة أبى سرجه بمصر القديمة وكنيسة العذراء

---

(١) نفس المرجع ص ٤٨ .

(٢) ادوارد وليم لين : المصريون المحدثون شمائلهم وعاداتهم . فى القرن التاسع عشر ــ ترجمة عدلى طاهر نور ــ ص ٣٦٦ ــ القاهرة سنة ١٩٥٠ .

بدير المحرق (١) كما يحتفل الاقباط بعيد رأس السنة القبطية (النيروز) وهى محرفه عن كلمة نوروز ومعناها بالفارسية اليوم الجديد نو = جديد وروز = يوم) وكانت جمعية التوفيق القبطية تقيم احتفالا عظيما فى أواخر القرن التاسع عشر وما زالت تقوم به الى الآن تدعو فيه كبار الأقباط والمسلمين و يكون احتفالا قوميا عظيما واتسع مدى الاحتفال به فى الجمعيات الآن فتقام الحفلات والمسارح والتمثيليات .

(٦) فى الأفراح

كان الزواج فى القرن التاسع عشر يتم فى سنة مبكرة وكانت بساطة الحياة الاقتصادية تسمح بتحمل أعبائه فى هذه السن فقد كان الشاب يقيم مع أسرته و يساعد أباه فى عمله .

وفى ظل هذا البيت يعيش مع زوجته فكان الزواج يتم بتدبير الوالدين . و يقول ليدر « إن العادة التقليدية وهى أن واجب الآباء أن يزوجوا أولادهم بما يظنونه مناسبا بدون رجوع إلى الإبناء أنفسهم ، تسود إلى اليوم باستثناء المدن أو بين الأسر المتعلمة تعلما راقيا أما فى الريف فلا تزال العادات الأبوية القديمة سائدة وهى أن الشبان بلا رأى فى هذا الموضوع » (٢) .

هذا الزواج المبكر كان يتم بين أولاد فى سنة الخامسة عشرة من فتيات فى سن الثانية عشرة ، وقد استمرت هذه العادات سائدة حتى اواخر القرن التاسع عشر مما جعل البطريرك كيرلس الخامس يصدر فى سنة ١٨٩٥ منشورا يتضمن التعليمات التى يجب مراعاتها عند عقد الزواج وقد نصت المادة الثانية من هذا المنشور : ـــ

« لا يجوز لأى كاهن تحرير محضر زواج ولاعقد إكليل إلا بعد أخذ افكار الخطيب والمخطوبة والتأكد من أنهما قابلان بعضهما بدون إكراه ولا إجبار ولا إغراء من أحد ولا لغايات دنيوية وإنما نظرا بعضهما شخصيا . هذا إذا كانا راشدين ، أما اذا كانا قاصرين أى لم يتجاوز الخطيب الخمس عشرة سنة على الاقل فلا يجوز تحرير المحضر ولا عقد الإكليل مطلقا و بعد تحرير المحضر والتوقيع عليه من الشهود يعرض على مطران الجهة أو أسقفها لأجل تسجيله بسجل المطرانية أو الأسقفية واستصدار التصريح اللازم عنه « (٣) .

تحريرا فى ٥ أبيب سنة ١٦١٢ بطريرك الكرازة المرقسية

وتتحدث المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر التى زارت مصر فى أواخر القرن التاسع عشر عن

---

(١) الدكتور مراد كامل : بحث فى تاريخ الحضارة ـــ المجلد الثانى ص ٢٧٩ (موضوع البحث عن الاعياد) طبع وزارة الثقافه .

(٢) (أعد المستر ليدر كتابه للطبع سنة ١٩١٤) Leeder: Modern Sons of Egyptians Pharoas P. 104.

(٣) يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ ـــ ١٩١٢ القاهرة سنة ١٩١٣ ص ٧١

تأثير منشور البطريرك فهي تذكر تحول الرأى العام للأقباط عن عادة الزواج المبكر جدا بتأثير نواهي الكنيسة ونصائحها (١) فأقلعوا عنها وصار الزواج يتم بين شاب في سن العشرين وفتاة في سن السادسة عشرة وقد بين المنشور البابوى السابق وجوب معرفة كل منهما للآخر وعلى الكاهن أن يسأل كلا من العريس والعروس على انفراد إن كانا راضيين بقرانهما او غير راضيين .

وقد جرت التقاليد عند تمهيد طريق الزواج أن يرسل الفتى للفتاة بواسطة الكاهن خاتما من الذهب أو الماس بصفة هدية وهي المعروفة بالشبكة ثم يتم الاتفاق بين العروسين على تعيين يوم الاحتفال بالخطوبة و يقال لها (جابنيوت) ففي عصر يوم الجابنيوت يذهب الخطيب برافقه عدد من أقاربه وأصدقائه وأحد القسوس إلى بيت العروس حيث يكون أقاربها مجتمعين في منزل الخطيبة لاستقبال الخطيب ثم يقف الجميع مع الكاهن الذى يتلو الصلاة الربانية (الجابنيوت) و يلقى القسيس عظة يشير فيها عادة إلى خطوبة رفقة لأسحق(٢) (ابن سيدنا ابراهيم الخليل) .

وكان المهر مبلغا يتراوح بين عشرين جنيها ومائة جنيه وكان والد العروس يدفع مبلغا و يصرف كل المبلغ في شراء حلى وملابس وأجرة الخياطة وأثاث المنزل وعند إتمام حفل الخطبة ينصرف المدعوون بعد تناول المرطبات والحلوى وتلقى التهاني بالخطوبة المباركة .

وقد جرت العادة ان يختار يوم الأحد لاتمام الاحتفال بالزواج أو حفل الاكليل لأن الكاهن يتوج رأس العروسين أثناء الصلاة بإكليلين دلالة على النعمة المقدسة التى توجت حياتهما برابطة الزيجة (٣) ، فالزواج احد أسرار الكنيسة القبطية الأرثوذكسية السبعة فيفضل اليوم المقدس لاتمامه ، أما الآن فيكثر الزواج أيضا في يوم الخميس باعتباره اليوم الذى تعقبه العطلة الأسبوعية ولا تقام حفلات الزفاف إطلاقا خلال الصيام الكبير او أى صوم من الأصوام التى تقدسها الكنيسة إلا تحت ضغط ظروف استثنائية نادرة . يقول ليدر « إن الصيام يحول بين اتمام الزواج أكثر من ثلث السنة (٤) » و يؤيد هذا القول أن المتدينين من الأقباط يصومون الاربعاء والجمعة من كل أسبوع ماعدا الخماسين كما مر بنا ، و يصوم الاقباط الكاثوليك ايضا هذين اليومين فأننا نتوقع ألا تتم حفلات الزواج في يوم الأربعاء والجمعة من كل أسبوع عدا أيام الخماسين .

في اليوم السابق على الزواج تحتفل العروس بليلة الحناء فتخضب بها راحتى يديها وقدميها والحناء كما يقول ليدر علامة البكارة وعلى ذلك فاذا تزوجت الأرملة فلا تستخدم الحناء والاحتفال بليلة الحناء يتم في منزل العروس .

---

(١) مسز بوتشر: تاريخ الامة القبطية ــ النص العربى ج ٤ ص ٤٠٧

(٢) مسز بوتشر: تاريخ الأمة القبطية : النص العربى لتادرس شنوده المنقبادى ج ٤ ص ٤١٢

(٣) الدكتور مراد كامل : بحث في كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٤٨٩

(٤) Leeder: Modern Sons of Egyptian Pharoahs P. 139.

إن حفلات الزواج عند الاقباط تتم بين مظاهر البهجة والفرح فتقام الزينات وتعلق الرايات وفى كثير من الأحيان يقام سرادق وكانت العادة المتبعة أنه فى مساء الأحد يذهب الشبين (أقرب شخص للعريس) يصحبه بعض أقارب العريس لاحضار العروس بالحرس اللازم للسير فى الطريق وكانت حفلات الزواج تتم فى منزل العريس وأنا اتفق مع المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر على أن موكب العروس اذا سار ليلا يكون أكثر روعة وابتهاجا من السير نهارا (١) إن اضواء المشاعل أو الشموع تجعل الموكب اكثر روعة يسير موكب العروس تتقدمه فرقه الموسيقى ثم حملة المشاعل فعدد من الشبان يحمل كل منهم شمعة وسط باقة من الزهور واذا ما وصل الموكب إلى منزل العروس بين نغمات الموسيقى وزغاريد النساء يذبح خروف عند عتبة البيت وهذه عادة أخذها الأقباط عن أجدادهم الفراعنة (٢) وترش النساء العروس بالملح لمنع الحسد وطرد العين الشريرة وهذه أيضا من عادات الفراعنة وهنا تبدأ حفلة الاكليل وهى بالغة الروعة فبعد أن يلبس العريس برنس (رداء) الاكليل ويجىء العروس إلى منزل العريس بحلتها الحريرية البيضاء وقد وضعت قناعا من الحرير الأبيض الرفيع على وجهها تجلس العروس إلى يمين العريس و يقوم المطران أو الاسقف أو القسيس بمراسيم الزواج و يردد الشمامسة الألحان القبطية فى نغم بديع و بعد قراءة بعض آيات من الكتاب المقدس يقرن القائم بمراسيم الزواج العريس والعروس بإكليلين و بعد انتهاء العرس يستقبل العريس والعروس المهنئين والمهنئات بمظاهر البهجة والفرح هذا النظام يتبعه الأرثوذكس والكاثوليك أما حفلات الاكليل عند البروتستانت وهذا المذهب لم يظهر بين المصريين فى مصر إلا فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر فمعظم زواج البروتستانت كانت تقوم به الكنيسة الأرثوذكسية وقد يكون الشخص عضوا فى الكنيسة الانجيلية و يدفع اشتراكا شهريا ولكنه يؤثر الزواج حسب طقوس الكنيسة الأرثوذكسية التى تعطى العرس مظهرا أكثر روعه بسبب الألحان الكنسية الجميلة إلا أنه إذا كان البروتستانتى متعصبا لمذهبه كأن يكون شيخا للكنيسة الانجيلية فهذا يتبع نظام الزواج البروتستانتى وهو أن القسيس يتلو بعض آيات من الكتاب المقدس ثم يرنم الحاضرون أو فرقة الترتيل بعض ترنيمات و يتم حفل الاكليل فى كل مذهب من المذاهب المسيحية بعد أن يوقع كل من العروسين والشهود محضر الزواج أمام القسيس .

و بعد انتهاء حفل الزفاف تمد موائد ألاطعمة و يوضع الطعام على صينية من المعدن حولها عشرة رجال واذا حضر المائدة قسيس فيبدأ الأكل بقطع رغيف الخبز مهما علت منزلة غيره من المدعوين .

وفى الصباح التالى ليوم العرس يحضر أقرباء العروسين الصباحية فيقضون بعض الوقت

---

(١) Leeder: Modern Sons of Egyptian Pharoahs. P. 172.

(٢) مسز بوتشر : تاريخ الأمة القبطية وكنيستها الجزء الرابع النسخة العربية ص ٤١٠

فى منزل العريس وتقابل العروس كلا منهم و يقدم لها النقطة وهى تهدى لمن يقدم لها النقطة منديلا من الحرير.

أعياد العذراء والشهداء والقديسين

يحتفل الأقباط بذكرى الشهداء والقديسين فيذهبون الى الكنائس والأديرة الأثرية فيقيمون الخيام و يستأجرون الحجرات و يقيمون الولائم و ينحرون الذبائح فى مظاهر البهجة والفرح وفى هذه الاعياد او كما يسميها بعض العامة الموالد تسمع قرع الطبول وأهازيج الغناء وترى الوفود تسير فى مواكبها تردد أجمل الاغانى وأحلى النغمات وأناشيد دينية فى مدح العذراء أو تكريم الشهداء.

إن كلمة مولد استخدمت عند الاقباط قياسا على الموالد الاسلامية بعد الفتح العربى فهذه الاحتفالات تقام فى غالب الاحيان فى ذكرى الاستشهاد أو ظهور معجزه فعيد العذراء فى (٢٢ اغسطس) بدير العذراء بجبل أسيوط يكون بمناسبة صعود جسد العذراء احباطاً لعزم اليهود على إحراق جسدها الطاهر، وعيد العذراء بدير المحرق بمحافظة اسيوط فى (٢٨ يونيو) يكون بمناسبة صلاة العذراء التى حلت الحديد واطلاق سراح أحد المسجونين من رسل السيد المسيح (القديس متياس) فصلاتها أذابت الحديد يقول الدكتور مراد كامل: «وقد عرفت أعياد القديسين المزدحمة فى العصر العربى قياسا باسم الموالد وهى اسم لا ينطبق على الواقع، لأن الاحتفال غالبا يكون بذكرى استشهاد أو موت قديس وهو اليوم الذى أتم فيه البطل جهاده ولا يهم الكنيسة يوم الولادة فإنه يوم لا يقترن بشىء من البطولة أو الاعجاز» (١).

ولقد كانت مصر ملجأ وحمى للسيد المسيح فى طفولته حين لجأت به السيدة العذراء هربا من الملك هيرودس الذى كان مزمعا أن يقتله ولقد استقرت فى المكان الذى أقيم فيه دير المحرق مدة ستة أشهر وعشره أيام وقد عرفت جميع الأماكن التى مكثت بها فاعتبرت مقدسة تبنى بها الكنائس العظيمة وتقام بها أعظم الأعياد التى يستمر الاحتفال بها بضعة أيام هذا مصدر هام لفكره الأعياد التى تقام تكريما للسيده العذراء.

ولقد سجل الاقباط أروع صفحات فى سفر الفداء مما يسجل لهم بالبطولة والفخار ففى اضطهاد الامبراطور دقلديانوس استشهد من الأقباط نحو مليون فقد صمم هذا، الطاغية على أن لا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم إلى ركبتى جواده ونفذ كل ما عزم عليه وكان يطوف بفرسه فى بحر من دماء الشهداء.

---

(١) الدكتور مراد كامل بحث (من قيام دقلديانوس الى الفتح العربى) تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩٧.
(٢) زكى شنودة المحامى: تاريخ الأقباط ج ١ ص ١٠٨.

وكلما اشتدت نيران الاضطهاد زاد الثبات وحب الاستشهاد تصور شهيدة مصرية من الاسكندرية (هى القديسة كاترينا) فى سن التاسعة عشرة تواجه الامبراطور الرومانى الذى جاء إلى الاسكندرية وتدخل هيكل الأوثان وتوبخ الامبراطور لتقديمه الذبائح لآلهه كاذبة فأمر الإمبراطور جنوده بتعذيبها بمخالب حديدية ثم قطع رقبتها ونرى الشهيد مارجرجس الرومانى وقد كان قائدا بجيش دقلديانوس رأى منشور دقلديانوس ملصقا فى مدينة نيقوميديا (وهى مقر حكم هذا الامبراطور — الجزء الشرقى من الدولة الرومانية) فزقه إربا كشىء دنس وقح وقد تم هذا بينما كان اثنان من الملوك فى نفس المدينة (يقصد دقلديانوس وفاليريوس) (١) فأمر الامبراطور بتعذيبه ثم بقطع رأسه (٢) .

ويلاحظ أن أعظم الشهداء كانوا من الضباط والجنود ولا عجب فشعار الجندية التضحية والفداء فكما يكون الاستشهاد فى سبيل الوطن يكون أيضا فى سبيل الدين فالشهيد مار جرجس الرومانى كما قلت كان قائدا فى جيش الامبراطور دقلديانوس والشهيد مرقوريوس (ابو السيفين) وهو من أهل روما كان قائدا وقد سمى بأبى السيفين لما يروى من أنه رأى ، ملاكا قلده سيفا آخر فسمى بهذا الاسم ويكرم الأقباط هذين الشهيدين الأجنبيين فتبنى باسم كل منهما الكنائس وتقام الأعياد وارتقى الشهيد الأمير تادرس وهو مصرى من أهل شطب (جنوب اسيوط) فى سلك الجندية حتى وصل إلى منصب وزير حربية والشهيد مار مينا العجايبى (أى صاحب العجائب) وهو أعظم الشهداء المصريين وكان ضابطا فى الجيش وهنا يتضح لنا المصدر الثانى لفكرة أعياد القديسين عند الأقباط فهى تقام لتكريم الشهداء والدافع إلى زيارتها هو ما يحيط بصاحبها من هالة التقديس والاكرام وهذا الإجلال راسخ فى القلوب فالشهداء أقرب إلى الله من سائر البشر ، لقد ضحوا بدمهم الغالى فى سبيل إعلان الايمان بالله ويصف لنا المؤرخ المعاصر لحوادث الشهداء (يوسابيوس القيصرى) صورا مذهلة لساحات الاستشهاد فقال « ونحن أيضا اذ كنا معاينين الأمر بأنفسنا رأينا جماهير غفيرة فى يوم واحد كان البعض يقطع رءوسهم والأخرون يعذبون بالنيران حتى كلّ حد السيف وإذا ضعف انكسر ووهنت قوى منفذى الاعدام أنفسهم فكانوا يتبادلون الأمر معا للاستراحة ثم يصف ثبات الشهداء فى ساحة الفداء فيقول : « وكانوا لا يبالون بأشد أنواع التعذيب فيعترفون بكل جرأة وبسالة بديانة إله الكون وكانوا يتقبلون حكم الموت النهائى بفرح مضحك وبشاشة ، لذلك كانوا يرغون ويتهللون ويقدمون التسابيح والتشكرات لاله الكون إلى النفس الأخير » (٣) فلا بدع إذا تدفقت الوفود إلى أعياد الشهداء ، ويشترك كثير من اخواننا المسلمين فى الاحتفال بهذه الأعياد فالعذراء موضع تكريم المسيحيين والمسلمين فى العالم ،

---

(١) يوسابيوس القيصرى (أسقف قيصرية مؤرخ عاش من سنة ٢٦٤ — ٣٤٠ م — تاريخ الكنيسة (ترجمة القس مرقس داود ص ٢٦٥ — طبع القاهرة سنة ١٩٦٠ .

(٢) زكى شنوده المحامى : تاريخ الاقباط ج ١ ص ١٠٨ .

(٣) يوسابيوس القيصرى : تاريخ الكنيسة (الترجمة العربية للقس مرقس داود) ص ٣٧٠ — القاهرة سنة ١٩٦٠

ولقد يتجاوز ما يجمع من نذور الأقباط والمسلمين في عيد العذراء بدير المحرق في ٢٨ يونيو خمسة آلاف من الجنيهات ، وفي قرية بني مر بلدة الرئيس جمال عبد الناصر يطلق المسلمون على مار جرجس سيدى المرى و يطلق المسيحيون عليه مار جرجس وقد تصل النذور من الأقباط والمسلمين نحو ألف جنيه ، ومن الطريف أن ينسب الشهيد إلى البلدة أو المدينة التي بها الكنيسة فيقال مار جرجس المرى نسبة الى بني مر أو مار جرجس البباوى نسبة إلى ببا .

و يروى ليدر قصة ذلك البناء المسلم من أهل القاهرة ــ زاره الشهيد مار جرجس في حلم وأخبره أن يترك عمله بالقاهرة و يذهب إلى ببا لاصلاح كنيسته فصدع بالأمر وتوجه إلى ببا وصدق الأقباط قصته وقام باصلاح الكنيسة (١) .

وفي القرن العشرين يذهب الألوف من المسيحيين والمسلمين لزيارة كنيسة القديسة تريزا بشبرا . (٢)

كذلك يحتفل الاقباط بذكرى القديسين الذين ضربوا للبشرية المثل العليا في سمو النفس من أمثلة ذلك عيد القديس الأنبا شنوده في سوهاج وقد كان رئيس الدير المسمى بأسمه وكان أعظم كتاب الأدب القبطي على الاطلاق وكان هذا القديس يمثل القومية المصرية في القرن الخامس الميلادى ، يلجأ إليه الشعب لدفع استبداد الأجنبي المستعمر وهو الدور الذى كان يقوم به في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر عمر مكرم زعيم الشعب المصرى ونقيب الاشراف ، كان كل منهما يدفع ظلم الحاكم ، وتروى صاحبة قصة الكنيسة القبطية دفاع الأنبا شنوده عن أبناء وطنه « فقد كان يذهب بنفسه مع المظلوم من المصريين إلى ساحة القضاء ليترافع عنه شخصيا فأن لم ينجح في إقرار العداله توجه بالشكوى إلى الامبراطور رأسا ، ولم يهدأ له بال حتى ينال المظلوم حقه (٣) .

و يقول الدكتور مراد كامل : « وكان الانبا شنوده محبا لشعبه يقاسمهم أتعابهم كفلاحين يرزحون تحت نير مضطهديهم من الرومان فهاجم ظلم الحكام والملاك ودعا للرفق بالفقراء(٤) » ومن أمثلة القديسين الذين يحتفل الاقباط بأعيادهم القديس برسوم العريان الذى

---

(١) Leeder: Modern Sons of Egyptian Pharoahs. P. 136.

(٢) القديسة تريزا راهبة فرنسية عاشت في فرنسا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (من سنة ١٨٧٣ الى ١٨٩٧) وكانت الشقيقة لأربع فتيات انتظمن جميعا في سلك الرهبنة وكان والدهن لويس يوسف مارتان تاجر ساعات ، وفي القرن العشرين أنشئت كنيسة باسمها في شبرا يقصدها الألوف من جميع الأجناس للتبرك بزيارتها تقول عنها كاتبة أمريكية : كانت الطهارة المجسمة .

عن كتاب : رائدة الطفولة الروحية القديسة تريزا للجمعية الكاثوليكية لمدارس الصعيد سنة ١٩٦٤ .

(١) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٤٤٠ ــ طبع القاهرة (لم تذكر الكاتبة في المقدمة ولا المطبعة تاريخ الطبع) .

(٤) الدكتور مراد كامل : بحث من قيام دقلديانوس الى الفتح العربي : تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثاني ص ٣١٠ طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى .

عاش فى القرن الثالث عشر وكان أبوه كاتب الملكه شجرة الدر(١) وقد ترك له أموالا طائلة فزهد فيها وانصرف للعبادة فى مغارة بمصر القديمة فسمع الناس به وقصده المرضى من كل الجهات فأجرى الله على يديه أيات الشفاء ثم انفرد فى آخر حياته للعبادة بدير شهران فسمى هذا الدير بدير برسوم العريان إلى الآن فيعتبر الاحتفال بذكرى القديسين مصدرا ثالثا لفكرة الموالد عند الاقباط .

أشهر الأعياد :

اعياد السيده العذراء : أشهر هذه الأعياد : بدير المحرق فى الأسبوع الذى ينتهى فى ٢٨ يونيو من كل عام — ٢١ من بؤونه القبطى ، وفى دير العذراء بجبل الطير بمركز سمالوط (بمحافظة المنيا) و يصفه المقريزى بقوله « هذا الدير قديم وهو معطل على النيل وله سلالم منحوته فى الجبل وهو قبالة سمالوط (٢) وفى دير العذراء بجبل أسيوط وفى دقادوس بمحافظة الدقهلية وفى مسطرد — بمحافظة القليوبية ، وقد يتجاوز عدد الزائرين ببعض هذه الأعياد الان مائة ألف من المسلمين والأقباط وكان الاحتفال بها فى القرن التاسع عشر ولكن عدد الزائرين كان أقل من هذا بكثير لقلة عدد السكان بالنسبة إلى الوقت الحاضر وتغمر البهجة والفرح نفوس المحتفلين بالعيد فتقام الخيام وتردد ألحان تكريم العذراء و يقدم المحتفلون للكنيسة النذور من ذبائح لاطعام الفقراء ومن شمع للكنائس و بينما تحتشد الجماهير فى الكنائس وحولها لسماع الأناشيد الدينية والالحان الكنسية ترى خارج الكنائس جموعا زاخرة كما فى دير العذراء بدرنكه بجبل أسيوط تلتف حول التحطيب او رقص الخيول ونغمات الطبول .

أعياد الشهداء : (١) عيد مار جرجس : أهم الأعياد بميت دمسيس بالدقهلية قرب ميت غمر ومار جرجس ببيا بمحافظة بنى سويف ومار جرجس شهيد عالمى فهو موضع احترام المسيحيين فى العالم يجله الأقباط كل الاجلال فاسمه الشريف موضع الاكرام والاحترام لدى مسيحى الشرق والغرب جميعا ولاسيا روسيا وانجلترا (٣) فالروس يرسمونه على حصونهم والانجليز يرسمونه على نقودهم و يعتبرونه شفيعا لهم وحاميا لملكتهم ولليونانيين كنيسة عظيمة باسمه فى مصر القديمة تجاور كنيسة المعلقة والمتحف القبطى وبجوارها محطة سكة الحديد تحمل اسمه و يذكر صاحب مختصر تاريخ الأمة القبطية الذى ألفه سنة ١٩١٤ أن عدد الكنائس القبطية التى تحمل اسمه فى مصر ٧٣ كنيسة (٤) ولا ريب أن هذا العدد قد تضاعف الآن عدة مرات .

---

(١) لجنة التاريخ القبطى : خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٢٤ .

(٢) تقى الدين المقريزى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار — الجزء الرابع ص ٤١٢ القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .

(٣) السكندر (الصادق الامين فى أخبار القديسين) الجزء الثانى ص ٩٥ طبع القاهرة سنة ١٩١٢ .

(٤) سليم سليمان القيومى : مختصر تاريخ الامة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية .

و يقام هذا العيد فى ميت دمسيس فى شهر أغسطس من كل عام و يؤمه الناس على اختلاف دياناتهم وكل الذين تعتريهم أرواح نجسة (شياطين)يتوجهون إلى هذا العيد . فى ثياب بيضاء و يذكر ليدر أن المرضى يضجعون فى الكنيسة و يقوم الكهنة بالصلاة ثم تحدث صرخات و بالتدريج يفيق (يشفى) الواحد بعد الآخر وانه يمكن مشاهدة صليب من الدم فى نهاية الثوب الأبيض ثم يقول ليدر « وقد شاهدت هذا بنفسى وليس عندى شك فى أن أمرا مقدسا يرتبط به (١) .

هذه الظاهرة التى رآها ليدر فى أوائل القرن العشرين يراها كل شخص يزور هذا العيد الآن ولعله أعظم أعياد القديسين القبطية فى مصر ففى الثلث الأخير من شهر أغسطس تتدفق إليه امواج الزائرين وقد يتجاوز من يقومون بزيارة هذا العيد خمسين ألفا من الأقباط والمسلمين و يبدو هذا العيد كسائر الأعياد فى مظاهر البهجة والطرب وقد جرت التقاليد أن يشترى الزائر حمص العيد و يوفى نذوره .

عيد الست دميانه ببرارى بلقاس : يصف ليدر الانجليزى فى أوائل القرن العشرين هذا العيد بأنه اعظم أعياد القديسين القبطية بينما نعتبر الآن عيد مار جرجس بميت دمسيس اكبر هذه الأعياد و يتم الاحتفال بهذا العيد من ١٢ الى ٣٠ مايو ببراى بلقاس شمال هذه المدينة باثنى عشر كيلومترا .

والشهيدة دميانة أعظم شهيدة مصرية سجلت صفحة ناصعة فى سفر البطولة والفداء كما سجلت شهيدات مصريات آخريات منهن القديسة كاترينا التى سبقت الاشارة إليها والتى سمى باسمها دير سانت كاترين بسيناء فى الوضع الذى ناجى فيه موسى ربه ومع أن هذا الدير فى أرض مصرية لكنه لا يمت للأقباط بصله فهو ملك الكنيسة اليونانية فى استانبول كما سجلت صفحة مجيدة شهيدة مصرية أخرى من منف هى القديسة صوفيا التى نقل جسدها الامبراطور قسطنطين إلى القسطنطينية و بنى لها الكنيسة الشهيرة باسم اجيا صوفيا اى القديسة صوفيا .

كانت دميانة الابنه الوحيدة لمرقس والى البرلس والزعفران فى شمال الدلتا .

نشأت رائعة الجمال فى ثوب الفضيلة والتقوى فأطلق عليها ربة الكمال والجمال وعندما بلغت سن الخامسة عشرة نذرت نفسها لتعيش عذراء واستجاب والدها لرغبتها فبنى لها ديرا بالزعفران لتتفرغ للعبادة والنسك واعتزلت معها أربعون عذراء من بنات كبراء الولاية وأعد والدها جندا لحراستها ومكثت بضع سنين فى التعبد لخالق الكون بينما كان الامبراطور الطاغية دقلديانوس يأمر الولاة بالتبخير للأصنام وحدث أن أمر دقلديانوس الولاة لاصطحابه إلى معبد

---

(١) Leeder: Modern Sons of Egyptian Pharoahs.

الأصنام وخضع مرقس والد القديسة لأمر الامبراطور وعندما علمت دميانة بذلك خرجت من عزلتها وسارعت إلى أبيها تعاتبه قائلة له « خير لك يا أبى أن تموت شهيدا هنا فتحيا مع السيد المسيح فى السماء إلى الأبد من أن تحيا وثنيا وتموت مع الشيطان فى جهنم إلى الأبد (١) فأثرت كلماتها فى نفس والدها فسارع إلى مقابلة الامبراطور دقلديانوس وجهر أمامه بندمه على ما ارتكب من إثم فثارت ثائرة هذا الطاغية وأمر بقطع رأسه فنال إكليل الشهادة (٢)

ولما علم الامبراطور أن ما حدث كان بسبب دميانه اشتعل غضبا وأرسل قائدا يتبعه مائة من الجنود لالقاء الرعب فى نفس دميانة حتى تذعن لأمره وتتخلى عن ديانتها ولكن سطوة الجنود لم ترهبها ولم ترهب زميلاتها فأعمل الجنود السيوف فى رقابهن جميعا بعد إذاقتهن كؤوس العذاب وقبل أن يهوى السيف على رقبة العذراء دميانة قالت « انى اعترف بالسيد المسيح وعلى اسمه أموت و به أحيا إلى الأبد » (٣) وقد بنى الامبراطور قسطنطين الكبير كنيسه فوق قبرها ببرارى بلقاس ، يفد اليه فى عيدها فى شهر مايو عدد يقدره ليدر فى اوائل القرن العشرين بين ٤٠٠٠ و٦٠٠٠ زائر ولا ريب فى تضاعف هذا العدد الآن عدة مرات و ينصب الزائرون الخيام حول الدير و يفد اليه كثير من التجار فيقيمون سوقا تباع فيها الأطعمة والملابس والحلى والعطور والعصى النحاسية أو الخشبية المستوردة من القدس و يعتبر الزائرون شراء هذه الأشياء بركة من القديسة دميانة (٤) و يعتقد الاقباط اعتقادا راسخا فى شفاعة الشهداء لقد بذلوا دماءهم حبا للمسيح فإن الصلاة فى هذه الأماكن تستجاب و يرى ليدر تخصص الشهداء بأنواع المعجزات فالتوسل إلى الله بمار جرجس يخرج الأرواح الشريرة والتوسل الى الله بالقديسة دميانة يمنح الابناء للنساء (٥) ولهذا يقدمن فى مولدها النذور من نقود ومجوهرات . و يروى ليدر العجائب والمعجزات التى تحدث فى عيد القديسة دميانه مثل منع السرقة أو عدم استطاعة السارق الفرار بالمسروقات أو كشف السرقة ورد الأشياء المسروقة إلى أصحابها او اصابة عين من ينظر نظرة شريرة إلى النساء بضرر (٦)

و يعتبر المسلمون والاقباط الذين يعيشون فى هذه الجهة أن هذه القديسة مصدر نفع و بركة لهم بل يتغنى المسلمون باسمها قائلين : ياست يابنت الوالى (٧) .

---

(١) يحطس الدويرى (الانبا دسقوروس أسقف المنوفية الآن) موجز تاريخ المسيحية الجزء الاول ص ١٨٣ — القاهرة سنة ١٩٤٩ .

(٢) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ١٤٣

(٣) نفس المرجع ص ١٤٤

(٤) Modern Sons of the Egyptian Pharoahs P. 143 - 144

(٥) نفس المرجع ص ١٤٤

(٦) نفس المرجع ونفس الصفحة

(٧) نفس المرجع ص ١٤٥

٣) عيد مارمينا العجايبي : مارمينا أعظم الشهداء المصريين على الاطلاق نال من الكرامة مالم ينله غيره من الشهداء المصريين . لقبه مواطنوه بصانع المجائب (العجائبي) ولقد أطلق عليه هذا اللقب بعد استشهاده فمن البقعة الطاهرة التي دفن فيها فاضت على المرضى القادمين إليها نعمة الشفاء . كان أبوه حاكما لمريوط وكانت امه عاقر وبينا هي تصلى في الكنيسة فى عيد العذراء وتبتهل إلى الله أن يرزقها ابنا سمعت صوتا يقول لها آمين فاستبشرت خيرا وحين ولدت ابنها أسمته مينا ولقد فقد مارمينا والديه منذ سن الحادية عشرة ولما بلغ أشده عين حاكما لمريوط في منصب أبيه ، وفي اضطهاد دقلديانوس جاهر أمام الوالى بإيمانه بالمسيح وبعد تحمل صنوف العذاب أمر الوالي بقطع رأسه ثم ألقى جسده فى النار فلم تؤثر فيه وأخذ بعض المؤمنين جسده ودفنوه في الصحراء وظل قبره مجهولا حتى حدث أن خروفا اجرب تمرغ في التراب فبرىء من مرضه فأدرك الراعى ان في الأمر سرا وذاعت شهرة هذا المكان في شفاء الأمراض وتقاطرت الناس اليه لنيل الشفاء حتى سمع به الامبراطور زينون في القسطنطينية وكانت له ابنة وحيدة مريضة بمرض مستعص فجاءت الى هذا المكان ونالت الشفاء ورأت القديس مينا في حلم يطلب إليها أن تحفر في هذا المكان فتجد جسده وفعلا وجد والدها الجسد وأمر ببناء كنيسة فوق ذلك المكان فكانت فى عصرها الذهبى أجل كنائس العالم بما زانها من أعمدة من المرمر الوردى ثم أصابت هذا المكان يد التخريب حتى قام البابا الحالي كيرلس السادس بإنشاء دير مارمينا ومنحته الحكومة أرضا واسعة فبنى كنيسة رائعة وأنشأ الحدائق وصار فى الدير نحو عشرة رهبان .

ومن أشهر الجهات التي تحتفل بعيد مارمينا بلدة منهرى بمحافظة المنيا فبأسمه كنيسة تحتفل بعيده احتفالا عظيما وتفد إليها الجماهير لتقديم النذور ونوال البركة ولعل اعظم الاحتفالات فى دير مغارة شقلقيل فهو في الجبل الشرقي قبالة مدينة منفلوط بمحافظة أسيوط وقرب قرية شقلقيل وقد زرت هذا الدير وهو كما يقول المقريزى « دير لطيف معلق في الجبل وهو نقر في الحجر على صخرة » (١) ولذلك يطلق عليه في جميع الجهات المجاورة « بالمعلق » و يقول المقريزى « ولهذا الدير عيد يجتمع فيه النصارى » ولهذا الدير شهرة واسعة تسير إليه الجمال وعليها الهوادج تنطلق منها زغاريد النساء وأجل الأغنيات وقد يتفق بعض الأسر في قرية على اختيار يوم لتعميد أبنائها في كنيسة المعلق فتنتظم الجمال في قافلة تحمل الطعام والنذور فتنحر الذبائح وتقام الولائم وفى عيد مارمينا وفي ايام الآحاد وفي الفترة التي تقع بين عيد الرسل وصيام العذراء (من ١٢ يوليه الى ٦ اغسطس) لا ينقطع سيل الزائرين فتحتشد المئات من الأسر في هذا الدير في مهرجان رائع .

---

(١) المقريزى : الخطط ج ٣ ص ٤١٢ القاهرة ١٣٢٦ هـ

أعياد القديسين :

١) عيد برسوم العريان : يحتفل الأقباط بهذ العيد فى شهر سبتمبر من كل عام وهناك فى المعصرة على مقربة من حلوان تحتشد ألوف من الزائرين فى دير شهران المعروف بدير برسوم العريان فتحت ظلال النخيل وحول الحقول المجاورة له تنتشر الجماهير المتدفقة على الدير تلتمس بركة هذا القديس ، فى تلك البقعة المباركة التى حل بها عاش القديس برسوم العريان فى القرن الثالث عشر وكان أبوه كاتبا للملكة شجرة الدر كما مر بنا وقد ترك له ثروة ضخمة (١) ولكنه آثر حياة التقشف والزهد وسمى بالعريان لأنه عاش شبه عريان ، ولكنه لبس ثياب الفضيلة والتقوى فاعتكف فى مغارة بدير الشهيد ابى السيفين بمصر القديمة ولا تزال هذه المغارة باقية الى اليوم على يمين داخل الكنيسة من بابها الكبير البحرى وقد أجرى الله على يديه أيات الشفاء فقصده المرضى من كل الجهات .

وفى آخر حياته انفرد بدير شهران فأطلق عليه دير برسوم العريان إلى الآن . والأمر العجيب الذى يردده بعض الزائرين لهذا الدير وما ذكره ليدر الانجليزى هو ظهور رؤيا أو صورة القديس فى قبة الكنيسة أثناء إقامة القداس أو قبله بقليل ، أكد لى بعض المعاصرين بمشاهدة هذه الظاهرة العجيبة و يقول ليدر أنه كان يعتقد أن ذلك محض خرافة ليس بها ظل من الحقيقة ، لقد أراد أن يختبر الامر بنفسه فأصطحب معه فى الكنيسة سبعة من أصدقائه فأغلقوا نافذه القبة واتفقوا مع خدم الكنيسة على عدم صعود أحد اليها وهناك انقسموا إلى فريقين ، فريق فى الطابق العلوى يراقب القبة وفريق ظل فى الكنيسة كل واحد يقف فى أحد اركانها ثم يذكر أن البطريرك كان يقوم بالصلاة فى هذه اليوم وعندما أتم القداس ظهرت الرؤيا بحق وسط القبة فتوقف البطريرك هنيهة ثم ابتهل المصلون بالدعاء إلى الله رافعين أيديهم وذكر أصدقاء ليدر جميعهم أنهم شاهدوا الرؤيا التى كانت واضحة مثل الشمس (٣) .

٢) عيد الانبا شنودة فى الدير الابيض قرب سوهاج :

يقام عيد هذا القديس فى ٧ أبيب (١٤ يوليو) من كل عام فيقصد الدير الأبيض ألوف الزائرين ، وقد سمى الدير بهذا الاسم لأنه مبنى بالحجارة .

---

(١) كامل صالح نخله وفريد كامل عضوا لجنة التاريخ القبطى خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ص ١٢٤ القاهرة سنة ١٩٤٩ .
(٢) نفس المرجع ص ١٢٤

Leeder: Modern Sons of the Egyptians Pharoahs. P. 139. (٣)

ولد القديس شنوده فى جزيرة شندويل بمحافظة سوهاج سنة ٣٣٣ م وقد نشأ فى أسرة غنية ولكنه عرف منذ صغره بالميل الى الزهد والتنسك ولما ادرك والده هذا الاتجاه عهد به الى خاله بيجول رئيس الدير الأبيض فانتظم فى سلك الرهبنة و بعد وفاة خاله انتخبه الرهبان رئيسا للدير واستمرت رياسته للدير ستا وستين سنة (١) وتوفى سنة ٤٥١ م و بلغ عدد رهبانه خمسة آلاف كما كان أبا لالف وثمانمائة راهبة (٢) وقد حضر مع البابا المصرى كيرلس الاول مجمع افسس باسيا الصغرى الذى انعقد برئاسة البابا المصرى من مائتى اسقف سنة ٤٣١ كان منهم خمسون من المصريين (٣) .

والقديس شنوده يمثل القومية المصرية فى القرن الخامس الميلادى كان يدفع عن الشعب المصرى ظلم الحكام الرومان وكان لا يقبل فى أديرته إلا المصريين و بذل جهودا جبارة فى محاربة الوثنية واقتلاع خرافاتها من الكنيسة و يعتبر الانبا شنوده اعظم كتاب الادب القبطى على الاطلاق فقد كانت بلاغته الكتابية وفصاحته الخطابية من أظهر مواهبه (٤) وله مؤلفات نفيسة ومواعظ بليغه الفها باللغة القبطية فترك من الرسائل بهذه اللغة ما يعتبر تراثا أدبيا ثمينا (٥) وقد استهدفت حركته المحافظة على شخصية مصر ، وتخليصها من التأثيرات الثقافية واللغوية البيزنطية مما يمكن اعتباره حركة استقلالية تحررية فى ذلك الوقت المبكر (٦) .

٣) عيد الانبا بيشوى فى الدير الأحمر قرب سوهاج :

يقام عيد هذا القديس فى ٨ ابيب (١٥ يوليو) من كل عام فتقصد الوف الزائرين إلى الدير الاحمر وهو على بعد نحو ميلين من الدير الابيض وسمى بالدير الاحمر نسبة الى لون الطوب الاحمر الذى بنيت به أسواره .

ولد هذا القديس فى إحدى قرى المنوفية وكان والده رجلا بارا رزقه الله سبعة أولاد وكان بيشوى أصغرهم وحدث فى احدى الليالى أن رأت امه فى رؤى الليل ملاكا يقول لها : إن الرب يطلب أحد أولادك ليخدمه مدى الحياة فقالت الأم للملاك هاهم اولادى السبعة امامك فاختر من بينهم من تشاء فوضع الملاك يده على بيشوى اصغرهم (٧) وكان نحيف الجسم فقالت له خذ ياسيدى واحد قويا فأجابها هذا اهو الذى اختاره الرب (٨) .

---

(١) الدكتور مراد كامل : تاريخ الحاضرة المصرية المجلد الثانى ص ٣٠٩ تحت عنوان من دقلديانوس الى دخول العرب .
(٢) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٤٤١
(٣) زكى شنوده المحامى : تاريخ الاقباط الجزء الاول ص ١٧٤ .
(٤) الدكتور مراد كامل : تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٣١٠
(٥) زكى شنوده المحامى : تاريخ الاقباط ج ١ ص ٢٠٨
(٦) سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية ص ١٢ القاهرة سنة ١٩٦٣ .
(٧) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٣٦٥
(٨) بطرس اللويزى (الانبا ديسقوروس أسقف المنوفية الآن) : موجز تاريخ المسيحية ص ٢١٨ ــ القاهرة سنة ١٩٤٩ .

وقد انتظم بيشوى فى سلك الرهبنة بوادى النطرون ولسمو اخلاقه أطلق عليه الرهبان اسم الرجل الكامل وهو الذى شيد الدير المعروف باسمه سنة ٣٨٤ (١) بوادى النطرون ولا يزال عامرا بالرهبان الى الآن .

وقد زرت هذا الدير فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٩ وهو يمثل مرحلة بدائية رغم انه يعيش فى القرن العشرين ، وفى القرن الخامس الميلادى بنى باسمه الدير الاحمر قرب سوهاج وهو الدير الذى فيه يقام عيد الانبا بيشوى كل عام .

٨) فى المآتم والاحزان

واذا تصفحنا تاريخ الفراعنة نجد أن عدة امور انتقلت الى الأقباط فعند وفاة شخص أيام الفراعنة « ينقلب المنزل الى أتون ملتهب صاخب لا ترى فيه أمراة الا وقد غطت وجهها بالنيلة او اتشحت بالسواد ، ثم تراهن وقد انضمت اليهن طائفة من الندابات امسكت كل واحده منهن (بالطار) تحركة بين يديها على حين تنطلق المعددات يقذفن من أفواههن حمما من العبارات النارية فيستسلم الجميع لحركات جنونية من لطم وعويل وولولة » (٢) وهذه الظاهرة سرت عبر التاريخ إلى نساء الأقباط فى القرن التاسع عشر فأفزعت رجال الكنيسة ودفعت البطريرك كيرلس الخامس فى أواخر القرن التاسع عشر إلى إصدار منشور يحرم فيه الندب وسأعرض لهذا المنشور فيما بعد . ان عادة الندب أذهلت المؤرخين الأجانب الذين زاروا مصر فى القرن التاسع عشر فنرى ليدر وفاولر ومسز بوتشر يندرون بذكر المعددات و يستنكرون ما يرونه من عبارات تذكى نيران الأحزان والألم .

والآن أصف حادث الموت :

عندما يدنو الموت من انسان يهرع إلى منزله الأقارب والأصدقاء وتستدعى الأسر المتدينة الكاهن ليأخذ اعتراف المريض قبل موته ، وهذا يفسر التعبير الذى يتردد فى النعى فى « الصحف » توفى الفقيد متمما واجباته الدينية « ويهتم الأقباط الكاثوليك بنوع خاص باتباع هذا التقليد و يتبعه بعض الأقباط الأرثوذكس ولا يتبع الأقباط الانجيليون أو البروتستانت هذا التقليد : وعند سكرات الموت يقف الأهل فى ارتياع حتى إذا حدثت الوفاة حدث انفجار الحزن و بخاصة إذا كان الفقيد فى مقتبل العمر وريعان الشباب . و يقول ليدر : « وعندما تأتى النهاية يحدث انفجار مروع من الحزن المرذول ، نواح ، تأثر ، صراخ النساء لا يكاد يتوقف مما يجعل المنظر

---

(١) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية ص ٣٦٩ .

(٢) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ص ٢٥ من مطبوعات الألف كتاب نشر دار الهلال بالقاهرة .

مكدرا للغاية لدرجة لا يتصورها العقل ، فالنساء يترنحن بجنون حول الفراش بطريقة تبعث اليأس المطلق ، يلطمن خدودهن ، ينادين الميت أن يقوم لينظر الحزن الذى سببه رحيله ، فالزوجة تصرخ آه يازوجى ، آه واحزنى ، ياموتى ياياسى ، تنادى زوجها أسدها وحاميها والجمل الذى حمل اثقالها والاب المحبوب من أطفالها ، والبنت تبكى أمها كحاميتها العزيزة ومستودع أسرارها « الى أن يقول » وفى الحق لا شىء يمكن أن يقترحه الخيال الشرقى مما يكدر الشاعر دون أن يذكر» (١) .

و يقول فاولر « إن أهل الفقيد الاقربين يصومون بين موت الفقيد ودفنه لمدة يوم أو يومين » (٢) .

وتصف المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر الحزن الذى يعترى أهل الميت وأحبابه من وقع الموت فى نفوسهم حتى يشيع الميت إلى المثوى الأخير فتقول « إنه ما تكاد الروح تفارق جسد الانسان حتى يهرع أهله لاستئجار الندابات اللواتى يلبين الطلب فى الحال ويحضرن إلى منزل المتوفى بالطارات ويحتللن مخادع النساء و يبتدئن بتمثيل منظر من أفظع المناظر واكثرها رعبا و يزأرن بألفاظ مثيرة ومهيجة للحواس والعواطف » (٣) .

و يستقبل أهل الميت وفود المعزين فى اكتئاب « وقد جرت العادة أن يخصص الدور الأول للرجال والدور الأعلى للسيدات أو يقام سرادق أو تنصب خيمة بجوار المنزل لاستقبال المعزين و يترك المنزل للسيدات وتقول المؤرخة مسز بوتشر « والعادة الوحيدة التى يختلفون فيها عن أسلافهم أنهم يصرفون الوقت فى التدخين » (٤) .

وتمضى المؤرخة مسز بوتشر فتصف حزن النساء قبل دفن الميت فتقول « وتحل النساء جدايل شعورهن و يقطعنها و يلطمن خدودهن بشدة بأيديهن المصبوغة بالنيلة و يصوتن بأعلى قوة فى حنجرتهن مع الندابات اللواتى يضفن عنصرا آخر من الاصوات بصوت طاراتهن فتكون ضجة مفزعة مختلطة بين أصوات النساء وضرب الطارات وأحيانا تسقط إحدى المولولات مغشيا عليها من شدة خوار قوتها و بالرغم من ذلك يستمر هذا المنظر المرعب حتى تحمل الجثة إلى المدفن » (٥) .

ولم تقف الكنيسة مكتوفة اليدين أمام ظاهرة استئجار النائحات التى انتقلت إلى

---

(١) Leeder: Modern Sons of the Egyptian Pharoahs P.

(٢) Fowler: Christian Egypt. P. 212.

(٣) مسز بوتشر: الترجمة العربية ص ٤٠٢ ج ٤

(٤) نفس المرجع ص ٤٠٢

(٥) نفس المرجع ص ٤٠٢

الأقباط من الفراعنة كما يذكر ذلك ألن شورتر عن إحضار النائحات المستأجرات فى مصر الفرعونية (١) فأصدر البابا كيرلس الخامس فى ٢ نوفبر سنة ١٨٩٨ منشورا بتحريم الندب والحزن المفرط على الميت وهذا نص المنشور (٢) .

« من كيرلس بطريرك الكرازة المرقسية بنعمه الله تعالى إلى حضرات المطارنة والأساقفة والقمامصة والكهنة المحترمين وكامل الشعب القبطى الأرثوذكسى حفظهم الرب

لما كان من جل رغائبنا تقدم أمتنا وإيرادها موارد النجاح قد وجهنا نظرنا إلى إبطال العادات القديمة الغير الممدوحة التى لا تزال جارية إلى الآن وبما أن عادات الحداد محفوفة بالأضرار والأخطار فكثيرا ما تطرقت الأمراض الى العائلات بسبب الحزن المفرط وأنفقت الاموال الطائلة فى اعداد المآتم والمناحات واكبر باعث على ذلك هو استخدام الندابات والمعددات لاقامه المناحات والاعتكاف على سماع طبولهن وأقوالهن الذميمة التى أجمع الكل على تقبيحها والشكوى من ثقل نيرها وهذه الأحوال مخالفة للدين فضلا عن الآداب كما يتبين لكم من النصوص الالهية فقد ورد بسفر الاحبار (اللاويين) ١٩ : ٢٧ (ولا تجرحوا أجسادكم لميت) وفى تثنية الاشتراع ١٤ : ١ (انتم أولاد للرب إلهكم لا تخمشوا أجسادكم ولا تجعلوا قرعه بين أعينكم لميت) وما ورد فى صموئيل الثانى ١٣ : ٢٣ (والآن قد مات فلماذا أصوم ، هل أقدر أن أرده بعد . انا ذاهب إليه وأما هو فلا يرجع إلى) وما ورد فى الأمثال ١٢/ ٢٥ (الغم فى قلب الرجل يحنيه والكلمة الطيبة تفرحه) ثم يمضى البطريرك فى منشوره بذكر آيات من الكتاب المقدس إلى أن يقول : فبناء على ما تقدم نكلفكم بأن تبذلوا قصارى الجهد لابطال هذه العادات فى أبروشيتكم وأن تعملوا على محو آثارها بواسطه الاعلان بالكنائس بان من يستقدم المعددات والنادبات إلى بيته يكون مخالفا لتعليم الدين وأسهل وسيله لمنع هذه العادات المضرة هو انه عندما تقام صلاه الجناز على اى متوفى كان من الشعب يصير قراءة هذا المنشور بعد إتمام الصلاة ثم تعلنون أقارب المتوفى إذا كانوا يحضرون المعددات والنادبات ويخالفون هذا المنشور فالكنيسة لا تقبل منهم إقامة قداسات أو ترحيمات على روح متوفيهم وأما إذا أطاعوا ومنعوا هذه العادات الرديئة فالكنيسة مستعدة لاقامة الصلاة على أرواح موتاهم فواظبوا أيها الأحياء على إنفاذ ما ذكر وعليكم ان تقوموا بالوعظ والتعليم وتعزية قلوب الحزانى بأقوال الكتاب المقدس وسير القديسين و بركة العلى تشملكم

تحريرا فى ٢٤ بابه سنه ١٦١٥ — ٢ نوفبر سنة ١٨٩٨ بطريرك الكرازه المرقسية

---

(١) الن شورتر (ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل) الحياة اليومية فى مصر القديمة ص ١٥٦

(٢) يوسف منقريوس : تاريخ الامة القبطية من ١٨٩٣ — ١٩١٢ ص ١٠٧ طبع القاهرة سنة ١٩١٣ م .

أثر هذا المنشور: يعلق الأستاذ يوسف منقريوس ناظر المدرسة الاكليريكية على هذا المنشور قائلا و يسرنا أن نقول إن هذا المنشور كان له حسن الوقع فى النفوس فنبذ أغلب الأقباط تلك العادات الذميمة (١) .

موكب الجنازة : و بعد انتهاء مراسيم الصلاة على الميت فى الكنيسة يسير موكب الجنازة بالترتيب الآتى :

يحمل خادم الكنيسة الصليب ثم يسير الشمامسة حاملين أعلاما ثم الكهنة فبساط الرحمة يتقدم نعش الفقيد ثم المشيعون تتقدمهم أسرة الفقيد خلف النعش مباشرة وعند ظهور عربة الموتى التى تجرها الجياد كان يجرها فى أول الامر جوادان ثم زاد العدد إلى أربعة جياد ثم إلى ستة ثم إلى ثمانية ثم إلى عشرة جياد وفى جنازة المرحوم بطرس باشا غالى سنة ١٩١٠ كان يجر العربة عشرة جياد هذه التقاليد تتبع عند الأقباط الأرثوذكس والأقباط الكاثوليك أما البروتستانت فتقام الصلاة على معظم المتوفين منهم فى كنائس الأقباط الأرثوذكس و يندرمنهم من تقام الصلاة عليه فى الكنيسة الانجيلية فيقوم القسيس البروتستانتى بقراءة بعض فصول الكتاب المقدس ويخرج المشيعون خلف النعش بلا شمامسة أو رفع صلبان هذا كان فى القرن التاسع عشر بل لا يزال متبعا إلى الآن .

و يزداد عدد المشيعين حسب منزلة الفقيد ومدى نفوذه فى المجتمع و يصف لنا على باشا مبارك من الجنازات المشهورة فى القرن التاسع عشر جنازة دميان بك جاد شيحه من كبار موظفى المالية فى عهد الخديوى اسماعيل « و يوم وفاته حزن عليه جمهور الأقباط الأرثوذكس وكثير من المسيحيين وتأسف عليه الخديو وكثير من وزرائه وأمراء الحكومة وأهل مصر وتعطل ديوان المالية وكثير من الدواوين يوم دفنه وكان مشهد جنازته مهيبا مؤثرا تتقدمه جلة من العساكر الميرية المنتظمة بهيئة الحزن و يتلوهم محفل جسيم جدا منتظم من البطريرك ومطران الأرمن وكافة قسوس الملة وقسوس الأرمن وأعيان القبط وغيرهم ولفيف من المسيحيين من كل جنس و بعض معتبرى الحكومة وصلى عليه بالكنيسة الكبرى بالازبكية » (٢)

والآن انتقل إلى وصف الحالة عند وصول الجثة إلى القبر، هناك يحدث منظر مروع مفزع و بخاصة إذا كان الفقيد فى ريعان الشباب أو فى ربيع العمر او ترك اطفالا صغارا أو كان وحيدا لأبو يه ، هناك عند القبر عو يل يشق أجواز الفضاء ودموع تنهمر من العيون يترنح أهل الفقيد من الحزن ترنح الطائر المذبوح من الألم وعند إدخال الجثة إلى القبر يحدث صراخ مرعب

---

(١) نفس المرجع ص ١٠٩ .

(٢) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ج ٦ ص ٧٩ المطبعة الاميرية سنة ١٣٠٥ هـ

وبعد دفن الميت يقف أهل الفقيد فى صف او صفين لتقبل عزاء المشيعين ثم يعودون إلى منزل الفقيد لاقامة المأتم لمدة ثلاثة أيام وفى بعض الاحيان كان المأتم يستمر سبعة ايام.

وفى اليوم الثالث يأتى الكاهن ليقوم بصلاة صرف روح الميت(١) فقد كان الفراعنة يعتقدون كما اوضحت سابقا أن الروح تحوم فى المنزل ثلاثة ايام ومع دخول المسيحية مصر استمر هذا الاعتقاد فيحضر القسيس لاقامة صلاة خاصة و يرش المنزل بالماء المقدس و يطلق البعض على هذه الصلاة، صلاة رفع الحصيرة (٢) اى انتهاء حدة الحزن لأن أهل الفقيد من السيدات لحزنهن لا يجلسن على ارائك او كراسى بل على حصير فى هذه المدة

ويحتفل الاقباط بذكرى الأربعين ومصدر هذا التقليد الفراعنة لاتمام تحنيط المتوفين من الأسر العادية ووضع الجثة فى التابوت لدفنها بعد أربعين يوما (٣) وكان هذا هو السائد فى عهد الفراعنة اما تحنيط الاشراف من الفراعنة فكان يستمر سبعين يوما، أما إقامة ذكرى السابع أو السنة أو السنتين فهذه الذكريات من وحى الحياة ونظام التقوم بمرور دوره اسبوع على الفقيد أو عام أو اكثر وكما كان اتجاه الميت عند الفراعنة نحو الشرق لأنه الجهة التى تشرق منها الشمس و يظهر منها الاله رع إلا أن اتجاه الميت عند الأقباط نحو الشرق بتعليل آخر يقوم على المسيحية لا على الوثنية كما كان فى مصر القديمة اتجاه وجه الميت على نفس اتجاه القبطى الأرثوذكسى أو القبطى الكاثوليكى نحو الشرق فى الصلاة فالشرق هو الجهه التى يظهر منها السيد المسيح عند مجيئه الثانى ولأن الشمس مصدر النور تظهر فى الشرق والنور رمز الله.

الطلعه:

يزور الاقباط المقابر فى أيام الأعياد وهى من علامات الوفاء وتكريم ذكرى الميت فى أيام الأعياد التى يعتاد فيها أفراد العائلة التجمع معا من بلادهم المتفرقة (٤) إن زيارة المقابر عادة ورثها الأقباط عن الفراعنة (٥) وتسمى عند الأقباط الطلعة وهى الترجمة العربية لكلمة هيروغليفية تحمل نفس المعنى عند الفراعنة (٦) وكما كان الفراعنة يزورون قبور موتاهم فى مواسم معينة ويحملون السلال بها الخبز واللحوم والفواكة التى توزع صدقة على روح الميت هكذا

---

(١) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا الحالية ص ٣٥ نشر دار الهلال من مطبوعات الالف كتاب.

(٢) الدكتور مراد كامل: بحث من قيام دقلديانوس الى الفتح العربى تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩١ طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى.

(٣) وليم نظير: العادات المصرية بين الامس واليوم ص ٢٥ القاهرة سنة ١٩٦٧ م.

(٤) الدكتور مراد كامل: بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية المجلد الثانى ص ٢٩٢ موضوع البحث من دقلديانوس الى دخول العرب.

(٥) وليم نظير العادات المصرية بين الأمس واليوم ص ٢٣ القاهرة سنة ١٩٦٧

(٦) محرم كمال: آثار حضارة الفرعنة فى حياتنا الحالية (من مجموعة الألف كتاب) ص ٢٨.

يسير الأقباط على نفس النهج ، ان كثيرا من مقابر الأقباط فى الجبال وفى سبيل الوصول اليها يعبر المشيعون للجنازة على قوارب وكذلك كان الفراعنة يسلكون هذا السبيل ، ان زيارة قبور الموتى وفاء الأحياء للأموات وأعتقد أن الفراعنة انفسهم سلكوا هذا السبيل من وحى الحياة ، ونرى الآن ألوف الألمان يأتون من ألمانيا لزيارة قبور موتاهم فى العلمين ، إن زيارة القبور فيها عظة الموت للحى وفيها كما ذكرت وفاء الحى للميت .

وكانت زيارة المقابر ثلاث مرات فى السنة كما هى الآن بمناسبة الأعياد اذ فى هذه المناسبة يتذكر الأحياء أحبابهم من الذين رحلوا من هذا العالم ، إن الأعياد تثير الذكريات ففى العيد يجتمع شمل الأسرة ويحضر الغائب فاذا فقدت الأسرة أحد أعضائها فإن مجىء العيد يثير الخواطر والذكريات ، وقد جرت التقاليد أن تكون طلعة بمناسبة عيد الملاد وطلعة ثانية بمناسبة عيد القيامة اما الطلعة الثالثة فتكون فى عيد النيروز (اول السنة القبطية) ويمكن أن يقال إن زيارة المقابر تصطحب بعادات منها السليم ومنها الضار فتوزيع الصدقات والمأكولات على الفقراء ورفع الصلوات لطلب رحمة الله ، هذه عادات حسنة ، وأما المغالاة فى مظاهر الحزن والمبيت فى المقابر فهى عادات سيئة .

دفن الموتى فى المنازل :

يحدثنا التاريخ أنه قبل قدوم الحملة الفرنسية على مصر ، كان الناس يدفنون موتاهم فى المنازل وأن بونابرت حين استولى على مصر أصدر امرا بمنع ذلك .

الفصل الثالث

العلاقات بين الأقباط والمسلمين

علاقات المودة والاخاء:

كانت العلاقات بين الأقباط والمسلمين فى القرن التاسع عشر تقوم على المودة والاخاء وقد يحدث فتور فى العلاقات مثل ما يحدث بين أبناء أسرة واحدة ولكن سرعان ما يزول التوتر ويحل الوئام محل الخصام وإذا تتبعنا العلاقات فى القرن التاسع عشر نجدها علاقات حسنة بوجه عام. وإذا حدث فتور فى العلاقات وحلت البغضاء محل الود والصفاء فيكون ذلك فى الغالب راجعا إلى تدخل العنصر الأجنبى و بث الدسائس والفتن، وقد تعرضت مصر منذ مطلع القرن التاسع عشر لحملات الأعداء فتعرضت للاحتلال الفرنسى على يد بونابرت وكليبر ومينو ثم عودة الحكم العثمانى وتعرض مصر لعهد فوضى واضطراب ثم حكم محمد على وخلفائه و وقوع مصر تحت سيطرة الاحتلال الانجليزى فى عهد الخديو توفيق سنة ١٨٨٢ واستمرار هذا الاحتلال إلى ما بعد منتصف القرن العشرين أى الى سنة ١٩٥٦ بعد أن قامت حكومة الثورة بعقد اتفاقية الجلاء فى اكتوبر سنة ١٩٥٤ وحين صاح الرئيس جمال عبد الناصر: على الاستعمار أن يحمل عصاه و يرحل، ورحل الاستعمار وصارت بلادنا دولة قوية عزيزة الجانب مرهوبة الصولة لا ترى فيها مجالا لدسائس المحتلين.

وسأتتبع فى هذا البحث امثلة للعلاقة الطيبة التى تقوم على المحبة والاخلاص متتبعا الترتيب التاريخى ثم أعرض لدسائس الاستعمار ومحاولته بث الفرقة والانقسام بين أبناء الوطن الواحد، مثل ما حدث فى أثناء ثورة القاهرة الثانية على الفرنسيين فى عهد كليبر وكان السبب فى التوتر والانقسام دسائس الجيش العثمانى وكما حدث فى عهد الاحتلال الانجليزى سنة ١٩١٠ — ١٩١١ مما أدى إلى عقد المؤتمر القبطى فى اسيوط والمؤتمر المصرى الاسلامى فى مصر الجديدة سنة ١٩١١ وكان السبب فى ذلك الاحتلال الانجليزى وما جرت عليه سياسة كرومر وخليفته الدوق غورست وهو المعتمد البريطانى الذى حدث فى عهده انعقاد المؤتمرين، حتى المؤتمر القبطى الذى اعتبر دليل انقسام كان يحوى كل الحرص على الاتحاد، وإنما انعقد هذا المؤتمر لا لجفاء بين الاقباط والمسلمين وإنما كان للمطالبة بحقوق الأقباط التى كان الاحتلال

الانجليزى سببا فى حرمانهم منها ، وسأقيم الدليل القاطع على دسائس الانجليز وسأرفع لثام الشك عن وجه اليقين فتبدو الحقيقة سافرة وهى أن الاستعمار كان سبب المصائب التى حلت بالبلاد .

ان الاتحاد القومى بين الأقباط والمسلمين جعل فى نهاية الأمر العدو الأول للمصريين وهو اللورد كرومر الذى جثم على صدر البلاد معتمدا بريطانيا أربعا وعشرين سنة يقول : إن الفارق الوحيد بين القبطى والمسلم هو أن الأول يعبد الله فى كنيسة مسيحية بينما الآخر يعبد الله فى مسجد اسلامى (١) .

والآن أعرض صورا رائعة للعلاقات الطيبة بين المسلمين والأقباط .

كان جرجس الجوهرى عميد الأقباط فى عهد الحملة الفرنسية وأوائل حكم محمد على يحتفل بقدوم شهر رمضان مشاركة لاخوانه « وكان عظيم النفس و يعطى العطايا و يفرق على جميع الاعيان عند قدوم شهر رمضان الشموع العسلية والسكر والارز والكساوى والبن و يعطى ويهب » (٢)

و يقول الاستاذ محمود الشرقاوى فى كتابه « مصر فى القرن الثامن عشر (دراسات فى تاريخ الجبرتى) فى الجزء الثالث تحت عنوان « اليهود والنصارى » أما تلك الروح السمحة الكريمة التى هى أولى العبر فنجد امثلة كثيرة منها ، نجد بعض المسيحيين يسجن فى القلعة مع المسلمين لحرب الفرنسيين كما سجن المعلم نقولا ، وكان رجلا ذا مكانة ونجد الأقباط يحاربون و يقتلون فى معركة امبابة ضد نابليون ... كما نجد ذلك فى قصة الشيخ الصاوى والقبطى ، وخلاصتها أن الفرنسيين رموا رجلا من الأشراف وقبطيا بتهمة أنهم يروجون أنباء ضدهم وفرضوا على كل منهما مائة ريال فاذا لم يدفعا قطع لسانهما وتشفع العلماء فى القبطى والشريف فلم تقبل لهم شفاعة فطلبوا أن يطلق سراحهما وأن يلتزم العلماء بدفع الغرامة ، فرفض الفرنسيون فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى وكان من الشفعاء وأحضر مائتى ريال دفعها للفرنسيين فدية عن القبطى والشريف .. وكان الشيخ الصاوى من أعضاء الديوان الذين اختارهم بونابرت وعندما أنشأ الفرنسيون هذا الديوان ليحكموا مصر عن طريقه أثاروا فى جلسة من جلساته أمر المواريث عند النصارى وأثاروا بذلك شيئا من خلاف بين العلماء و بعض القبط من اعضاء الديوان ولعل ذلك ما أرادوه ولكن ميخائيل كحيل الشامى ، وكان من أعضاء الديوان أعلن أن النصارى يتركون للعلماء أمر المواريث لأبناء طائفتهم وانتهى الأمر على ذلك » (٣)

---

(١) Cromer : Modern Egypt vol.II, P. 206 London, 1958 The only difference between the Copt and the Moslem is that the former is an Egyptian who worships in a christian church, whilist the latter is an Egyptian who worships in a Mohammedan mosque.

(٢) الجبرتى ج ٢ ص ٢٦٢ .

(٣) محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر (دراسات فى تاريخ الجبرتى) ص ١٣٥ ــ الطبعة الثانية القاهرة سنة ١٩٥٧ .

ومن الأدلة القوية على التعاطف بين الأقباط والمسلمين ما حدث فى أثناء ثورة القاهرة الثانية فى عهد كليبر، فقد انفصل نصوح باشا أحد قواد العثمانيين بكتيبته المؤلفة من العثمانيين والمماليك من معركة عين شمس التى وقعت بين الفرنسيين والعثمانيين ودخل القاهرة وحرض العامة على قتل النصارى من قبط وشوام — فى هذه الساعات الرهيبة احتمى الأقباط باخوانهم المسلمين. يقول الجبرتى « وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهرى وفلتيوس وملطى فانهم طلبوا الأمان من المسلمين لكونهم انحصروا بدورهم وهم بوسطهم فأرسلوا لهم الأمان وحضروا فقابلوا الباشا والكتخدا » (١) كذلك بعد أن أخمد كليبر ثورة القاهرة الثانية واتبع كليبر أساليب العنف والصرامة مع كبار المشايخ فذكر الجبرتى أنه جمع أهل الديوان وأنبهم تأنيبا عنيفا على اشتراكهم وقال كان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم وحرق بلدكم وسبى حريمكم وأولادكم ولكن حيث اننا اعطيناكم الأمان فلا ننقص أماننا ولانقتلكم وإنما نأخذ منكم الأموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف الف فرنك. يقول الجبرتى: « فبهتت الجماعة واصفرت وجوههم وتحيرت أفكارهم، ونظر بعضهم إلى بعض وترامو على يعقوب القبطى وانظاره، فدخل على كبير الفرنسيين وخرج وهو يقول: إنه قال يبقى منكم خمسة عشر شخصا رهينة حتى ينغلق المطلوب. فقالوا: وكيف تعمل ومن يقدر على هذا المقدار العظيم واذا كنا محبوسين من يسعى فى ذلك. ولم يزالوا فى هذه الحيرة والتداخل على القبطة إلى قبيل العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه » (٢)

ولا يسع باحث التاريخ إلا أن يتأمل فى هذه الأحداث، لقد تعرض اقباط القاهرة منذ ساعات لمهاجمة العامة بتحريض القائد التركى نصوح باشا الذى أفلت من معركة عين الشمس ودخل القاهرة. أقول ولولا الحصون التى أقامها المعلم يعقوب حنا ودفاعة المجيد عن الاقباط فى حى الأزبكية لقضى على أقباط القاهرة مما جعل الاستاذ المؤرخ عبد الرحمن الرافعى يكتب فصلا لعنوان اعتداءات يؤسف لها (٣) ومع ذلك لم يجد كبار المسلمين فى أوقات الشدة ملجأ لهم الا اخوتهم الأقباط يقول الجبرتى « وصاروا يدخلون على نصارى القبط و يقعون فى عرضهم فالذى انحشر فيهم ولم يكن معدودا من الرؤساء أخرجوه بحجة أو بسبب و بعضهم ترك مداسه وخرج حافيا وما صدق بخلاص نفسه » (٤) و يذكرنى هذا الموقف ببيت الشعر الذى قاله البحترى فى قتال الاقارب.

وإذا احتربت يوما ففاضت دماؤها .. تذكرت القربى ففاضت دموعها

---

(١) الجبرتى: مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيين ج ٢ ص ٤١ — المطبعة الأميرية ١٩٦١.

(٢) نفس المرجع ص ٥٥

(٣) عبد الرحمن الرافعى: تاريخ الحركة القومية الجزء الثانى ص ١٤٧

(٤) الجبرتى: عجائب الآثار ج ٣ ص ١١٢

ومن الأدلة على العلاقات الطيبة بين المسلمين والاقباط فى عهد محمد على ما ذكره الاستاذ محمود الشرقاوى فى كتابه مصر فى القرن الثامن عشر (دراسات فى تاريخ الجبرتى) ومن مظاهر المودة والاخلاص ما رواه الجبرتى من أن كاشف البحيرة من قبل محمد على قبض على السيد حسين نقيب الأشراف فى دمنهور وألزمه بأن يدفع ألفى ريال وإلا قتله بعد أربع وعشرين ساعة فلما عجز عنها رجا من النصارى الباشرين أن يدفعوها عنه فدفعوها ونجا (١) وقد أورد الاستاذ محمود الشرقاوى صورة أخرى للعلاقات الطيبة والتضامن بين المسلمين والأقباط ، يقول « ومن طريف ما ذكره الجبرتى وهو مظهر من أقوى المظاهر التى تدل على الشعور والعاطفة بين المسلمين والأقباط انه فى سنة ١٢٢٣ هـ جاء النيل ناقصا وانتظر الناس وفاءه فلم يف فضجوا وانزعجوا ولم يجدوا غلالا . ثم رأى العلماء أن يقيموا صلاة الاستسقاء فى جامع عرو . فذهب كبارهم ومعهم السيد عمر مكرم وأهل الأزهر وكثير من الأطفال يدعون الله فى صلاتهم أن يوفى لهم النيل .

وأقيمت صلاة الاستسقاء فى صبح يوم زاد فيه النيل زيادة قليلة فلما اتموا صلاتهم ورجع كثير منهم إلى القاهرة عاد النيل فنقص ما زاد من ماء قليل . وبعد يومين عاد العلماء والناس إلى جامع عمرو ، يتوجهون إلى الله فى صلاة الاستسقاء مرة أخرى أن يوفى لهم النيل وأشار بعضهم بأن يشترك الأقباط فى الصلاة فاشتركوا وجاء المعلم غالى كبيرهم ومعه كثير منهم فجلسوا فى ناحية من المسجد ، حتى أتم المصلون صلاتهم ودعاءهم ولم تمض ليلة حتى أوفى النيل وزاد ماؤه حتى غطى على القياس وبعد ذلك بيوم واحد نودى فى القاهرة بوفاء النيل وأطلقت المدافع وأقيم الاحتفال المعتاد (٢)

وحين جاء الى مصر الدكتور السيرجون بورنج فى عام ١٨٣٧ (فى عهد محمد على) موفدا من قبل الحكومة الانجليزية لوضع تقرير عن حالة مصر فى ذلك الحين ، وما ينتظر أن تكون عليه فى المستقبل Report on Egypt جاء فى تقريره ما يدل على العلاقات الحسنة بين الاقباط والمسلمين « ففى مصر يعيش المسلمون والمسيحيون واليهود فى انسجام لا نظير له » (٣) .

ومن أمثلة العلاقات الحسنة بين الأقباط والمسلمين فى عهد عباس الأول موقف الشيخ الباجورى شيخ الجامع الأزهر من حق الوالى عباس الأول فذكر الاستاذ محمد أمين حسونة فى كتابه « كفاح الشعب من عمر مكرم إلى جمال عبد الناصر » تحت عنوان الوالى المجنون مايلى : وكان يبغض النصارى فأخرج منهم من كان يتولى منصبا حكوميا ونالهم أذى واضطهاد شديد . ولما ثار غضبه عليهم أصدر أمرا بإخراج جميع المسيحيين من الأراضى المصرية ونفيهم إلى السودان

---

(١) محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر ج ١ ص ١٥٨

(٢) نفس المرجع ص ١٥٨ .

(٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه : بناء دولة مصر محمد على ص ٢٨٦ وص ٢٨٧ الطبعة الاولى (القاهرة) سنة ١٩٤٨ .

فجاءه الشيخ الباجورى شيخ الجامع الأزهر، وكانت تربطه صلة سابقة اذ كان عباس يشهد دروسه فى الأزهر و يستمع إليها برغم أنه لا يعرف العربية . وقال له الشيخ : الحمد لله الذى لم يطرأ على ذمة الاسلام طارىء ولم يستول عليه خلل حتى تغدربن هم فى ذمته إلى اليوم الآخر .. فلماذا هذا الأمر الذى أصدرته بنفيهم .. واذا كنت تعنى النصارى من الافرنج النازلين بلادنا فإننى أخاف أن فعلت بهم شرا إن يحل ببلادنا ما حل بالجزائر على أيدى الفرنسيين .

فغضب عباس وقال لأتباعه خذوه عنى ... فقال الشيخ وهوينهض أى و يعلم الله .. أى و يعلم الله !! (١)

وقد سجل هذا الحادث المؤرخ ميخائيل بك شارو بيم فى الجزء الرابع من كتابه الكافى « وقيل واشتد به البغض للنصارى حتى دبر أمر اخراجهم من وطنهم وتبعيدهم الى أقاصى السودان .. وأرسل إلى الشيخ الباجورى شيخ الاسلام يومئذ يسأله فى ذلك فلما جلس الشيخ قال له :

« أسالك امرا لا تنكره على . قال ما هو يا أمير؟ قال : إنى أقصد تبعيد النصارى كافة عن بلادى ومقر حكومتى إلى أقصى السودان ! وقد دبرت لذلك تدبيرا . فما قولك ؟ قيل فقطب الشيخ وجهه وقال : أى النصارى تعنى يا أمير. (٢) إلى آخر القصة .

وفى هذا الموقف نرى أن الشيخ الكريم أبى أن يجارى عباس الأول أو ينزل على رغبته وان دل ذلك على شىء فانما يدل على أمرين ــ الأول نبل الشيخ الباجورى وسمو نفسه وايمانه بمصريته ــ والثانى يدل على علاقات الأخوة بين أبناء الأمة المصرية من مسلمين وأقباط .

وكانت احتفالات مدرسة الأقباط الكبرى بالقاهرة مظهرا رائعا من مظاهر الود بين الأقباط والمسلمين يلتقى فيها كبار المسلمين من علماء الأزهر ورجال الحكومة باخوانهم الاقباط فتقام الاحتفالات بين مظاهر البهجة والصفاء . يقول الدكتور أحمد عزت عبد الكريم « وفى هذه المدارس كانت تقام الحفلات المدرسية والحفلات الخاصة بالامتحانات وكانت روح التسامح مما يرفع من شأنها ، فان شيخ الاسلام وعلماء الأزهر يجيبون الدعوة إلى حفلاتها بالحضور إلى جانب رجال الحكم والعظماء وكبار رجال الاديان الأخرى » (٣)

---

(١) محمد أمين حسونة : كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر ــ المجلد الأول ص ١٢٦ ــ طبع القاهرة سنة ١٩٥٥ .

ميخائيل شاروبيم : الجزء الرابع ص ١٠٩ ــ القاهرة سنة ١٩٠٠

(٣) الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عصر محمد على ص ٢٦٨ ــ الناشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٣٨ .

وكانت العلاقات بين الخديو إسماعيل و بطريرك الأقباط على خير ما يرام وقد جاء فى مذكرات قلينى فهمى باشا « عندما أريد تنظيم شوارع مصر وفتح شارع كلوت بك ، كان يقضى النظام لجعل هذا الشارع مستقيما أن يمر بكنيسة الأقباط ، فعرض على الانبا ديمتريوس البطريرك آنئذ ان تبنى له كنيسة افخر من هذه الكنيسة وكذا دار للبطريركية أفخم من دارها الحالية ، كل ذلك على نفقة الحكومة فى نظير مرور الشارع معتدلا ، فأجاب البطريرك قائلا : انى اتشاءم من هدم معبد دينى ليكون طريقا كما انى لا أرضى للجناب الخديوى ان يوافق على هذا العمل . ولما عرض الامر على الخديو قال : لتكن ارادة البطريرك وليبق المعبد قائما كما هو فلا بأس من التواء الشارع فى هذه الناحية » (١) .

وردد الدكتور جاك تاجر ما كتبته لوسى دوف جوردون Lucy duff Gordon تقول « ان اهالى بيا ومعظمهم من المسلمين انتخبوا جرجس القبطى عمدة لهذه البلدة .. ومما أثار اعجابى روح التسامح التى اجدها فى كل مكان ، و يظهر ان المسلمين والاقباط على وئام تام . و يوجد فى بيا ثلاث عشرة اسرة قبطية مقابل عدد كبير جدا من المسلمين ، ومع ذلك انتخب الاهالى جرجس عمدة لهم . وكانوا يقبلون يده طائعين بينما كنا نمر فى طرقات القرية » (٢) .

وفى عهد الخديو اسماعيل ارسلت الحكومة الفرنسية مبعوثا ليكتب تقريرا
(Report sur 1. instruction Pubique en Egypt. paris juin 1968)
فكتب الى وزير معارف فرنسا قائلا : « ليس رعايا مصر من المسلمين فحسب ، فمن المعلوم ان من اهلها عددا غير يسير من المسيحيين الاقباط ، وانى انتهز هذه الفرصة لأنوه بالتسامح الدينى المنتشر فى انحاء القطر والمرفرف على الجميع دون استثناء مما يشرف قوانين البلاد وشمائل اهلها » (٣) .

وهذه صورة اخرى للتآخى بين الاقباط والمسلمين ان مرقس بك يوسف من اعيان طنطا انشأ جامعا فى قرية جناح كما أنشأ كنيسة بالبتانون وساهم فى انشاء كنيسة طنطا » (٤) .

وقد ذكرت فى موضع آخر من هذه الرسالة أن بطرس باشا غالى الذى انتخب رئيسا لأول جمعية قبطية فى مصر سنة ١٨٨١ وكانت تسمى جمعية المساعى الخيرية دعا إلى حفل الافتتاح الشيخ محمد عبده والشيخ محمد النجار وأن السيد عبد الله النديم كان من خطباء حفل الافتتاح » (٥) .

---

(١) ذكريات قلينى : جزء اول ص ٣٧ ــ القاهرة سنة ١٩٤٣

(٢) الدكتور جاك تاجر : اقباط ومسلمون ص ٢٤٢ ــ القاهرة سنة ١٩٥١

(٣) نفس المرجع ص ٢٤٠

(٤) رمزى تادرس : الاقباط فى القرن العشرين ج ٤ ص ٧١ وص ٧٢ ــ قاهرة سنة ١٩١١

(٥) رمزى تادرس : الجمعيات الخيرية ص ١ ــ القاهرة سنة ١٩٤٦ .

ومن المواقف التى تدل على شعور الاخاء المتبادل بين الاقباط والمسلمين اشتراك المسلمين مع الاقباط فى الترحيب بعودة البطريرك كيرلس الخامس فى يناير سنة ١٨٩٣ من منفاه وكان الخديو عباس حلمى قد أصدر امرا باقامة هذا البطريرك فى الدير وإبعاده عن مقر البطريركية وذلك لوقوع خلاف بين البطريرك و بين المجلس الملى بزعامة بطرس غالى باشا ، تقول المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر « وعاد البطريرك من منفاه ودخل القاهرة فى احتفال باهر عظيم كدخول الفاتحين ، إذ تهافت المسلمون والأقباط من جميع أنحاء البلاد لاستقباله والترحيب به بالموسيقى » (١)

وحين أنشىء الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ضم هذا الزعيم بعض كبار الأقباط منهم و يصا واصف ومرقس حنا باشا وبهذا جمع مصطفى كامل تحت لواء الوطنية المسلمين والأقباط .

قال الزعيم مصطفى كامل فى خطبته بالاسكندرية يوم ٨ يونيه سنة ١٨٩٧ إن المسلمين والأقباط شعب واحد مرتبط بالوطنية والعادات والاخلاق وأسباب المعاش ولا يمكن التفريق بينهما مدى الأبد(٢) وقال فى خطبته فى الاسكندرية يوم ٢ يونية سنة ١٩٠٠ « فالاقباط إخوة لنا فى الوطن تجمعنا بهم أشرف رابطة وقد عشنا معهم القرون الطوال على اتم وفاق واكمل اتفاق » (٣)

ومن امثلة الشعور الجميل المتبادل قرار بطرس باشا غالى رئيس النظار بالاحتفال بأول السنة الهجرية فهو أول من قرر جعل هذا اليوم إجازة رسمية فى مصر يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى : « فقررت الحكومة لأول مرة جعله عيدا رسميا تعطل فيه الدواوين ، وصدر هذا القرار فى عهد وزارة بطرس غالى باشا(٤) » وهذا نص القرار « بمناسبة أول السنة الهجرية الجديدة ستقفل نظارات الحكومة ومصالحها يوم السبت أول محرم سنة ١٣٢٧ — ٢٣ يناير سنة ١٩٠٩ » (٥).

حتى المؤتمر القبطى الذى اعتبر دليل انقسام ، وقف الخطباء يرددون ما يجمع قلوب الأقباط والمسلمين من رباط المودة والتآخى ، وإنما انعقد هذا المؤتمر للمطالبة بحقوق الأقباط التى كان الانجليز سبب اغتصابها .

---

(١) مسز بوتشر : تاريخ الأمة القبطية — الترجمة العربية ص ٣٩٥ جزء ٤ تعريب جريدة مصر سنة ١٩١٠ .
(٢) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية الطبعة الثالثة — القاهرة سنة ١٩٥٠ ص ١٠٣
(٣) نفس المرجع ص ١٤٩ .
(٤) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٩٦ القاهرة سنة ١٩٤١
(٥) ملحق الوقائع المصرية عدد ٢٠ يناير سنة ١٩٠٩ (٢٧ ذو الحجه ١٣٢٦)

بدأ المؤتمر القبطى أولى جلسات انعقاده فى مدينة أسيوط فى صبيحة يوم الاثنين ٦ مارس سنة ١٩١١ فى السرادق الذى أعد له فى فناء مدرسة إخوان و يصا بأسيوط . وكان المؤتمر تحت رعاية الأنبا مكاريوس مطران اسيوط الذى صار بطر يركاً للأقباط الأرثوذكس سنة ١٩٤٤ برئاسة بشرى بك حنا من كبار أعيان أسيوط وشقيق المجاهد الوطنى سينوت بك حنا .

وقف الانبا مكاريوس فى حفل افتتاح المؤتمر وقال : « حضرات أبنائنا المباركين » . أبارككم باسم الرب وأطلب منكم أن تظهروا كل الحكمة فى مناقشاتكم بما يحفظ لكم أحسن العلائق مع بقية إخوانكم المصر يين « ومن خطبة توفيق بك دوس المحامى فى هذا المؤتمر « أيها السادة إذا وقفت اليوم بينكم خطيبا فأسمحوا لى أن اقدم لكم نفسى بصفتى مصر يا ، قبل أن أكون قبطيا و بصفتى أحترم وطنى وأقدس بلادى كما احترم مذهبى وأقدس دينى وتهمنى علاقتى مع إخوانى فى الجنسية كما تهمنى علاقتى مع إخوانى فى الدين » ومن خطبة مرقس حنا المحامى فى هذا المؤتمر :

« ايها السادة ــ اهدى تحيتى وسلامى لأبناء مصر الكرام ، تحية صادقة من صميم القلب والجنان ، وتحية ود واخلاص وسلام إخاء ومحبة ، تحية المصرى للمصرى بلا تمييز ولا تفر يق ، تحية ابن النيل لابن النيل اينما كان ، تحية الأخ لأخيه أينما حل وكان » (١) .

ويجدر بى أن أعرض جزءا من الخطبة التى ألقاها الأستاذ ميخائيل فانوس المحامى فى الفيوم فى هذا المؤتمر . هذه الخطبة اعتبرها دستور العلاقات بين الأقباط والمسلمين :

« وأى دليل على تآخيها واعتبار الاثنين واحدا مهما اختلفا فى المعتقد من سكناهما متجاور ين متلاصقين فى المنازل والحقول . تأملوا للبلاد تجدوا أن فى بعضها ألف بيت للمسلمين وعشرة للاقباط وفى بلاد خمسمائة للاقباط وخمسة للمسلمين فلو أن بأنفسهم احقادا جنسية او اختلافات عنصر ية لتعذر على قليلى العدد سكناهم مع كثيرى العدد بل لتجنبا المعاملة وتقاطعا فى كل الأمور .

اذن فايت العقائد التى هى عليها الأساس بل الجنسية ، هى الكل فى الكل وانه وان وجد أحيانا بعض النفور والفتور فى العلائق بين المسلمين والأقباط فما سببه إلا الجهل لكنه لا يمنع الأفراد من رجوعهم إلى بعضهم حالا وعود الصفاء والمحبة بعد زوال الشدة . وإنى مؤكد أنه لو كان التقاطع حقيقيا فى القلوب لرحل عن البلاد التى فيها أقليتهم وسكنوا فى البلاد التى تضم أكثر يتهم . وقد تأكدت بعد طول البحث أن قلوب المسلمين والاقباط متحدة بر باط المحبة

---

(١) كتاب المؤتمر القبطى : طبع جريدة مصر بالفجالة سنة ١٩١١ ــ من هذا الكتاب نسخة بمكتبة معهد الدراسات القبطية بالعباسية بالقاهرة ونسخة اخرى بمكتبة دير المحرق .

الحقيقية الناتجة عن وحدة الجنسية والعوائد وإن الظلم العام فى البلاد والحكومات الفاسدة قد تكون سببا لايجاد التنازع بين الفريقين وإن كل ضرر يقع على مصر وشر مصيبة عليها هو جهل بعض أفراد معدودين فيها »

وتطبيقا لقول الاستاذ ميخائيل فانوس المحامى نتأمل الاحصاء العام للسكان سنة ١٩٦٠ نجد أن قبطيا واحدا يقيم فى قرية ساقية دافوف (بمحافظة المنيا) التى يسكن بها ٣٥٣٣ مسلما ، وفى قرية دير ابو حنس التابعة لمركز ملوى (بمحافظة المنيا) التى يسكن بها ٦٠١٤ قبطيا يسكن معهم ستة من المسلمين وفى قرية السهريج مركز منفلوط (بمحافظة اسيوط) يسكن ١٢٠١ مسلم و يسكن معهم ثمانية من الأقباط بل فى قرية سراوة مركز منفلوط (بمحافظة أسيوط) يسكن ١٦٢٦ مسلما يسكن معهم قبطى واحد وفى قرية كوم بوها قبلى (١) مركز منفلوط أيضا يسكن ١٢٤٠ مسلماً و يقيم فى نفس القرية شخص واحد من الأقباط .

يقول شوقى أمير الشعراء فى تصوير العلاقات بين المسلمين والأقباط : (٢)

فعلى تعاليم المسيح لأجلهم و يوقرون لأجلنا الا سلاما
الدين للديان جل جلاله لوشاء ربك وحد الأقواما
هذه ربوعكُم وتلك ربوعنا متقابلين تَعالج الأياما
هذه قبوركم وتلك قبورنا متجاورين جماجما وعظاما

وفى الحق لقد أثر فى نفسى هذا البيت الأخير عندما كنت أودع أحد الراحلين فى مدينة كفر الشيخ وتحت قبور المسلمين تجاور قبور الأقباط وإنى أستطيع أن اقول بحق ـــ وقد كنت مدرسا بدار المعلمين بهذه المدينة ـــ أن مسلمى كفر الشيخ ساهموا بنصيب كبير فى بناء كنيستها القبطية .

وإنى الآن أسير فى عرض أجزاء من خطبة الاستاذ ميخائيل فانوس المحامى التى ألقاها فى المؤتمر القبطى فى اسيوط (مارس سنة ١٩١١) فهى كما ذكرت دستور العلاقات « اختبرت الأمر بنفسى فكنت بمدارس ومعى الكثيرون من إخوتى المسلمين فلم نتنازع أو نتشاجر قط بسبب الدين ، تعودت أن أرى بدار أبى المسلمين أكثر من الأقباط وعندنا ادوات الصلاة من حصر وسجاجيد فكانوا يصلون بدارنا كأنهم بدارهم فاذا دق جرجس الكنيسة قام والدى للصلاة وكثيرا ما كنت أرى بعض أعيانهم يحضرون معه الصلاة بوقار واحتشام .

اشتغلت بالمحاماة وكان أصدقائى أكثرهم من المسلمين أعيانا أو محامين وكان مكتبى

---

(١) سكان هذه القرية من سلالة الفرق السودانية التى جندها محمد على .

(٢) الشوقيات الجزء الثالث (قصيدة رثاء بطرس باشا غالى)

محل اجتماعهم ودورهم محل سهرتي وإني مازلت ابكي المتوفين إلى رحمة الله منهم إلى الآن . وكل اختباراتي عن الغير متشابهة فانك لترى دلائل الثقة والمحبة اينما ذهبت بالارياف . الجار القبطي والمسلم يجلسان متآخيين على عتبة الدار، يأكلان كلاهما بنسائهما معا ما قدر الله لهم بشكر وسرور و يكون المسلم عائدا من صلاة الغروب والقبطي متحفزا للصلاة أيضا . يتشارك الاثنان في الزراعة والتجارة وكل يأتمن الآخر وكم من مسلم لا يأمن سره إلا عند القبطي مفضلا إياه عن أخيه ، وكم من قبطي يسلم دائرته وزراعته إلى يد المسلم دون أن يحاسبه أو يراقبه .

اذهبوا إلى أفراح الاثنين تجدوا ان المشير للقبطي وصاحب الراى والتدبير هو اخوه المسلم ، كما انه كثيرا ما يكون النائب عن المسلم في دفع المهر لابنه هو اخوه القبطي ، انظروا فرح الاثنين إنما هو واحد والبشر يطفح من وجوههما كأن الفرح لكليهما .

وفي المآتم اذهبوا تجدوا المسلمة تلطم وراء القبطي والقبطية تنوح حزنا على المسلم . اذهبوا في الاعياد تجدوا الدور غاصة كأنها أعياد للفريقين لا لفريق واحد .

إن أقوى مظهر للوحدة بين الاقباط والمسلمين تجلى في ثورة سنة ١٩١٩ فتعانق الهلال مع الصليب وخطب المشايخ في الكنائس وخطب القساوسة في الأزهر وقد صال بعض رجال الدين في الحركة الوطنية مثل القمص مرقس سرجيوس والقمص بولس غبريال وكان القمص مرقس سرجيوس الخطيب المفوه على منبر الأزهر، كتب عنه الاستاذ لطفي الخولي في جريدة الأهرام :

« و يوم ارتفع صوت سرجيوس ذات صباح مجيد من عام ١٩١٩ من فوق منبر الأزهر بشعار « وحدة الهلال والصليب ، » ترددت أصداؤه من فوق جميع مآذن المساجد ودقت مبايعة اجراس جميع الكنائس ، فسدت بذلك كل الثغرات في حركتنا الشعبية أمام مؤامرات الاستعمار والرجعية وتجلت هذه الوحدة في صورة رائعة حين أخذت تبرعات المسلمين تنهال على الجمعيات القبطية في المناسبات المختلفة فقد اقامت جمعية التوفيق القبطية بالقاهرة معرضا لمدارسها كانت لجنته العليا مكونة من فتح الله بركات وعبد الرحمن فهمي ومصطفى النحاس وعاطف بركات ومحمد محمود خليل إلى جانب سينوت حنا وصادق حنين ومرقس حنا وغيرهم . كما أقامت الجمعية الخيرية القبطية بالقاهرة سوقا كانت لجنتها مكونة من السيدات هدى شعراوى وشريفة رياض إلى جانب استر فهمي و يصا وروجينا خياط » (٢)

ولقد حاول الاحتلال الانجليزى استعمال الدين ضد الحركة القومية في مصر ولكنه باء

---

(١) جريدة الاهرام في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٦٤

(٢) جريدة الاهرام عدد ١٦/٢/١٩٢٠

بالفشل التام وفى هذا يقول الاستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام « فى مصر جرب الاستعمار الأوربى وفشل فى خلق مشكلة طائفية لأن وعى الأقباط والمسلمين معا أفسد عليه المحاولة وواجهه بوحدة وطنية تماسك فيها الصليب والهلال ورفرفا معا فى علم واحد رفعته الثورة الوطنية سنة ١٩١٩ على رأسها » (١)

ولقد واجهت الأمة المصرية تحت راية الاتحاد والتآخى الإنجليز فى ثورة سنة ١٩١٩ قوية متساندة فلم يكن مكان لدس الدساسين ولا تآمر المتآمرين . يقول الدكتور محمد أنيس « وبعد استقالة سعيد باشا عمد اللورد اللينبى إلى تكليف أحد المسيحيين وهو يوسف وهبه باشا بتأليف الوزارة فى تلك اللحظة الحرجة التى أجمعت الأمة رأيها على مقاطعة لجنة ملنر ، وقصد الإنجليز من هذا التعيين ضرب الحركة الوطنية فى أقوى مراكزها إلا وهى وحدة عنصرى الامة ، تلك الوحدة التى تعتبر من أروع انجازات ثورة ١٩١٩ وحركة الوفد المصرى » (٢)

ولقد أدرك الوفد المصرى ما تنطوى عليه اتجاهات الاستعمار الانجليزى فعندما اعتقل محمود سليمان باشا رئيس اللجنة المركزية وإبراهيم سعيد باشا وكيلها جمع عبد الرحمن فهمى اللجنة المركزية على الفور وعين مرقس حنا عضو اللجنة وكيلا لها ورئيسا بالنيابة وكتب إلى سعد زغلول باشا فى باريس فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٩ يشرح فكرته : « لما اعتقل صاحب السعاده محمود سليمان باشا وابراهيم باشا سعيد خلا بذلك محلا الرئيس ووكيله ، ونظرا لأننا فهمنا من سياق الحديث ان السلطة المتصرفة فى شئون مصر والملتفين حولها أرادوا باسناد مركز الرياسة إلى يوسف وهبه باشا مطلبن النفس بأن يكون هذا سببا من أسباب نفور العلائق بين عنصرى الأمة الأصليين أجمعنا كلمتنا على اختيار قبطى تسند اليه مركز الوكيل ليترأس على اللجنة مدة إبعاد محمود باشا وإبراهيم باشا رادين بذلك كيد المتسلطين إلى نحرهم ولنثبت لهم أن هذه السفاسف أصبحت بعيدة عن أفكارنا وأن مبادئنا وطلباتنا القومية لا يمكن ان يقف أمامها أى عائق (٣).

دسائس الاستعمار: مبدأ الاستعمار فرق تسد فهو يخشى مواجهه أمة متحدة متكتلة فيحاول جاهدا بث الفرقة والانقسام بين أبناء الوطن الواحد ، فاذا حدث فتور فى العلاقات بين أبناء مصر فإنما يكون فى الغالب بتدخل العنصر الأجنبى سواء كان هذا التدخل من جانب العثمانيين أو الانجليز.

أولا : فى أثناء ثورة القاهرة الثانية ضد الفرنسيين فى عهد كليبر (مارس — ابريل سنة ١٨٠٠) حدثت اعتداءات على الاقباط وكان المحرض عليها القائد التركى نصوح باشا فقد افلت

---

(١) الاهرام بصراحة فى ١٣ مايو سنة ١٩٦٦.

(٢) الدكتور محمد أنيس: دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ (الجزء الاول ص ٥٠ . القاهرة سنة ١٩٦٣ م .

(٣) نفس المصدر ص ١٥٨ .

من معركة عين شمس ودخل القاهرة من باب النصر و باب الفتوح معلنا هزيمة الفرنسيين ثم حرض العامة على المسيحيين من قبط وشوام . يقول الجبرتي : « قال نصوح باشا قاتلوا النصارى وجاهدوا فيهم فلما سمعت العامة منه هذا القول هاجوا ورفعوا أصواتهم وفروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم وذهبت طائفة إلى حارات النصارى و بيوتهم التى بناحية بين الصورين و باب الشعرية وجهة الموسكى فصاروا يكبسون الدور و يقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء أو الصبيان و ينهبون و يأسرون » (١) .

و يعلل الاستاذ عبد الرحمن الرافعي أن ما حدث فى هذه الثورة يعزى الى أن القيادة العليا للثورة كانت للعثمانيين والمماليك و يردد قول الجبرتي « إن نصوح باشا هو الآمر بالاعتداء على المسيحيين وإن جماعة الحجازية والمغاربة هم الذين ارتكبوا المنكرات من نهب وقتل » (٢) وقد ردد المؤرخ الانجليزى فاولر فى كتابة هذا القول عند كلامه عن اشتباك كليبر مع الأتراك فى موقعة المطرية » (٣) .

ثانيا : مصرع بطرس غالي باشا (فبراير سنة ١٩١٠) استغل الانجليز مقتل رئيس وزارة قبطى فى إثارة التفرقة بين الأقباط والمسلمين .

فى ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠ أطلق إبراهيم ناصف الوردانى الرصاص على بطرس غالى باشا فأودى بحياته . ومع أن القاتل اعترف بجريمته وقرر أن الدافع إليها ماعده خيانة من تصرفات بطرس باشا وأخصها توقيع اتفاقية السودان سنة ١٨٩٩ ورياسة المحكمة المخصوصة فى دنشواى سنة ١٩٠٦ واعادة قانون المطبوعات ثم سعيه الى مد امتياز قناة السويس اربعين سنة وهذه كلها اسباب سياسية الا ان وقوع الجناية على رئيس وزارة قبطى . وكانت هذه اولى حوادث القتل السياسى فى مصر وهى كما يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعي « مصادفة سيئة ــ جعلت فريقا من الاقباط ينسبونها الى التعصب الدينى » (٤) .

و يقول احمد شفيق باشا فى مذكراته : « ولكن مسلك الحزب الوطنى مع الوردانى جعل الاقباط يفهمون ان الجريمة طائفية » (٥) .

---

(١) الجبرتي : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس .

(٢) عبد الرحمن الرافعي : تاريخ الحركة القومية ج ــ ٢ ص ١٤٧ .

(٣) Fowler: Christian Egypt-London 1902 P. 126. He engaged inbattle with the Turks at Matarieh, and gained a signal victory (March 21, 1800 A.D.). This did not; however, prevent the Turkish troops in Cairo from Pilling the Christian quarters of the town and massacring hundreds of the Copts.

(٤) عبد الرحمن الرافعي : محمد فريد ص ٢٧١ ــ القاهرة سنة ١٩٤١

(٥) احمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن (القسم الثانى من الجزء الثانى) ص ٢٤٧ القاهرة سنة ١٩٣٦ .

احدث مصرع بطرس باشا موجة أسى فى نفوس الاقباط فقد كان عميد الاقباط وكبيرهم بلا منازع . و يظهر ان موته بهذه الصورة أثار عليه العطف العميق على الرغم مما وجه اليه من اخطاء سياسية .

و يبدو من قصيدة احمد شوقى امير الشعراء فى هذه المناسبة وقع الصدمة التى اصابت الاقباط بمصرع بطرس باشا وتحمل عباراته العزاء فهذا قضاء الله فوت بطرس أمر مقدر واجله محدد :

يقول شوقى :

بنى القبط اخوان الدهور رويدكم	هبوه يسوعا فى البرية ثانيا
حملتم لحكم الله صلب ابن مريم	وهذا قضاء الله قد غال غاليا
ووالله لو لم يطلق الثار مطلق	عليه لأودى فجأة او تداويا
قضاء ومقدار وآجال أنفس	اذا هى حانت لم تؤخر ثوانيا (١)

استغل الانجليز مصرع بطرس غالى باشا لاحداث جفاء بين عنصرى الامة ولكنهم اخفقوا امام التيار الوطنى الجارف الذى استطاع ان يرد كيدهم الى نحورهم فنجحت الامة المصرية مما يدبر لها ، يدل على ذلك قول مرقس فهمى المحامى فى خطبته يدعو الى التآلف (بعد قتل بطرس باشا) سنة ١٩١٠ :

« بلادنا بلاد الهدوء والسلام تدعونا الى السكينة والصفاء والوفاء ، لذلك عاش المسلم أخا للمسيحى ، اذا حصل بينهما خلاف فانما يكون خلافا سريع الزوال لا يلبث أن ينقضى .. اذا كان كل خلاف بين الفريقين ضارا بكل منهما ، فتلك دلائل قاطعة على أن فائدة كل منهما لا يمكن أن يكون لها وجود الا بالاتفاق والاتحاد الحقيقيين ان هذا التضامن هو روح الوطنية وروح كل اجتماع فلاوطن بدونه ولا مسلمين بدونه ولا اقباط بدونه » (٢) .

ثالثا : المؤتمر القبطى فى اسيوط (مارس سنة ١٩١١)

كانت السياسة الانجليزية التى تقوم على مبدأ فرق تسد دافعة لعقد هذا المؤتمر وكانت دسائس الانجليز لا تنقطع فألقى اللورد كرومر العميد البريطانى ثم السير الدون غورست الذى خلفه سنة ١٩٠٧ بذور الخلاف ولكن تربة مصر التى سقاها النيل ووحد بين أبنائها مع قدم

---

(١) الشوقيات : الجزء الرابع

(٢) محمد سيد كيلانى : الادب القبطى قديما وحديثا ص ١٥٣ وص ١٥٤ القاهرة ١٩٦٢

التاريخ لا يمكن أن تنبت فيها شجرة الخلاف ، وقد تبدو مظاهر الخلاف سطحية ولكنها لا تستطيع التعمق فى أرض مصر. كان اللورد كرومر يعمل على تمييز المسلمين على الاقباط وهذه مؤرخة انجليزية جاءت إلى مصر وعاصرت أحداثها تشهد باجحاف كرومر، تقول المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر:

« وفى الحقيقة أن انكليزيا عظيما أتى الى مصر نعنى به اللورد كرومر عمل على تصميم النية على ان لا يستخدم فى المصالح الاميرية الا المسلمين باعتقاده ان المسلمين اصحاب الاكثرية » (١).

وكانت الوزارات المصرية التى تأتمر بأمر الاحتلال وتعمل وفق مخطط استعمارى تنفذ رغبة كرومر والمستشارين الانجليز فعقد المؤتمر القبطى فى أسيوط فى مارس سنة ١٩١١ وعقد المؤتمر المصرى الاسلامى فى مصر الجديدة مايو ــ يونيه سنة ١٩١١ ردا عليه كانا من آثار السياسة الانجليزية فى مصر. يقول المؤرخ عبد الرحمن الرافعى: (وكان كلا المؤتمرين مظهرا يؤسف له من مظاهر الخلاف بين المسلمين والأقباط .. ومثل هذه المظاهر لم يفد منها سوى الاحتلال ولم تصدر عن نظر سليم فى الأمور) (٢).

لقد أيدت وزارة محمد سعيد باشا عقد المؤتمر المصرى ردا على المؤتمر القبطى وهذا يفسر التحول من عطف المسلمين على مطالب الأقباط الى الدعوة لعقد المؤتمر المصرى » (٣).

يقول الاستاذ عبد الرحمن الرافعى: « وهى التى فكرت فى إسناد رئاسته إلى مصطفى رياض باشا رئيس الوزراء الأسبق وقد أوعزت اليه بقبول الرئاسة على شيخوخته ، ولولم يكن الاحتلال مغتبطا بهذه الحركة أو راضيا عنها لما فكرت الوزارة فى تأييدها (٤) و يبدو تألم الزعيم محمد فريد من عقد هذا المؤتمر بقوله فى مذكراته (٥): فى أثناء حبسى شرع فى المؤتمر المصرى الذى جمعه محمد سعيد باشا بناء على رغبة السيرالدون جورست لمحاربة الأقباط و بالتالى للتفريق بين الأقباط والمسلمين »

و يرى الدكتور زاهر رياض أن المؤتمر القبطى كان لطمة للاحتلال الانجليزى فيقول وجه الأقباط إلى الاحتلال ضربة قاصمة حين دعوا الى عقد المؤتمر القبطى فى أسيوط ليرموا

---

(١) مسز بوتشر: ج ٤ النص العربى المترجم ص ٤٢٤ .

(٢) عبد الرحمن الرافعى: محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٩٢ ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

(٣) Kiriakos Micheil: Copts and Moslems under British Rule P. 13 London 1911.

(٤) عبد الرحمن الرافعى: محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ص ٢٩٢ ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .

(٥) نفس المرجع ص ٢٩٣ .

بالقفاز فى وجه الانجليز وليعلنوا أن هؤلاء الدخلاء هم سبب هذا البلاء الذى تقاسيه الأمة من حيث إشاعة التفرقة بين أبناء الوطن الواحد » (١) .

ولقد قابلت الصحف الاسلامية طلب الأقباط المساواة فى الوظائف بالترحيب فنشرت اللواء « إننا معاشر المسلمين نود من صميم أفئدتنا أن تعطى وظائف الحكومة لمن يستحقها من الأكفاء القادرين من الوطنيين من غير تمييز بين طائفة وأخرى ولا دين دون دين » (٢) ونشرت الجريدة : « إن رأى الجريدة فى التسوية بين المسلمين والأقباط معروف مشهور وانها تقول أن كل مصرى له حق فى المساواة التامة من غير تمييز..... انه لا شك أن الاحتلال البريطانى هو المسئول الأول عن هذه الحالة السائدة بين المسلمين والمسيحيين (٣) .

عقد المؤتمر جلساته تحت رعاية الأنبا مكاريوس مطران أسيوط برئاسة بشرى بك حنا فى يومى ٦ و٨ مارس سنة ١٩١١ فى السرادق المقام فى فناء مدرسة إخوان و يصا الجديدة بأسيوط وقد حرص كل الخطباء على المطالبة بالحفاظ على وحدة الأمة وتضامن جميع أبنائها وكان موضوع أول خطاب ألقى فى المؤتمر « وجوب توثيق عرى المحبة بين المسلمين والأقباط » ألقاه ميخائيل فانوس المحامى بالفيوم وقد سبق عرض اجزاء من هذا الخطاب فى هذا الفصل ثم تعاقب الخطباء : الدكتور أخنوخ فانوس ، توفيق دوس ، مرقس حنا ، حبيب دوس ، مرقس فهمى وكلهم من نوابغ المحامين .

وقد هاجم توفيق دوس المحامى فى خطابه السياسة الانجليزية و بين ضررها على البلاد فقسم تاريخ مصر الحديث إلى قسمين تفصل بينهما سنة ١٨٨٢ ـــ القسم الأول ما قبل الاحتلال والقسم الثانى منذ بدء الاحتلال حتى تاريخ عقد المؤتمر (مارس سنة ١٩١١) (٤) ـــ فقبل الاحتلال كانت المناصب الكبرى فى الدولة تعطى لمن يستحقها من المصريين بدون تمييز وضرب أمثلة مما صارت عليه الحكومة فى عهد محمد على والخديو اسماعيل فعين محمد على حكاما للبلاد من الأقباط .

(فكان بطرس أغا مأمورا لمركز وادى برديس وميخائيل أغا فى الفشن وفرج أغا فى دير مواس وتكلا سيداروس فى بهجورة) وفى عهد الخديو اسماعيل كان عياد بك حنا من كبار موظفى الحربية وكان وهبه بك الجيزاوى وعريان بك تادرس ودميان بك جاد من كبار موظفى المالية بل عين الخديو اسماعيل واصف بك عزمى كبير التشريفاتية وعوض الله بك سرمر مديرا للقليوبية)

---

(١) ، (٢) ، (٣) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع بعنوان : نصيب الاقباط من الحركة القومية فى العصر الحديث .
(٤) المؤتمر القبطى ص ٣٠ وص ٣١ : القاهرة سنة ١٩١١

ثم جاء الاحتلال الانجليزى فحرم الأقباط من تولى جميع المناصب الرئيسية ففى وزارة الأشغال مثلا منع الأقباط من تولى وظائف مفتشى الرى أو باشمهندس الرى وفى وزارة المعارف العمومية حرم الأقباط من تولى جميع وظائف المفتشين ونظار المدارس .

وتحدث فى المؤتمر مرقس حنا المحامى عن جمال الوطن اذا عاش أبناؤه فى ظل الاخاء والمساواة فقال « إذا عمت المساواة الاخوة وشملت نظام العائلة الكبرى التى نسميها الوطن فى كل أدواره بغير ميزة لأحد أبنائها على الآخر شب الجميع على التضامن والتضافر ، وربى الجميع فى مهد المحبة والالفة بعيدين عن الشحناء والبغضاء فما أبهج هذا البلد وما أحلى الحياة إذا تجلت فى هذا المنظر الجميل البهى لتلك العائلة الكبرى التى نحن المصريين أجمعين أبناؤها .

قرارات المؤتمر: قرر المؤتمر أن يعرض على الحكومة الخديوية الطلبات الاتية بأمل إجابتهم الى ملتمسهم وهى :ــ

١) التصريح للأقباط الراحة يوم الأحد
٢) المساواة فى التوظيف بالحكومة .
٣) وضع نظام لمجالس المديريات يكفل للأقباط تمتعهم بالتعليم الأهلى
٤) تمثيل العناصر المصرية فى المجالس النيابية .
٥) جعل الخزينة العمومية مصدرا للانفاق على جميع المرافق المصرية .

عقد المؤتمر المصرى الاسلامى:

وفى مايو ــ يونيو سنة ١٩١١ عقد المؤتمر المصرى برئاسة مصطفى رياض باشا فى مصر الجديدة و بانتهاء هذا المؤتمر عادت الأمة إلى صفائها السابق ، وفى ثورة سنة ١٩١٩ نرى أعضاء المؤتمرين تحت لواء الوفد فى المطالبة بالاستقلال فنرى مرقس حنا وتوفيق دوس مع على شعراوى وفتح الله بركات .

وجاء فى مذكرات عبد الرحمن فهمى إلى سعد زغلول رئيس الوفد المصرى فى باريس [١] « ولقد حاول الانجليز أن يهزوا هذا الاتحاد بكل الوسائل التى فى استطاعتهم حاولوا ذلك بالارهاب و بذل الأموال والدسائس والتغرير وطرق الخداع فباءوا بالخيبة والفشل وكانت الأمة فى جميع أدوار الحركة تخرج دائما متحدة الكلمة » .

و يقول الدكتور زاهر رياض (وأن طبيعة بلادنا السمحه وارضها السهلة ونيلنا المنتظم وشمسنا الساطعة بل إحساسنا بأرتباط مصالحنا وتداخلها كل هذه عوامل توحى بالوحدة بل

---

(١) الدكتور محمد أنيس : دراسات فى وثائق ثورة سنة ١٩١٩ ــ الجزء الأول ص ١٧٣ القاهرة سنة ١٩٦٣ .

ترغمنا على أن نشعر واحد بل جسم واحد ، يضر عضوا منه ما يضر بالعضو الآخر وأنه سرعان ما تتحد الأعضاء على طرد هذه الجرثومة الغريبة (يقصد الانجليز) (١)

يقول الرئيس جمال عبد الناصر فى الاحتفال بإرساء حجر الأساس للكاتدرائية المرقسية الكبرى بالعباسية :

« بالمحبة ، بالإخاء بالمساواة بتكافؤ الفرص نستطيع أن نخلق الوطن القوى الذى لا يعرف للطائفية معنى ولا يحس بالطائفية أبدا بل يحس بالوطنية ، الوطنية التى يشعر بها الجندى فى ميدان القتال » (٢)

وأنى أختتم هذا الفصل بأبيات من قصيدة لى أنشدتها فى حفل الذكرى المئوية للبابا كيرلس الرابع فى يناير سنة ١٩٦١

تجلت مصر فى حلل التسامى ... بوحدة قبطها والمسلمينا
ففى ظل التسامح قد نشأنا ... ومن نبع المحبة قد روينا
تبادلنا المحبة والتآخى ... وصار الود والاخلاص دينا
أبونا النيل يسقينا جميعا ... ومصر الأم تحتضن البنينا
وهذى وحدة من صنع ربى ... تجلت آية للعالمينا
تقاسمنا معا حلوا ومرا ... تقاسمنا المسرة والشجونا
وواجهنا معا غدر الليالى ... وسارعنا لصد المعتدينا

(١) الدكتور زاهر رياض : بحث غير مطبوع نصيب الاقباط فى الحركة القومية فى العصر الحديث .
(٢) الاهرام فى ٢٥ يوليو سنة ١٩٦٥ .
(٣) كتاب ذكرى البابا كيرلس الرابع ــ القاهرة سنة ١٩٦١


الملاحق



ملحق رقم (١)

املاك الاوقاف القبطية وتوزيعها وقيمتها (من كتاب الاقباط فى القرن العشرين الجزء الاول لرمزى تادرس المطبوع سنه ١٩١٠)

اماكن الاوقاف	س	ط	فدان	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	مقدار الاملاك منازل	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	المجموع	
									الريع (جنية)	القيمة (جنية)
دير الانبا انطونيوس	٣	٣	٩٣١	١٥١,١٠٠	٨٧٠٧	٤٠	٥٣٣٥٠	٢٦٣١	١٠٤٣٨	٢٠٤٤٥٠
دير الانبا بولا	٦	٢٠	٦٨٠	١٠٩٠٢٠	٥٣٦٢	١٠	١١٣٨٠	٥٢٢	٥٧٨٤	١٢٠٤٠٠
دير ابو مقار	٢	٣	٩٤	٩٥٠٠	٤٨٠	٧	٦٢٠٠	٣٠٦	٧٨٦	١٥٧٠٠
القيامة والست دميانه	١٠	١٤	٨٠٠	٣٢٤٠٠	٢٥٢٥	٧٠	٥٧٥٠٠	٢٦١٧	٥١٤٢	٨٩٩٠٠
دير البرموس	٨	٢٢	١٥٦	١٥٦٠٠	٨٥٥	١١	١١٦٠٠	٥٣١	١٣٨٦	٧٢٢٠٠
الدير المحرق	٢٠	١٩	١٩٨٠	٢١١٤٦٠	٩٤٠٠	٨	٤٨٥٠	٢٣٣	٩٦٣٣	٢١٦٣١٠
دير انبا بشاى	٦	٦	٧٨	٦٤٠٠	٣٩٠	١١	١٠٥٣٥	٥٢٣	٩١٣	١٦٩٣٥
كنيسة الاسكندرية	—	—	—	—	—	٣٩	٦٦٤٥٠	١٦٣٨	١٦٣٨	٦٦٤٥٠
دير السريان	٤	٢٠	٨٠	٦٨٠٠	٤٥٥	١٠	١٠٥٣٥	٥٢٢	٩٧٧	١٧٣٣٥

اماكن الاوقاف	س	ط	فدان (١)	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	مقدار الاملاك منازل	قيمتها جنيه	ريعها جنيه	المجموع	
									الريع جنيه	القيمة جنيه
الكنيسة الكبرى بمصر	١٦	٢٠	٣١٢٢	٢١٠٣٢١	١٠١٣٨	١٠٠	٤٥٤٤٢١	٨٥١٧	١٨٦٥٥	٦٦٤٧٤٢
اوقاف سنديس	—	—	—	—	—	٥	٢٠٠٠	٨٨	٨٨	٢٠٠٠
ديرجبل الطير	٢٠	١٩	٤٥	٣٩٠٠	٢٥٠	—	—	—	٢٥٠	٣٩٠٠
ديرحاره زويلة	٨	١٦	٣١	١٦٠٠ ،	١٠٠	—	—	—	١٠٠	١٦٠٠
اوقاف الجمعية الخيرية	٨	١٢	٢٨٦	١١٠٨٠	،٩٣٠٠	٣	٩٠٠	٥	٩٣٠٥	١١٩٨٠
املاك القدس	—	—	—	—	—	—	—	—	—	١٥٠,٠٠٠
المجموع	٩	١١	٨٣٩٠	٧٨٣٥٨١	٤٦٩٦٢	٣١٤	٦٨٩٤٢١	١٨١٣٣	٦٥٠٩٥	١,٦٢٣,٣٠٢

(١) ولها ايضاً من النخيل ما قيمته ٦٥٠٠ وريعه ٣١٣ جنيها فى السنه والاوقاف الخيريه ما يزيد ريعه عن الالفى جنيه ومن الرسوم والنذور وغيرها ما يبلغ ريعه فوق الالفى تقدير هذا ولجمعيه التوفيق من الاوقاف ٥٥ فدانا قيمتها ٤٠٠٠ جنيه و٤ منازل قيمتها ٢٣٦٠٠ جنيه .

ملاحظة : لم يبين المؤلف مفردات املاك القدس واورد القيمة الاجمالية .

ملحق رقم (٢)

بنشاط الأقباط الدينى

دستور أساسى للمدرسة الاكليريكية

من المعلوم فى كل زمان ومكان أن لكل طائفة رؤساء يلون من أمورها حسب القدرة والامكان ، بحيث تكون مرجع أمورها إليهم والمعول فى تعص مشاكلها عليهم ولهذا تعين أن يكونوا من ذوى المعارف المتسعة الفضاء ، حيث انهم بمنزلة الرؤوس من الاعضاء ، ولما كانت الطائفة القبطية أعظم الطوائف شأنا وأولاها باجتناء أنوار هذه المزايا عيانا . وغبطة الأب البطريرك أحرص الناس على أن يشيد بيد الاستئثار من أركانها وأن يظهر بعد الاستئثار ضمير شأنها . وقد ابتسمت ثغور العلوم فى عهد الدولة العباسية (١) وتوطدت كما هو معلوم قواعدها الأساسية . فبناء على أمر غبطتكم أعرض مشروع انشاء مدرسة اكليريكية يتخرج عليها من الرهبان والقسوس الشبان كل مرشح لهذه الوظائف حتى تجارى فى هذا الميدان السابقين من رؤساء الطوائف وبهذه المثابرة تعمر حدائق العلوم المفيدة فى سائر الأرجاء و يتمسك أولو الآراء السديدة بعروة هذا الرجاء ، وتكون هذه المدرسة أن شاء الله من مآثرك الغراء التى يفاخر بها كل أديب أريب و يذكرها بلسان الاطراء كل ناء وقريب .

المادة الاولى : بروجرام هذه المادة يشتمل على المواد الآتية :ــ
اللغة العربية بفروعها (١) اللغة العربي بفروعها (٢) اللغة القبطية بفروعها (٣) علم اللاهوت (٤) من الالحان (٥) القوانين الكنسية (٦) التاريخ العام (٧) تاريخ الكنيسة (٨) الجغرافيا (٩) علم الرياضة (١٠) (٢) الأبقطى (١١) فن الخطابة .

المادة الثانية : هذه المواد هى العلوم الأساسية التى يكون تلقينها الزاميا ولكل طالب الخيار فى تعلم احدى اللغات الأوربية .

المادة الثالثة : مدة الدراسة بالمدرسة خمس سنوات والتدريس بها يكون موكلا لخوجات علمانيين ما خلا علم اللاهوت . ولا يبتدأ بتدريسه الا فى السنة الثالثة .

---

(١) نسبة الى الخديو عباس حلمى الثانى الذى فى عهده تم انشاء المدرسة الاكليريكية .

(٢) الابقطى يقصد بهذه الكلمة دراسة التقويم حساب الأعياد القبطية .

المادة الرابعة : عدد تلامذة المدرسة لا يزيد فى أول سنة على أربعين تلميذا من سن ٢٠ الى ٢٥ ويجوز فى احوال استثنائية أن يكون سن الطالب ٣٠ سنة .

المادة الخامسة : قبول الطلبة بالمدرسة يكون بناء على تصريح من سيادة الأب البطريرك بعد أن يؤدى الطالب الامتحان فى مبادىء الدين واللغة القبطية امام لجنة المدرسة .

المادة السادسة : كل طالب صار قبوله بالمدرسة لا يجوز خروجه منها قبل تتميم الدروس والحصول على الشهادة النهائية الا بناء على قرار من لجنة المدرسة يصدق عليه سيادة الأب البطريرك والعضو المتولى ادارة المدارس .

المادة السابعة : يكلف بتعليم اللاهوت فى المدرسة أحد الكهنة الارثوذكسيين بشرط أن يكون حائزا من أحدى المدارس شهادة تدل على تضلعه من العلوم المذكورة .

المادة الثامنة : تنشأ بالمدرسة كتبخانة تحتوى على الكتب الدينية والأدبية وتعين للطلبة ساعات معلومة للمطالعة فيها والانتفاع بها .

المادة التاسعة : ادارة المدرسة تكون تابعة للمدارس القبطية .

هذا وانى سأسن لهذه المدرسة قانونا نظاميا يشتمل على سائر اجراءاتها الداخلية وأعرض على قدسكم لأجل التصديق عليه .

الامضاء

يوحنا باخوم

تلى هذا لمشروع بجلسة الهيئة الملية فى يوم ١٩ أبيب سنة ١٦٠٩ الموافق ٢٥ يوليه سنة ١٨٩٣ وصار تقريره مصدقا عليه من غبطة السيد الاب البطريرك .

ملحق رقم (٣)

بنشاط الأقباط الدينى

قرارات البابا كيرلس الخامس بشأن تعليم الدين المسيحى

اجتمع المجمع المقدس يوم ٢٥ يونيو سنة ١٩٠٣ — ٨ بؤونه سنة ١٦١٩ تحت رئاسة الأب البطريرك الأنبا كيرلس الخامس وبحضور عدد من مطارنة الكنيسة القبطية واساقفتها ورؤساء الأديرة وقد تقرر فى هذا الاجتماع بشأن تدريس الدين المسيحى ما يأتى :— وهذا نص المواد : (١)

المادة الاولى: من أول السنة المكتبية المقبلة (١٩٠٣ — ١٩٠٤) الداخلة فى سنة ١٦٢٠ قبطية يجب حتما تدريس الدين المسيحى وتاريخ الأقباط الزاميا على جميع التلاميذ الأقباط الذين يوجدون فى سائر المدارس والكتاتيب القبطية فى جميع الجهات المصرية . وكذلك يجب حتما ذهاب هؤلاء التلامذة مع معلميهم فى أيام الآحاد وسائر أيام الأعياد الكبرى بدون تخلف عن ذلك الا عند الضرورة القصوى .

المادة الثانية : الدروس الرئيسية التى يجب تدريسها فى جميع المدارس القبطية يجب أن تكون قبطية على المبادىء الارثوذكسية و يعهد بمراجعة كتبها ومؤلفاتها الى لجنة مراقبة التربية الدينية المشكلة فى الدار البطريركية العامرة من السنة الماضية بأمر غبطة السيد البابا المكرم .

المادة الثالثة : نظار المدارس القبطية وخوجاتها ومتولى شئونها على اختلاف درجاتهم مكلفون بالمساعدة والمعاضدة فى تنفيذ هذا الأمر وايجاد كل الوسائل المستأصلة لكل صعوبة .

المادة الرابعة : على حضرات الآباء المطارنة والاساقفة والقسوس والأراخنة ووجهاء وأعيان الأقباط وأدبائهم فى سائر جهات القطر مد يد المساعدة الى هذا المشروع الخطير وتكليف آباء التلامذة بالموافقة على ومساعدة خدام الدين فى عمل كل ما من شأنه حض آباء التلامذة الأقباط الجارى — تعليمهم الآن فى غير المدارس القبطية لضرورة ارسال أولادهم الى الكنائس فى

---

(١) يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ — ١٩١٢ ص ٢٠٨ الى ص ٢١١ القاهرة سنة ١٩١٣ .

أيام الآحاد والجمع لحضور القداسات والاشتراك مع باقي الشعب الارثوذكسي في العبادة وممارسة الفروض الكنائسية حتى يشبوا عابدين الله وعالمين بقواعد دينهم متمسكين بأهدابه عائشين عيشة التقوى والفضيلة التي هي أمس النجاح في الدارين .

المادة الخامسة : لأجل التمكين من تعضيد هذه الاجراءات الضرورية المتوقف عليها نجاح الأقباط وتمسك أبنائهم بأهداب الدين المسيحي والمحافظة على نظامات كنيستهم الأرثوذكسية بطريقة لا يعقبها فتور ولا يشدبها اهمال او تأخير ديني يتعين أحد أبناء الأمة الخبيرين بنظام المدارس وطرق سيرها يجول من وقت الى آخر بصفته مندوب خصوصي متفرغ لمباشرة قيام كل المدارس القبطية بتنفيذ هذا الأمر.

وعلى هذا المندوب استمرار المعاضدة والمعاونة على سائر أعماله من حضرات الآباء المطارنة والأساقفة والاتحاد معهم في ازالة العوائق التي تعترض تنفيذ هذا المشروع و يكون هذا المندوب تابعا للدار البطريركية وخاضعا لجميع الاوامر والمنشورات التي تصدر منها له .

المادة السادسة : ينتدب السيد البطريرك المكرم من يراه لانتقاء من وجهاء الأمة القبطية لتنفيذ هذا القرار بسائر مشتملاته .

ملحق رقم (٤)

بيان رسمى بالمدارس القبطية (من نظارة المالية ١٩٠٦ ـ ١٩٠٧) نشر فى المجلة القبطية لمحررها جرجس فيلوثاوس عوض السنة الاولى العدد الثامن نوفمبر ١٩٠٧ م .

سنة التاسيس	جملة	ذكور	اناث	بمصاريف	مجانا	اقباط	مسلمون	بقيه ديانات اخرى	
١٨٨٥	٦١٨	٩١٨	—	٣٦٣	٢٥٥	٥١٦	٩٦	٦	المدرسة البطريركية القبطية الارثوذكسية
١٨٧٦	١٣٨	—	١٣٨	٦٩	٦٩	١٣١	١	٦	المدرسة القبطية للبنات
١٨٥٧	١٢٢	١٢٢	—	٥٠	٧٢	١٠٥	١٧	—	المدرسة القبطية بحاره السقايين
١٨٧٦	٣٢	—	٣٢	١٥	١٧	٣٢	—	—	المدرسة القبطية للبنات بحارة السقايين
١٨٩٨	١٣٠	٨٦	٤٤	٥٠	٧١	٧٥	٥٤	١	مدرسه المعلقة .
١٨٨٦	٦٠	٦٠	—	٣١	٢٩	٥٦	٢	٢	مدرسة حاره زويلة
١٨٨٦	٦٥	٦٥	—	٣٩	٢٦	٥٣	٩	٣	مدرسة الاقباط ببولاق
١٨٨٦	٢٦	٢٦	—	١٦	١٠	٢٦	—	—	مدرسة الاقباط حارة الروم
١٨٩٥	٥١٢	٣٩١	١٢١	٤١٥	٤٦٥	٩٧	٤٥	٢	مدرستا التوفيق المركزية) جمعية التوفيق المركزية بمصر
١٩٠٦	٢٧	٢٧	—	١٨	٩	٢٢	٥	—	مدرسة التوفيق الصناعية)
١٨٩٣	١٤٦	—	١٤٦	١١٦	٣٠	١٣٦	١٠	—	مدرسة البنات لجمعية التهذيب بالقاهرة
١٨٩٢	٢٧٢	٢٧٢	—	٢٤١	٣١	٢٢٩	٤٣	—	مدرسة الاداب الاهلية بالقللى
١٨٧٥	٤٠٧	٤٠٧	—	٢٨٦	١٢١	٣١٧	٨٧	٣	المدرسة البطريركية للصبيان .) اسكندرية
١٨٩٦	٧٤	—	٧٤	٤٢	٣٢	٥٤	١٧	٣	المدرسة البطريركية للبنات)
١٨٩٣	١٠٥	٣٧	٦٨	٩١	١٤	٦٥	١٥	٥	مدرسة التوفيق (الشارع الابراهيمى) اسكندرية
١٩٠٠	٩٦	٣٧	٥٩	٨١	١٥	٥٧	٣٢	٧	مدرسة التوفيق (الباب الجديد) اسكندرية

سنة التأسيس	جملة	ذكور	اناث	مصاريف	مجاناً	اقباط	مسلمون	بقية ديانات اخرى	
١٨٩٣	١٣٨	١٣٨	—	١٢٥	١٣	٤١	٩٣	٤	مدرسة الاقباط الوطنية ببور سعيد
١٨٩٧	٩٦	٩٦	—	٨٦	١٠	٦٨	٢٨	—	مدرسة الجمعية الخيرية بقليوب قليوبية
١٩٠٤	١٥٧	١٥٧	—	١٢٧	٣٠	١٣٢	٢٥	—	مدرسة عبد المسيح بك موسى بالزقازيق شرقية
١٨٨١	٧٦٧	٦٥٨	١٠٩	٦٨٨	٧٩	٣٨٠	٣٨٤	٣	المدرسة القبطية الارثوذكسية بطنطا .
١٩٠٣	١٩٩	١٩٩	—	١٦٩	١٣٠	١٠٠	٩٥	٤	مدرسة التوفيق بطنطا
١٨٩١	١٣٥	٨٨	٤٧	١١٥	٢٠	٧١	٦٤	—	مدرسة التوفيق وسمنود (غربية)
١٨٩٥	١١٨	١١٨	—	٩١	٢٧	٨٠	٣٨	—	مدرسة الاقباط بمحه بربا غربية
١٨٩٠	٣٤١	٣٤٣	٤٨	٢٩٣	٤٨	١٦٤	١٧٣	٤	المدرسة القبطية بالمحلة الكبرى غربية
١٨٩٤	٢٩٢	٢٩٢	—	٢٣٩	٥٣	١٣٨	١٥٢	٢	المدرسة القبطية المنصوره دقهلية
١٨٩٢	١٠٥	١٠٥	—	١٠٠	٥	٩٥	١٠	—	المدرسة القبطية بمليج منوفيه
١٨٨٠	١٧٥	١٤٠	٣٥	١٢٧	٤٨	١٥٦	١٩	—	المدرسة الخيرية بشبين الكوم منوفيه
١٩٠٠	٢٧٢	٢١٦	٥٦	٢٣١	٤١	١٩١	٦٨	١٣	المدرسة القبطية بدمنهور بحيرة
١٨٨٠	٢٧١	٢٧١	—	٢٣٠	٤١	٢١٦	٥٥	—	مدرسة التوفيق بالفيوم) فيوم
١٨٩٠	١٢٥	٨٨	٣٧	١٠٩	١٦	٩٣	٣٢	—	المدرسة الخيرية بسنورس فيوم)
									مديرية بنى سويف
١٩٠٥	٢٢٥	—	٢٢٥	١٣٠	٩٥	١٥٤	٧٠	١	المدرسة القبطية فى المنيا (بنات)
١٨٩٨	٤١٧	٤١٧	—	٣٥٣	٦٤	٣١٣	١٠٤	—	المدرسة القبطية فى المنيا (بنين)
١٨٩٥	١٤٠	١٤٠	—	١٤٠	—	١٢٦	١٤	—	المدرسة القبطية ابوقرقاص) المنيا
١٩٠٥	٥٣	٥٠	٣	٣٧	١٦	٤٧	٥	١	مدرسة نزله الفلاحين)
١٩٠٥	٤٠	٤٠	—	٣٨	٢	٢٥	١٥	—	المدرسة الاهلية باطسا
	٤٨٦	٤٨٦	—	٣٨٩	٩٧	٤٥٧	٢٩	—	المدرسة القبطية باسيوط

سنه التاسيس	جلة	ذكور	اناث	بمصاريف	مجانا	اقباط	مسلمون	بقيه ديانات اخرى	
١٨٧٥	٦٨٩	٦٨٩	—	٤٤٢	٢٤٧	٦٠٨	٨١	—	المدرسة الوطنية لاخوان و يصا باسيوط)
١٨٨٠	٨٢	٥٦	٢٦	٥٦	٢٦	٦٠	٢٢	—	المدرسة الخيرية الانجيلية بعنبو)
١٩٠٦	٤٥	٤٥	—	٢٤	٢١	٤٠	٥	—	المدرسة الخيرية بابوتيج) اسيوط
١٩٠٦	٥٠	٥٠	—	٤٩	١	٥٠	—	—	المدرسة الخيرية بسراقنه)
١٩٠٠	٣١	٣١	—	٣١	—	٢٩	٢	—	المدرسة القبطية بابنوب)
١٨٨٩	١٣٠	—	١٣٠	٨٠	٥٠	١٣٠	—	—	مدرسة الاصلاح بدرب بيلاطس)
١٩٠٤	١٠٩	١٠٩	—	٨١	٢٨	١٠٧	٢	—	المدرسة القبطية بمسرع)
١٨٩٥	١٢٠	—	١٢٠	١٠٥	١٥	٩٥	٢٥	—	المدرسة الوطنية بسوهاج)
١٨٩٥	٤٤٥	٤٤٥	—	٣٩٠	٥٥	٤١٥	٢٩	١	مدرسة بسطابك الوطنيه بسوهاج) جرجا
١٨٩٧	١١٠	١٠٠	١٠	٧٧	٣٣	٩٢	١٨	—	المدرسة القبطية بطها)
١٨٩٣	٢٠٠	٢٠٠	—	١٣٤	٦٦	١٩٥	٥	—	المدرسة القبطية بقنا
١٨٨٤	١٧٦	١٧٦	—	١٣٨	٣٨	١٢٨	٤٥	٣	مدرسة مكرم جرجس عبيد بقنا
١٨٩٠	١٨٥	١٢٤	٦١	١١٤	٧١	١٨٣	٢	—	مدرسة داود بك تكلا بيهجوره .
١٩٠٠	٢٢٥	٢٢٥	—	١٧٨	٤٧	١٧٨	٤١	٦	المدرسة القبطية باسوان
	٩٩٧٩	٨٣٩٠	١٥٨٩	٧٦٩٨	٢٣٣١	٧٦٩٩	٢١٨٣	١٠٠	

— ((ملحق رقم ٥)) —

— ((بنشاط الأقباط الاجتماعى)) —

الأمر العالى بابعاد البطريرك كيرلس الخامس والانبا يؤنس مطران البحيرة الى الدير.

فى يونيو سنة ١٨٩٢ تم تشكيل المجلس الملى الثالث ولكن الخلاف اشتد بين البطريرك كيرلس الخامس يؤيده رجال الاكليروس و بين نواب الشعب (أعضاء المجلس الملى العام) بزعامة بطرس غالى باشا فاستصدر المجلس أمرا عاليا برفع يد الأنبا كيرلس الخامس من رئاسته وانتخاب أسقف صنبو الذى انحاز الى ممثلى الشعب وكيلا بطريركيا فاستفحل الخلاف لاصرار البطريرك على عدم وجود مجلس ملى برغم تأييد الخديو عباس حلمى الثانى والوزارة للمجلس وضرورة بقائه فطلب المجلس الملى من الحكومة أبعاد البطريرك الى دير البرموس وابعاد الانبا يؤنس مطران البحيرة (المقيم بالاسكندرية) الى دير الأنبا بولا بالجبل الشرقى ، وفيما يلى صورة الارادة السنية وهى بتاريخ ١٠ صفر سنة ١٣١٠ وأول سبتمبر سنة ١٨٩٢ .

(من كتاب القول اليقين فى مسألة الأقباط الارثوذكسيين ليوسف بك منقريوس ص ١٦٧).

« حيث انه اقتضت ارادتنا المؤرخه فى ٨ محرم سنة ١٣١٠ وأول اغسطس سنة ٩٢ نمره ٣ رفع يد الأنبا كيرلس البطريرك من رئاسة مجلس طائفة الأقباط الأرثوذكس ومن ادارة كل ما يتعلق بشئونها والتصريح لمجلس ملى الطائفة المذكورة ان ينتخب من يلزم ليكون وكيلا للبطركخانة ورئيسا للمجلس و يعوض عنه لحكومتنا اعتماده وحيث أن المجلس المذكور انتخب الأنبا اثناسيوس أسقف كرسى صنبو فى مديرية أسيوط لهذه الوظيفة وصدق على انتخابه بمقتضى أمرنا المؤرخ فى ٥ صفر سنة ١٣١٠ و٢٧ أغسطس سنة ٩٢ نمره ٣ وحيث أنه قد ثبت أن الأنبا كيرلس قد أصدر تعليمات بعدم الأنقياد لأوامرنا وترتب على هذه التعليمات منع الوكيل المنتخب قانونا ومنع مندوبى الحكومة اللذين كانا معه عن الوصول الى محلات البطركخانة المشتملة على دار البطريركية والكنيسة والمدرسة مع تكرار طلب ذلك بأمر الحكومة وحيث أن البطريرك الموما اليه عصى أوامرنا وزاد على ذلك أنه حاول بما أظهره من المنشورات والدعوات أن يحمس فريقا من أبناء طائفته على مخالفة أوامرنا ولو أفضى ذلك لتكدير الأمن وساعده على هذه

الأجراءات مطران الاسكندرية . وحيث آن مجلس طائفة الاقباط باتحاده مع المجلس الروحي قد التمس من حكومتنا بقراره المؤرخ ٣١ اغسطس سنة ٩٢ اصدار امرنا للأنبا كيرلس البطر برك باقامته في دير البرموس ببرية شيهات واقامة الانبا يؤنس بدير الانبا بولا بالجبل الشرقي لأجل حصول الهدؤ والسكينة في الطائفة وحيث انه يجب منع دوام الحالة الحاضرة التي من شأنها ايجاد الهياج والشقاق بين الطائفة وتدبير الامن العام حتى يتيسر لمجلس الطائفة القيام بالمأمورية المندوب لها قانونا فبناء على ما عرضه علينا مجلس النظار قد أمرنا بلزوم توجه الانبا كيرلس لدير البرموس ببرية شيهات والانبا يؤنس لدير الانبا بولا في الجبل الشرقي وعدم مبارحتها هذين الديرين وأصدرنا أمرنا هذا لاجراء مقتضاه » (١) .

تقول المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر .

---

(١) One bishop only sided with the reform party the bishop of Sanabou, whose name was Athanasius. Cyril excommunicated him, and when Athanasius went to the cathedral in Cairo, he found the doors barred against him by the Patriarch, who had gone to Alexandria. Eventually, the reform party succeeded in getting their Patriarch exiled to Nitiria and John, the metropolitan of Alexandria, to the desert monostry of St. Paul.
(The story of the church of Egypt; P. 407).

((تقديم مراجع البحث)) ـ

قسمت مراجع البحث الى أربع مجموعات ، الأولى فى التاريخ العام والثانية فى تاريخ الأقباط والثالثة مراجع غير تاريخية والرابعة مراجع أجنبية .

أما المجموعة الأولى وهى مراجع التاريخ العام فتشمل أهم كتب فى تاريخ مصر الحديث ، منها ما كتبة مؤرخون معاصرون للأحداث مثل الجبرتى فى كتابيه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، ومظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس ومثل ميخائيل بك شاروبيم فى كتابه الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ويهمنا منه الجزء الرابع وفيه نرى المؤرخ معاصرا لاحداث النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، وتعتبر كتابة المؤرخين المعاصرين من أقوى المراجع وقد يحول بطش الحاكم وجبروته دون افصاح المؤرخ عى تصوير الحقيقة ولكن الشجاعة قد تتغلب فى بعض الاحيان فتدفع برجالها الى ذكر أحداث التاريخ على حقيقتها ، وهذا ما قام به الجبرتى أيام طغيان محمد على . وفى هذه المجموعة كتب لمؤرخين عظام بلغوا القمة فى أبحاثهم التاريخية أمثال الدكتور محمد فؤاد شكرى والاستاذ عبد الرحمن الرافعى والاستاذ محمد شفيق غربال والدكتور محمد صبرى والدكتور أحمد عزت عبد الكريم بل تتضمن كتبا لأعلام المتخصصين فيطمئن باحث التاريخ حين يستند الى كتب لأعمدة فى تخصصاتهم فحين أبحث حياة الفلاحين أجد أمامى مصادر متخصصة مثل كتاب تاريخ مصر الاقتصادى للدكتور أحمد أحمد الحته ، والتطور الاقتصادى فى العصر الحديث للدكتور راشد البراوى والاستاذ محمد حمزة عليش وتاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة للدكتور محمد فهمى لهيطة ومثل كتاب الفلاح المصرى : حالته الاقتصادية والاجتماعية للاستاذ يوسف نحاس ، واذا تناولت دراسة الصناعة فى القرن التاسع عشر فانى أجد معينا لا ينضب فى الكتب الاقتصادية التى ذكرتها كما أجد مصدرا هاما هو تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر للدكتور على الجريتلى ، كما أجد ما يصور الحياة الاجتماعية أصدق تصوير مثل كتاب تاريخ مصر الاجتماعى لأحمد زكى بدوى ومثل كتاب « المصريون المحدثون » للمستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين وترجمة عدلى طاهر نور ويعتبر فى رأيى أهم كتاب صور المجتمع المصرى فى عهد محمد على وان كان الفصل الذى كتبه عن الأقباط « قبطى ذو عقل راجح » تعوزه الدقة وفى بعض الأحيان لم يحالفه الصواب وقد وجدت فى هذا الكتاب خير مدد سواء فى نصه الانجليزى أو فى ترجمته العربية ، كما أجد فى الكتب التى تناولت بالبحث حضارة مصر القديمة ما سرى فى التاريخ عبر القرون ووصل الى اقباط القرن التاسع عشر من عادات وتقاليد وتتمثل فى كتاب الحياة اليومية فى مصر

القديمة لألن شورتر (ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل) وآثار حضارة الفراعنة في حياتنا اليومية لمحرم كمال ، كما أجد في المجموعة كتبا قيمة تيسر السبيل أمام الباحث مثل كتاب بونابرت في مصر لكرستوفر هيرولد (ترجمة فؤاد اندراوس ومراجعة الدكتور محمد أنيس) ودراسات في وثائق ثورة سنة ١٩١٩ للدكتور محمد أنيس ، والجيش المصرى في القرن التاسع عشر للدكتور محمد محمود السروجى ، ومصر في القرن الثامن عشر (دراسات في تاريخ الجبرتى) الجزء الثالث للأستاذ محمود الشرقاوى والسياسة والاستراتيجية في الشرق الأوسط للدكتور حسين فوزى النجار ، وفي المجموعة بعض رسائل دكتوراه أو ماجستير فمن امثلة رسائل الدكتوراه : تاريخ التعليم في مصر من نهاية حكم محمد على إلى أوائل حكم توفيق للدكتور أحمد عزت عبد الكريم ومن أمثلة رسائل الماجستير: تاريخ التعليم في عهد محمد على للدكتور أحمد عزت عبد الكريم وتاريخ التعليم الأجنبى في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين للدكتور جرجس سلامه . وحين اتناول بالدراسة ما يتصل بمدينة القاهرة أجد امامى أربعة مراجع هامة هي سيرة القاهرة لستانلى لين بول (ترجمة الدكتور حسن ابراهيم حسن) وكتاب القاهرة للمهندس فؤاد فرج في ثلاثة اجزاء وهو موسوعة عربية في تاريخ القاهرة ويهمنا منها الجزء الثالث الذى يتناول بالدراسة القاهرة في العصر الحديث وكتاب القاهرة لشحاته عيسى وتخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها للأستاذ حسن عبد الوهاب .

ومن المصادر الهامة تقارير ممثلى الدول عن وصف الحالة في مصر ففى عهد محمد على أوفدت كل من انجلترا وفرنسا وروسيا ممثلا لها قام بكتابة تقرير فأوفدت انجلترا (السيرجون بورنج) وفرنسا (البارون بوالكمت) وروسيا (الكونت دوهاميل)

وقد قام بترجمة هذه التقارير المؤرخ الكبير الدكتور محمد فؤاد شكرى وزميلاه في كتاب بناء دولة ــ مصرى محمد على .

اما المجموعة الثانية فتشمل مراجع في تاريخ الأقباط ، وفي مقدمة هذه المراجع السنكسار أو الصادق الأمين في أخبار القديسين وهو مرجع هام في تاريخ الكنيسة يمثل نظام يوميات تسير وفق الشهور القبطية وتتلى منه في الكنائس القبطية سيرة الشهيد أو القديس التى توافق يوم الصلاة ، وقد كتب بعضه في القرن الرابع الميلادى يوليوس الأقفهصى (نسبة الى اقفهص بمركز الفشن بمحافظة بنى سويف) فقد اهتم بكتابة سير الشهداء في عصر دقلديانوس ، وكتب بعضه في القرن السابع يوحنا اسقف البرلس كما كتب بعضه فيما يلى القرن السابع ميخائيل أسقف أتريب (مكان بنها الحالية) كما نجد في المجموعة الثانية مراجع لعلماء الكنيسة أمثال القمص عبد المسيح واصف (الانبا لوكاس مطران منفلوط الراحل) في كتابه بلوغ المرام في ذكرى حياة خليفة الأنبا ابرام « والراهب البرموسى (الاسقف ايسيذورس) في كتابه الخريدة النفيسة في تاريخ الكنيسة ، والانبا ديسقورس أسقف المنوفية الآن في كتابيه موجز تاريخ المسيحية في مصر

باسمه أيام الرهبنة يسطس الدويرى وكتاب دير السيدة العذراء برموس باسم القمص انطونيوس يسطس البرموسى ، كما نجد كتاب تاريخ الكنيسة القبطية ـــ الجزء الثانى ـــ للأنبا الكسندروس (المطران السابق للأقباط الكاثوليك) بأسيوط كما نجد فى المجموعة مصادر تاريخية معاصرة مثل تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخله روفيله المطبوع فى القاهرة سنة ١٨٩٨ فعاصر المؤرخ احداث النصف الثانى من القرن التاسع عشر ونجد مصادر أخرى كتبها أصحابها قبل ثورة سنة ١٩١٩ فهى تدخل فى الفترة التى أقوم بتأريخها مثل الأقباط فى القرن العشرين لرمزى تادرس المحرر بجريدة مصر كتب الجزء الأول سنة ١٩١٠ والثانى والثالث والرابع سنة ١٩١١ فعاصر المؤلف أواخر القرن التاسع عشر كما عاصر القرن العشرين ومثل نوابغ الأقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر لتوفيق اسكاروس فى جزئين الأول سنة ١٩١٠ والثانى سنة ١٩١٣ ومن الكتب المهمة التى صدرت حديثا قصة الكنيسة القبطية (الجزء الأول) للاستاذة ايريس حبيب المصرى وتاريخ الأقباط ـــ الجزء الأول ـــ للاستاذ زكى شنوده المحامى وموجز تاريخ القبط للعلامة الأمريكى وليم ورل استاذ السابق بجامعة ميتشجان (ترجمة جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية اشراف الدكتور مراد كامل) وكنائس القاهرة القديمة للاستاذ رؤوف حبيب المدير السابق للمتحف القبطى .

ولقد قامت فى القرن العشرين لجنتان لكتابة تاريخ الأقباط احداهما لجنة التاريخ القبطى فى القاهرة وقد أصدرت عدة كتب ومن أبرز أعضائها كامل صالح نخله وفريد كامل وقد بدأت بوضع كتاب خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر سنة ١٩٢١ الذى كان يدرس فى المدارس فى مادة الدين المسيحى ثم كتاب الجنرال يعقوب واستقلال مصر سنة ١٩٣٥ ، كما قام كامل صالح نخله وحده بتأليف عدة كتب لا تدخل فى نطاق بحثنا ولقد انطفأت شعلة هذه اللجنة بعد وفاة قطبيها ، ولعل فى قيام المعهد العالى للدراسات القبطية الذى أسسه بالقاهرة الدكتور عزيز سوريال عطية سنة ١٩٥٤ و يرأسه الآن الدكتور سامى جبره وهما من كبار اساتذة التاريخ فى مصر ما ينهض بكتابة تاريخ الأقباط ولقد أنشئت سنة ١٩٣٥ جمعية الآثار القبطية و يرأسها مريت غالى (حفيد بطرس غالى باشا) وعملها بلا شك ينهض بدراسة التاريخ ، أما اللجنة الثانية فهى جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية وقد أصدرت من مؤلفاتها التى تدخل فى مراجع هذا البحث كتاب صور من تاريخ القبط (ابحاث لعدد من العلماء) سنة ١٩٥٠ وكتاب صفحة من تاريخ القبط (أبحاث لعدد من العلماء) سنة ١٩٥٤ ، وتلحق بهذا الكتاب الترجمة العربية لكتاب موجز تاريخ القبط للعلامة وليم ورل الأمريكى وأديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى سنة ١٩٦٢ ولا تزال هذه الجمعية تسير فى عملها التاريخى بهمة شماء ، وقد حفظت لنا الكتب والمجلات التى صدرت فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين وثائق بعضها لاسبيل للحصول عليه الآن مثل الأحصاء الرسمى من نظارة المالية ـــ عن المدارس القبطية ، وقد نشرت المجلة القبطية سنة ١٩٠٧ فى سنتها الأولى لجرجس فيلوثاوس عوض هذا البيان أوضح لنا حالة التعليم فى أوائل القرن العشرين أو وثائق من العسير الحصول عليها الآن مثل كتاب

الايضاحات الجلية فى تاريخ المسألة القبطية (جمع بطرس ابراهيم) المطبوع فى القاهرة سنة ١٨٩٣ وقد جمع المراسيم العالية الخاصة بانشاء المجلس الملى للاقباط الارثوذكس ، كما حفظ لنا تاريخ الأمة القبطية من سنة ١٨٩٣ — ١٩١٢ ليوسف منقريوس منشورات البابا كيرلس الخامس فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وتبدو أهمية هذه المنشورات فى تصوير المجتمع القبطى مثل منشور تحريم الندب فى المآتم ومنشور تحديد حد ادنى لسن الزواج ، وفى الحديث عن الأديرة يمكن القول أن المكتبة العربية الآن غنية بالمراجع وقد استعنت فى دراسة الأديرة بثمانية مراجع عربية أوضحتها فى المجموعة الثانية .

ويجدر بى أن اذكر أن بعض مراجع الأديرة ألفه أساقفه من الذين انتظموا فى سلك الرهبنة بها مثل الانبا ديسقورس أسقف المنوفية الحالى والدكتور الانبا غريغوريوس خريج جامعتى القاهرة ومانشستر وأسقف البحث العلمى والثقافة القبطية الآن وهذه دراسة تبلغ الذروة فى البحث العلمى .

ومن المراجع الهامة كتاب المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر للاستاذ حبيب جرجس مدير الكلية الاكليريكية الاسبق وفيه يتحدث عن نشأة المدرسة الاكليريكية لتخريج رجال الدين سنة ١٨٩٣ ثم تطور هذه المدرسة ثم يطيل الحديث عن نشاط الاكليريكيين فى ميدان الوعظ وفى نشأة مدارس الأحد وتقدمها ومن مراجع التاريخ القبطى الهامة تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصرى (أسقف قيصرية) وهو مؤرخ معاصر لاضطهاد دقلديانوس شاهد بنفسه المجزرة البشرية التى قام بها الامبراطور دقلديانوس وأهمية هذا الكتاب فى دراستنا أن تسجيل بطولة الشهداء يفسر لنا ظاهرة الأعياد القبطية للقديسين

كما أن كتاب « الاستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل » الذى كتبته بالانجليزية ريتا هوج ابنة الدكتور يوحنا هوج (وترجمه الى العربية الشيخ مترى صليب الدويرى) يعتبر من المصادر الأصلية فى انتشار البروتستانتيه فى مصر كما أن محاضرات « الأعياد والابقطى » للاستاذ شاكر باسليوس تنير لنا السبيل الى فهم التقويم القبطى ، وتحديد عيد القيامة

واما المجموعة الثالثة من المراجع فهى مراجع غير تاريخية وأهمها الدسقولية أو تعاليم الرسل نشرها حافظ داود (القس مرقس داود الآن) وكتاب منارة الاقداس فى شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس الجزء الأول للقس منقريوس عوض الله ومن الكتب الهامة التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية لمحمد مختار باشا و يبدو دوره الهام فى دراسة التقويم القبطى اما المراجع القانونية فقد هدتنى اليها دراستى فى القانون وبها يتم استكمال بعض نقاط البحث على خير وجه فشرح قانون العمل للدكتور عبد الودود يحيى يبين لنا تطور حياة العمال وما يقوم به التشريع فى تطوير مجال العمل .

وأما المجموعة الرابعة وهى المراجع الأجنبية فتوضح لنا دور الزائرين لمصر فى دراسة المجتمع القبطى ، وتبدو أهمية المراجع الأجنبية أنها طرقت بابا كادت المراجع العربية لا تصل اليه وهو باب العادات والتقاليد ولعل ذلك يعزى الى أن الاقباط يمارسون العادات والتقاليد فى حياتهم عمليا أما الأجانب فانهم يريدون أن ينقلوا الى بلادهم ما شاهدوه فى مصر، و يرفع من قيمة المصادر الأجنبية أن جميع الانجليز الذين ألفوا كتبهم جاءوا الى مصر وعاشوا تحت سمائها فترات من الزمن فى القرن التاسع عشر أو أوائل القرن العشرين فالمستشرق الانجليزى ادوارد وليم لين زار مصر فى عهد محمد على وتعلم اللغة العربية ومكث فترة من الزمن فهو يصور المجتمع تصويرا شاهد خبير و باستثناء الفصل الذى كتبه له عن الأقباط « قبطى ذو عقل راجح » فانه يصور المجتمع المصرى بنفسه أصدق تصوير و يتحدث فى بعض الحالات عن الأقباط ولا شك فى أن فى المجتمع القبطى جزء من المجتمع المصرى ومن صميمه كما أن الفريد بتلرزار مصر فى أواخر القرن التاسع عشر وألف مجلدين عن الكنائس القبطية نشرها فى انجلترا سنة ١٨٨٤ وهو الذى حرك الأقباط الى انشاء المتحف القبطى كما أن المؤرخة الانجليزية مسز بوتشر زارت مصر فى أواخر القرن التاسع عشر ومكثت بها فترة من الزمن زارت الكنائس فى كثير من البلاد المصرية وحضرت حفلات الزواج عند الاقباط واتصلت بهم فى افراحهم واحزانهم وقد نشرت كتابها The story of the Church of Egypt فى لندن سنة ١٨٩٧ وترجم الى اللغة العربية فى القاهرة سنة ١٩١٠ وقد تحدثت باسهاب فى الفصلين الاخيرين من الجزء الثانى عن الاقباط فى القرن التاسع عشر ففى احد الفصلين تكلمت عن الكنيسة المصرية فى القرن التاسع عشر The Church of Egypt in the Nineteenth Century وفى الفصل الاخير تحدثت عن الحياة الاجتماعية والعادات Social life and Customs وكذلك من المراجع الهامة ما كتبه Fowlor فى كتابه Present and Future Christian Egypt, Past. وما كتبه ليدر فى كتابه Modern Sons of the Pharoahs ولعل هذا الكتاب اهم الكتب الانجليزية التى تحدثت عن المجتمع القبطى كما اجد فى مجموعة المراجع الاجنبية مصدرا أصليا لانتشار البروتستانتيه فى مصر كتبه احد كبار ناشرى البروتستانتيه فى مصر وهو الدكتور وطسن — مؤلف كتابه The American Mission in Egypt ومن المصادر الاجنبية ما كتبه Meinardus منذ سنوات عن الاديرة القبطية الانجليزية Monks and Monosteries of the Egyptian Deserts وميناردس مدرس فى الجامعة الاميريكية فى القاهرة وقد اتصل بالمعهد العالى للدراسات القبطية بالقاهرة وكتابه بحث جامع عن الاديرة القبطية ومن المصادر الانجليزية كتابان الفهما اثنان من الاقباط احدهما copts Who are the الفه القمص شنوده حنا رئيس كنيسة المعلقة بمصر القديمة كتبه للاجانب الذين يزورون هذه الكنيسة والثانى Copts and Moslems under under British Control الفه قرياقص ميخائيل وفيه يتحدث عن الظروف التى أدت الى عقد المؤتمر القبطى باسيوط سنة ١٩١١ و بيان عدد الموظفين الاقباط فى المصالح ونسبتهم الى اخوانهم ، اما المراجع الفرنسية فهما كتابان احدهما الفه مؤرخ مصرى هو الدكتور محمد صبرى La Revolution Egyptienne والثانى الفه مؤرخ فرنسى هو سلفستر شولير L' Histour de Coptes de l'Egypte

— ((مراجع البحث)) —

أولا : مراجع فى التاريخ العام :

١) الدكتور أحمد أحمد الحتة : تاريخ مصر الاقتصادى فى القرن التاسع عشر — القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٢) احمد زكى بدوى : تاريخ مصر الاجتماعى — القاهرة سنة ١٩٣٥ .
٣) احمد شفيق باشا : مذكراتى فى نصف قرن — الجزء الأول — القاهرة سنة ١٩٣٢ .
٤) الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى عهد محمد على — القاهرة سنة ١٩٣٨ .
٥) الدكتور أحمد عزت عبد الكريم : تاريخ التعليم فى مصر من نهاية حكم اسماعيل الى أوائل حكم توفيق — القاهرة سنة ١٩٤٥ .
٦) ادوارد وليم لين (ترجمة عدلى طاهر نور) : المصريون المحدثون — القاهرة سنة ١٩٥٠ .
٧) الجبرتى : عجائب الآثار فى التراجم والاخبار (الجزءان الثالث والرابع) القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ .
٨) الجبرتى : مظهر التقديس بزوال دولة الفرنسيس (الجزءان الأول والثانى) القاهرة سنة ١٩٦١ .
٩) المقريزى : المواعظ والاخبار بذكر الخطط والآثار . (الجزءان الثالث والرابع) القاهرة سنة ١٣٢٦ هـ .
١٠) ألن شورتر (ترجمة الدكتور نجيب ميخائيل) : الحياة اليومية فى مصر القديمة — القاهرة سنة ١٩٥٦ .
١١) بعض اساتذة كلية الآداب : المجمل فى التاريخ المصرى — القاهرة سنة ١٩٤٢ .
١٢) الدكتور جاك تاجر : أقباط ومسلمون منذ الفتح العربى الى عام ١٩٢٢ م — القاهرة سنة ١٩٥١ .
١٣) الدكتور جرجس سلامه : تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فى القرنين التاسع عشر والعشرين — القاهرة سنة ١٩٦٣ .
١٤) جورجى زيدان : تاريخ مصر الحديث — القاهرة سنة ١٨٨٩ .
١٥) جورجى زيدان : تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر — القاهرة سنة ١٩٠٢ .
١٦) حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها — القاهرة سنة ١٩٥٧ .

١٧) الدكتور حسين فوزى النجار : السياسة الاستراتيجية فى الشرق الاوسط (الجزء الأول) القاهرة سنة ١٩٥٣ .
١٨) الدكتور راشد البراوى ومحمد حمزه عليش : التطور الاقتصادى فى مصر فى العصر الحديث ــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .
١٩) ستانلى لين بول (ترجمة الدكتور حسن ابراهيم) : سيرة القاهرة سنة ١٩٥٠ .
٢٠) سليم حسن : مصر القديمة (الجزء الأول) القاهرة سنة ١٩٤٠ .
٢١) شحاته عيسى : القاهرة
٢٢) شفيق غربال : الجنرال يعقوب والفارس لاسكاريس ــ القاهرة سنة ١٩٣٢ .
٢٣) عبد الرحمن الرافعى : تاريخ الحركة القومية ــ الجزء الأول ــ القاهرة سنة ١٩٥٥ . ــ الجزء الثانى ــ القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٢٤) عبد الرحمن الرافعى عصر محمد على ــ القاهرة سنة ١٩٥١ .
٢٥) عبد الرحمن الرافعى : عصر اسماعيل ــ الجزءان الأول والثانى ــ القاهرة سنة ١٩٤٨
٢٦) عبد الرحمن الرافعى : الثورة العرابية ــ القاهرة سنة ١٩٦٦ .
٢٧) عبد الرحمن الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال ــ القاهرة سنة ١٩٤٨ .
٢٨) عبد الرحمن الرافعى : مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ــ القاهرة سنة ١٩٥٠ .
٢٩) عبد الرحمن الرافعى : محمد فريد رمز الاخلاص والتضحية ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .
٣٠) عبد الرحمن الرافعى : ثورة سنة ١٩١٩ ــ القاهرة سنة ١٩٥٥ .
٣١) عبد الرحمن الرافعى : فى أعقاب ثورة سنة ١٩١٩ (الجزء الأول) القاهرة سنة ١٩٤٧ .
٣٢) الدكتور على الجريتلى : تاريخ الصناعة فى مصر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ــ القاهرة سنة ١٩٥٢ .
٣٣) على باشا مبارك : الخطط التوفيقية ــ الجزء السادس ــ القاهرة ١٣٠٥ هـ
٣٤) عيادى العيد عيادى المحامى : المسيحية والقومية العربية ــ القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٣٥) فؤاد فرج : القاهرة (الجزء الثالث) ــ القاهرة سنة ١٩٤٦ .
٣٦) قلينى فهمى باشا : مذكراته ــ الجزء الأول ــ القاهرة سنة ١٩٤٣ .
٣٧) كرستوفر هيرولد (ترجمة فؤاد اندراوس ومراجعة الدكتور محمد أنيس) : بونابرت فى مصر ــ القاهرة سنة ١٩٦٧ .
٣٨) محرم كمال : آثار حضارة الفراعنة فى حياتنا اليومية ــ مطبوعات الألف كتاب ــ القاهرة سنة ١٩٥٦ .
٣٩) الدكتور محمد أحمد أنيس : دراسات فى وثائق سنة ١٩١٩ ــ القاهرة سنة ١٩٦٣
٤٠) محمد أمين حسونه ــ كفاح الشعب من عمر مكرم الى جمال عبد الناصر ــ القاهرة سنة ١٩٥٥ .
٤١) الدكتور محمد صبرى : تاريخ مصر الحديثة ــ القاهرة سنة ١٩٢٦ .

٤٢) الدكتور محمد فؤاد شكرى وعبد المقصود العنانى وسيد محمد خليل : بناء دولة مصر محمد علي ــ القاهرة سنة ١٩٤٨ .
٤٣) الدكتور محمد فؤاد شكرى : عبد الله جاك منو وخروج الفرنسيين من مصر ــ القاهرة سنة ١٩٥٢ .
٤٤) الدكتور محمد فهمى لهيطة : تاريخ مصر الاقتصادى فى العصور الحديثة ــ القاهرة سنة ١٩٤٤ .
٤٥) الدكتور محمد محمود السروجى : الجيش المصرى فى القرن التاسع عشر ــ القاهرة سنة ١٩٦٦ .
٤٦) محمود الشرقاوى : بطولات عربية ــ القاهرة سنة ١٩٦١ .
٤٧) محمود الشرقاوى : مصر فى القرن الثامن عشر (دراسات فى تاريخ الجبرتى) الجزء الثالث ــ القاهرة سنة ١٩٥٧ .
٤٨) ميخائيل بك شاروبيم : الكافى فى تاريخ مصر القديم والحديث ــ الجزء الرابع ــ القاهرة سنة ١٩٠٠ .
٤٩) وليم نظير: العادات المصرية بين الأمس واليوم سنة ١٩٦٧ (القاهرة) .
٥٠) يوسف نحاس : الفلاح المصرى : حالته الاقتصادية والاجتماعية ــ القاهرة سنة ١٩٢٦ .

ثانيا : مراجع فى تاريخ الأقباط :

١) الأنبا الكسندروس (المطران السابق للأقباط الكاثوليك بأسيوط : تاريخ الكنيسة القبطية (الجزء الثانى) ــ القاهرة سنة ١٩٦٢ .
٢) البابا كيرلس الرابع : مجموعة الخطب التى ألقيت فى الذكرى المئوية لأبى الاصلاح القاهرة سنة ١٩٦١ .
٣) الراهب البرموسى (الأسقف ايسيذورس) : الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة « الجزء الخامس » ــ القاهرة سنة ١٩٠٩ .
٤) المؤتمر القبطى بأسيوط طبع جريدة مصر الفجالة بالقاهرة سنة ١٩١١ .
٥) القمص انطونيوس بسطس البرموسى (الانبا ديسقورس أسقف المنوفية الآن) دير السيدة العذراء برموس ــ القاهرة سنة ١٩٦٠ .
٦) ايريس حبيب المصرى : قصة الكنيسة القبطية (الجزء الأول) ــ القاهرة بدون تاريخ)
٧) اليوبيل الماسى للكنيسة الانجيلية ــ القاهرة سنة ١٩٣٧ .
٨) بطرس وابراهيم (جمع وتأليف) الايضاحات الجلية فى تاريخ المسألة القبطية ــ المطبعة الانكليزية بالقاهرة سنة ١٨٩٣ .

٩) بطر يركية الأقباط الكاثوليك بالقاهرة : الدليل الطائفى والتقوم السنوى للكنيسة عام ١٩٥٦ — ١٩٥٧ القاهرة سنة ١٩٥٦ .

١٠) مسز بوتشر : تاريخ الأمة القبطية وكنيستها (الترجمة العربية) : القاهرة سنة ١٩١٠ .

١١) توفيق اسكاروس : نوابغ الاقباط ومشاهيرهم فى القرن التاسع عشر (الجزء الأول) سنة ١٩١٠ (والجزء الثانى) سنة ١٩١٣ القاهرة .

١٢) جرجس فيلوثاوس عوض : المجلة القبطية (مجموعة السنة الأولى) ١٩٠٦ — ١٩٠٧ بالقاهرة .

١٣) جرجس فيلوثاوس عوض : ذكرى مصلح عظيم — القاهرة سنة ١٩١١ .

١٤) جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية : صور من تاريخ القبط (أبحاث لعدد من العلماء) الاسكندرية سنة ١٩٥٠ .

١٥) جمعية مار مينا العجايبى بالاسكندرية : صفحة من تاريخ القبط (أبحاث لعدد من العلماء وفيه ترجمة كتاب موجز تاريخ القبط للعلامة الأمريكى وليم ورل الاستاذ السابق بجامعة متيشجان — الترجمة باشراف الدكتور مراد كامل) الاسكندرية سنة ١٩٥٤ .

١٦) حبيب جرجس : المدرسة الاكليريكية بين الماضى والحاضر — القاهرة سنة ١٩٣٨ .

١٧) الدكتور حكيم أمين : دراسات فى تاريخ الرهبانية والديرية المصرية مع دراسة مقارنة لرهبنة وادى النطرون حتى الفتح العربى — رسالة ماجستير — القاهرة سنة ١٩٦٣ .

١٨) رابطة الكتاب المسيحيين بالشرق الادنى : العمل الانجيلى فى الشرق العربى — بيروت سنة ١٩٦٠ .

١٩) رؤوف حبيب (المدير السابق للمتحف القبطى) : كنائس القاهرة القديمة — القاهرة سنة ١٩٦٦ .

٢٠) رمزى تادرس : الأقباط فى القرن العشرين (خمسة أجزاء) الأول سنة ١٩١٠ — والثانى والثالث والرابع سنة ١٩١١ والخامس سنة ١٩١٩ القاهرة .

٢١) رمزى تادرس : الجمعيات القبطية ومدى اتساع اعمالها — القاهرة سنة ١٩٤٦ .

٢٢) ريتا هوج (الترجمة العربية بقلم مترى صليب الدويرى) : الاستاذ الجليل بين مرسلى وادى النيل — القاهرة سنة ١٩١٧ .

٢٣) زكى شنوده المحامى : تاريخ الأقباط (الجزء الأول) القاهرة سنة ١٩٦٢ .

٢٤) شاكر باسيليوس : الأعياد والأبقطى (محاضرات مطبوعة على الآلة الكاتبة لطلبة المعهد العالى للدراسات القبطية) — القاهرة سنة ١٩٥٨ .

٢٥) سليم سليمان : مختصر تاريخ الأمة القبطية فى عصرى الوثنية والمسيحية (الجزء الأول) — القاهرة سنة ١٩١٤ .

٢٦) سليمان نسيم : تاريخ التربية القبطية — رسالة ماجستير — القاهرة سنة ١٩٦٣ .

٢٧) القمص صموئيل تاوضروس السرياني : الأديرة المصرية المعاصرة ــ القاهرة سنة ١٩٦٨ .
٢٨) القمص عبد المسيح صليب المسعودى : تحفة السائلين فى ذكر أديرة ورهبان المصريين ــ القاهرة سنة ١٩٣٢ .
٢٩) القمص عبد المسيح واصف (الانبا لوكاس مطران منفلوط السابق) : بلوغ المرام فى ذكر حياة خليفة الأنبا ابرام ــ القاهرة سنة ١٩٢٥ .
٣٠ علماء الكنيسة : السنكسار (الصادق الامين فى اخبار القديسين) : الجزءان الاول والثانى ــ القاهرة سنة ١٩١٢ .
٣١) الأمير عمر طوسون : وادى النطرون ورهبانه وأديرته ــ الاسكندرية سنة ١٩٣٥ .
٣٢) الأنبا غريغوريوس : الدير المحرق : تاريخه ، وصفه وكل مشتملاته ــ القاهرة سنة ١٩٦٩ .
٣٣) فرنسيس العتر : الأمة القبطية وكنيستها الأرثوذكسية ــ القاهرة سنة ١٩٥٣ .
٣٤) كامل صالح نخله وفريد ميلاد (عضوا لجنة التاريخ القبطى) خلاصة تاريخ المسيحية فى مصر ــ القاهرة سنة ١٩٣٢ .
٣٥) لبيب حبشى وزكى تاوضروس : فى صحراء العرب والاديرة الشرقية ــ القاهرة سنة ١٩٢٩ .
٣٦) لجنة التاريخ القبطى : الجنرال يعقوب واستقلال مصر ــ القاهرة سنة ١٩٣٥ .
٣٧) الدكتور مراد كامل : بحث فى كتاب تاريخ الحضارة المصرية (المجلد الثانى) بعنوان من دقلديانوس الى الفتح العربى) طبع وزارة الثقافة والارشاد القومى بالقاهرة .
٣٨) الدكتور منير شكرى : اديرة وادى النطرون (رسالة جمعية مارمينا العجايبى السادسة بالاسكندرية سنة ١٩٦٢) .
٣٩) وديع حنا : مرشد المتحف القبطى وكنائس مصر القديمة ــ القاهرة سنة ١٩٣١ .
٤٠) وليم ورل (الاستاذ السابق بجامعة متيشجان) : موجز تاريخ القبط (ترجمة جمعية مارمينا العجايبى بالاسكندرية باشراف الدكتور مراد كامل ــ ملحق بكتاب صفحة من تاريخ القبط) .
٤١) يعقوب نخله روفيله : تاريخ الأمة القبطية ــ القاهرة سنة ١٨٩٨ .
٤٢) يسطس الدويرى (الانبا ديسقورس اسقف المنوفية الآن) : موجز تاريخ المسيحية ــ الجزء الأول ــ القاهرة سنة ١٩١٩ .
٤٣) يوسابيوس القيصرى (ترجمة القس مرقس داود) : تاريخ الكنيسة ــ القاهرة سنة ١٩٦٠ .
٤٤) يوسف منقريوس : القول اليقين فى مسألة الاقباط الارثوذكسيين ــ القاهرة سنة ١٨٩٣ .
٤٥) يوسف منقريوس : تاريخ الأمة القبطية من ١٨٩٣ ــ ١٩١٢ القاهرة سنة ١٩١٣ .

ثالثا : مراجع غير تاريخية :

١) الدسقولية (او تعاليم الرسل) ـــ الناشر حافظ داود ـــ القاهرة سنة ١٩٤٠ .
٢) الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية (الجزء الأول) ـــ القاهرة سنة ١٩٣٧ .
٣) الدكتور حسن شحاتة سعفان : الخدمة الاجتماعية ـــ القاهرة سنة ١٩٥٤ .
٤) الدكتور رمزى سيف (وكيل كلية الحقوق بجامعة القاهرة) : قواعد تنفيذ الأحكام والعقود الرسمية ـــ القاهرة سنة ١٩٦٧ .
٥) سلامة موسى : تربية سلامة موسى ـــ القاهرة سنة ١٩٥٨ .
٦) الدكتور عبد الودود يحيى : شرح قانون العمل ـــ القاهرة سنة ١٩٦٣ .
٧) عطية وهبه : الأثر الذهبي : خطب ومقالات ـــ جمع راغب اسكندر المحامى ـــ القاهرة سنة ١٩١٥ .
٨) الدكتور فؤاد عبد المنعم رياض : الجنسية ومركز الأجانب ـــ القاهرة سنة ١٩٦٦
٩) محمد مختار باشا : التوفيقات الالهامية فى مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الأفرنكية والقبطية ـــ القاهرة سنة ١٣١١ هـ
١٠) القس منقريوس عوض الله : منارة الاقداس فى شرح طقوس الكنيسة القبطية والقداس ـــ الجزء الأول ـــ القاهرة سنة ١٩٤٧ .

رابعا : مراجع اجنبية :

1. Alfred J. Butler: The Ancient Coptic Churches of Egypt.
Vol. I. Oxford 1884.

2. Alfred Milner: England in Egypt. London 1893.

3. Andrew Watson: The American Mission in Egypt. Cairo 1888.

4. Butcher. E.L. The Story of the Church of Egypt. Vol. II -
London 1897.

5. Cromer: Modern Egypt Vol. II. London 1913.

6. Edward William Lane. Manners and Customs of the Modern
Egyptians. London 1954.

7. Fowler (Montagne Fowler) Christian Egypt, past, present
and future. London 1901.

8. Kyriakos Michail: Copts and Moslems under British Control
(Egypt) - London 1911.

9. G.A. Leeder: Modern sons of the Egyptian Pharoahs.
London 1914.

10. Otto Meinardus: Monks and MOnasteries of the Egyptian
Deserts. (Cairo 1961).

11. Rev. Shenouda Hanna: Who are the Copts ؟ Cairo 1955.

12. Sylvestre Chauleur. Histoire de Coptes d Egypte.

13. Mohammed Sabry. La Revolution Egyptienne. Paris 1921.



ــ (الفهرس) ــ

الموضوع		صفحة
الفصل الثالث :	الفئة الثالثة : الطبقة الوسطى	٦٣
الفصل الرابع :	الفئة الرابعة : طبقة الصناع والفلاحين	٦٩
	الفلاحون	٦٩
	الصلاة من اجل الزراعة	٧١
	الفلاح فى معيشته الداخلية	٧٢
	الحاصلات الزراعية	٧٣
	نظم جباية الضرائب وتوزيع الارض لزراعتها .	٧٣
	تقدم الزراعة فى عهد محمد على	٧٧
	الفلاح المصرى فى عهد سعيد	٨٠
	الفلاح المصرى فى عهد اسماعيل	٨٠
	الفلاح المصرى فى عهد توفيق	٨٢
	مشروعات تحسين حال الفلاح	٨٤
	الصناع	٨٥
	تقسيم الصناعات	٨٧
	احتكار الصناعة	٨٧
	الصناعات الصغيرة المنتشره	٩٠
	الغاء الاحتكار	٩٠
	الصناعه فى عهد اسماعيل	٩٠
	الصناعة فى عهد توفيق	٩١
	الصناعة فى عهد الاحتلال البريطانى	٩٢
	المرأة فى ميدان الصناعه	٩٢
	انشاء النقابات	٩٢
	الصناعة فى مصر اثناء الحرب العالمية الاولى	٩٢
الباب الثانى :	نشاط المجتمع القبطى .	٩٣
الفصل الاول :	دور الاقباط فى النشاط الوطنى	٩٥
	أول صوت طالب بالاستقلال	٩٥
	موقف الاقباط من الحمله الفرنسية	١٠١
	موقف الفرنسيين من الاقباط	١٠٢
	فى عهد محمد على :	١٠٣
	أولا : المعلم غالى يشير بعدم حفر قناة الا بأموال مصر	١٠٣

الموضوع	صفحة

الموضوع		صفحة

الموضوع		صفحة

الموضوع | صفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٢١٥١ / ٨٤

الترقيم الدولى ٧ ــ ٠٤٦ ــ ١٨٧ ــ ٩٧٧

طبع بمطابع شركة تريكروبى للطباعة
ت ٩٣٥٧٥٦ القاهرة